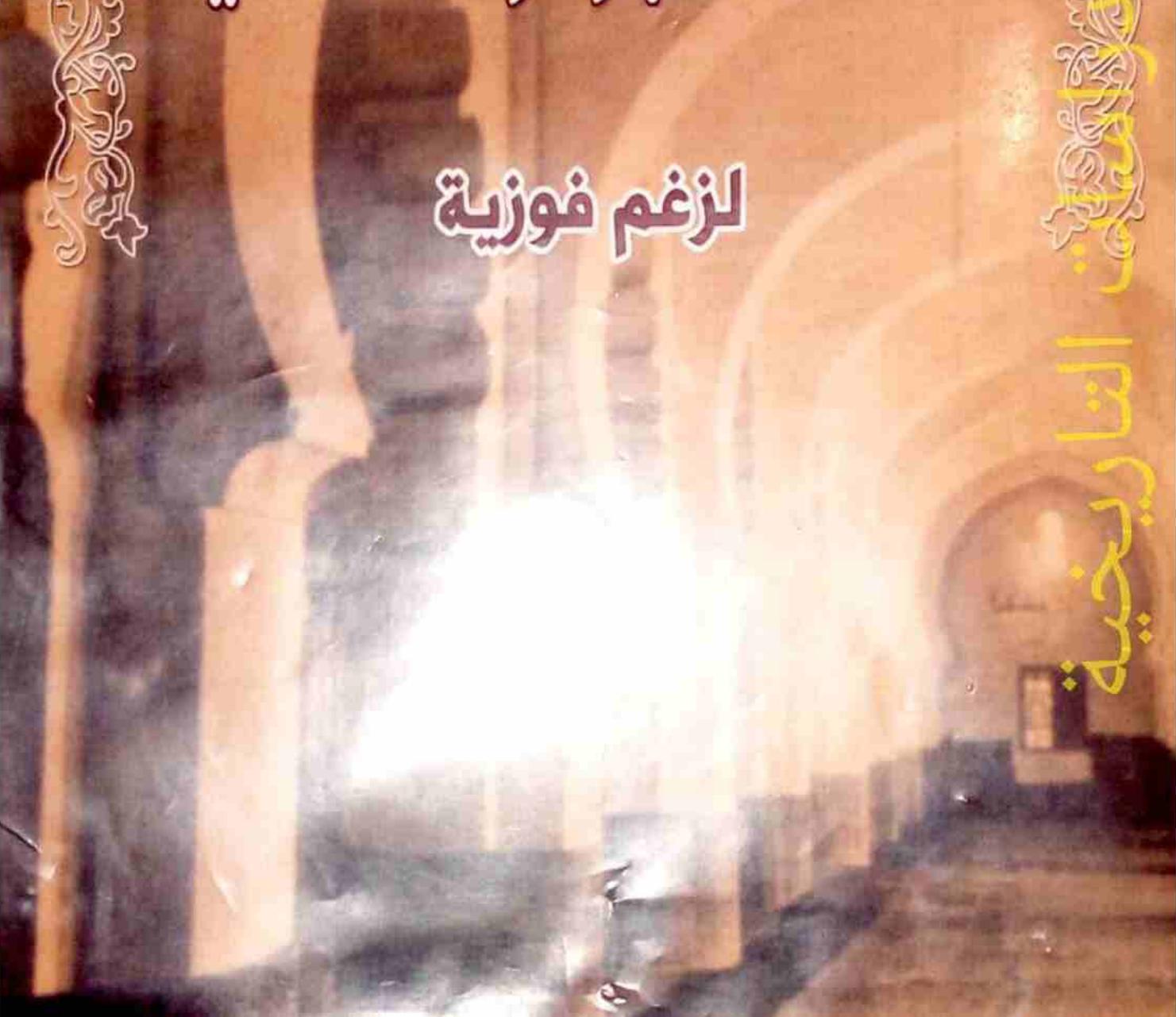


الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية

لزغم فوزية



دراسة

الاجازات العلمية
لعلماء الجزائر العثمانية

لزغم فوزية

برهان الشاربجاني

فوزيَّة لِزَغْم

لِرِزْغَمْ فُوزِيَّة

٢٠١١

الإجازات العلمية

لعلماء الجزائر العثمانية

1830 - 1518

ت. ر ٣٥

لِرِزْغَمْ فُوزِيَّة
مسؤول عن فرق الإخلاص ماسن
لأرشيف المغرب العربي الحديث والمعاصر

شكراً وامتنان

الحمد لله الذي لا يخيب من استجدى كرمه، ولا يخيب من استدعي نعمه، إلهي من دواعي الأمانة والوفاء أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من وقف إلى جاني في أثناء إعدادي لهذا البحث مبتدئاً بأسرتي وعلى رأسها والدي الكريمين - حفظهما الله ورعاهما - وأخوي وأخواتي.

وهذا العمل مدین بالشكر والامتنان لأساتذتي الأفضل الذين كان لهم الفضل الأكبر في إخراج هذا البحث المتواضع إلى النور بعد الله سبحانه وتعالى، وأخص بالذكر: الأستاذ الدكتور محمد بن معمر والأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمة، والدكتور أحمد الحمدي والدكتور عمر لقمان بوعصبة، الذين لم يخلوا على بمحاضاتهم القيمة، ونصائحهم السديدة، فجزاهم الله عن ذلك أحسن الجزاء.

كماأشكر كل من تكبّد عناء البحث في تاريخ الجزائر الثقافي وأخص بالذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله -أدام الله صحته وعافيته- والذي كانت مؤلفاته - في هذا المجال - أنها را ننهل منها.

لكل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع، كما أهديه لكل أسرة مخبر المخطوطات «شمال إفريقيا» بالحضارة الإسلامية بوهران، وإلى كل من ساهم في هذا البحث، ولو بالكلمة الطيبة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

مقدمة

حظي التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني بجذب هام ضمن الدراسات التاريخية المخصصة للعهد المذكور، وذلك من خلال تناول طرق التدريس ومناهجه، بالإضافة إلى مؤسساته التي حصرتها الدراسات المشار إليها في: الكتاب والمسجد، والزاوية والمدرسة، وقد أوجد التداخل في مهام ومناهج هذه المؤسسات، تداخل في الأطوار التعليمية خلال العهد المدروس.

ونظراً لعدم خصوص التعليم لقواعد وبرامج معينة، فالطالب هو الذي كان يتخير الأستاذ المُبرَز المشهود له بالبراعة والتضلع، علماً أنَّ شهرة الأستاذ التي كانت تتأثر في الغالب عن كثرة تلامذته وتواجد العلماء عليه، هي التي كانت تحول له الحق في منح الإجازة العلمية.

وكثيراً ما كان الطالب الراغب في الاستزادة من العلم يشُدَّ الرحال إلى كبار العلماء داخل الجزائر، وإلى أشهر المراكز الإسلامية بالغرب والشرق، في وقت لم تكن فيه الحدود السياسية تتحكم في تنقلات الأفراد، ولما كان الجزائريون حريصين في أسفارهم على التعليم والتعلم، كانوا يتلذذون أينما حلوا على أبرز العلماء إلى أن ينالوا منهم سعة الإطلاع والتعمق في المعارف، ويحصلون منهم على إجازات في مختلف العلوم المتداولة آنذاك.



كما تصدى كبار علماء الجزائر للتدرис خارجها ومنحوا الإجازات، وهذا نجد ثلاثة أصناف من الإجازات: إجازة العلماء الجزائريين لبعضهم البعض، وإجازات لهم لغيرهم، وإجازات العلماء المسلمين لعلماء الجزائر.

إنَّ الشَّائُولُ الَّذِي يُطْرَحُ بِالْحَاجَةِ فِي كُلِّ الدُّرُسَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْتَّعْلِيمِ هُوَ: "نِهَايَةُ الدُّرُوسِ"، وَبِمَا أَنَّ الْبَرَنَامِجَ لَمْ يَكُنْ مُحَدَّداً يَكُنْ أَنَّ نَسَاءَلُ عَنْ نِهَايَةِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْأَسْتَاذِ وَالْ طَالِبِ، فَهَلْ كَانَتِ الْعَلَاقَةُ بَيْنَهُمَا تَتَهْيَيْ دَوْمًا بِإِجازَةٍ؟ مَا طَبِيعَتُهَا؟ بِمَعْنَى آخَرٍ: هَلْ كَانَ الْأَسْتَاذُ يَكْتُبُ لِلْ طَالِبِ مَا يُئْتِيَ قَرَاءَتَهُ عَلَيْهِ؟ أَمْ يَكْتُبُ لَهُ إِجازَةً لِمَزاوِلَةِ مَهْنَةِ التَّدْرِيسِ وَالْفَتْوَى وَغَيْرِهَا؟ أَمْ هِيَ مُجَرَّدُ إِذْنٍ مِنَ الْأَسْتَاذِ لِلْ طَالِبِ الْمُجَتَهِدِ الطَّمُوحِ وَتَسْرِيْجِهِ لَهُ وَرْضَاهُ عَنْهُ؟

هَذَا عَنِ الْعَلَاقَةِ الَّتِي تَرْبِطُ الْأَسْتَاذَ بِالْ طَالِبِ، وَهُنَاكَ مَسْتَوِيٌّ آخَرٌ يَتَعَالَمُ بِهِ الْعَلَمَاءُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، حِيثُ كَانُوا يَتَلَمَّذُونَ عَلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ، وَكَثِيرًا مَا كَانُوا يَتَبَادِلُونَ إِجازَاتِهِنَّ، وَعَلَيْنَا أَنْ تُمْيِّزَ أَيْضًا بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ الْعَلَمَاءِ: أَعْلَامِ الْعَلَمَاءِ الْمَدْرِسِينَ، وَآخَرِينَ لَمْ يَبْلُغُوا مَسْتَوَاهُمْ.

وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ بَعْضَ إِجازَاتِ الْعِلْمِيَّةِ كَانَ يُمْنَحُ بَعْدَ الْمَلَازِمةِ وَالْحُضُورِ وَالْمَوْاضِبَةِ، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ كَانَ إِجَابَةً لِاسْتِجَازَةِ الْمَجَازِ حَتَّى بَدَوْنَ الْقِرَاءَةِ كَإِجازَةِ مَرَاسِلَةِ، وَهُنَاكَ إِجازَاتُ الْعُمُومِ، بَلْ أَنَّ مِنَ الْعَلَمَاءِ مَنْ أَجَازَ لِمَنْ أَدْرَكَ حَيَاتَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِمْ.

إن التعامل مع الإجازة العلمية بمفهوم العصر واعتبارها "شهادة كفاءة"، يصدق على النوع الأول منها، في حين لا يصدق على النوع الثاني الممنوح على الشكل المذكور، وهذا ينبع عن وجود أنواع مختلفة للإجازة العلمية تستدعي كل منها شروطًا معينة لتحصيلها.

لقد كان النوع الأول من الإجازات؛ أي تلك التي تمنح بعد مرحلة الدراسة عنواناً على تحصيل نصيب من العلم بالنسبة للمجاز، وعلامة على التبحر والتخصص في نفس العلم بالنسبة للمميز، ولهذا فإن الاتجاه العام للإجازات يحدد العلوم التي تفوق فيها الجزائريون والمسلمون عامة، وتداولوها بالدراسة في مجالسهم التعليمية خلال العهد العثماني.

إن الموضوع الذي نحن بصدده دراسته وهو: "الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية" يغطي مدة تزيد عن ثلاثة قرون، ويهدف إلى تحديد موقع الإجازة في المنظومة التعليمية بصفة عامة، وتقييم إسهامات العلماء الجزائريين في الحركة الفكرية والأدبية في العهد العثماني، ومعرفة روافد الفكر والثقافة في الجزائر، ولهذا تتبعنا الإجازات العلمية وأصحابها داخل الجزائر وخارجها.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تبحث في مستوى محدد وهو التعليم من المستوى العالي، مع الأخذ بعين الاعتبار صعوبة الفصل بينه وبين التعليم من المستوى الثانوي، على أنَّ هدف هذه

الدراسة ليس هو جمع واستقصاء الإجازات العلمية بقدر ما هو توظيفها في محياها الذي وجدت فيه، والاهتمام بدراسة الظروف والأوضاع المختلفة التي تحيط بها كالمجاهدة العلمية، بل حتى السياسية في بعض الأحيان، لما فيها من تأثير مباشر على الحركة الفكرية.

إنَّ من أهم الأسباب التي حملتني على ولوج هذا الميدان هو أهمية الإجازة العلمية كوثيقة تاريخية بكل ما تحمله من إشارات تُخصُّ الحياة الفكرية في عصرها، بالإضافة إلى عدم وجود دراسة علمية – في حدود علمي – حول هذا الموضوع، حتى أنَّ مفهوم الإجازة العلمية لم يُضبط ضبطاً دقيقاً في المصادر والمراجع التي تناولتها، والدراسة الوحيدة حول إجازات العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني هي دراسة في 12 صفحة للدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي".

ومن أهم الصعوبات التي تعرّض الباحث في هذا المجال هو قلة نصوص الإجازات العلمية، خاصة تلك التي تبادلها العلماء الجزائريون فيما بينهم. وبما أنَّ البحث يتعلق بهذه الوثيقة بالدرجة الأولى، فقد سعيت جاهدة للحصول على أكبر قدر من نصوصها التي لا تزال مخطوطة سواء دخل الجزائر أو خارجها، من ذلك اتصالي ببعض الزوايا في الجزائر فاعتذر كثير منهم عن إجابة طلبي مع أن بعضهم يملكون بعض الإجازات العلمية.

ويحتوي هذا البحث على مدخل وأربعة فصول، المدخل تحت عنوان: «مفهوم الإجازة العلمية وأنواعها»، وهو عبارة عن فصل نظري تطرق فيه إلى المفهوم العام للإجازة لغة واصطلاحا، ثم تطرق للإجازة العلمية وأنواعها، محاولة تحديد مفهوم كل نوع من أنواعها وأقسامها، معتمدة في ترتيبها على تاريخ ظهورها، حيث لم تظهر كل الأنواع في نفس الفترة.

والفصل الأول بعنوان: «الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين»، ويتضمن أربعة مباحث، الأول «التعليم من المستوى العالي في الجزائر العثمانية» يتطرق إلى بعض القضايا المتعلقة بالتعليم آنذاك، كانعكاسات عدم وجود جامعة بالجزائر على التعليم من المستوى العالي بها، وإلى العلوم التي كانت متداولة في مجالس التدريس، ونهاية الدروس، أخيرا حاولت تحديد أسباب قلة الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين.

وخصصت المبحث الثاني «لإجازات علماء مدينة الجزائر وضواحيها»، وتطرق فيه إلى أهم مراكز حلقات الدروس العليا بالمدينة، وفي مقدمتها الجامع الأعظم، وإلى إجازات علمائها للعلماء الجزائريين، وتناولت في المبحث الثالث «إجازات علماء منطقة الشرق الجزائري»، ويضم إجازات مدينة قسنطينة، ثم إجازات علماء منطقة زواوة، ثم إجازات علماء مدينة بونة وأخيرا إجازات علماء زاوية خنقة سيدى ناجي. أما المبحث



الرابع فتطرقَتْ فيه «إجازات منطقة الغرب الجزائري»، وفي مقدمتها إجازات علماء مدينة معسکر وضواحيها، ثم إجازات علماء مدينة مازونة، وأخيراً إجازات علماء مدينة تلمسان.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ترتيب الإجازات في المنطقة الواحدة يكون ترتيباً زمنياً، أما التطرق إلى الإجازة فيكون باعتبار المميز لا باعتبار المجاز له، فإذا أجاز مثلاً عالم من مدينة الجزائر لآخر من مدينة قسنطينة نورده في إجازات علماء المدينة الأولى وهكذا وحتى إذا أجاز عالم جزائري لعالم جزائري آخر خارج الجزائر، نورده في هذا الفصل في المدينة التي ينتمي إليها المميز ويشتهر بنسبيته إليها.

وورد الفصل الثاني بعنوان: «الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء المغرب الأقصى وتونس»، قسمته إلى ثلاثة مباحث، الأول بعنوان: «التعليم من المستوى العالي بال المغرب الأقصى وتونس خلال العهد العثماني» لما في ذلك من تأثير كبير و مباشر على تنقلات العلماء والإجازات العلمية، ثم تناولت في المبحث الثاني «إجازات القرنين العاشر والحادي عشر المجريين (16-17م)»، وفي المبحث الثالث «إجازات القرنين الثاني والثالث عشر المجريين (18/19م)».

ويتضمن كل من المبحوثين الآخرين عناوين فرعية بهذا الشكل: (إجازات فلان) أو (الإجازات المتبادلة بين فلان وعلماء المغرب وتونس) أو ما شابهه من العناوين، هذا بالنسبة للإجازات



التي حصلت على مادة كافية حولها، أما تلك التي لم تحصل إلا على إشارات وتنف حولها فجمعتها في كل مبحث تحت عنوان آخر سميته: «إجازات علمية متفرقة متبادلة خلال القرنين...».

أما ترتيب الإجازات في هذا الفصل والفصل الذي يليه فهو ترتيب زمني، كما أن إيراد الإجازة يكون باعتبار نسب المميز والمجاز له لا باعتبار مكان الإجازة، وقد حاولت من حين لآخر التطرق إلى أسباب رحلات وهجرات العلماء الجزائريين.

والفصل الثالث تحت عنوان: «الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء المشرق»، ورد هو الآخر في ثلاثة مباحث، الأول «التعليم من المستوى العالي في المشرق خلال العهد العثماني»، أما المبحاثين الثاني والثالث فتناولتهما، بنفس الطريقة المذكورة في الفصل السابق؛ أي «إجازات القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16-17م)»، ثم «إجازات القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين (18/19م)»، ويضم كل مبحث عدة عناوين فرعية، وختمتهم أيضا بـ«إجازات علمية متفرقة خلال القرنين...»، وذلك في الإجازات التي لم أتوصل إلى معلومات وافرة حولها.

ويُعد الفصل الرابع فصلا تطبيقيا ورد بعنوان: «نماذج من إجازات العلماء الجزائريين»، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث الأول «خصائص الإجازة العلمية وقيمتها التاريخية» حاولت أن أجمع فيه النتائج التي توصلت إليها من خلال الفصول الثلاثة السابقة،

فيكون بمثابة خاتمة لما سبق، وتمهيد للنماذج الواردة في المبحوثين الموالين، فتناولت الخصائص من حيث البناء، والصياغة الأدبية، ثم تطرقت إلى أهمية الإجازة العلمية كوثيقة تاريخية بالخصوص.

وقد ورد المبحث الثاني بعنوان: «نماذج من الإجازات التشرية» ويضم أربعة نماذج من إجازات تشرية لعلماء جزائريين، تطرقت إلى بنيتها النموذجية بالإضافة إلى الإشارة إلى خصائصها الأدبية، محاولة الوقوف على ما فيها من إبداع من هذه الناحية، والمبحث الثالث «نماذج من الإجازات النظمية» وهو يضم أربعة نماذج لإجازات نظمية، واتبعت فيه نفس المنهج المتبوع في المبحث الثاني.

أما عن كيفية انتقاء النماذج فقد راعت اعتبرات عده أهمها: أن يكون كاتبها عالماً جزائرياً، وأن تكتب لعلماء من مستويات مختلفة، كما حرصت على التنوع أيضاً من ناحية الحجم، والصياغة الأدبية؛ أي أن تكون بعض النماذج ذات نسج قوي وأخرى أقل منها.

وأنهيت البحث بخاتمة؛ وهي عبارة عن تلخيص لبعض النتائج المتوصل إليها في الفصول السابقة. والله الموفق

- فوزية لزغم - مخبر مخطوطات "شمال إفريقيا" بجامعة وهران
وسيما زاد سالك - تونس - 2009: 20 نوفمبر 2009.



المدخل

مفهوم الإجازة العلمية وأنواعها





شُوّج الإجازة العلمية في عصرنا الحالي مشوار دراسي مُعَيْنٌ، وهي بهذا المعنى استمرار لبعض أنواع الإجازة العلمية الممنوعة في العهود السابقة، بينما تختلف عن بعضها الآخر. وفيما يلي أنواع الإجازات العلمية -عند المسلمين- بأقسامها مرتبة ترتيباً زمنياً وفق تاريخ ظهورها.

الإجازة مصدر، وأصلها إِجْوَازٌ تحرّكت الواو، وتؤمّم افتتاح ما قبلها فانقلبت الفاء، وحُذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكدين فصارت إجازة⁽¹⁾، وهي مشتقة من الفعل جَوَزَ، ويقال جُزْتُ الموضع أي سِرْتُ فيه، وأجزئه خلفته وقطعته وأجزئه أَنْفَدْتُه⁽²⁾. والجَوَازُ: الماء الذي يُسقاَءُ المال من الماشية أو الحرش ونحوه، وقد إِسْتَجَزَتْ فلاناً فأجازني؛ إذا سقاك ماءً لأرضك أو ماشيتك⁽³⁾

- اصطلاحاً:

يعتبر مصطلح الإجازة من المصطلحات الكثيرة التداول في التاريخ الفكري، إلا أنَّ مفهومها يختلف باختلاف مجالات استعمالها، ويمكن حصر مفاهيمها وفقاً لذلك كما يلي:

¹ - شمس الدين السخاوي، فتح المغيث شرح الفبة الحديث، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996، ج 2، ص: 62.

² - احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الجليل، (ط1)، 1991، ج 1، ص: 494.

³ - ابن منظور، لسان العرب المحيط، بيروت: دار الجليل، 1988، ج 1، ص: 531.

- الإجازة في الشعر:

قيل هي أن يكون الحرف الذي يلي حرف الروي مضموماً، ثم يكسر أو يفتح، ويكون حرف الروي مقيداً⁽¹⁾، وقيل أنها تعني أن تُتم مصراع غيرك⁽²⁾، ومثالها: ما زمانِي في حالي وترحالِ

قول شاعر لنظيره:

ما زمانِي في حالي وترحالِ	يُفني زمانِي في حالي
فيجيبه الثاني مُجيزاً:	
كذا النُّفوسُ اللواتي العَزُ يصْنَبُهَا	لا تُرْتَضي بِعَاصِمِ دُونَ آمالٍ
دُغْهَا نَجُوبُ الْفَيَافِي والقِفارَ إِلَى	أَنْ تَبْلُغَ السُّؤُلَ أَوْ تُفْنَى بِتَجْوَالٍ

وعليه فإنها في الشعر لا تحمل معنى الإذن.

- الإجازة الصوفية:

هي أن يأذن شيخ إحدى الطرق الصوفية لمرديها بالخلافة أو بالتألّج، أو أن يأذن له في تلقين أورادها للمربيدين⁽³⁾، أو في التربية، التعليم والإرشاد⁽⁴⁾ وفق تعاليم تلك الطريقة.

¹ - المصدر نفسه، ج 1، ص: 531.

² - أحمد المقرى، أزهار الرياض في أخبار عياض. المغرب الأقصى والإمارات العربية المتحدة: اللجنة المشتركة لإحياء التراث، 1978. ج 1، ص: 41.

³ - للاطلاع على نموذج الإجازة بالأوراد الصوفية ينظر: محمد الحفناوي، تعريف الخلف ب الرجال السلف. بيروت: مؤسسة الرسالة. (ط2)، 1985. ج 2، ص، ص: 461، 470، 541.

⁴ - مثالها إجازة القطب الشيخ محمد الحفناوي لتلميذه الشيخ محمد الأزهري في الطريقة الخلوقية، والإذن "له في التربية وتعليم خلق الله بما هم مطالبون به". الحفناوي، المرجع نفسه، ج 2، ص: 458.

وقد كان شيوخ التصوف - خاصة بعد تقدمهم في السن -
يجيزون طلبتهم الذين يُصبحون مُقدمين بعد الملازمة والاطمئنان
إلى جدارتهم في تمثيل الطريقة^(١).

- الإجازة الأدبية:

أطلق بعض الدارسين هذا المصطلح على الإجازة التي تكون
المادة المجاز بها في الأدب العربي؛ من ذلك استعمال فرج محمود
فرج عبارة "الإجازة العلمية والأدبية"، قارنا بين الكلمتين مرات
متعددة مما يعني أنه قصد بذلك موضوع الإجازة لا أسلوبها^(٢)،
والمعنى نفسه أراده صالح خرفي في سياق حديثه عن عزوف
المجتمع الجزائري عن الأدب خلال العهد العثماني قائلاً بأنّ: "العالم
يُعَدُ الإجازات التي تلقاها عن شيوخه، والكتب التي درسها
عليهم فلا نكاد نعثر على كتاب أدبي أو إجازة أدبية"^(٣).

في حين استعمل آخرون المصطلح نفسه للدلالة على أسلوب
كتابة الإجازة الرّاقى؛ من ذلك الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي

^١ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط١) 1998. ج 7، ص: 55.

^٢ - إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. الجزائر: 1977.
مواضع متعددة.

^٣ - شعر المقاومة الجزائرية. الجزائر: الشركة الوطنية للكتاب. ص: 12.



أشار إلى بعض الإجازات على أنها إجازات أدبية لغبطة الطابع الأدبي⁽¹⁾.

- الإجازة العلمية:

عرفت الإجازة العلمية تطوراً كبيراً منذ ظهورها إلى العهد العثماني، فأفرزت تبعاً لذلك أنواعاً جديدة، وبرزت في صور وأشكال عديدة؛ وهذا فليس من الممكن إيجاد تعريف يشمل كل أنواعها، إذ لكل نوع منها مفهوم دقيق خاص به، وكل ما يمكن تعريفها به بأنها: إذنٌ من شيخ طالب علم أو لعالم آخر في روایة⁽²⁾ الحديث الشريف، أو الفقه، أو التاريخ، أو غيرها من العلوم، أو هي إذن في تولى منصب ما كالفتوى والتدريس وغيرها⁽³⁾، وعليه فإنّ ما يجمع أنواعها تحت مفهوم واحد هو أنها إذن في أمر يتعلق بالعلم، وسوف يأتي تحديد مفهوم كل نوع منها في موضعه.

¹ - من ذلك إجازة الشيخ عمر المانجلاطي لابن زاكور، وإجازة الشيخ ابن عمار للمرادي اللتين اعتبرهما بأنهما إجازتين أدبيتين لغبطة الطابع الأدبي عليهما أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 187.

² - شمس السحاوي، فتح المغيث، ج 2، ص: 62.

³ - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينين. الرباط، 1996. ص: 279.



ثانياً - الإجازة العلمية وأنواعها:

على رغم الاختلاف الكبير بين أنواع الإجازة العلمية في شروط تحصيلها، فإنّها تشتهر في مكانة مانحها؛ حيث يُشترط أن يكون الشيخ المجيز من أعيان العلماء في عصره⁽¹⁾، ومن أكثرهم فضلاً وشهرة، فلا ينحها عالم مغمور؛ لعدم إقبال الطلبة في الغالب إلا على فطاحل العلماء، فالشهرة لذلك مقياس لكتافة العالم، واعتراف له بالفضل والتقدير خاصة في العلوم التي يشتهر بها⁽²⁾، وعليه فإنّ ذيوع صيت العالم يُخوله الحق في منح الإجازة.

وقد كان الاختلاف في شروط الإجازات العلمية سبباً في اختلاف العلماء في التشدد والتسامح في منحها، وبالجملة فقد كان الطلبة يفتخرن بإجازة من عُرف عنه التشدد فيها، من ذلك افتخار طلبة بجایة إبان القرن السابع للهجرة بإجازة الأستاذ أحمد بن محمد المعافري المتقن لعلم القراءات، وكان هذا الأخير لا يتسامح في الإجازة بوجهه، ولا يمكن منها إلا بعد التحصل

¹ - تتفق في ذلك مع الإجازة الصوفية التي يشترط أن يكون مانحها عالماً كبيراً. فقد قال الشيخ ابن الحاج العبدري الفاسي (ت 737هـ) في كتابه المدخل: العجب من ادعى المشيخة منهم (أي المتصوفة). كيف يعطي الإجازات للفقراء من تحت يده والشيخة، ولو سأله عن فرائض الوضوء أو سنته أو فضائله. جهل ذلك غالباً. فإذا كان هذا حال الشيخ في جهله بمبادئ أمر دينه فكيف من يصحبه؟ فكيف من يحييه؟

² - يستخلص الاعتراف لعالم بالإمامنة والتقدير في علم من العلوم من اشتهر مؤلفاته وكثرة تلامذته في ذلك العلم، فمثلاً كثرة إقبال الطلبة الراغبين في دراسة النحو على الشيخ عبد الكريم الفكون، وشد الرجال إليه من مناطق مختلفة دليل على تبحره فيه.



ومن ظفر بها من الطلبة فقد وصل إلى المرتبة العليا⁽¹⁾، وأنواع الإجازات العلمية هي:

1- الإجازة بالرواية:

- مفهومها:

الإجازة بالرواية إذن من الشيخ للطالب بخطه أو بلفظه أو بهما معاً ليؤدي عنه مَرْوِيَّاته من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأ عليه، فيؤدي عنه - بموجب ذلك الإذن⁽²⁾ - في أي علم من العلوم، غالباً ما تكون المادة المجاز بها حديثاً نبوياً، وهذا الإذن ليس شهادة تعليمية يُستدل بها على درجة تحصيل حاملها؛ وهي عند علماء المصطلح طريقة من الطرق الثمانية⁽³⁾ لتحمل الحديث وأدائه⁽⁴⁾، وقد ظهرت كطريقة لتحمل قبل عصر التدوين⁽⁵⁾.

¹ - أبو العباس الغربني، عنوان الدراسة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية، تتح: عادل نويهض بيروت:لجنة التأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1969. ص: 316.

² - عبد الله شعبان علي، اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث القاهرة: دار الحديث، 1997. ص: 239.

³ - طرق تحمل الحديث وأدائه ثمانية مرتبة حسب الأفضلية هي: 1- السمع من لفظ الشيخ، 2- القراءة على الشيخ، 3- الإجازة، 4- المناولة، 5- المكابنة، 6- الإعلام، 7- الوصية، 8- الوجادة. فاروق حماده، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل. الرباط: دار نشر المعرفة، (2)، 1989. ص: 238-244.

⁴ - يُراد بتحمل الحديث: أخذه ونقله عن الشيخ، والأداء: روایة الحديث وتبلیغه لطالب الحديث بعد تحمله. أحمد عمر هاشم، قواعد أصول الحديث. بيروت: دار الكتاب العربي، 1984. ص، ص: 221، 222.

⁵ - عصر التدوين يلي عصر الروایة "عصر السلف"; الذي حدده العلماء بما قبل القرن الرابع للهجرة نهاية 300 هـ. عبد الله شعبان، المرجع السابق، ص: 246.



ومن أقدم الإجازات الشفهية التي عُثر عليها ما رواه بشر بن نهيك حين قال: "كتبت عن أبي هريرة كتابا فلما أردت أن أفارقه قلت: يا أبا هريرة إني كتبت عنك كتابا فارويه عنك. قال: نعم، اروه عني".⁽¹⁾

ويعود أقدم ما عُثر عليه من الإجازات الكتابية (التحريرية) إلى سنة 276هـ / 889م، إذ وُجد بخطِّ أحمد بن أبي خيئمة⁽²⁾ ما صورته: "قد أجزت لأبي زكريا يحيى بن مسلم أن يروي عني ما أحب من كتاب التاريخ... وأذنت له في ذلك ولمن أحب من أصحابه، فإن أحب أن تكون الإجازة لأحد بعد هذا فأنا أجزت له ذلك بكتابي هذا...".⁽³⁾

ولما كانت هذه الإجازة مجردة إذن في الرواية - لا سماع فيه ولا قراءة من لفظ الشيخ - فقد اعترض بعض المحدثين القدماء⁽⁴⁾ على اعتمادها كطريقة من طرق نقل الحديث وتحمّله،

¹ - عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين. بغداد: مطبعة الإرشاد، (ط1) 1967. ص: 21.

² - أحمد بن زهير بن حرب البغدادي (ت 279هـ / 892م): من حفاظ الحديث، من مؤلفاته: *التاريخ الكبير*. خير الدين الزركلي، الأعلام. بيروت: دار العلم للملائين، (ط5)، 1980. ج 1، ص: 128.

³ - عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، ص: 23.

⁴ - من قال ببطلان الرواية بها جماعة من الشافعية منهم: القاضي حسين بن محمد المزوروذى، وعلي الماوردي الذى عزاه إلى الشافعى، والإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي، وعبد الله بن محمد الأصبهانى الملقب بابى الشيخ. ابن الصلاح، علوم الحديث ص: 77.

ولكن الشروط التي اشترط المحدثون تؤفرها أضعف من اعترافات هؤلاء، ويُحدِّد عثمان بن عبد الرحمن الشهروزي المعروف بابن الصلاح جملة من الشروط التي يجب تتحققها لصحة الإجازة بقوله: "إنما تُحسن الإجازة إذا كان المجيز عالماً بما يُجيز، والمجاز له من أهل العلم، لأنَّها توسيعٌ وترخيصٌ يتأهل له أهل العلم لمسيس حاجتهم إليها"⁽¹⁾.

كما أضعف من حُجج المعارضين لها زوال الأسباب الداعية إلى حصر نطاقها بعد شيع التدوين، وظهور كتب الحديث كالصحيح وكتب السنن الأربع، وثبت طريقة الجرح والتعديل للرواية، فأصبحت الإجازة من الطرق المقبولة لنقل الحديث وتحمُّله بين المحدثين ومن الوسائل الشائعة بينهم⁽²⁾.

والإجازة بالرواية أكثر أنواع الإجازات العلمية تداولاً، وقد استعملت أولاً في الحديث النبوي، ثم توسيع العلماء في الإجازات فمنحوها لكل طالب الرواية في الفقه والتاريخ والأدب وغيرها من العلوم⁽³⁾. ولما كان الغرض منها الحفاظ على اتصال سند المرويات وليس إبراز المستوى العلمي للمجاز له كان كل ما

¹ - مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ترجمة عبد الحميد هنداوي. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2001. ص: 82.

² - عبد الله فياض، المرجع السابق، ص: 39-41.

³ - أحمد شلي، تاريخ التربية الإسلامية. مصر: مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1966. ص: 264.

يشترطه الشيخ المجيز في المجاز له هو الأمانة في أداء ونقل ما أبىح له روایته.

ونظراً لتعارف شروطها بين العلماء اعتادوا على كتابة عبارات تدل على ذلك في إجازاتهم نحو: بشرطها المعتبر عند أهل الأثر أو ما شابهها، ومنهم من أجمل شروطها في عبارات موجزة نحو: البراءة من التصحيح والتحريف، والصدق والأمانة والتحرى^(١).

وعلى الرغم من أن الإجازة بالرواية ليست شهادة يُستدل بها على كفاءة حاملها، فقد كانت لها مكانة عظيمة عند المسلمين، حتى أنّ منهم من حدق إجازاته بالذهب^(٢)، كما كانت لهم رغبة ملحة في نوالها، ومن الشواهد على ذلك إتفاق الناس حول محدث الشام نجم الدين الغزى (ت 1061هـ / 1651م) أثناء طوافه حول الكعبة في حجته سنة 1059هـ يطلبون منه الإجازات^(٣).

^١ - ينظر إجازة أحد بابا لأحمد المقرى (المقرى، روض الأس، ص: 306)، وإجازة الموفق الجلالى لابن سحنون. ابن سحنون، الثغر الجمانى، ص: 230.

^٢ - احمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج 11، ص: 167.

^٣ - محمد أمين المحيى، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. ج 4، ص: 199.

وقد اكتسبت الإجازة هذه المكانة لدورها الكبير في حفظ سند⁽¹⁾ الحديث النبوي الشريف - الذي هو من خصائص هذه الأمة - فعلم الحديث يحتاج إلى إتقان الرواية قبل الدراسة⁽²⁾ وثبتت في أول صحيح مسلم في باب "بيان أنَّ الإسناد من الدين" عن عبد الله ابن المبارك: "الإسناد من الدين، ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء"⁽³⁾، ولم تقتصر مهمة الإجازة على حفظ سند الحديث، بل ساعدت على حفظ سند الكتب التي لا تمت للحديث بصلة.

¹ - السند: هو تسلسل الرواية من المحدث إلى الرسول عليه الصلاة والسلام. على زوين، معجم مصطلحات توثيق الحديث. بيروت: مكتبة النهضة العربية، (ط1)، 1986. ص: 13. وقد توسع فيه العلماء، فجعلوه لكل علم، بل وكل كتاب سند يصلهم بواضع العلم أو مؤلف الكتاب.

² - علم روایة الحديث: هو علم يتيحُ فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول - صلى الله عليه وسلم - من حيث أحوال رواته ضبطاً وعدالة، ومن حيث =السند اتصالاً وانقطاعاً وغير ذلك. أما علم الدراسة: فهو علم يتيحُ فيه عن المعنى المفهوم من الفاظ الحديث، وعن المعنى المراد منها، مبنياً على قواعد العربية وضوابط الشريعة، ومطابقاً لأحوال النبي - صلى الله عليه وسلم. علي زوين، المراجع السابق، ص، ص: 54، 55.

³ - صحيح مسلم. بيروت: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، (ط1)، 1998. ص: 12.

- أقسام الإجازة بالرواية:

اختلف علماء الحديث في أقسام هذه الإجازة بين ستة

وتسعة أقسام⁽¹⁾ وهي:

(1)- الإجازة الخاصة:

وهي أن يُجيز مُعَيْنٌ في مُعَيْنٍ مثل أن يقول المُجيز: "أجزت لك الكتاب الفلانِي، أو ما اشتغلت عليه فهرستي هذه" وهي أعلى أنواع الإجازة⁽²⁾. ونقل القاضي عياض عن أبي مروان الطبني قوله: "إِنَّمَا تَصْحُّ الْإِجَازَةُ عِنْدِي إِذَا عَيْنَ الْمُجِيزُ لِلْمُجَازِ لِهِ مَا أَجَازَ بِهِ"⁽³⁾. ومثالها قراءة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الجزائري بأشبيلية على الشيخ علي بن زرقون وإجازته له سنة 615هـ "إجازة خاصة وعامة؛ خاصة فيما نصَّ عليه وعَيْنَه، عامة فيما لم يُعِينَه"⁽⁴⁾.

(2)- الإجازة العامة:

"الإجازة لمعَيْنٍ في غير مُعَيْنٍ" وهي أن يُجيز لمعَيْنٍ على العموم والإبهام؛ أي دون تحصيص ولا تعين لكتب وأحاديث⁽⁵⁾، لأن

¹ - جعلها القاضي عياض في ستة أنواع لاهتمامه إجازة المجاز. في حين جعلها السخاوي في تسعة أقسام لأنَّه أفرد "الإجازة المطلقة" و"الإجازة لغير الأهل" وجعلها أنواعاً قائمة بذاتها.

² - ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص: 77.

³ - القاضي عياض، الإمام إلى أصول الرواية وتقيد السَّمَاع، ترجمة السيد أحمد صقر. القاهرة: دار التراث - تونس: المكتبة العتيقة، (ط2)، 1987. ص: 90.

⁴ - أبو العباس الغرباني، عنوان الدرية، ص: 263.

⁵ - القاضي عياض، المصدر السابق، ص: 91.

يقول **المجيز**: "أجزت لك أولكم جميع مسموعاتي أو جميع مروياتي" أو غير ذلك، ولكون المجاز به مبهمًا فقد وقع الخلاف بين العلماء في جوازها، ولكن الجمهور على تجويز الرواية بها⁽¹⁾. ومثال ذلك أنَّ الشيخ محمد بن الحسين إستجاز الفقيه العالم محمد بن عبد الحق التلمساني في برنامجه فأجازه عامته سنة 603 هـ⁽²⁾.

وهي أكثر الإجازات العلمية شيوعاً، لأنَّ **المجيز** في الغالب لا يكتب الإجازة للطالب إلاً عندما ينهي الدراسة عليه، ويعزم على السفر إن كان من بلد آخر، فتشمل العلوم التي قرأها الطالب فعلاً، والتي لم يقرأها تأكيداً لثقة في تحصيله ودفعاً به للخوض في العلوم⁽³⁾.

(3) - الإجازة للعُمُوم:

يكون "التعيم في المجاز له" سواء عُين المجاز به أو أطلق⁽⁴⁾، كأن يقول **المجيز**: "أجزت للمسلمين" أو "أجزت لكل أحد" أو "أجزت من أدرك زمانِي" وما شابه ذلك. وقد اختلف العلماء في جوازها، وعرض ابن الصلاح رأي بعض المجوزين لها، ثم قال:

¹ - ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص: 78.

² - أبو العباس الغربني، عنوان الدرية، ص، ص: 252، 253.

³ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالغرب في عهد السعديين. الرباط: منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977. ج 1، ص: 105.

⁴ - السخاوي، فتح المغيث، ج 2، ص: 72.



الإجازة في أصلها ضعف، وتزداد بهذا التوسيع والاسترسال
ضعفاً كثيراً لا ينبغي احتماله⁽¹⁾.

(4) - الإجازة للمعدوم:

يشترط في صحتها أن يكون المعدوم تابعاً لموجود، كأن يقول
المجيز: أجزت كذا لفلان مع أولاده ونسله وعقبه، حيث أتوا في
حياة المجيز وبعده، أو لطلبة العلم بيلد كذا متى كانوا⁽²⁾.

(5) - إجازة المجاز:

كأن يقول الشيخ المجيز: أجزت لك مجازاتي، أو رواية ما
أجيز لي أو ما أبيح لي روايته⁽³⁾، ومثال ذلك أنَّ الشيخ محمد بن
يوسف السنوسي أخذ الصحيحين وغيرهما من كتب الفقه على
الشيخ عبد الرحمن الشعالي، فأجازه جميع ما يجوز له⁽⁴⁾.

- وهناك أقسام حصل شبه إجماع بين العلماء على عدم
جوازها إلا في بعض فروعها وهي:

(6) - الإجازة للمجهول أو بالمجهول:

أي "الجهل بمن أجيز له من الناس، أو بمُجِيز به من مروي"⁽⁵⁾.

(7) - إجازة ما لم يروه المجيز بعد:

¹ - ابن الصلاح، المصدر السابق، ص: 78.

² - السخاوي، المصدر السابق، ج 2، ص: 84.

³ - السخاوي، المصدر نفسه، ج 2، ص: 90.

⁴ - أحمد بابا التبكي، نيل الابتهاج بتطریز الديباچ. طرابلس (ليبيا): كلية الدعوة
الإسلامية، (ط1)، 1989. ص: 564.

⁵ - السخاوي، فتح المغیث، ج 2، ص: 78.

وهو إجازة ما لم يسمعه **المجيز** بعد، ولم يتحمله أصلاً بعد ليرويه **المجاز** له إذا تحمله **المجيز** بعد ذلك⁽¹⁾.

والواقع أنَّ بعض أقسام الإجازة بالرواية باستثناء الإجازة الخاصة والإجازة العامة؛ إجازات صورية تساهل بعض الشيوخ في منحها قصد التبرك والتشريف، ونشر السندي على أوسع نطاق باعتباره من خصائص هذه الأمة، و**تُعَدُّ** الإجازة مُراسلة من هذا القبيل، وهذا فراغ ثبت **المجيز** ومحاولته التأكيد من كفاية **المجاز** له وأهليته، كان أصحابها يوردوتها في آخر القائمة في فهارسهم⁽²⁾ وأسانيدهم⁽³⁾.

وقد جرى العمل بالإجازة مُراسلة منذ العهود المقدمة حيث كان أعلام هذه الأمة، يستجيزون الأشياخ الآخيار عند تغدر اللقاء وبعد الديار، من ذلك إستجازة العلامة الأديب أبو

¹ - ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، ص: 81.

² - الفهرس: يطلقه أهل المغرب على الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه، وأسانيده وما يتعلق بذلك، وقد كان الأوائل يطلقون لفظة "مشيخة"، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك "المعجم" لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ، ويرتبونهم على حرف المعجم، وأهل الأندلس يطلقون "البرنامج". أما في القرون المتأخرة فأهل المشرق يسمونه "الثبة" وأهل المغرب يسمونه "الفهرسة عبد الحفي الكتاني"، فهرس الفهارس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1982. ج 1، ص: 67.

³ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالغرب في عهد السعديين، ج 1، ص، ص: 101، 108.

الحسن حازم بن محمد صاحب المقصورة (ت 684هـ) مُراسلة
الشيخ وجيه الدين منصور فأجاب هذا الأخير طلبه⁽¹⁾.
ومن المصطلحات المتدولة بين المحدثين التدييج وهو
رواية الأقران؛ وهم المتقاربون في السن والإسناد بعضهم عن
بعض⁽²⁾، وقد توسع فيه المتأخرون فجعلوا كل رواية بين الأقران
في أي علم كان تدييجاً. وكان العالم لا يستنكر عن الأخذ عن
القرين له فنا أو فنونا تنقصه، فيحضر مجالسه إلى أن يتمكن وينال
منه الإجازة، وكثيراً ما كان المجيز بدوره يستفيد من قرينه المجاز
له، وينال منه هو أيضاً إجازة في مادة تخصصه⁽³⁾.

هذا، وقد اشتراك علم التصوف⁽⁴⁾ مع علم الرواية في
الحديث المسلسل⁽⁵⁾، وهو من شأن الحديث، ثم أصبح أحد

١ - أحمد المقرى، أزهار الرياض في أخبار عباض، ج ٣، ص: ١٧١.

٢ - ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص: ١٥٦.

٣ - محمد حجي، المرجع السابق، ج ١، ص: ١١٠.

٤ - كان علماء السنة من أهل التصوف، يجدون أن لا يتطرق الطالب إلى علم الحقيقة
إلا بعد التمكن من علم الشريعة، فهذا الشيخ محمد بن علي الجعدي يطلب من شيخه
محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم التلقين سنة ١١١٦هـ فيقول له: أشتغل بالعلم في هذه
الساعة، ولم يلقني أذكار طريقته إلا بعد أن اشتكى له بكثرة الخواطر وقال له: آذن لك
ما يرفع عنك ذلك الحفناوي، تعريف الخلف، ج ٢، ص: ٥٤٢.

٥ - الحديث المسلسل في اصطلاح المحدثين: هو الحديث الذي تابع رجال إسناده على
صفة، أو حالة واحدة للرواية نارة، وللرواية نارة أخرى. هو على ثلاثة أنواع هي:
١- المسلسل باحوال الرواية: إما القولية أو الفعلية، أو القولية والفعلية معاً، ٢- المسلسل
بصفات الرواية: وهي إما تتعلق بصيغ الأداء، أو بزمن الرواية أو مكانها، ٣- المسلسل
بصفات الرواية: وهي إما القولية أو الفعلية. السخاوي، فتح المغيث، ج ٣



طقوس التصوف الرئيسية⁽¹⁾؛ فقد ورد في "قواعد التصوف" أنّ:
لباس الخرقة والمناولة والسبحة، وأخذ العهد والمصافحة والمشابكة
من علم الرواية، إلا أن يقصد بها حال ف تكون من أجله⁽²⁾

وقد تداول العلماء المسلمين الحديث المسلسل بالسماع
والإجازة، حتى أولئك الذين عُرِفوا بمحاجنة أهل الباطن تلقوا
إجازات فيه، كالشيخ يحيى الشاوي الذي يُعَدْ أشهر من عرف
بمحاجنته أهل الباطن، حتى اتهمه خصومه بمعاداة أهل التصوف
ومع ذلك تلقى إجازة بالمصافحة من طرف شيخه محمد السعدي
بهلو.

وكانت الأحاديث المسلسلة أول ما يرويه الطالب عن شيخه
من الأحاديث والفنون؛ وأكثرها تداولاً الحديث المسلسل
بالأولية⁽³⁾، إذ هو أول حديث يفتح به الطالب الرواية عن
شيخه.

=ص: 52 - 55؛ نذير حادو، تيسير مصطلح الحديث مع شرح المنظومة اليقونية في
مصطلح الحديث. ج 1، ص: 72 - 77.

¹ - لبس الخرقة مثلاً وهو من الأحاديث المسلسلة، يعني عند الصوفية الارتباط بين
الشيخ وبين المريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه، وفيها معنى المبايعة. والخرقة
خرقان: خرقة الإرادة وهي للمريد الحقيقي، وخرقة التبرك، وهي للمشتبه. عبد المنعم
الخفيفي، معجم المصطلحات الصوفية. بيروت: دار المسيرة، (ط2)، 1987. ص: 79.

² - أحمد زروق، قواعد التصوف، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، (ط3)، 1989
ص: 96.

³ - قال النبي عليه الصلاة والسلام: الراحمن يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من
في الأرض يرحمكم من في السماء. رواه أبو داود في سنته، كتاب الأدب، باب في الحلم
وأخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 4941. ج 4، ص: 311.

وتتضح أهمية الحديث المسلسل مما فعله بعض العلماء كالشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي، حيث أسمع محمد بن علي الجعدي عند بداية أخذيه الأحاديث المسلسلة وفي مقدمتها الحديث المسلسل بالأولية، ثم ناوله أوائل الكتب الستة، فقرأها عليه ثم بقية كتب الحديث⁽¹⁾.

- الاستجازة:

يسمى طلب الإجازة في المصطلح "الاستجازة" أو "الاستدعاء" ويكون لفظاً أو كتابة، شعراً أو نثراً أو هما معاً، وقد لجأ طلبة العلم إلى استعمال الاستجازات الشعرية منذ القرن الرابع للهجرة (10م)، كما لجأ الشيخ أنفسهم إلى كتابة الإجازة شعراً، وذلك ردًا على الإستجازة الشعرية، من باب المداعاة في الجواب حتى لا يكون الشيخ أقل من تلميذه في الخطاب⁽²⁾.

ويستحب أن يكون المستجيز من أهل العلم، وهو ما يفهم من قول ابن مريم المديوني بأنّ "طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم"⁽³⁾، وفي "المعيار" نازلة حول حكم إجازة الشيخ لمن سأله منهم، "أجاب عنها الأستاذ أبو سعيد بن لب مفتاحاً إجابته بقوله: إنْ كان المتكلم في الإجازة للرواية، فإنَّ الرِّوايَة هي أصل

¹ - الحفناوي، تعریف الخلف، ج 2، ص: 400.

² - محمد عبد الغني حسن، المقرئ صاحب نفح الطيب. مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966. ص: 62، 63.

³ - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1986. ص: 307.



الدين، والمنهج القويم...⁽¹⁾ ليبيّن بعدها أهمية الرواية في حفظ الشريعة، مما يجعل إجابة الشيوخ لمن سألها منهم أمراً واجباً، وفي تخصيصه الإجازة بالرواية دلالة على أنها تختلف في شروط تحصيلها عن غيرها من الإجازات، فهي لا تستدعي أن يجلس الطالب طويلاً للأخذ عن الشيخ المميز، بل قد لا يتقيان أبداً.

وقد يستجيز الشخص لنفسه، أو لطلبه ولرفاقه، وشاع بين المسلمين الحرص على تعميم الإجازة للأبناء، فقد استجاز العبدري - صاحب الرحلة - لأكبر أولاده، الذي كان قد أتم حفظ القرآن الكريم الشيخ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت 706 هـ) فلما وقف الشيخ على الاستدعاء، كتب له إجازة شملته وكل بنيه حتى الصغار منهم⁽²⁾.

ومثال الاستدعاءات الجماعية: الاستدعاء الذي وجهه الحافظ محمد بن علي ابن طولون الدمشقي وعدد من أهل العلم للعلماء بمكة في سنة 920 هـ. وما ورد فيه: "أما بعد، فالمسؤول من إنعام السادة الأعلام، مشايخ الإسلام... أن يتفضلوا ويعجزوا من سيدرك في هذا الاستدعاء المبارك جميع مسموعاتهم

⁽¹⁾ ومستجازاتهم ومناوراتهم⁽³⁾ ووجاداتهم

¹ - أحمد الونشريسي، المعيار، ج 11، ص: 15.

² - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 408.

³ - المناولة: القسم الرابع من أقسام التحمل، وهي إعطاء الشيخ الطالب شيئاً من مروياته، ويقول: هذا حديثي أو من روایاتي فاروه عني. وهي إما أن تكون مقرونة بالإجازة أو غير مقرونة بها. عمر هاشم، قواعد أصول الحديث، ص: 227.

ونقف في "عنوان الدرایة" على استدعاءين موجهين للشيخ محمد بن عبد الحق التلمساني: الأول من طرف الشيخ محمد الحسني الخشنى سنة 603هـ، والثاني من طرف الشيخ يحيى بن علي الهمذانى سنة 615هـ، وفيه طلب من الشيخ: "الإنعام عليه بإجازة ما اشتمل عليه برنامج روایاته عن أشیا خه - رضي الله عنهم - وما سند عنه من قراءته ومسنوعاته، وإجازاته ومناولاته وتألیفه في فنون العلم، وما له من نشر ونظم"⁽²⁾.

وقد أخذ الشيخ أحمد بن محمد بن الحاج الورندي (ت 930هـ) على الشيخ أحمد بن محمد بن زكري التلمساني جملة من العلوم، وكتب له في سنة 897هـ باستدعاء مطول في شطرين نظمي ونشرى، طالبا منه أن يتفضل عليه: "بإجازة تقييد ما عليه أملاه... إجازة مطلقة عامة، وافية بالغرض المقصود تامة، تحتوى على جميع أنواع العلم وفنونه، وتعم أيضاً من يأتي بعده من بنيه، من جاهل وفقيه، على استمرار السنين"⁽³⁾، ثم أعاد على شيخه ما تقدم نظماً في اثنين وأربعين بيتاً.

¹ - الوجادة القسم الثامن من أقسام التحمل، وهي أن يجد المرء حديثاً، أو كتاباً بخط شخص بإسناده، فيحدث به ولم يلقه، أو لقيه ولم يسمع منه ذلك الذي وجده. فيقول مثلاً (وَجَدْتَ بِخُطْ فَلَانَ)، أو (قَرَأْتَ بِخُطْ فَلَانَ). عبد الله شعبان، اختلافات المحدثين والفقهاء، ص، ص: 270، 271.

² - أبو العباس أحمد الغربيني، عنوان الدرایة، ص- ص: 252- 255.

³ - نص الاستدعاء والإجازة في كتاب البستان لابن مريم، ص- ص: 18- 23.



2 - الإجازات التعليمية:

لا يمكن للطالب تحصيل أي نوع من الإجازات التعليمية إلا بعد القراءة على الشيخ أو السماع منه، وأنواعها هي:

- إجازة القراءة:

وتعرف أيضاً بالإجازة بالإقراء، وقد كان الأستاذ في القرون الإسلامية الأولى يكتب للطالب ما يفيد بأنه أتى عليه قراءة الكتاب المعين أو الكتب المعينة⁽¹⁾ في صدر أو في ذيل الكتاب المفروء. بمعنى أنَّ إجازة القراءة وثيقة ينص فيها على أنَّ شيخاً قد أقرأ طالباً كتاباً ما، أو أنَّ طالباً قرأ على شيخ هذا الكتاب⁽²⁾.

ويرجع ظهورها إلى القرن الرابع الهجري (10 م)، بحيث وُجدت إجازة إقراء لأبي القاسم أحمد بن فارس⁽³⁾ مؤرخة في سنة 372 هـ⁽⁴⁾، وهي مسجلة على نسخة مخطوطة من كتاب إصلاح

¹ - أحمد شلي، تاريخ التربية الإسلامية، ص: 263.

² - صلاح الدين المنجد، "إجازات السماع في المخطوطات القدية"، ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية. مصر: شركة مساهمة مصرية، مايو 1955. المجلد: 1، ج 2، ص:

233

³ - أحمد بن الحسن علي أحمد بن فارس القزويني من أئمة اللغة، من تصانيفه: مقاييس اللغة. الزركلي، الأعلام، ج 1، ص: 193.

⁴ - صورة لهذه الإجازة في كتاب تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، ص: 125. وقد قدمها على أنها إجازة سماع، وصحح له ذلك صلاح الدين المنجد قائلاً بأنها إجازة قراءة. إجازات السماع، ص: 233.

المنطق" لابن السكّيت المتواجد في مكتبة المنصورة⁽¹⁾. كما وُجِدَ على ظهر نسخة من كتاب "الصحاح" في اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهرى إجازة قراءة ترجع إلى سنة 471هـ، وهي بخط الأديب الحسن بن يعقوب النيسابوري ومنها: "قرأ علىي هذا الكتاب من أوله إلى آخره الفقيه الفاضل السديد الحسين بن مسعود الصرام"⁽²⁾، وعليه فقد بدأت بالإقرار بقراءة الطالب دون ذكر الكلمة الإجازة.

ثم صار الشيخ يقرنون إثباتهم قراءة الطالب لكتاب بإجازة روايته، وحتى إجازته بغيره مما لم يقرأه عليه، من ذلك ما كتب به السّخاوي لأحد تلامذته: "الحمد لله، كتاب الضوء اللامع قرأه علىي كاتبه عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الماشمي وأجزت له روايته عني مع سائر مروياتي ومؤلفاتي. قاله وكتبه مؤلفه"⁽³⁾.

كما كان بعض الشيخ يأذن للطالب في تدريس الكتاب المcroء على هذا الشكل: "أتم فلان قراءة هذا الكتاب، وأجزت له تدريسه"، أو بأي شكل يؤدي هذا المعنى، من ذلك أنَّ الشيخ أبو القاسم بن أحمد البرزلي (ت 742هـ) قرأ على الفقيه عبد

¹ - عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها. القاهرة: مطبعة المدنى، 1965. ص: 125.

² - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحرير: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي (ط1)، 1993. ج2، ص: 660، 661.

³ - أحمد شلي، تاريخ التربية الإسلامية، ص: 268.



الرحمن المومناني بعضًا من أصنفي ابن الحاجب⁽¹⁾، وأذن له في إقرائه⁽²⁾.

وقد يأذن الشيخ لتلميذه بتدريس جملة من الكتب التي درسها عليه، من ذلك ما كتب به الشيخ ناصر الدين اللقاني المصري في إجازته للشيخ محمد اليسني الفاسي سنة 931هـ حيث سرد الكتب التي قرأها عليه، ثم قال: " وقد أجزت له أن يقرئ الكتب المذكورة، ملئ شاء متى شاء في أي مكان شاء، لأنّه أهل لذلك وزيادة"⁽³⁾.

وهناك نوع منها يسمى «الإجازة بعراضة الكتب»، حيث كان الطالب يحفظ كتاباً في الفقه أو النحو أو غيرها من العلوم ثم يعرضه على مشايخ العصر فيُخرُون له إمتحاناً، حيث يأخذ الشيخ المجيز الكتاب ويفتح منه بعض الموضع ويستقرئه إياها فإذا مضى فيها الطالب من غير توقف ولا تلعثم، استدل بحفظه

¹ - جمال الدين عثمان بن عمر الكردي المعروف بابن الحاجب (ت 646هـ / 1248م): له في النحو الكافية وشرحها ونظمها، وفي الأصول مختصر متهى السؤال والأمل، وله مختصر في فروع المالكية. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تج: أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه. (ط1)، 1964.

ج 2، ص: 134، 135.

² - أحمد بابا التبكتي، نيل الابتهاج، ص: 369.

³ - أحمد المنجور، فهرس المنجور، تج: محمد حجي. الرباط: مطبوعات دار المغرب للتتأليف والترجمة والنشر، 1976. ص: 33، 34.

تلك الموضع على حفظه لجميع الكتاب، ويكتب له بذلك كل من عرض عليه⁽¹⁾.

ومن نماذجها الإجازة التي كتب بها الشيخ بدر الدين محمد بن أبي بكر المخزومي المالكي لشهاب الدين أحمد بن محمد العمري الشافعي سنة 817 هـ، وما ورد فيها: عرض علي الجناب العالي...⁽²⁾ طائفة متفرقة من "عمدة الأحكام" للحافظ عبد الغني المقدسي، و"شذور الذهب" للعلامة جمال الدين بن هشام - رحمة الله عليهم - عرضًا قصرت دونه القرائح على طول جهدها، وكانت الألفاظ الموردة فيه لأمة حرب الفتنة الباغية عليه⁽³⁾ فأحسن عند العرض في سردها، وزين - أبقاء الله - تلك الأماكن بطيب لحنها، وإعراب لفظها، وأذن امتحانه فيها بأنَّ جواهر الكتابين قد حصلت بمجملها في خزانة حفظه...⁽⁴⁾.

¹ - أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوزتاوس ماس. ج 14، ص: 327.

² - مكان النقطات عدة أسطر في الثناء على المجاز له.

³ - (لأمة حرب الفتنة الباغية عليه) موضع من الكتاب.

⁴ - القلقشندي، المصدر السابق، ج 14، ص، ص: 328 - 329.



ـ إجازات السّماع:

وتسمى "السماعات" في أحيان كثيرة، وهي "وثيقة مكتوبة في آخر الكتاب المقرؤء، أو في مقدمته تنص على أنَّ الكتاب قد سمعه على مصنفه، أو على شيخ عالم ثقة، واحد أو كثيرون"⁽¹⁾ وهذا ليكون الحق لكل من ورد في السماع في رواية الكتاب⁽²⁾. وقد ظهرت السماعات في القرن الخامس للهجرة (11م) نتيجة لتأسيس المدارس، ولهذا أعد العلماء إلى إثبات - في صدر أو في ذيل الكتاب المقرؤء والمتواجد في مكتبة المدرسة أو المسجد - أسماء الذين سمعوه على الشيخ المدرس، ثم يحفظ الكتاب بعد ذلك في المكتبة، وفي كل مرة يسمع فيها الكتاب أناس وطلبة يثبتون أسماءهم طبقات⁽³⁾.

ويتضمن نص إجازة السماع: اسم المُسنِع وأسماء السَّامِعين، ثمَّ اسم القارئ، ويليه اسم كاتب السَّماع⁽⁴⁾ (أو مثبت السماع)، إما قبل أسماء السامعين، أو أن يرد اسمه فيمن سمع ويُرْدَفُ به «وهذا خطه»، ثم يرد لفظ «صحٌّ وثبت»، ومعنى ذلك أنَّ الكاتب توثق من صحة الأسماء، وما قرأه كل من السامعين، وأخيراً يُتصوّن على مكان السماع وتاريخه ومدته⁽⁵⁾.

¹ - صلاح المنجد، إجازات السماع في المخطوطات القدية، ص: 232.

² - أحمد شلي، تاريخ التربية الإسلامية، ص: 266.

³ - صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص، ص: 232، 233.

⁴ - أحياناً يكون قارئ النسخة ومثبت السماع واحداً.

⁵ - صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص- ص: 234- 240.

كما يتم تحديد ما سمعه الحاضرون من الكتاب فإذا تأخر أحد الحضور عن سماع بعض الكتاب يشيرون إلى ذلك، فيكتب مثلاً: "سمعه مع فَوَتَ" أو "سمع من قوله كذا... إلى آخر الكتاب".

ولما كانت هذه السِّماعات ذات أهمية كبيرة في دراسة الرجال والعصر، فقد نوه بعض رواد التحقيق للتراث الإسلامي المخطوط، - وفي مقدمتهم صلاح الدين المنجد- بضرورة إثبات ما يصادف منها في المخطوطات، ونشرها بنصها كاملاً، ووضع قواعد خاصة لكيفية نشرها⁽¹⁾.

وقد أثبت إحسان عباس طبقات (إجازات) السماع التي وجدتها في النسختين⁽²⁾ التي اعتمدتها في تحقيقه لمخطوط "طبقات الفقهاء" لأبي إسحاق الشيرازي، وهذا بعض ما ورد في أحد السماعات: "سمع جميع هذا الكتاب وهو" طبقات الفقهاء" للإمام أبي إسحاق الفيروز أبادي على سيدنا، وشيخنا... أبي محمد عبد العزيز بن القاضي الإمام زين الدين أبي عبد الله محمد بن عبد المحسن بن محمد ابن منصور الأنصاري الأوسي بحق سماعه له منقولاً تراه، بقراءة سيدنا الإمام... عز الدين أبي القاسم أحمد (اسمه الكامل): الفقيه الإمام أمين الدين أبو محمد عبد القادر... (أسماء السامعين) وعلي بن محمد بن أبي الحسن بن عبد الله اليوناني. وهذا خطه، وصح ذلك وثبت في مجالس آخرها يوم

¹ - قواعد تحقيق المخطوطات. بيروت: دار الكتاب الجديد، (ط5)، 1976. ص: 26.

² - عدد إجازات (طبقات) السماع في النسخة (ع) خمسة، وعددتها ثلاثة في النسخة (ط).



الأحد ثانى عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وستمائة (661هـ) بالقاهرة، بالقصر الشرقي، بمنزل شيخنا المسمى منه قصر الخلفاء الفاطميين... . وكتب بعد ذلك الشيخ عبد العزيز الأنصاري: "صحيح ذلك، وأجزت لهم - وفقهم الله تعالى - رواية ما يصح عندهم مما تجوز روايته عني من منقول ومعقول. كتبه عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري" ⁽¹⁾.

- الإجازة بالقرآن الكريم:

تميّز الإجازة بالقرآن الكريم أو الإجازة بالقراءات القرآنية عن غيرها من الإجازات بما يسبقها من امتحان طويل الأمد صعب التحضير لينال الطالب- بعد ذلك- إجازة أستاذة مكتوبة في الغالب على الرق، ومذيلة بشهادات العدول، وغيرهم على الشيخ المجيز ⁽²⁾.

وترجع أقدم النصوص الموجودة منها إلى ما بين القرنين الخامس وال السادس الهجريين (11-12م)، فقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي في سياق ترجمته لمحمد بن أحمد بن رضي الأندلسي قائلاً عن شيخيه المجيزين له: "وقفت على إجازتهما له في رقين، وقد

¹ - أبو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحرير: إحسان عباس. بيروت: دار الرائد العربي، (ط2)، 1981. ص: 184، 185.

² - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينين. ص: 279، 280.

ذكر أئمه تلا عليهم بالسبع وقرأ غير ذلك، وقد شهد عليهم بذلك حسب جاري العادة في مثله⁽¹⁾.

ومثال هذه الإجازة ما أنسده الإمام المقرئ علي بن عبد الغني الفهري الحصري لعيسي بن عبد الرحمن الغافقي القرطبي المدعو أبو الأصبع في سنة 476هـ / 1083م، بعد أن تلا عليه بالروايات السبع⁽²⁾، ومطلع هذه الإجازة⁽³⁾:

أجزتُ لعيسي السبع في ختمه قرأ على بها فليرو ذلك وليري بما شاء منها أو بها فهو أهلُه بإتقانه مع ضبطه أحرف الذكر وقوه حفظ ثم صحة نقله فما مثله من طالب لا ولا مُقرِي وقد كتب الشيخ علي بن ميمون الغماري⁽⁴⁾ في مؤلفه "الرسالة المجازة" وصفاً موسعاً لامتحان الذي يخضع له طالب هذه

¹ - محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكميلة لكتابي الموصول والصلة تح: إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، 1965. ج 5، ص: 638.

² - القراءات القرآنية السبع هي: رواية نافع، رواية ابن كثير، رواية أبو عمر، رواية ابن عامر، رواية حمزة، رواية الكسائي، ورواية يعقوب الحضرمي، وقد صارت هذه القراءات أصولاً للقراءة، وأضيفت إليها بعد ذلك قراءات أخرى، إلا أنها لا تقوى في النقل مثلها. محمد سالم محسن، الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طرف الشاطبية. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. ص، ص: 6، 7.

³ - ابن مالك المراكشي، المصدر السابق، ج 5، ص، ص: 498، 499.

⁴ - أبو الحسن علي بن ميمون الإدريسي نزيل لبنان، ودفنتها عام 917هـ / 1511م، من مؤلفاته: "الرسالة المجازة في معرفة الإجازة" تحتوي على تفصيلات مهمة عن طريقة حفظ القرآن الكريم والإجازة به في فاس. الغزى، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تج: جبرائيل سليمان جبور. بيروت: محمد أمين دمج وشركاه، 1945. ج 1، ص - 271 - 277.



الإجازة تحت رقابة شيخه بمدينة فاس، من خلاله يمكن تلخيص قراءة القرآن الكريم في مرحلتين أساسيتين؛ الأولى: يقرأ فيها التلميذ القرآن على المؤدب، ثم على غيره من أساتذة القرآن وهم دون الأستاذ المجيز في المقام، فيحفظ القرآن كله عن ظهر قلب، ويحفظ معه الكتب الضرورية لإتقان القرآن الكريم رسمًا⁽¹⁾، وضبطا⁽²⁾ وتلاوة، ثم يأتي القارئ في المرحلة الثانية إلى الأستاذ إمام الإجازة، وهو "أعلم أهل وقته في هذا الشأن وأكملهم وأفضلهم وأروعهم وأصلحهم"، ولا يصل إليه الطالب إلا بالتدريج من قارئ إلى من هو فوقه⁽³⁾.

ويصف الشيخ محمد الرصاع (ت 894 هـ) في فهرسه تدرجه بين أساتذة القرآن الكريم؛ فقد حفظه بقراءة نافع، وحفظ "البري"⁽⁴⁾ و"الخرازي" في بلده تلمسان قبل انتقاله منها رفقة عائلته في سنة 831 هـ، وحضر في تونس القراءة على عدة أساتذة منهم:

¹ - فن الرسم: هي أوضاع حروف القرآن في المصحف، ورسومه الخطية، لأن فيه حروفاً كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط، كحذف الألفات في مواضع دون أخرى. ابن خلدون، المقدمة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (ط1)، 2003. ص: 420.

² - فن الضبط: علم يعرف به ما يدل على عوارض الحرف، التي هي: الضم والكسر، والسكون، والشد والمد ونحو ذلك، ويرادف الضبط الشكل. إبراهيم المارغيني، دليل الحيران على مورد الضمان. ص: 247.

³ - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص: 281.

⁴ - الدرر اللوامع في قراءة نافع منظومة لأبي الحسن علي بن محمد الرباطي المغربي المالكي الشهير بابن بري (660-730 هـ). عمر رضا كحال، معجم المؤلفين. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والطبع، (ط1)، 1993. ج2، ص: 518.



الأستاذ المقرئ محمد الجرار؛ الذي أمره بحفظ "الشاطبيتين"⁽¹⁾ و"الرسالة"، ثم أعاد القرآن الكريم على اللوح مرة أخرى، ولما لبس هذا الأخير أهليته لأن يُجاز أمره في حدود سنة 834هـ بأن يجود⁽²⁾ القرآن على إمام الإجازة في وقته الشيخ أبي القاسم⁽³⁾.

وفي أول لقاء جمع الرصاع بشيخه أبي القاسم أمره بالقراءة فقرأ سورة الفاتحة، ولما أتمها أمره بإعادتها مرة أخرى وتحقيق خارج حروفها، وظل الرصاع ملازماً له حتى ختم عليه القرآن الكريم إفراداً وجمعًا⁽⁴⁾، ثم عرض عليه القصيدين: "حرز الأماني" ووجه التهاني" وعقيقة أتراب العقائد في رسم المصحف، كما

¹ - تعرف كذلك نسبة إلى الشاطي القاسم بن فيرة بن أبي القاسم المقرئ المالكي (590-538هـ) من مصنفاته: تتمة الحرز من قراء الأئمة الكنز، وعقيقة أتراب القصائد في أنسى المقاديد، وحرز الأماني وجه التهاني وهي المشهورة بالشاطبية الكبرى. السيوطي، بغية الوعاء، ج 2، ص: 260.

² - التجويد: هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف. مناعقطان، مباحث في علوم القرآن. القاهرة: مكتبة وهبة، (ط7)، 1990. ص: 190.

³ - محمد الرصاع، فهرست الرصاع، تج: محمد العنابي. تونس: المكتبة العتيقة، (ط1) 1967. ص: 56-58.

⁴ - القراءة جمعاً: هي أن يجمع القارئ عند القراءة القرآن كله، أو جزء منه بين روایتين فأكثر من الروایات القرآنية، ويسمى بالجمع الكبير إن استوفى سبع قراءات فأكثر وإلا سموه بالجمع الصغير. والقراءة بالإفراد: هي أن يتلو القرآن كله، أو جزء منه برواية واحدة لأحد القراء السبعة أو العشرة المشهورة. محمد الصادق قمحاوي، الكوكب الدري في شرح ابن الجوزي. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (ط1). ص- ص: 348-352.

عرض عليه الرسالة في مجالس، وبعد هذا المشوار الذي قضاه الرّصاع ملازماً لشیخه، أجازه فيما قرأه وعرضه عليه⁽¹⁾.

وقد كان الطالب في امتحان طيلة المدة التي يُلزمه فيها شیخ الإجازة، ففي كل يوم يكتب على لوحة ربع حزب أو ثمنه ويأتي إلى أستاذه ويقعد بين يديه، ويشرع في التلاوة، مبتدئاً بالتعوذ ثم البسمة، وهنا يشرع الأستاذ في امتحانه فيسأله مثلاً عما يقرأ على التعوذ والبسملة من الكتب المصنفة في ذلك فيجيئه، ثم يواصل التلاوة ويوقفه الأستاذ بين الحين والآخر ليسأله على ما ورد في اللوح من رسم وضبط لألفاظ القرآن الكريم، وعن ما يسمع من تلاوة فيأته الطالب بالنص على كل ما سأله، فإذا فرغ من ذلك يأمره بالإعراب بعد تحويده معه ليتعلم صفة تلاوة أستاذه، ثم يأمره بالإعادة مرة واحدة بمفرده ليرى كيفية تلاوته، فما كان على الأصل أقرّه عليه، وما كان على غيره نبهه عليه وعلمه كيف يتلفظ به⁽²⁾.

وإذا تبين للأستاذ بعد امتحان الطالب أنه من ينبغي أن يجيز، كتب له إجازة يبين فيها سنته في القرآن، والرواية أو الروايات التي قرأ بها عليه، ثم يشهد على نفسه شهوداً عدولاً وأخيراً ترفع الإجازة إلى القاضي، فيوضع اسمه بعد خطوط الشهود معلماً بثبت الإجازة على المميز⁽³⁾.

¹ - محمد الرّصاع، فهرست الرّصاع، ص، ص: 59 - 65.

² - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص، ص: 281، 282.

³ - المرجع نفسه، ص: 282.



وتتميز هذه الإجازة بثبات أصحابها في تفصيل المقروء والمعروض، والتأكد من استكمال ملامة الطالب، ومما يدل على تشدد القراء في منحها رفض الأستاذ محمد بن يوسف الترغي إجازة محمد بن علي الجزولي الكفيف؛ الذي ظل يتردد على بابه سنة كاملة⁽¹⁾. ومن تحصل عليها من العلماء الجزائريين الشيخ محمد السنوسي؛ إذ قرأ القرآن الكريم على الأستاذ يوسف بن أحمد الشريف الحسني أبي الحجاج، ولما ختمه عليه مرتين بالسبعين أجازه فيها⁽²⁾.

3 - إجازة التصدير:

كان بعض الشيوخ يأذنون لطلامذتهم في تولي بعض المناصب العلمية والدينية، ويكتبون لهم إجازات بذلك، مع أن تولى مثل هذه المناصب لم يكن يحتاج إلى إجازة فيها.

- الإجازة بالفتيا والتدرис:

لقد جرت العادة أنّه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدرис يأذن له شيخه في ذلك⁽³⁾، ويحرر له وثيقة يشهد له فيها بتحصيله للعلوم المعينة واستحقاقه للتدرис وما شاكله

¹ - محمد بن علي الجزولي الأنسي (ت 1009هـ / 1601م): لازم باب الترغي سنة كاملة، وهو يعرض عنه، إلا أن جاء في يوم عطر ملوثاً بالطين، فرق حاليه، وعُني بتعليمه حتى بلغ الغاية، فأذن له في تلقين التجويد، وكتب له الإجازة. حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص: 103؛ وج 2، ص: 562.

² - ابن مريم المديوني، البستان، ص: 304.

³ - القلقشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص: 322.



وهي لا تتطلب امتحانا مسبقا بل يكتفي الشيخ بما يعرفه عن المجاز له⁽¹⁾.

ولم ثُرِفَ هذه الإجازات في القرون الإسلامية الأولى، فكان إذا رغب طالب في التدريس فإن ذلك مُتوقف عليه لما يراه في نفسه من كفاءة، ونظراً لصعوبة المسائل التي كان يُثيرها الطلبة أثناء الدرس، كان الطالب يتَردد كثيراً قبل أن ينقل نفسه من مجلس التعليم إلى مجلس التعليم⁽²⁾.

ويظهر أنها لم تكن كثيرة التداول في بلاد المغرب في القرن الثامن للهجرة (12م)، فقد وردت في "المعيار" هذه النازلة: "هل يفتقر المعلم في تعليم العلم إلى إذن شيخه أم لا؟... وعلى الافتقار هل يكفي في ذلك مجرد القول، أم لابد من كتب الإجازة والإشهاد عليها أم لا؟"، أجاب عنها الشيخ سعيد العقاباني (ت 811هـ) مؤكداً على أن التعليم كالفتيا لا يفتقر إلى إجازة، بل من عُرف منه العلم والدين، جاز أن يُعلّم ويفتي⁽³⁾.

وعَدَ ابن خلدون الفتيا من الخطط الدينية الخلافية، إذ "لل الخليفة تصفح أهل العلم والتدريس، ورُد الفتيا إلى من هو أهل لها... ومَنْ لَيْسَ أَهْلًا لَهَا وَزَجْرَهُ" كما للمدرس الانتساب لتعليم العلم وبئه، والجلوس لذلك في المساجد⁽⁴⁾، ولم يذكر ابن

¹ - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينين، ص: 279.

² - أحمد شلي، تاريخ التربية الإسلامية، ص: 261.

³ - عبد الواحد الونشريسي، المعيار، ج 11، ص، ص: 16، 17.

⁴ - مقدمة ابن خلدون، ص، ص: 214، 215.



خلدون أمر الإجازة مطلقاً بل أوكل الأمر إلى ضمير المدرس والمفتي.

وقد ارتبطت الإجازة بالتدريس أولاً بالإذن في إقراء الكتاب أو الكتب المقرؤة فقط كما سبق ذكره.

ومن التطورات التي شهدتها إذن بعض الشيوخ لطلبتهم في تدريس علوم معينة بعد تمكنهم فيها، فقد قرأ محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي بالقاهرة على الشيخ الشهاب القرافي، فأذن له في التدريس، وأجازه بالإماماة في علم الأصول⁽¹⁾.

وخصصت الإجازة بالفتيا والتدريس في بعض الأحيان للمذاهب الفقهية، من ذلك إجازة الشيخ أبي الريبع بن سليمان البوزيدي التلمساني في الفقه المالكي للفقيه عبد الله بن عبد الواحد الفاسي (القرن 9 هـ)، وما كتب له: "قد أجزت الفقيه أبي محمد عبد الله إجازة مطلقة في تعليم الفقه المالكي والفتيا به، بعد مشاركتي له في صدر من المدونة⁽²⁾، وجملة من ابن الحاجب الفرععي، وشاهدت منه أبحاثاً دقيقة، وأسئلة عويصة يليق بموردها التعرض لنشر هذا الشأن وبئه"⁽³⁾.

¹ - أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 393.

² - المدونة: من أشهر مصنفات الفقه المالكي للقاضي عبد السلام أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القبرواني (160-240هـ). ابن فر 혼ون، الدياج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحرير: علي عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (ط1)، 2003.

ج 2، ص: 29-36.

³ - أحمد بابا التبكي، المصدر السابق، ص: 233.



كما أجاز العلامة أبو حفص عمر الشهير بابن الملقن⁽¹⁾ لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي بالفتيا والتدريس على المذهب الشافعي سنة 778هـ. وقد كتب الشطر الأول من هذه الإجازة القاضي تاج الدين بن غنوم، بين فيه مؤهلات المجاز له العلمية ثم قال: "وأذن وأجاز لفلان المسمى فيه... أن يدرس مذهب الإمام... أبي عبد الله محمد بن إدريس المطلي الشافعي، وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه، وأن يُفيد ذلك لطالبيه، وأن يُفتَّي من قصد استفتاءه خطأ ولفظاً، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه لعلمه بديانته وأمانته، ومعرفته ودرايته، وأهليته لذلك وكفايته"⁽²⁾.

ثم كتب الشيخ ابن الملقن تحت خط القاضي ما صورة بعضه: "مَا أَسِبَ إِلَيْ فِي هَذِهِ الْإِجَازَةِ الْمَبَارَكَةِ مِنِ الْإِذْنِ لِفَلَانِ بِتَدْرِيسِ مَذَهَبِ الْإِمامِ الْمَطْلِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسِ الشَّافِعِيِّ. وَالإِفْتَاءُ بِهِ لِفَظًا وَخَطًا صَحِيحٌ، فَإِنَّهُ مَنْ فَاقَ أَقْرَانَ عَصْرِهِ بِذِكَارِهِ وَبِرَعَ عَلَيْهِمْ بِالاستِحضرَارِ وَتَحْرِيرِ الْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ وَوَفَائِهِ"⁽³⁾.

¹ - سراج الدين عمر بن علي الأنصاري (ت 804هـ). السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه: خليل النصور. بيروت: دار الكتب العلمية- منشورات علي بيضون، (ط1)، 1997 ج1، ص: 367.

² - أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص: 225.

³ - أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص: 223-227.

ويبدو أن هذا النوع من هذه الإجازات كانت تمنح للعالم في سن الشباب تزكية من شيخه له من جهة، وتشجيعا له على مزاولة التدريس والفتيا، وذلك ما لاحظته من خلال ما اطلعت عليه - لحد الآن - من هذه الإجازات، فقد كان سُن القلقشندى واحدا وعشرون سنة عند تحصيله للإجازة بالفتيا والتدريس، أما جلال الدين السيوطي فقد كان سنه سبعة عشر سنة عندما أجاز بتدريس العربية، وسبعين وعشرون سنة عندما أجاز بتدريس والإفتاء⁽¹⁾، في حين كان سُن الشيخ محمد الحفناوى اثنان وعشرون سنة عندما أجاز بتدريس⁽²⁾.

ورغم أن هذه الإجازة تستوجب ثبتا كبيرا، إلا أن بعض الشيوخ كانوا يأذنون لطلبتهم مشافهة، كما فعل قاضي القضاة بالقدس تقى الدين ابن قاضي شهبة حين أذن للشيخ محمد بن جماعة (ت 901هـ) مشافهة بالإفتاء والتدريس⁽³⁾.

وما يلفت الانتباه تكرر عبارة «الإذن في الإفتاء والتدريس» بكثرة في بعض كتب الترجم المشرقية، وعند ذكرها لا يشير المؤلف عادة إلى كتابة ذلك الإذن، فهل يعني هذا أن الإذن يرد شفهيا، والإجازة كتابية؟

هذا، ولم يكن طلب إجازة الفتوى والتدريس شائعا، ومع ذلك كتب أحد أساتذة الشيخ محمد بن تاج الدين المقدسي

¹ - السيوطي، حسن المعاشرة، ج 1، ص، ص: 288، 289.

² - الجبرتي، عجائب الآثار، ج 1، ص: 240.

³ - نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة. ج 1، ص: 25.



(ت 1097هـ) إلى مفتى الروم الشيخ يحيى المنقاري، يطلب منه الإجازة بالفتوى لتلميذه المذكور؛ الذي لازمه أزيد من عشرين سنة، وتأكد من مقدرته على الإفتاء، وأن يكون بدله فيها لأهلية ذلك، فأجابه المنقاري إلى طلبه، وصار ابن تاج الدين مفتياً في زمان أستاذه المذكور⁽¹⁾.

- الإجازة بالخط:

الكتابة أهم وسيلة لتسجيل الأفكار والأخبار، وتحصيل العلوم وتنمية ملكتها في الإنسان، كما أنَّ الخط من جملة الصنائع التي يكتسبها الإنسان بالتعلم، وترتبط جودته بتقدم العمران فتكون في "الأمسار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ وأحسن". وتؤثر جودة الخط في المتعلم له إذ "تعضد لديه رتبة العلم، والحس في التعليم، وتأتي ملكته على أتم الوجه"⁽²⁾. وقد كان إتقان الخط غالباً ما يعود على صاحبه بالشهرة، ومنْ ذاع صيته لذلك بالقسطنطينية الخطاط عبد الله يدي قلة لي (1144هـ / 1731م) فقد أخذ الخط وأنواعه على الأستاذ حافظ عثمان وأجازه

¹ - المحيي، خلاصة الأثر، ج 3، ص: 412.

² - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص: 397 - 399.

بالكتبة⁽¹⁾، فكانت الناس تتنافس بخطوطه، كما اتخذه السلطان
أحمد خان الثالث معلما للخط في دار السعادة السلطانية⁽²⁾.

ويعود أقدم خبر ذكر عن الإجازة بالخط إلى القرن التاسع
للهجرة (15م)، حيث أخذ الخطاط عبد الرحمن بن الصائغ (ت
845هـ / 1441م) الخط عن محمد الوسيمي، وأجاز له تعليم
غيره الخط⁽³⁾، فالإجازة بالخط إقرار الأستاذ بإتقان المجاز له
للخط، وبإمكانه تعليمه لغيره.

وكان على الراغب في الحصول عليها أن يدرس أصول الخط
العربي على أحد أساتذة الخط، وبعد أن يتقن الكتابة، ويحسن
أنواعها وفق أصولها وقواعدها يكتب له أستاذه بالإجازة، كما
يُمنح هذه الإجازة للخطاط الذي أحسن تقليد خطوط أساتذة
الخط ومشاهيره، وبإمكان الخطاط أيضاً أن يقدم نماذج من
خطوطه وكتاباته إلى أحد أساتذة الخط، فيقوم بتفحصها وينح
الخطاط إجازة، غالباً ما تمنح في مثل هذه الحالة من قبل أكثر من
أستاذ⁽⁴⁾.

¹ - استعمل بعض أساتذة الخط في إجازاتهم لفظ (الكتبة)؛ أي أن يكتب المجيز بخطه
تحت كتابة الخطاط المجاز، والإذن للمجاز له في كتابة اسمه تحت كتاباته.

² - محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. ج 3، ص، ص: 83
84.

³ - أسامة ناصر النقشبendi، إجازات الخطاطين. بيروت: الدار العربية للعلوم، (ط1)
2001. ص: 16.

⁴ - أسامة النقشبendi، إجازات الخطاطين، ص: 17.

بالكتبة⁽¹⁾، فكانت الناس تتنافس بخطوته، كما اتخذه السلطان
أحمد خان الثالث معلما للخط في دار السعادة السلطانية⁽²⁾.

ويعود أقدم خبر ذكر عن الإجازة بالخط إلى القرن التاسع
للهجرة (15م)، حيث أخذ الخطاط عبد الرحمن بن الصائغ (ت
845هـ / 1441م) الخط عن محمد الوسيمي، وأجاز له تعليم
غيره الخط⁽³⁾، فالإجازة بالخط إقرار الأستاذ بإتقان المجاز له
للخط، وبإمكانه تعليمه لغيره.

وكان على الراغب في الحصول عليها أن يدرس أصول الخط
العربي على أحد أساتذة الخط، وبعد أن يتقن الكتابة، ويحسن
أنواعها وفق أصولها وقواعدها يكتب له أستاذه بالإجازة، كما
يُمنح هذه الإجازة للخطاط الذي أحسن تقليد خطوط أساتذة
الخط ومشاهيره، وبإمكان الخطاط أيضاً أن يقدم نماذج من
خطوته وكتاباته إلى أحد أساتذة الخط، فيقوم بتفحصها وينح
الخطاط إجازة، غالباً ما تمنح في مثل هذه الحالة من قبل أكثر من
أستاذ⁽⁴⁾.

¹ - استعمل بعض أساتذة الخط في إجازتهم لفظ (الكتبة)؛ أي أن يكتب المجيز بخطه
تحت كتابة الخطاط المجاز، والإذن للمجاز له في كتابة اسمه تحت كتاباته.

² - محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. ج 3، ص: 83
.84

³ - أسامة ناصر النقشبendi، إجازات الخطاطين. بيروت: الدار العربية للعلوم، (ط1)
2001. ص: 16

⁴ - أسامة النقشبendi، إجازات الخطاطين، ص: 17.

وعادة ما تكون الإجازة بالخط على شكل رقعة خطية كتب الخطاط في أعلىها مثلاً: سطراً بخط الثلث، وفي وسطها بعض الأسطر بخط النسخ الدقيق. وفي أسفل كتابته وعلى جوانبها نصوص إجازات أساتذة الخط. ومن بين الصيغ التي ترد عليها هذه الإجازة: «قد كتب هذه القطعة المستحسنة فأجزت وضع الكتبة تحت كتابته باستحسان الخطاطين»، «أذنت بوضع الكتبة تحت مكتوباته كما أذن لي أستاذِي». وكان بعض الأساتذة يذكرون سلسلة الأخذ عن أساتذتهم حتى يصلونها إلى واضعي أسس الخط العربي وقواعده، كالإمام علي بن أبي طالب والوزير ابن مقلة وابن البابا غيرهم⁽¹⁾.

ومن نماذجها: إجازة الخطاط حسين وفائي التي منحت له سنة 1183هـ / 1769م من طرف الخطاط إسماعيل بخفاف زاده، وقد كتب بخط الثلث داخل مستطيل مزخرف: («قال رسول الله صلى الله عليه وسلم»)، ثم كتب داخل مستطيل بخط النسخ («قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك»⁽²⁾). وأخيراً كتبت الإجازة داخل مستطيل مزخرف الجوانب ونصها: («كتبه حسين وفائي وأجزته، وأنا

¹ - المرجع نفسه، ص: 18.

² - رواه الإمام البخاري في صحيحه مع اختلاف طفيف، فلم ترد لفظة (تعالى) بعد: «إن الله يقول». «كتاب التوحيد»، الحديث رقم: 7080.

المذنب الحاج إسماعيل بخفايف زاده غفر الله ذنبهما سنة
⁽¹⁾ 1183هـ.

ومن الإجازات المثيرة للانتباه «إجازة النسخ» التي وُجدت في إحدى النسخ المخطوطة من رسالة الإمام الشافعي بخط الناسخ وهو الربيع تلميذ الشافعي، ونصها: «أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعي نسخ كتاب الرسالة، وهي في ثلاثة أجزاء في ذي القعدة سنة خمس وستين ومائتين (265هـ). وكتب الربيع بخطه»⁽²⁾.

4 - الإجازة بالتأليف:

اعتاد بعض العلماء على عرض مؤلفاتهم أو قصائدهم التي أجادوا فيها، على مشايخ العصر، فيكتب لهم أهل تلك الصناعة بالتقريظ والمدح⁽³⁾، إلا أنَّ صاحب "الحلل السنديسي"⁽⁴⁾ أورد عدداً من التقارير، وقدمها على أنها إجازات، مع أنها لا تحتوي على

¹ - أسامة النقشبendi، المرجع السابق، ص: 34.

² - عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص: 36، 125. لم يعلق عليها المؤلف، واكتفى بقوله أنها من "الإجازات الغريبة"، ولكن يفهم من سياقها بأنه ياذن لغيره بنسخها.

³ - القلقشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص: 335.

⁴ - إجازات ثلاثة من كبار علماء تونس محمد قويسم وهم: محمد فاتحة، محمد الحجيج الأندلسي، والشيخ عبد الكبير بن يوسف درغوت. الوزير السراج، الحلل السنديسي في الأخبار التونسية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1985. ج 2، ص: 682 - 279.

أي إذن، فهي إذن إجازات بالتأليف⁽¹⁾، وهناك تشابه كبير بين الإجازة بالتأليف والتقرير، ولكن يبدو أن الأولى تصدر عن أعلام العصر في فن الكتاب المؤلف، أمّا التقرير فهو ما يكتبه عليه عامة المشايخ والعلماء.

ومن الإجازات التي كتبها علماء تونس للشيخ محمد قويسم النواوي سنة 1104هـ / 1702م على شرحه للشفاء المسمى "سمط اللآل في تعريف ما بالشفاء من الرجال": إجازة الشيخ محمد فتاتة التي ورد فيها: "وبعد، فقد وَقَعْتُ على ما تيسر من هذا المجموع القريب، والأنموذج المونق العجيب فألفيته روضاً أينعت ثماره، وعقبت بأريج المسك أزهاره، واشتمل على مباحث أثارت الأدلة الواضحة من أماكنها، فأحسن به مجموعاً قد أشرقت معانيه، وعلت على الفلك الأعلى مبانيه، فلله دُرُّ ناظم عقوده، ورافق بروده، فلقد ضممه من ملح المسائل، وقواطع الدلائل، ما تقربه عين أولي الألباب...".⁽²⁾

وللإشارة فإنَّ حسين خوجة أشاد هو الآخر بأهمية هذا التأليف ثم قال: "ومدحه فيه عالمة عصره في القطر الإفريقي الفاضل الشيخ سيدى محمد فتاتة"⁽³⁾، ولكنه لم يقل أنه أجازه فيه.

¹ - لمزيد من التفصيل ينظر: إجازة الورززي بالتأليف لابن حادوش الفصل الثاني.

² - محمد الأندلسي الوزير السراج، المصدر السابق. ج 2، ص: 679.

³ - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتحات آل النعمان، تتح: الطاهر المعموري. تونس- ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1975. ص: 196.

وقد قرأ الأستاذ محمد بن مصطفى المعروف بـ: قارة باطاق القرآن بالسبعين والعاشر على عدة شيوخ وأجازوه، فتصدر للتجويد بالجامع الأعظم، وألف عدة كتب في القراءات القرآنية منها كتابه المسمى "تحفة البررة بقراءة الثلاثة المتمم للعشرة"، فتناولته علماء العصر، وأنثوا عليه وكتبوا عليه إجازات⁽¹⁾، وهي على ما يبدو إجازات بالتأليف لأنَّه تخص الكتاب المؤلف.

- وما يستوقفنا من خلال عرض أنواع الإجازات العلمية أنها تصب في نوع واحد من العلوم وهي "العلوم النقلية" أو العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها، أمَّا "العلوم العقلية" فلم تتداول فيها الإجازات - في حدود علمي - إلا في العلوم الطبية حيث عرفَ المسلمون في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية (القرن الرابع للهجرة) الامتحان والإجازة في الطب.

وقد كان العمل في الطب - بادئ ذي بدء - يكفي فيه أن يكون أحدهم قد قرأ الطب على أحد أهل الصناعة المعروفين ولما دخل هذه الصناعة الدخلاء، أصبح من الضروري أن توضع شروطاً خاصة لمن يريد العمل في الطب، فأوكَل الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 319هـ إلى سنان بن ثابت بن قرة أمر امتحان ثلاثة وستين طبيباً ببغداد وما حولها، ومنذ ذلك الوقت أصبح لا يُجَاز في الطب إلا من نجح في الامتحان. ثم أدخلت هذه الصناعة في نظام الحسبة، فكان المحتسب ينظم اختيار

¹ - حسين خوجة، المصدر نفسه، ص، ص: 265، 266.

الأطباء ويتفحص معلوماتهم، ويشرف على امتحانهم للتعرف على مقدرتهم وكفايتهم ودرجة إتقانهم للصناعة⁽¹⁾.
وكان استحداث الإجازة في الطب مواكبة لذلك التطور الذي عرفته العلوم الطبية آنذاك، فقد أنشئت العديد من المدارس الطبية في مشرق العالم الإسلامي ومغربه⁽²⁾، وكان يلحق بكل مدرسة مستشفى يسمى بيمارستان⁽³⁾، وقد خصص به مكان ليجلس فيه رئيس الأطباء ويلقي دروسا في الطب على الطلبة⁽⁴⁾.
وقد كان الطب يدرس بصفة نظرية وتطبيقية تحت إشراف وتوجيه أطباء أساتذة لمدة طويلة، وتنتهي المرحلة الدراسية بإجراء امتحانات نظرية وأخرى تطبيقية، يتحصل بعدها الطالب على إجازة تؤكد تفوقه وقدرته على ممارسة مهنة الطب⁽⁵⁾، وبناءً على ما ذكر فمتى بلغت العلوم الطبية هذا التطور وئم تدريسها بالشكل المذكور، أصبحت الإجازة في الطب ضرورية.

¹ - مرحبا محمد عبد الرحمن، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب. بيروت: منشورات عويدات، (ط2)، 1988، ص: 288.

² - من أوائل المدارس: المدرسة التي أنشأها الخليفة المنصور العباسى في بغداد ومدرسة الرشيد في دمشق، ومدرسة الناصر لدين الله الأموي الأندلسى في قرطبة.

³ - بيمارستان: كلمة فارسية مؤلفة من مقطعين "بيمار" بمعنى مريض، و"ستان" بمعنى مكان أو موضع.

⁴ - مرحبا محمد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 285.

⁵ - يستوجب أن يكون الطبيب الأستاذ ملماً بالمعارف النظرية والتطبيقية لعلم الطب متقدماً لكتاب المقدمين فيه كديسقوريدوس وأبقراط وجالينيوس وأرسسطو، والتأخرين كالرازي وابن سينا والزهراوي، عارفاً بالعقاقير والأعشاب.



وخلاصة القول: فإن الإجازة العلمية التي ظهرت في القرون الإسلامية الأولى للدلالة على الإذن في روایة الحديث، توسيع لتشمل علوم مختلفة، كما تفرعت عنها عدة أنواع لكل منها مفهومها الخاص، وهي تختلف عن بعضها البعض في شروطها وفي درجة التثبت في منحها. فكيف تعامل العلماء الجزائريين مع الإجازة العلمية خلال العهد العثماني؟.

الإجازات العلمية لملاء، المعاشر، المنشأة



الفصل الأول

الإجازات العلمية المتبادلة
فيما بين العلماء الجزائريين



كانت حركة الثقافة والتعليم بالجزائر قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر؛ تمركز في ثلاث حواضر أساسية هي: تلمسان، بجاية وقسنطينة، بالإضافة إلى بعض الحواضر الصغرى، بينما لم يأخذ الريف حظه من التعليم، ولكن ما كاد ينقضى القرن العاشر الهجري (16م)، حتى أخذت حركة التعليم منحى جديداً، فلم يعد منحصراً في الحواضر الكبرى المذكورة، وإنما انتقل إلى الريف محدثاً شبه توازن بينه وبين المدينة في هذا المجال.

ويتميز العهد العثماني ببروز حواضر ثقافية جديدة وارتفاع أخرى، ونعني بذلك احتلال مدينة الجزائر مركز الريادة، فلم تعد عاصمة سياسية للدولة الناشئة فحسب، بل أصبحت عاصمة ثقافية بحق، في حين تراجعت الثقافة في تلمسان، بينما ظلت قسنطينة محافظة على مكانتها العلمية، كما برزت حواضر علمية صغرى.

أولاً. التعليم من المستوى العالمي بالجزائر

خلال العهد العثماني

لم يكن من ضمن سياسة السلطة العثمانية بالجزائر⁽¹⁾ الاهتمام بالتعليم⁽²⁾، فقد كانت هُمومها حينئذ منحصرة في المحافظة على الاستقرار السياسي، والدفاع عن الحدود، وجمع الضرائب (المستحقات المخزنية)⁽³⁾، وتركت المشاريع العمرانية والخدمات الاجتماعية للمبادرات الفردية، أو لرعاية المؤسسات الخيرية⁽⁴⁾ وقد كان بعض رجال الدولة يلتفتون أحياناً إلى المشاريع الدينية والخيرية في بنون جاماً⁽⁵⁾، أو كُتاباً لتعليم القرآن الكريم⁽¹⁾

¹ - بدأ استخدام مصطلح الجزائر للدلالة على القطر الجزائري، منذ أن تمكن خير الدين ببروسة سنة 936 هـ / 1529 م من استرجاع حصن البنيون من يد الإسبان، وبعد هذا بدأ تأسيس ما عرف ببنية الجزائر، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مدينة الجزائر عاصمة كبرى للمغرب الأوسط. وهذا ما تؤيده المصادر المعاصرة التي أطلقت اسم الجزائر للدلالة على قطر، بعدما كان يطلق على المدينة الساحلية فقط، من ذلك ما أنشده أحمد المقربي - وهو في الشرق - يتلمس إلى وطنه قائلاً:

« بلد الجزائر ما أمر نواها ◆ كَلِفَ الفَوَادَ بِجَبَهَا وَهُوَاها ».

² - يستثنى من هذا الحكم كل من الباي الغرب محمد الكبير، وصالح باي في بايليك الشرق - في النصف الثاني من القرن 12 هـ - فقد اهتما بالتعليم، وبذلا جهوداً كبيرة من أجل النهوض به.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 313.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني ص: 164.

⁵ - ارتفع عدد المساجد بالجزائر عند دخول العثمانيين إليها، خاصة بمدينة الجزائر التي شاهد بها فانتور دي برادي (Alger au 18 eme siècle, p: 157) اثنا عشر مسجداً جاماً، وعدد كبير من المساجد الصغيرة. ومن المساجد التي تأسست على

أو زاوية⁽²⁾، ثم يوقفون على ذلك أوقافاً لحفظه وصيانته، وهكذا فرغم إهمال السلطة العثمانية للتعليم، فقد كان يقوم على جهود الأفراد، والمؤسسات الخيرية التي تتغذى من الأوقاف، فانتشر التعليم في الجزائر انتشاراً واسعاً خصوصاً "التعليم الأولى"، إذ لم يكُد يوجد بها من لا يعرف القراءة والكتابة (أي المستوى الأدنى من التعليم)؛ وذلك لكثرَة الكتاتيب القرآنية التي لا يكاد يخلو منها حي من الأحياء في المدن، ولا قرية من القرى في الريف، بل كانت

أيديهم مسجد خير الدين، وجامع كتشاوة الذي تأسس خلال القرن 11هـ، وأوقف عليه حسن باشا في سنة 1210هـ / 1796م أوقافاً، وخصص رواتب لاثنين من المدرسين به.

Albert Devoulx : "Les Edifices Religieux de l'ancien Alger", R- Af. Alger : Op U, N° : 12, Année : 1868, pp : 107- 113.

¹ - أسس عدد من رجال الدولة مدارس وكتاتيب من أموالهم الخاصة منها: مسجد القيسارية، ومسجد السودان، ومدرسة ساحة الجنينة، والمدرسة التي أنشأها بيت الماجي ساري مصطفى بن الحاج محمود سنة 1113هـ / 1703 =
= Ibid, N°:11, Année : 1867, pp 449, 454, 457. N° :12, Année : 1868, p:107.

² - من بين الزوايا التي أسسها رجال الدولة زاوية الأشراف؛ التي أنشأها الداي محمد بكداش بمدينة الجزائر سنة 1121هـ، وأوقف عليها أوقافاً متنوعة، وجعل من بين موظفيها مدرساً.
Ibid, N° :12, Année : 1868, p:105.

منتشرة حتى بين أهل الbadia، والجبلان النائية⁽¹⁾، وهذا ما أبهر جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني⁽²⁾.

أما التعليم الحيّ الذي يعني رقة الثقافة، والتعمق في المسائل وتكوين الرأي المستقل، أو بما يمكن تسميته بالتعليم الثانوي والتعليم العالي⁽³⁾، فقد كان قليلاً⁽⁴⁾. ورغم أنَّ الرحالة الفرنسي فانتور ديباردي تحدث في القرن الثاني عشر الهجري (18م) عن وجود ثلاث جامعات لتعليم المذهب المالكي بمدينة الجزائر وحدها⁽⁵⁾، فالواقع يشهد على أنه لم يكن في الجزائر كلها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه، فقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي، تُؤْخِد نظم التعليم، وتحافظ على مستوى

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 274.

² - وصف الرحالة المغربي عبد الرحمن الجامعي المكاتب القرآنية بمدينة الجزائر بقوله: كان بهذه الحاضرة نحو مائة مكتب ملائى بالأولاد. (نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر. قسنطينة: مطبعة البعث، 1965. ص: 202). وذكر مرسل (Emerit Marcel) أنه كان في مدينة تلمسان حسين مدرسة (ابتدائية) يتردد عليها ألفي تلميذ: L'Algérie à l'époque d'abd-El-Kader. Paris : 1951.p: 13

³ - لم يكن مصطلحا التعليم الثانوي والتعليم العالي مستعملين في العهد العثماني ومع ذلك فقد استعملهما بعض الدارسين للدلالة على هذا النوع من التعليم كأبي القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، والمهدى البواعظلي في الدراسة التي وضعها للشفر الجماني، وفي كتابه الجزائر في التاريخ، ج 4 مثلا، ص: 203، والعيد مسعود، في دراسته "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني".

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص، ص: 319، 320.

⁵ - venture de paradis , Alger au 18^{eme} siècle . Alger : Imprimeur libraire ,édité par : E.faghan, 1898, p: 158.

وتعكس نشاط واتجاه العلماء، وتحفظ قدرًا معيناً من أساليب اللغة، والذوق الأدبي العام^(١).

إن عدم وجود جامعة بالجزائر^(٢)، ثُؤدي تعليماً من المستوى العالي، جعل بعض الباحثين يحكم حكماً قاسياً على الثقافة بها مثل محمد بن عبد الكريم؛ الذي فذهب إلى أن الثقافة بها أصبحت رهن فراش الاحتضار للفظ نفسها الأخير، مستدلاً على ذلك بعدم شهرة مراكزها العلمية، إذ ليس منها ما يشبه جامع القرويين بفاس، أو جامع الزيتونة، أو جامع الأزهر بالقاهرة، أو الجامع الأموي بدمشق^(٣).

وكان أبو القاسم سعد الله أكثر ظفاؤاً من سابقه - عند تطرقه إلى خلو الجزائر من جامعة - قائلاً بأنّ: "دروس جوامعها الكبيرة كانت تصاهي، بل تفوق أحياناً دروس الجامع الأموي بدمشق، والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات فيها، وئردد الأساتذة عليها"

^١ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١، ص: 273.

^٢ - أوز العيد مسعود افتقار الجزائر إلى معهد رئيسي كبير إلى احتفاظ المراكز الإقليمية في الحاضر الكبرى باستقلال شخصيتها، وللتوازن بينها في المنزلة العلمية لم يكتب لها أحد منها أن يتغلب على المراكز الأخرى ويستقطب إليه علماء البلاد وطلابها ويتحول إلى معهد كبير. وما حال أيضاً دون ذلك أيضاً هو تأخر استكمال المجتمع الجزائري لوحدته الإقليمية قبل العثمانيين، وحتى بعد دخولهم لعدم اهتمامهم بالتعليم. "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة سيرتا. قسنطينة: مطبعة البعث.

ماي 1980. عدد: 03، ص: 71، 72.

^٣ - محمد بن عبد الكريم، المقرى وكتابه نفح الطيب. بيروت: دار مكتبة الحياة. ص: 41.



من مختلف أنحاء العالم الإسلامي⁽¹⁾، ثم مثل لذلك بكتاب المدرسين بها والذين كانت دروسهم مضرب الأمثال في العمق والإحاطة والرقي، مؤكدا على أن شهرة هؤلاء العلماء كانت نتيجة جهودهم الشخصية، وليس نتيجة انتماصهم لنظام شامل تخضع له المؤسسات التابعين لها.

بينما ذهب الشيخ المهدى البواعظلى إلى أن مجرد الاطلاع على بعض الإجازات العلمية، ظهر على ازدهار بعض المعاهد بالجزائر، والتي كانت المواد التي تدرس فيها لا تقل أهمية عن المواد التي كانت تدرس بأشهر الجامعات الإسلامية⁽²⁾.

ومهما كان الأمر فقد كانت حلقات الدروس العليا تعقد في المساجد، والمدارس، وفي الزوايا التعليمية⁽³⁾، وحتى في الرباطات⁽⁴⁾، وأكثر هذه المؤسسات التعليمية انتشاراً الزوايا والمساجد، فلا نكاد نجد بالجزائر قرية أو حي بدون مسجد، واحتضان هذه المساجد مهمة التعليم، إلى جانب مهامها الدينية

¹ - تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص، ص: 273، 274.

² - ناصر الدين سعيدوني والمهدى البواعظلى، الجزائر في التاريخ. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984. ج 4، ص: 127.

³ - كان للزوايا التعليمية نظام داخلي ألزم الطلبة بالخضوع له. ينظر: العيد مسعود المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، ع: 10، 1988. ص - ص: 23-25.

⁴ - إن تعرض الجزائر الدائم للحملات الصليبية الأوروبية أدى إلى انتشار الرباطات على سواحلها مثل: رباط تنس، بجاية، وهران، تلمسان وغيرها.

والاجتماعية، وانفردت كل حاضرة بجامعها الأعظم الذي يُمثل معهد التعليم المتوسط والعلمي⁽¹⁾.

أما الزوايا فقد انتشرت بالريف في بداية العهد العثماني بالإضافة إلى الزوايا التي كانت قائمة بالمدن، وكان لها الفضل في انتشار التعليم بالمناطق بعيدة عن الحواضر⁽²⁾، بل نجحت في جعل بعضها من أهم المراكز الثقافية في الجزائر، كمنطقة زواوة التي تأسس بها عدد كبير من الزوايا⁽³⁾.

وكان دراسة أي علم تقوم على قراءة الكتب المؤلفة فيه ويتم ذلك بطريقتين تسمى الأولى "بالسرد"؛ ويقتصرن فيها على تحرير المتن مفهوماً ومنطوقاً، وما يعرض لذلك من إزالة إشكال أو غموض، وفيها يطيلون الدروس بحيث يجعلون الدرس الأول من طلوع الشمس إلى قرب الزوال، والثاني من بعد صلاة الظهر إلى قبيل المغرب، وبهذه الطريقة يتمكن الشيخ مثلاً من إلقاء مختصر خليل⁽⁴⁾ في أربعين يوماً، وألفية ابن مالك في عشرة أيام.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 270.

² - العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، ص: 63.

³ - محمد سي يوسف، "نظام التعليم في بلاد زواوة بأيالة الجزائر خلال العهد العثماني". ملتقى: الحياة الفكرية في الولايات العثمانية، تقديم: عبد الجليل التميمي. زغوان (تونس): منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية، (ط1)، 1990. ص: 195.

⁴ - ضياء الدين خليل بن إسحاق موسى بن شعيب (ت 749هـ / 1348م): من أكبر فقهاء المالكية، شرح جامع الأمهات لابن الحاجب في ست مجلدات ثم اختصره في الكتاب المعروف بـ مختصر خليل. ابن فردون، الديباج المذهب، ج 1، ص: 313.

وتسمى الطريقة الثانية "بالأصل" لكون السرد فرعا منها؛ إذ يفتتحون الكتب المراد درسها أواخر الخريف، أو أوائل الشتاء فيقللون الحصص ويطالعون عليها كثيرا من الشروح والحواشي وغيرها، وبهذه الطريقة فمنهم مثلا من يقرئ المختصر درسين في اليوم، فيختتمه في قريب من تلك السنة، ومن كان يقتصر على درس واحد في اليوم فيختتمه في ستين⁽¹⁾.

ويمكن الإشارة إلى الحقيقة التالية: هي أن العناية بالعلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها كاللغة والنحو والبيان وغيرها، ظلت الشغل الشاغل للمراكز التعليمية في الجزائر بما فيها المدارس، وأدى التركيز عليها إلى عدم العناية بالعلوم الأخرى، وهذا القصور لا ينطبق على الجزائر وحدها، بل هي حال كل العالم الإسلامي، وهو ما أدى إلى انحطاط وضعية العلوم العقلية به خلال العهد المدروس، وليس أدلة على ذلك من قلة المستغلين بالطب والكيمياء، الفلك، الحساب، الجبر، وغيرها⁽²⁾.

¹ - المهدى البواعدي، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص: 202.

² - شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله. بيروت: دار العلم للملائين، (ط 1)، 1993. ج 3، ص: 1653.

وذلك ما لاحظه الرَّحالة الإنجليزي شو (Shaw)⁽¹⁾؛ الذي زار العديد من الأقطار الإسلامية في القرن 18م، وقال عن وضعية العلوم العقلية في الجزائر بأنَّ أي علم لم يأخذ بدرجة من الكمال، مؤكداً على أنَّ هذه الوضعية ليست ناجمة عن قلة الأشخاص الذين يمارسون الطب، أو أيٌّ من المهن التي تتطلب بعض المعرفة بالعلوم الدقيقة، إلَّا أنَّ كلَّ ما يفعلونه هو من قبيل العادة والتَّعُود، معتمدين في ذلك على ذاكرتهم القوية وذكائهم الفذ. وفيما يخص الطب أكَّد على تدهور وضعيته في الجزائر⁽²⁾ كما في بقية الولايات العثمانية، مع اعترافه بقدرة بعض الأطباء الجزائريين في المعالجة ببعض الأعشاب⁽³⁾، وخلص إلى القول: بأنَّ

¹ - كان الدكتور شو كاهنا بالوكالة الإنجليزية في الجزائر من عام 1720م إلى 1732م، واستطاع أن يقدم عملاً بعنوان: "جولات في ولايات متعددة ببلاد البربر والشرق"، ترجم إلى الفرنسية، ونشر الجزء الخاص بالجزائر تحت عناوين مختلفة منها : Voyage de Monsieur Shaw dans la régence D'Alger" الاحتلال الفرنسي". عمراوي احيدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر. الجزائر: دار الهدى، 2003. ص: 9. ومن الأقطار الإسلامية التي زارها شو: الحجاز، مصر، تونس، المغرب الأقصى.

² - لم يعد سكان الجزائر يعرفون من القواعد الصحية سوى معلومات بسيطة وتجارب شخصية، كما لم تكن الأدوية والعقاقير المحضرية متوفرة، بالإضافة إلى عدم اهتمام الحكماء بأمور الصحة، باستثناء صالح باي والباي محمد بن عثمان حاكم وهران. وتکاد أماكن العلاج تتحر في بعض المصحات وملاجئ العجزة. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2000. ص، ص: 559، 560.

³ - Shaw, L'Algérie un siècle avant l'occupation française. Paris:Editions Imprimerie de Carthage,1968, 2^eEdition . p: 48.



الطب لم يكن يسير وفق قوانين معينة أو مدارس، بل كان يعتمد على ما ألفه العُرف⁽¹⁾.

والواقع أنَّ تدريس الطب قد أهمل في أقطار المغرب الإسلامي⁽²⁾، بما فيها الجزائر⁽³⁾ منذ فترة سابقة للعثمانيين، ولم يُدرس في المراكز العلمية الكبرى آنذاك وهي: القيروان وتونس، بجاية وتلمسان، فاس ومراكش⁽⁴⁾.

وكان من نتائج إهمال تعليم الطب قلة عدد الأطباء في الجزائر⁽⁵⁾، دون البحث في مستوى فئة الموجودة وتخصيصهم ومعرفتهم بالجراحة من عدمه، ولا بأس أن نتبع كيفية تحصيل

¹ - Ibid, p: 51.

² - يظهر أنَّ المشرق لم يكن أحسن حالاً من المغرب الإسلامي، فلم يكن في مكة مدرسة واحدة لتدرِّيس الطب، واحتضنت بتدريسه ثلاث مدارس بالشام في مطلع القرن 10 هـ. عبد الرحمن بن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة. بيروت: دار البشير - مؤسسة الرسالة، (ط3)، 2001. ص: 66.

³ - فيما يخص بقية العلوم العقلية لا حظ شو اقتصار الفلكيين على ضبط مواقف الصلاة، والخصار الكيمياء في صناعة ماء الزهر. أما الرياضيات فذكر أنَّه ليس لهم القواعد الأساسية للجبر والهندسة، وهو يثنى عليهم بطريقة العَد على الأيدي في السوق، بل حتى ذهنياً وهم يحملون الحسابات الأكثر تعقيداً. المصدر السابق ص: 52.

⁴ - Lucien Raynaud ET AUTRES, Hygiène et Pathologie Nord Africaines. Paris, 1932. tome1, pp: 210, 211

زوايا المغرب الأقصى ومنها زوايا فاس، استمرت في تدريس "التقاليد الطبية" - حسب تعبيرهم - بقراءة كتب أبقراط، بالإضافة إلى تلقين الطلاب سر التعويذات، وبعضاً من علم الصيدلة، كما كانوا يقومون بالتجارب في بعض الأحيان.

⁵ - ذكر الدكتور لوسيان (ص: 211) أنَّ الأطباء كانوا مطلوبين بقوة في الجزائر، أما شو فقال: "ينقص فعلاً أطباء ماهرون". ص: 48.

صناعة الطب لأحد من تميزوا " بشذوذهم الفكري"⁽¹⁾ وهو الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش⁽²⁾؛ الذي قامت دراسته له على جهوده الخاصة؛ حيث كان كثير المطالعة لكتب الطب العربية وغير العربية، كما اعتمد على ملاحظاته وتجاربه الخاصة⁽³⁾، ولا نجد من أساتذته في الطب إلا بعض العشائين⁽⁴⁾، فلو كانت هناك مدرسة متخصصة في تدريس الطب، أو أستاذ طبيب لامع في

¹ - نظراً لاهتمامه بالطب والصيدلة والفلك والحساب وغيرها، وصفه أبو القاسم سعد الله "ب الشذوذ الفكري". الطبيب الرحالة ابن حمادوش حياته وأثاره. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982. ص: 5.

² - عبد الرزاق بن محمد بن أحmadوش (1107هـ-1197هـ): تقلد وظائف دينية وأخذ العلم على عدد من المشايخ داخل وخارج الجزائر، وهو صيدلي وطبيب وحساب وفلكي. من مؤلفاته: الرحلة المسماة بسان المقال. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 1971. ص: 93.

³ - كان يصنع بعض المستحضرات الطبية بنفسه، كما ألف العديد من الكتب في الطب من أهمها: الجوهر المكتنون من بحر القانون، في أربعة كتب أشهرها الجزء الرابع وهو بعنوان "كشف الرموز"، ومن أهم كتبه في الطب أيضاً تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج. أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، ص- ص: 53-86.

⁴ - من هؤلاء: السيد محمد كنجل الذي قال عنه ابن حمادوش "كان عشاب بلدنا"، وفي مناسبة قال "خرجنا مع بعض الإخوان أحددهم يعرف الأعشاب لنتعلم منه... في جبل بومعزة تحت بوزريعة"، ولكنه لم يُسم المعلم. ومن الأطباء الذين اتصل بهم في المغرب: الحكيم عبد الوهاب أدرار. أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، ص- ص: 25-27.

الجزائر لما تردد ابن حمادوش في الاتصال به والأخذ عنه على
أغلب الظن⁽¹⁾.

وللأسباب المذكورة لم يتمكن ابن حمادوش من بلوغ مُبتغاه،
إلاً عندما بلغ ثمان وثلاثين سنة من عمره، حيث وصف نفسه في
سنة 1145هـ بقوله: "فال يوم - والحمد لله - أنا عشّاب
وصيدلاني، وطبيب في بعض الأمراض"⁽²⁾.

وعليه فإننا لا نبالغ إذا قلنا أنَّ دراسة الطب بالطريقة
المتطورة؛ التي بلغها في العهد الذهبي للحضارة الإسلامية كاد أن
يختفي في العالم الإسلامي، ولهذا قال أبو القاسم سعد الله في سياق
حديثه عن ابن حمادوش بأئمه: " جاء بعد ظلام دامس أصاب
الحضارة الإسلامية، ولذلك اعتبره بعض الباحثين (ليكليرك)
من أواخر الممثلين للطب العربي، ولعل الصواب أن يقول للفكر
العربي، وإذا عرفنا أنه كان في القرن الثاني عشر (18م) معاصرًا
لعهد الاستنارة في أوروبا، أدركنا أنه كان عندئذ أقرب في تفكيره
واهتماماته إلى العلماء الأوروبيين منه إلى العلماء المسلمين
الحاملين⁽³⁾.

¹ - كان ابن حمادوش شديد الحرص على تحصيل العلوم الطبية، وهذا قد لا يبالغ إذا
قلنا أنه ما كان يتتردد في الالتحاق بأية مدرسة متخصصة في تدريسه سواء في المغرب
الأقصى أو تونس، وحتى في الشرق لزيارة كل هذه المناطق.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 35.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 40.

والجدير بالذكر أن بعض المدرسين تطرقوا في مجالسهم لبعض العلوم العقلية كالحساب والفرائض والفلك، ولكن دراستها لم تكن إلا للاستفادة منها في الحياة اليومية البسيطة؛ فالحساب كان للاعتماد عليه في التجارة والفرائض وتقسيم التراثات وغيرها وكان الفلك يدرس لمعرفة الزوال وأوقات الصلاة وليس الملاحة إن عدم اهتمام الجزائريين بهذه العلوم هو الذي جعل الكتاب الأوليين ينتقدون التعليم في الجزائر، وما لا شك فيه أن انتقادهم فيه شيء من الحقيقة.

أما نظام الامتحانات فلم يكن معروفا خلال العهد المدرسي، وإنما كان الشائع - حسب العيد مسعود⁽¹⁾ - تكليف الأستاذ للطالب الذي أخذ بسهم وافر من العلوم، بمساعدة الطلاب على تكوين فكرة عن الدرس الجديد قبل أن يشرحه، ويعاوده الدرس الذي سبق أن ألقاه، فيرفع من جهة مستوى بعض العناصر الضعيفة، ويتمرس من جهة أخرى على إلقاء الدرس، على أنه حين يختتم الدرس، يمنحه أستاذه إجازة خاصة لتدريس علم معين، أو عدد من العلوم، أو إجازة عامة لتدريس كافة العلوم⁽²⁾.

¹ - حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، ص: 67.

² - المصادر المعتمدة في بحثنا لا تشير إلى منح علماء الجزائر العثمانية الإجازة بالتدريس المتعارف عليها، وكل ما نجده إذن بعض العلماء المدرسين لأبنائهم، أو للمقررين من تلامذتهم في مباشرة التدريس على سبيل النيابة، مثلما فعل الشيخ سعيد قدورة مع ابنه محمد حيث أقامه عنه في التدريس، والشيخ عبد الواحد الأنصاري مع تلميذه عيسى

وتطرق محمد سي يوسف هو الآخر إلى نهاية الدروس في زوايا بلاد زواوة قائلاً: " تكون نهاية الدروس في هذه الزوايا عادة بمنح إجازة للمُستحق من طرف الشيخ الذي درّسه، وهي شهادة ثبت نوع الدراسة، والكتب التي درّسها لهذا الطالب، وهي تسمع له بزاولة التدريس إن كان يريد ذلك "⁽¹⁾.

أما أبو القاسم سعد الله الذي خصّص للتعليم فصلاً كاملاً " لم يتسع في نهاية الدروس مفضلاً تناولها تحت إطار انتهاء علاقة الطالب بأستاذه" وبعد أن استعرض الاعتبارات التي تنتهي العلاقة بينهما، خلص إلى القول بأنّ: " هذا النوع من التعليم لا ينتهي بشهادة أو نحوها، وأقصى ما يطمح إليه الطالب المجتهد والطموح هو حصوله على إجازة شفوية من أستاذه، وهي تسرّيجه ورضاه عنه" ، إلاّ أنه قال بعد إشارته إلى تساهل بعض العلماء في منح الإجازة: " ومهما كان الأمر فإنَّ الشهادة أو الإجازة هي آخر علاقة بين الطالب والمُدرس" ⁽²⁾.

وبناءً على هذه الأقوال يمكن أن نُميّز بين عدة حالات لنهاية الدروس؛ حيث يمكن أن تنتهي علاقة الطالب بأستاذه بدون أن يتلقى إجازة منه، كما يمكن أن يحصل على إجازة شفوية؛ وهي

العلّي، ومحمد المازوني مع حفيده أحمد ابن هني الذي أنابه عنه في إلقاء بعض الدروس، وسوف أنطّرق إلى ذلك في ثانيا الكتاب

¹ - نظام التعليم في بلاد زواوة بأيالة الجزائر خلال العهد العثماني، ص، ص: 206، 207.

² - تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 348.

تسريحة ورضاه عنه، والحالة الأخيرة هي تحرير الأستاذ إجازة علمية للطالب.

ولما كانت الثقافة دينية ترتكز على العلوم الإسلامية⁽¹⁾، فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بحركة التعليم، وبالأخص التعليم الذي يُوصف بالثانوي والعلمي؛ المتوفر في بعض المناطق دون غيرها وهو ما دفع ببعض الباحثين -محمد بن عبد الكريم- إلى القول: بأنَّ الثقافة بالجزائر كانت جهوية إقليمية، أكثر منها عمومية قطبية، حيث كانت مخصوصة في أشخاص معينين وفي أماكن محدودة⁽²⁾، وهذا ما يؤيده الواقع فقد ازدهرت حلقات الدروس العليا في الحواضر الثقافية الكبرى كمدينة الجزائر ومدينة قسنطينة، وحتى في بعض الحواضر الصغرى كمعسكر ومازونة. كما عقدت حلقات دروس من نفس المستوى في بعض الزوايا التعليمية بالمناطق الريفية كزوايا بلاد زواوة، وزاوية تنس وزاوية الخنقة وغيرها، أمّا باقي القطر فقد انتشر به التعليم الأولى بصورة خاصة وذلك الذي يمكن تسميته بالمتوسط انتشاراً واسعاً دون التعليم من المستوى العالي.

وقد كان الطلاب يفدون من مختلف جهات القطر على هذه الحواضر والزوايا، للأخذ على من اشتهر من علمائها المشهود لهم

¹ - المهدى البواعبدي، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص: 126.

² - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ترجمة: محمد بن عبد الكريم. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط 1) 1972. ص: 56.

بالبراعة، وهو ما أدى إلى حدوث هجرة داخلية بين المدن الجزائرية، فتخرج منها الكثير من العلماء الجزائريين، وهو الأمر الذي لا يُعبر عنه الإجازات العلمية، وهذا يستغرب أبو القاسم سعد الله من كون "العلماء الجزائريين لم يجيزوا بعضهم البعض إلا قليلاً"⁽¹⁾، وعلل ذلك في موضع آخر بقوله: "يبدو أنَّ علماء البلد الواحد لا يمنحون عادة الإجازات لبعضهم، وكأنَّ الإجازة لا تأتي إلا نتيجة اغتراب وسفر طويل وتلماذ على غير أهل البلد"⁽²⁾.

ولعل ما يفسر قلة الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين هو: عدم بلوغ التعليم من المستوى العالي بها مستوى التعليم في بعض الأقطار الإسلامية، بالإضافة إلى قلة الطلبة الذين يواصلون دراستهم إلى غاية نهاية الدروس ونيل الإجازة لانشغال أغلبهم بطلب الرزق عن طلب العلم⁽³⁾.

والملاحظ أنَّ المادة العلمية التي تغطي الجانب الثقافي في الجزائر خلال هذا العهد قليلة، ولذلك فليس من السهولة التوصل إلى كُل إجازات الجزائريين لبعضهم البعض، فلا يتم دراسة الرَّصيد الثقافي للجزائر إلا بالرجوع إلى المصادر الإسلامية وفي مقدمتها كتب الترجم وهي بدورها - سواء المشرقية منها أو المغاربية - لا تتناول بالترجمة إلا العلماء الجزائريين الذين اتصلوا

¹ - تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 41.

² - المرجع نفسه، ج 2، ص: 43.

³ - محمد سي يوسف، نظام التعليم في لاد زواوة بأيالة الجزائر، ص: 207.

بها، وإنما إليها خبرهم؛ إلى جانب كتب الرحلات المغربية التي دخل أصحابها إلى الجزائر. وعليه قد لا نبالغ إذا قلنا أنه لو لا المصادر الإسلامية لظل عدد غير قليل من العلماء الجزائريين مغموراً.

إنَّ عدداً معتبراً من المؤلفات التي تخص الحياة الفكرية بالجزائر لا تزال مخطوطة، وأخرى مفقودة على الرغم من أهميتها وشهرة مؤلفيها^(١)، فإذا كان هذا حال المؤلفات بفقدانها وبقائها طي النسيان على الرغم من الإقبال على نسخها، فكيف بالإجازة التي تكتب غالباً على ورقة أو أوراق منفصلة؟ بالإضافة إلى عدم الاهتمام بنسخها^(٢) فهي معرضة للضياع، فبقاء الإجازة مرهون عادة بتقييدها في مؤلفات، وهي بالخصوص تلك التي يتطرق فيها صاحبها لسيرته الذاتية، وفي مقدمتها كتب الرحلات والفالرس.

و قبل الشروع في عرض إجازات العهد العثماني لا بد من الوقوف على ملاحظة أساسية وهي: أنني لم أرم "بالحركة العلمية" إلى مفهومها في العصر الحاضر من حيث التداول للعلوم العقلية والاختراعات الحديثة، وإنما أرمي بذلك إلى العلوم النقلية

^١ - من مؤلفات العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني المفقودة ها على سبيل التمثيل لا الحصر: "كتن الرواية" لعيسي الشعالي، و"الدرة المصنونة في علماء وصلحاء بونة" لأحمد البوني، و"لواء النصر في فضلاء العصر" لأحمد بن عمار.

² - يقبل العلماء في بعض الأحيان على نسخ بعض إجازات شيوخهم الذين أجازوهم؛ لتضمنها أسانيدهم التي أجازوهم بها، مثلما فعل ابن زاكور عندما نقل في "نشر أزاهير البستان" إجازة الشبراهمي المصري لشيخه محمد بن عبد المؤمن.

لأنه ينحصر مفهوم العلم في ذلك العصر في إتقان فهم أي الذكر الحكيم، ومرويات الحديث الشريف واستظهاره، ومعرفة للعقائد والفقهيّات والأصول، وجميع ما يتصل بالعلوم الإسلامية، وقد كان علماء الشريعة في نظر المسلمين هم العلماء بحق⁽¹⁾.

ثانياً- إجازات علماء مدينة الجزائر وضواحيها:

تُعدّ مدينة الجزائر أكبر الحواضر السياسية والثقافية في تاريخ الجزائر العثمانية، وهذا بشهادة الرحالة المغاربة، فقد قال علي التمقروري الذي دخلها سنة 999هـ / 1590م بأنّها كانت تسمى اسطنبول الصغرى، وبأنّ الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا⁽²⁾، في حين شبّهها عبد الرحمن الجامعي بفاس بقوله: "أما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثل من فارقته من أدباء بلدي وبها تذكرة بعض ما كان نسيه خلدي"، وبأنّها: لا تخلو من قراء نجاء، وعلماء أدباء، وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معهودة.⁽³⁾؛ وهذا يدل على أنها عرفت تطوراً كبيراً من الناحية الفكرية خلال العهد العثماني.

¹ - محمد بن عبد الكريم، المقرئ وكتابه نفح الطيب، ص: 41.

² - وصف علي التمقروري صاحب "النفحة المسكونية" في السفارة التركية مدينة الجزائر بأنّ مرساها عامر بالسفن، ووصف رياسها بالشجاعة، وقوة الجماش، وبأنّهم أفضل من رياض القسطنطينية بكثير؛ ثم قال: "بلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقيا وأعمر بلحمليسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979. ص- ص: 57-59.

³ - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص- ص: 197-199.



إنَّ اتخاذ مدينة الجزائر عاصمة سياسية وعسكرية من طرف العثمانيين، جعلها مركز الثقل بالنسبة للمغرب الإسلامي برُبْمته خلال القرن العاشر الهجري (16م)، وقد ظَسَنَى لولاتها العثمانيين أن يُؤدوا دوراً كبيراً في تنشيط المقاومة ضد الهجمات الأوروبية المسيحية، وهو ما ولد ولاءً مطلقاً للخلافة العثمانية، وتجسد ذلك في أول رسالة وجهت إلى السلطان العثماني من قبل العلماء والأهالي⁽¹⁾ في ظل الجامع الأعظم - الذي يُعد أقدم وأكبر الجوامع⁽²⁾ يومئذ - وفيها طالبوا بربط الجزائر بالباب العالي، وهذا ما تمَّ فعلاً، وقد تركت هذه المبادرة أثراً طيباً لدى خير الدين بربuros⁽³⁾، وهو ما يفسر الرعاية والاهتمام اللتين حظي بهما

¹ - كُتِبَت الرسالة إلى السلطان سليم الأول باقتراح من خير الدين في أوائل ذي القعدة عام 925هـ / 1519م، وهي تفيض بالولاء للدولة العثمانية، وتزعم هذه السفارة الفقيه الأستاذ أحمد بن القاضي قائد منطقة زواوة، فسارع السلطان إلى منح رتبة باي لرباي إلى خير الدين، وأرسل إلى الجزائر قوة من السلاح المدفعية، وألفين من الجنود الإنكشارية. واعتباراً من هذا التاريخ دخلت الجزائر رسمياً = تحت سيادة الدولة العثمانية ودعى للسلطان سليم على منابرها، وضربت السكة باسمه. الصلايبي، الدولة العثمانية ص، ص: 212، 213.

² - مالكي المذهب، تأسس على يد المرابطين سنة 409هـ / 1018م، واتخذ خلال العهد المدروس مقراً للمجلس القضائي المخول بالنظر في القضايا الكبرى، والمكون من شخصيات مهمة منها: القاضيان المالكي والحنفي والفتيان المالكي والحنفي وغيرهم.

Devoulx ; "Les Edifices Religieux", R. Af , N°:10, Année : 1866, pp221-226.

³ - خير الدين بن يعقوب بن يوسف التركي (ت 954هـ / 1547م): قام بالجهاد في سواحل تونس والجزائر رفقة أخيه عروج، فكانوا ينتصرون اللاجئين الأندلسين إلى العدوة المغربية، وفي سنة 1519م أصبح باي لرباي الجزائر؛ أي باي البايات، وبقي بها

الجامع الأعظم من طرف جل الولاة العثمانيين؛ بما فيهم خير الدين. وقد غطى نشاطه التعليمي - وحتى الديني والاجتماعي والسياسي - على أنشطة الجوامع الأخرى، بما فيها الجوامع التي شيدتها العثمانيون أنفسهم⁽¹⁾، وقد بلغ عدد المدرسين به تسعه عشر أستاذًا خلال القرن الثاني عشر (18م)⁽²⁾.

وهو أهم الجوامع بمدينة الجزائر، وذلك ما شاهده الرحالة فانتور ديرادي⁽³⁾، ويقاد هو ومدرسته العليا يشكلان نواة لجامعة في الجزائر، حيث كانت تُعقد فيه حلقات دروس كثيرة يقوم بها أبرز العلماء حينئذ، ووصلت في بعض الأحيان إلى اثنى عشرة حلقة⁽⁴⁾.

وكان بالمدينة إلى جانب الجامع الكبير ثلاث مدارس وُصِفت بـ“أها تؤدي تعليماً من المستوى العالي”؛ وهي: مدرسة

إلى أن استدعاه السلطان سليمان، فغادر مدينة الجزائر في سنة 1535م، وترك على رأسها محمد حسن آغا. توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، مواضع متفرقة؛ إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العالية. بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع (ط1)، 2002. ص- ص: 125 - 129.

¹ - عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأموال المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر. تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية، 80، عدد خاص (05 - نوفمبر)، ص: 10.

² - Devoulx : "Les Edifices Religieux ", R-Af ,N° : 10, Année : 1866,p : 381.

³ - Venture de paradis , Alger au 18^e siècle , p : 157.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 283.

الأندلسين، ومدرسة شيخ البلاد، والمدرسة القشاشية⁽¹⁾، وقد جاء في وقفيه للزاوية- المدرسة الأخيرة أنَّ لها أستاذًا مكلفاً بتدريس الشريعة الإسلامية والتوحيد، بالإضافة إلى عشرة أساتذة لتدريس مختلف العلوم الأخرى⁽²⁾.

وقد تم إنشاء زاوية- مدرسة شيخ البلاد⁽³⁾ سنة 1201هـ/ 1786م، بأمر من الباشا محمد عثمان، فجعل من بين موظفيها الأساسيين مُدَرِّساً، ولم يشترط فيه أن يكون حنفياً على الرغم من أنها حنفية المذهب⁽⁴⁾. أمَّا مدرسة الأندلسين فقد تأسست من طرف الطائفة الأندلسية سنة 1049هـ/ 1639م، وهي مدرسة عليها أنشئت لدراسة العلوم وتعليم القرآن الكريم⁽⁵⁾.

¹ - يرجح تاريخ إنشاء جامع القشاش إلى ما قبل العهد العثماني، ولكن لا ندر ما إذا كانت المدرسة نفسها قد أنشئت معه. والظاهر أنها متصلة بالزاوية التي تحمل نفس الاسم، والتي يبدو أنها أحدثت بعد الجامع، ذلك أن أوقاف الجامع وأوقاف الزاوية ليست واحدة، كما أن الوكيل ليس واحداً. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ص: 281، 282.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج 1، ص: 282.

³ - المدرسة حنفية المذهب، وهي تحتوي على مسجد، وخمس غرف لإقامة الطلبة والمشتغلين بالعلوم، وقد أوقف عليها البشا عدة أوقاف، ووضع للمدرس بها مرتبًا من الأوقاف، وخصص للطلبة أيضاً رواتب، كما خصص في وقف 1204هـ راتباً لدوال الأستاذ وهو الذي يقرأ الكتاب الذي يشرحه أستاذ المدرسة في مسجد Devoulx : "Les Edifices Religieux", R-Af, N° : 12, Année 1868. pp:280-286.

⁴ - Ibid, N° :12, Année : 1868,p-p : 280- 286.

⁵ - Albert Devoulx , Notices sur les corporations religieuses d'Alger, Alger : typographie Adolphe Jourdan ,1912, p:74; Les Edifices Religieux, R-Af ,N° : 12, Année : 1868,p: 279.



وأكثر العلماء المدرسين شهرة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني: الشيخ أبو عثمان سعيد قدورة⁽¹⁾؛ الذي تولى الإفتاء المالكي بالمدينة سنة 1028هـ/1618م، ثم أصبح خطيباً ومدرساً بجامعها الأعظم، بالإضافة إلى كونه وكيل أوقافه، فتخرج عليه خلال المدة الطويلة التي تصدّى فيها للتدريس عدد كبير من العلماء نذكر منهم: ابنه محمد قدورة، الشيخ عيسى الشعالي والشيخ يحيى الشاوي، كما لازمه الشيخ أبو حفص عمر المانجلاطي: (ت 1104هـ/1693م) مدة طويلة أخذ فيها عليه عدد من الفنون منها: الحديث، الفقه والنحو⁽²⁾، والشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري، الذي قيل أنه "عمدته"⁽³⁾.

¹ - أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة: (ت 1066هـ/1655م)، تونسي الأصل، نشأ بمدينة الجزائر، وتولى بها الفتوى المالكية ستين سنة.قرأ على الشيخ محمد المطماطي، وعلى الآخرين محمد وعلي أبيه لول بزاوiyتهم بتونس = وعلى الشيخ سعيد القرني بتلمسان . اشتهر بكتابه شرح السلم المروي للشيخ عبد الرحمن الأخضري في المنطق . اليفرني، «صفوة من انتشار من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 1741 . ورقة: 93و؛ مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . دار الطباعة النشر والتوزيع، بدون تاريخ. ص: 309 ، Devoulx 230 Les Edifices Religieux, R-Af , N° : 10, Année : 1866,pp: 286-288.

² - محمد بن زاكور، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، تقديم: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، 1967. ص: 11.

³ - محمد بن الطيب القادرى، نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر والثانى، تحر: محمد حجي وأحمد توفيق. الرباط: الجمعية المغربية للتتأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1986. ج 3، ص: 23.



ومع أن المتخريجين عليه كثُر، فلا يُعرف إلا القليل ممن إجازهم، ولكن لا يُستبعد أن يكون قد أجاز بعض المذكورين سابقاً للازمتهم له مدة طويلة، وتخريجهم عليه في جملة من العلوم هذا بالإضافة إلى كونهم من أعلام العلماء، وهذه أسباب كافية لإجازته لهم.

ومن المتخريجين عليه الذين حضيت إجازاته لهم بذكر في المصادر إجازته للشيخ أبي مهدي عيسى الشاعلي⁽¹⁾ الذي حضر دروسه، وأجاز له جميع ما يرويه عن شيوخه، ومنهم الشيخ سعيد المقرى⁽²⁾، ومن مروياته التي أجازه بها الحديث المسلسل بالأولية وبالضيافة بالأسودين الماء والتمر، وتلقين الذكر ولبس الخرقة والمصافحة والمشابكة⁽³⁾. فهذه الإجازة وإن بدت إجازة صوفية فهي أيضاً إجازة روایة.

¹ - عيسى بن محمد بن محمد الجعفري الشاعلي نزيل الحرمين الشريفين (1020هـ / 1611م - 1080هـ - 1661م): ولد بزواوة ونشأ بها، وقرأ على شيوخها كالعيد الصادق، ثم رحل إلى مدينة الجزائر فقرأ بها على علمائها منهم سعيد قدورة وعبد الواحد الأنصاري، ولما رحل إلى المشرق أخذ عن علمائه. له تأليف منها: مقاليد الأسانيد وكتن الرواة. الحبي، خلاصة الأثر، ج 3، ص، ص: 240، 241؛ خلوف شجرة النور، ص، ص: 311، 312.

² - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية. الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977. ج 2، ص: 127.

³ - محمد خلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص: 311.

كان الشيخ سعيد قدورة ذائع الصيت، وهذا شدّت إليه الحال من مناطق بعيدة كإقليم توات⁽¹⁾، واشتهاره بهذا الإقليم مرتبط - بدون شك - برحيله إلى منطقةبني عباس القريبة منه وتدریسه بها عام 1015هـ / 1606م⁽²⁾. وكان الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيطي⁽³⁾ من درس عليه فيبني عباس، وهذا جدًّا في السير إلى مدينة الجزائر للأخذ عنه⁽⁴⁾، وسار ابنه العلامة الشيخ البكري بن عبد الكريم⁽⁵⁾ مؤسس الطريقة الباركرية بتنظيم⁽¹⁾ على

¹ - إقليم واسع يقع في الجهة الغربية للصحراء الجزائرية، ينزل جنوباً مع وادي الساورة يسمى طريق النخيل، مصبه بسبخة المخرق في قلب الصحراء، ويتسع شرقاً في واحات متلاصقة وقصور كثيرة، من أشهرها إقليم تيمي وتنطيط. ولم يخضع هذا الإقليم للدولة العثمانية مطلقاً، وخضع صوريًا للمغرب منذتمكن السلطان السعدي المنصور الذهبي من إخضاعه سنة 990هـ وذلك بعد حرب طويلة، وظل تابعاً له حتى القرن 13هـ، وكان حكامه يختارون من بين أعيان الإقليم. محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص: 631؛ أحمد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تتح: أحمد الناصري ومحمد الناصري.

الدار البيضاء: دار الكتاب، 1955. ج 5، ص، ص: 98، 99.

² - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. الرباط: منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر - مطبعة فضالة، 1979. ج 2، ص: 627.

³ - كان الشيخ عبد الكريم بن محمد من مشاهير علماء المغرب في القرن 11هـ. من تأليفه رحلة ترجم فيها لشيوخه. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، ص: 94.

⁴ - بكري البكري، تنظيم رمز تاريخ وعنوان حضارة، مجلة الحضارة الإسلامية جامعة وهران، السنة الأولى، العدد: 1، سنة 1993. ص: 67.

⁵ - البكري بن محمد بن أبي محمد التمنطيطي (1042-1133هـ): قرأ على جماعة من مشايخ توات والمغرب والجزائر ومصر منهم: محمد القاضي التواتي، ومحمد بن

خطاوه، فورد هو الآخر إلى مدينة الجزائر ودرس عليه، فأجازه الشيخ سعيد قدورة⁽²⁾، وهو ما ذهب إليه صاحب "إقليم توات" الذي لم يذكر ماذا أخذ عليه ولا فيما أجازه.

ومن أشهر تلامذة الشيخ سعيد قدورة الشيخ يحيى الشاوي الملياني⁽³⁾ الذي قرأ بليانة مسقط رأسه، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر فقرأ على مدرسيها. وذكر المحبي في ترجمته بأنه قرأ بمدينة الجزائر على "شيوخ أجلاء صالحين منهم: الشيخ سعيد مفتى الجزائر والشيخ مهدي (الثعالبي) وغيرهم، وروى عنهم الحديث والفقه وغيرها من العلوم، وأجازه شيوخه"⁽⁴⁾. فهل يعني هذا الخبر أنَّ الشيفيين المذكورين كانوا من جملة شيوخه الذين أجازوه؟

والواقع أنَّي لا أملك دليلاً على إجازة الشيخ سعيد قدورة ليحيى الشاوي، ولا عن العلوم التي قرأها عليه. أمَّا الشيخ عيسى

علي النحوي الأجروني التواتي. تولى منصب قاضي الجماعة التواتية. فرج محمود فرج، إقليم توات، مواضع متفرقة مثلاً الصفحات: 94، 112.

¹ - تقع تنطيط في إقليم توات، وهي التي غالب عليها اسم توات عند الإطلاق، وكانت عاصمة لهذا الإقليم خلال القرن 17م، ثم انتقلت إلى أدرار أكبر مقاطعة بإقليم تيمي. فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص: 85.

² - فرج محمود فرج، المرجع نفسه، ص: 89.

³ - أبو زكريا يحيى بن الفقيه محمد بن محمد النايلي الشاوي الملياني (1030هـ - 1621م / ت 1096هـ - 1685م): أخذ على شيخ بليانة ومدينة الجزائر، ولما رحل إلى الشرق أخذ على أكابر العلماء به. له عدة مؤلفات منها: حاشية على شرح أم البراهين، وشرح التسهيل. خلوف، شجرة النور، ص، ص: 316، 317؛ المحبي، خلاصة الأنوار، ج 4، ص: 486؛ الزركلي، الأعلام، ج 8، ص: 169.

⁴ - المحبي، المصدر السابق، ج 4، ص: 486.

الثعالبي⁽¹⁾ فقد قرأ عليه جملة من العلوم كالمنطق، حتى أنه اضطر إلى المسير معه ثمان مراحل أثناء رحلته إلى المشرق سنة 1061هـ/1650م ليتم قراءته عليه⁽²⁾، ولكن لم يُجزه في هذا العلم مع تفوقه في جملة من فنون العلم، فهل يكون قد أجازه في علوم أخرى كال الحديث مثلاً؟ لما ذكره الحبي، ولما ورد في شجرة النور الزكية⁽³⁾ من أنه قرأ على "أبي مهدي وأجازه".

و قبل قدوم الشيخ يحيى الشاوي إلى مدينة الجزائر، كان قد قرأ بمدينة مليانة⁽⁴⁾ - بلده - على شيوخها، ومن جملتهم: الشيخ محمد السعدي بن محمد بهلول⁽⁵⁾؛ الذي منح له إجازتين؛ الأولى صوفية، حيث أجازه مصافحة الفقيه محمد العربي يوسف الفاسي له بزاوية محمد بن أبي بكر الدلائي⁽⁶⁾، والثانية بقراءته عليه بعض

¹ - لازم الثعالبي الشيخ عبد الواحد الأنصاري المدرس بالجامع الأعظم مدة طويلة درس فيها عليه جل فنون العصر، ثم أنابه عنه في مباشرة التدريس. الحبي، المصدر نفسه ج 3، ص: 241. ولكن المصادر المتوفرة لا تفصح عما إذا أجاز الثعالبي أحد من الطلبة الجزائريين.

² - الحبي، المصدر نفسه، ج 3، ص: 241.

³ - محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 316.

⁴ - تقع غرب مدينة الجزائر في سفح جبل زكار الغربي. الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي - محمد لخضر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1983. ج 2، ص: 35.

⁵ - لم أتوصل إلى ترجمته، ووصفه الحبي في سياق ترجمة الشاوي بالعلامة الحق الخلاصة، ج 4، ص: 486.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 42.

الموطأ⁽¹⁾، وبعض صحيح البخاري⁽²⁾، وبعض صحيح مسلم⁽³⁾ والشفاء للقاضي عياض⁽⁴⁾، وأجازه رواية الكتب الأربع المذكورة بسندہ إلى شيوخه.

وهذا بعض ما ورد في هذه الإجازة: "يقول عبيد الله محمد السعدي بن محمد بهلول البهلوبي: قرأ على العالم أبو زكريا سيدي يحيى شهر الشاوي بعض موطأ إمامنا مالك، وبعض صحيح البخاري، وبعض صحيح مسلم - أدام الله توفيقه، وأنار في مسالك الخيرات طريقه - وأجزته له رواية جميع الكتب الثلاثة المذكورة، متلفظا بالإجازة... وقرأ أيضا بعض الشفاء، وأجزته في جميعه، ثم ختمها بالتأكيد على الإجازة بقوله: "وأذنت له أن يروي هذه الكتب الأربع، بما لنا فيها من الأسانيد زائدا على هذه الأسانيد المذكورة"⁽⁵⁾ التي اقتصرنا عليها هنا اختصارا، وأن يروي

¹ - الموطأ ومعناه المهد، وهو أول كتاب صنف في الفقه والحديث معا، للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبهي (95-179هـ). ابن خلكان، وفيات الأعيان. ج 4، ص - ص: 135-137.

² - الجامع الصحيح للمحدث أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن، المعروف البخاري (194-256هـ). ابن خلكان، المصدر نفسه، ج 4، ص - ص: 188-190.

³ - الجامع الصحيح للمحدث أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ). ابن خلكان، المصدر نفسه، ج 5، ص، ص: 194، 195.

⁴ - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليعصي السفياني الدار الأندلسية الأصل (496-544هـ). ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 2، ص - ص: 43-47.

⁵ - سجل في هذه الإجازة أسانيد الكتب الأربع المذكورة التي أجازه بها.

عني كُلَّ ما يجوز لي وعني روایته بشرطه⁽¹⁾. واللاحظ أنَّ هذه الإجازة ورودت بأسلوب مرسل خال من البيان والبديع، ومن المدح والمبالغة أيضاً.

وكان يحيى الشاوي قد تصدر للتدريس بالجزائر قبل أن يتوجه إلى المشرق⁽²⁾، ولكن لا تحدث المصادر عمّا إذا أجاز أحداً من الطلبة الحاضرين حلقاته فيها. وذكر صاحب "تاريخ الجزائر العام" أنه كان فيمن حضر مجالس في البلاد التركية (استنبول) من العلماء الجزائريين: الشيخ أحمد بن الحاج موسى الجزائري والشيخ محمد بن الشاهد الكبير مفتى المالكية بالجزائر⁽³⁾ فأجازهما فيمن أجاز من الطلبة الحاضرين في مجلسه⁽⁴⁾.

¹ - يوجد نسختان من هذه الإجازة ضمن مجموع رقم: 335، مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية. النسخة الأولى الأوراق: 17 ظ، 18 و، وهي تامة، أما النسخة الثانية: ص، ص: 26 ظ، 28 وقد تصرف فيها الناسخ بمذف بعض الأسطر الأولى والأخيرة ينظر أيضاً الملحق: (ب).

² - الغالب على الظن أنَّ ذلك كان بمدينة الجزائر، ولا سيما في الفترة التي أعقبت وفاة قدورة والأنصاري وهجرة الشعالي، أي بين 1057هـ و1074هـ، وهو تاريخ هجرته إلى المشرق، ولكن لا تؤكد المصادر المتوفرة أين جلس الشاوي للتدريس، وهل كان موظفاً رسمياً أو مدرساً حرراً. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2 ص: 105.

³ - تولى ابن الشاهد الفتوى المالكية بالجزائر ثلاث مرات: ابتداء من سنة 1198هـ إلى غاية سنة 1207هـ. R. Af, "Les Edifices Religieux", Devoulx; Année: 1866, p:376. N°: 10.

⁴ - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1994. ج 3، ص: 175.

فاما الأول فقد كان بمصر سنة 1092هـ⁽¹⁾، وهي الفترة التي كان فيها الشاوي بمصر هو الآخر، بينما تُستبعد إجازته للثاني لأنَّ محمد بن الشاهد كان مفتياً للمالكية بمدينة الجزائر في نهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر، وحتى إذا افترضنا أنَّ ابن الشاهد المعنى بالإجازة غير المفتى في القرن الثاني عشر فإنَّ مفتى المالكية بالجزائر في الفترة – التي تواجد فيها الشاوي بالشرق – هو الشيخ محمد بن سعيد قدورة⁽²⁾، الذي تولاه خلفاً لوالده.

والشيخ محمد بن سعيد قدورة المذكور هو الآخر من أشهر المدرسين بالجامع الأعظم، تولى التدريس به منذ صغره لتقديم والده له⁽³⁾، فتخرج عليه عدد كبير من العلماء منهم أخيه الشيخ

¹ - كان الشيخ أحمد بن الحاج موسى الجزائري بمصر في سنة 1092هـ، وما يؤكد ذلك اجتماع الشيخ أحمد البوني به، وبالشيخ يحيى الشاوي في السنة المذكورة. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ج ٣، ص: ١٧٧.

² - أبو عبد الله محمد بن سعيد قدورة (1034-1107هـ / 1695م): درس على والده، وتولى منصب الإفتاء المالكي والخطابة بالجامع الأعظم. نور الدين عبد القادر صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 164.

Devoulx ; Op-Cit, R. Af , №: 10, Année : 1866, pp: 289, 290.

³ - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 194.



أحمد قدورة⁽¹⁾؛ الذي تقدم إليه باستدعاء نظمي يقع في عشرين بيتا، منه هذه الأبيات⁽²⁾:

قطب الزَّمان ونخبة الفضلاء وسلالة النجاء والعلماء
شيخ الجزائر حبرها وخطيبها وإمامها حقاً بغير مراء
تلميذكم ومحبكم بل عبدكم طلب الإجازة منكم بوفاء
بجميع ما تروونه عن والد أو غيره من سائر العلماء
في هذا الاستدعاء - كما هو واضح - يسأل أحمد أخاه محمد
قدورة إجازته رواية ما رواه عن والده سعيد قدورة وغيره من
العلماء، وإذا كنا لا نعلم شيئاً عن إستجابة الشيخ محمد قدورة
لهذا الاستدعاء، فالذي لا شك فيه هو إجازته له رواية بناء على
طلبه، ولأنَّه لم يكن من عادة العلماء رفض الإجازة بالرواية، كما
أنَّ أحمد قدورة كان من نجاء الطلبة.

ومن بين أشهر تلامذة الشيخ محمد قدورة الشيخ محمد بن
أحمد القسنطيني المعروف بابن الكنماد⁽³⁾، الذي ورد إلى مدينة

¹ - أبو العباس أحمد بن سعيد قدورة (1118هـ / أكتوبر 1706م): تولى الإفتاء بالجامع الأعظم سنة 1107هـ مكان أخيه محمد، واستمر في هذا المنصب إلى مقتله في التاريخ المذكور. نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص: 194

Devoulx ; Les Edifices Religieux, R. Af, N°: 10, Année : 1866,
pp: 290- 294.

² - محمد قدورة، «جليس الزائر وأنيس السائر»، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2600. ورقة: 28 و.

³ - أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني المعروف بابن الكنماد نزيل فاس (ت 1116هـ): أخذ بالجزائر عن علمائها، وانتقل إلى فاس واشتغل بالتدريس



الجزائر، ودرس على عدد من علمائها وأجازوه منهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن⁽¹⁾، والشيخ محمد ابن سعيد قدورة المذكور⁽²⁾.

فاما الأخير منهما فلا تفصح المصادر بما أجازه به، وأماما الأول فقد أجازه "صحيح البخاري": وقد أخذت صحيح البخاري رواية عن الشيفيين الإمامين سيدى محمد المقرى، وأبى عبد الله سيدى محمد بن الإمام الشهير الذكر الطيب الطيب النشر سيدى سعيد قدورة، دراية لبعضه عن الثاني، وإجازة عن العلامة الشريف سيدى محمد بن عبد المؤمن قاضي الجزائر⁽³⁾.

ومن العلماء المدرسين بمدينة الجزائر الشيخ محمد بن محمد المقرى التلمساني⁽⁴⁾ السابق الذكر، والذي روى عنه الكماماد القسنطيني صحيح البخاري⁽⁵⁾ وأجازه؛ ومن أبرز تلامذته أيضا

بها، وكانت له حظوة عند ملوكها. اليفرني، مخطوط «صفوة من انتشر»، ورقة: 164 ظ؛ القادرى، نشر المثانى، ج 3، ص: 155؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 329.

¹ - محمد بن محمد بن عبد المؤمن الحسنى (ت 1101هـ)؛ قاضي المالكية بمدينة الجزائر. نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص: 194.

² - محمد مخلوف، شجرة النور، ص: 329.

³ - محمد القادرى، نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر والثانى، ج 3، ص: 155.

⁴ - محمد بن محمد بن شقر ون بن أحمد التلمسانى: وردت في تاريخ وفاته رواياتان: 1084هـ و 1087هـ. أبو القاسم سعد الله، المفتى الجزائري: ابن العنابى رائد التجديد الإسلامى 1775-1850م. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: 1977.

ص: 15.

⁵ - محمد القادرى، المصدر السابق، ج 3، ص: 155.



الشيخ مصطفى بن رمضان العنابي الحنفي⁽¹⁾، الذي درس بعنابة، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر حيث لازم الشيخ محمد المقرى أكثر من إثنتي عشرة سنة، وما درسه عليه من الكتب الحديثية (شمايل الترمذى⁽²⁾ وصحىح البخارى)، التوحيد والمنطق، والأصول وعلم التصوف، ثم طلب منه الإجازة، فأجازه سنة 1087هـ/1676م⁽³⁾، هذه الإجازة التي يغلب على الظن أنها إجازة قراءة ورواية في الوقت ذاته، لأنها لازمه مدة طويلة ودرس عليه خلالها عدة فنون حتى تخرج عليه، وقد عُرف مصطفى بن العنابي بعلوم الفقه وبالتالي فيها، وانتصب هو الآخر للتدريس بمدينة الجزائر. ويُعدّ الشيخ علي بن عبد القادر المعروف بالأمين⁽⁴⁾ من أعيان العلماء في عصره، وقد قامت شهرته على العلم لا على إجاهه.

¹ - مصطفى بن رمضان العنابي (ت 1130هـ): من أصل تركي أو تركماني، كان مفتياً للحنفية بمدينة الجزائر. له تأليف منها: أرجوزة في الفقه الحنفي، وكتاب الروض البهيج بالنظر إلى أمور العزوبيه والتزويع. أبو القاسم سعد الله، الفتى الجزائري ابن العنابي، ص: 15. وقد ذكر المهدى البواعدلى بأنه توفي بالجزائر حوالي سنة 1135هـ الثغر الجمانى، ص: 75، هامش: 2.

² - الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى المعروف بالترمذى (297هـ): مؤلف الجامع الصحيح في الحديث أحد الكتب السة. ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج 4، ص: 278.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 14.

⁴ - علي بن عبد القادر بن الأمين الأندلسى الجزائري (1236هـ / 20-1821م): مفتى المالكية، درس على علماء الجزائر والمغرب ومصر. من مؤلفاته: رسالة في "أما بعد عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، تقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2000. ص: 150، 151؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 785؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 115.

والوظيفة⁽¹⁾، رغم توليه الإفتاء المالكي بمدينة الجزائر عدة مرات⁽²⁾، فيكون قد درس مدة طويلة بجامعها، وهو يروي عامه عن عدة شيوخ من المغرب والشرق، عدّهم في إجازته للسيد السنوسي الراشدي وهي مؤرخة بسنة 1189هـ / 1775م⁽³⁾، والتي نجدها في تفاصيل أخرى عنها.

ومن أشهر تلامذة الشيخ ابن الأمين بمدينة الجزائر الشيخ محمد بن محمود المعروف بابن العنابي⁽⁴⁾؛ الذي تمعن بمكانة مرموقة في المدينة لدى العامة والخاصة، وتولى بها مناصب رفيعة⁽⁵⁾. وقد

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 38.

² - تولى منصب الإفتاء المالكي 6 مرات هي: 1 (1206هـ / 1792م)، 2 (رجب 1207هـ / 1793م)، 3 (1208 إلى 1210هـ / 1793 - 1796 م)، 4 = (1213 - 1226هـ / 1798 - 1811م)، 5 (1230 إلى 1232هـ / 1815 إلى 1817م)، 6 (1233 إلى 1235هـ / 1818 إلى 1820م).

Devoulx ; "Les Edifices Religieux, R. Af, N° : 10, Année : 1866,
pp: 376- 377.

³ - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 785.

⁴ - محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد أفندي نزيل الإسكندرية (1189- 1267هـ)؛ درس على علماء مدينة الجزائر، وتولى كعدد من أسلافه الفتوى الخفية بها بالإضافة إلى القضاء، كما كان متولياً وظيفة نقيب أشراف مكة والمدينة. من مؤلفاته: السعي المحمود في تأليف الجنود وثبت الجزائري. أحمد الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (1754- 1830م)، ترجمة: أحمد توفيق المدنى. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط2)، 1980. ص: 97، 127، 182؛ أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي، ص، ص: 14، 26؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 185.

⁵ - ل和他的 كلفه الداي أحمد باشا بسفارة إلى المغرب الأقصى لدى السلطان المولى سليمان. الزهار، المصدر نفسه، ص: 127.

روى الشيخ محمود بن العنابي عن شيخه ابن الأمين صحيح البخاري سمعاً لبعضه، وإجازة لباقيه بسند عال⁽¹⁾ إلى مؤلفه⁽²⁾ وروى عنه أيضاً "ثبت الجوهرى" بالإجازة، وقد تأثر ابن العنابي بأستاذه حتى قلدته في منح الإجازات لكل من أدرك حياته⁽³⁾، وتعرف هذه الإجازة بالإجازة للعموم.

ويعتبر العلامة الأديب أحمد بن عمّار⁽⁴⁾ من نوابع الأدباء بعصره، فقد تصدّى - هو الآخر - للتدرّيس بمدينة الجزائر وخاصة بجامعها الأعظم الذي تولى الفتوى المالكية به مرتين وكان الشيخ محمد أبو رأس الناصري⁽⁵⁾ ممن درس عليه. وقال مادحاه

¹ - الإسناد العالى: في الاصطلاح هو الحديث الذى قلل عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعدد أكثر، فهو الذى علا بمعنى ارتفاع للقرب منه عليه الصلاة والسلام. السيوطي، الفقى السيوطي فى علم الحديث، شرح: أحمد بن محمد شاكر. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر. ص- ص: 191-200.

² - أبو القاسم سعد الله، المفتى الجزائري ابن العنابي، ص: 116.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافى، ج 2، ص: 38.

⁴ - المفتى المالكى أحمد بن عمّار: ولد حوالي سنة 1119هـ وعاش إلى ما بعد 1205هـ، درس على الشيخ محمد بن محمد المعروف بابن علي. له عدة مؤلفات منها: لواء النصر في فضلاء العصر، وخلة الحبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الحفناوى تعريف الخلف، ج 2، ص: 89، 90؛ الكتانى، فهرس الفهارس، ج 1، ص، ص: 121، 122؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافى، ج 2، ص: 230؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 31.

⁵ - محمد بن أحمد بن عبد القادر العسكري (1150-1238هـ / 1823م): تولى الإفتاء فترة ثم عزل منه عام 1217هـ / 1802م. انتقل إلى العديد من البلدان، واتصل بعلمائها كفاس، وتونس ومصر والشام وفلسطين. ترك عدد كبير من المؤلفات في علوم مختلفة في السير والتاريخ منها: درة الشقاوة في حروب درقاوة، زهرة الشماريخ في علم

بأنه رحل إلى المشرق "بعدما أخرج بالجزائر الأساتيد من التلاميذ والفقهاء النحارير والعلماء الجماهير"⁽¹⁾، ولكن رغم شهرة ابن عمار الأدبية والفقهية، وتدريسه إلا أنه لم يحضر بالقدر الكافي في مصادر الترجم، ولهذا فليس من الصواب الحكم بأنه لم يُجز أحداً من طلبة العلم الجزائريين.

وقد كان الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش من تلمذ عليه، وذكر سعيدوني في سياق ترجمته لهذا الأخير بأنه أجيزة من طرف العديد من العلماء؛ الذين اتصل بهم داخل الجزائر وخارجها ففي الجزائر اتصل بالفتى ابن عمار، وبالشاعر ابن علي، وبأحمد البوني⁽²⁾. فهل يعني أن هؤلاء الثلاثة أجازوه كلهم أو بعضهم؟ هذا ما لم تكشف عنه المصادر.

ونظراً لما حظيت به مدينة الجزائر من علماء أعلام، فقد تطلع كل عالم جزائري للأخذ عنهم، وذلك ما أفصح عنه الشيخ

التاريخ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، وعدة شروح على قصيدة الحلل السنديسية في شأن وهران والجزيرة الأندلس". الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 342.

G.Faure- biguet," Notice sur le Cheikh Mohammed Abou Ras". Journal Asiatique,(Septembre- Octobre), 1899, Série 9, Tome 14.Paris:Imprimeri national, p p : 304- 321.

¹ - محمد أبو راس، فتح الإله ومتنه في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990. ص: 92.

² - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1999. ص: 432.

محمد بن علي السنوسي⁽¹⁾ مؤسس الطريقة السنوسية في فهرسته "المسماة" بالشموس الشارقة فيما لي من أسانيد المشارقة والمغاربة" بقوله: كان أرغم شيء إلى الرحلة إليهم (أي لعلماء مدينة الجزائر) والأخذ عنهم، ولم تساعد الأقدار لذلك "، فلما من الله عليه بلقاء صاحبه، وشيخه أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزيري⁽²⁾، اكتفى بالأخذ عنهم بواسطته.

وقد قال ابن السنوسي متحدثاً عن سند شيخه المذكور والذي أجازه به: وهو يروي عن أعلام أفضل أئمة أمثال من أهل بلده من أجلهم الشيخ محمد بن جعدون، والشيخ ابن مالك والشيخ ابن الأمين، والشيخ ابن الشاهد، والشيخ ابن الحفاف وغيرهم من أهل بلده، إلى أن قال: "فاستجازنا (أي أحمد الجزيري)

¹ - أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي المستغاني (202هـ / 1787م - 1276هـ / 1859م): تلمذ على علماء الجزائر، وفاس، ومن شيوخه في التصوف أحمد التيجاني. تنقل في عدة بلاد إسلامية، وبني زوايا بالشرق، وفي مدة وجيبة اكتسحت الطريقة السنوسية معظم بلاد اليمن وال العراق والحرجاز، وفي سنة 1273هـ بني زاوية الجبوب، وأقام فيها إلى وفاته. له عدة مؤلفات منها: بغية المقاصد، والدرر السننية في أخبار السلالة السنوسية. محمد بن عثمان الحشائحي، الرحلة الصحراوية، ترجمة وتعليق: محمد المرزوقي. تونس: الدار التونسية للنشر - المطبعة العربية، 1988. ص - 84 - 85؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص - ص: 1040 - 1043؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص - ص: 168 - 170؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج 3، ص: 514.

² - يغلب على الظن اسمه "الجزيري"، لأنَّ الجزائري كانت تطلق على سكان مدينة الجزائر.



وأجازنا بما له، وعنه بحق أخذه عنهم وإجازتهم له⁽¹⁾. فهذه إجازة روایة بين الأقران، فهي إذن "تدبيج".

وهكذا فقد كانت رغبة الشيخ محمد بن علي السنوسي أخذ سند علماء مدينة الجزائر لكتابهم، وكل هؤلاء العلماء الذين عدّهم ابن السنوسي من مشاهير العلماء.

من خلال هذا العرض لبعض من حظيت إجازاته بذكر في المصادر من علماء مدينة الجزائر، يتبيّن أنَّ ذلك القدر اليسير من الاهتمام الذي حظيت به الثقافة في المدينة بعد اتخاذها دار السلطان، وتوفّرها على الوظائف الدينية العليا كالقضاء والإفتاء، جعلها تستقطب عدد كبير من العلماء والطلبة. فقلما نجد عالماً جزائرياً لم يدرس آنذاك على علمائها، وبهذا تحولت من مجرد مدينة ساحلية في العهود السابقة إلى حاضرة ثقافية، وعاصمة للإيالة الجزائرية في العهد العثماني.

ولئن كانت مدينة الجزائر تجمّع عدداً كبيراً من العلماء، فإنَّ عدداً من المدن الأخرى جمعت في مساجدها ومدارسها حلقات علم ورجال معرفة، من أشهرها مدينة قسنطينة.

¹ - المهدى البواعدي، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص: 201.

ثالثاً. إجازات علماء منطقة الشرق الجزائري

- إجازات علماء مدينة قسنطينة:

تُعد مدينة قسنطينة⁽¹⁾ أهم الحواضر الثقافية بالشرق الجزائري، فقد ورثت رصيده ثقافياً قوياً عن العهد الحفصي، ولم تفتقده بدخول العثمانيين إليها، وهي من أكثر المدن عنابة بالمؤسسات التعليمية، فكانت على هذا العهد مبعث نور الجزائر وهو ما ذهب إليه المؤرخ بول غافاريل (Paul Gaffarel) قائلاً بأنها كانت: "عاصمة دينية، وكان العلماء يتمتعون فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنها كانت غاصةً بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدينية والأخروية"⁽²⁾ وهذا القول قد يتعارض مع ما ذهب إليه شاهد العصر في المدينة الشيخ عبد الكريم الفكون⁽³⁾؛ الذي قال في مناسبة تأليفه "لنشرور الهدایة"

¹ - سيطر خير الدين على قسنطينة سنة 929هـ / 1522م ووضع بها حامية عسكرية تمكن قادتها من زبط صلات حسنة مع الشيخ الفكون، الذي كان له دور كبير في تمهيد المدينة للعثمانيين، ولما قسمت الجزائر إدارياً جعلت قسنطينة مركز بايليك الشرق، وعين أول بياتها وهو رمضان توشلاق في سنة 975هـ / 1567م. العنترى محمد الصالح فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة، تقديم وتعليق: يحيى بوعزيز. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991. ص - 27-30.

² - محمد بن عبد الكريم، مقدمة التحقيق التحفة المرضية لابن ميمون، ص: 52.

³ - أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحيى الفكون القسنطيني (988-1073هـ / 1580-1662م): أخذ عن والده، وعن أبي زكريا يحيى بن سليمان الأوراسي، والتواتي المغربي وغيرهم. ترك العديد من التصانيف منها: فتح اللطيف في الصرف، وسربال الردة في القراءات، ومحمد السنان في تحريم الدخان

بأنه صَفَّهَ بعْدَمَا رأى "سحائب الجهل قد أطلت، وأسواق العلم قد كَسَّدت، فصار الجاهل رئيساً، والعالم في منزلة يدعى من أجلها خسيساً".⁽¹⁾

ورغم حملة هذا الأخير على من ادعى العلم والولاية في عصره، فإنَّ الحياة العلمية بقسطنطينية كانت في وضعية حسنة، ولعله كان مدفوعاً إلى هذا القول بضعف العارضة العلمية لدى معاصريه من علماء القرن الحادى عشر الهجري (17م)، أو لتنافسهم على المناصب الشرعية، وعدم مراعاتهم لها حُرمة لأنَّهم غير أهل لها في نظره⁽²⁾، وهذا عذر في الكتاب المذكور جملة من العلماء الذين تولوا المناصب الدينية في قسطنطينية أو تصدروا للتدرис بها، وانتقدتهم نقداً لاذعاً وأبدى سخطاً كبيراً على بعضهم⁽³⁾.

وغيرها. العياشي، الرحلة العياشية، ج 2، ص: 390؛ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: داعية السلفية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1) سنة 1986. ص: 58.

¹ - عبد الكريم الفكون، منشور الهدایة في كشف حال من ادعى العلم والولاية ص ص: 31، 32.

² - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: داعية السلفية، ص: 33.

³ - انتقد الفكون جملة من العلماء الذين تولوا المناصب الدينية، وتصدروا للتدرис بقسطنطينية كأبي عبد الله محمد الزواوي الملقب بالفقير، وأبو الحسن علي بن محمد بن حسن، ومحمد بن نعمون الذي وصفه بأنه "كان بليداً لا يحسن ما قرأه ولا يتقنه" وغيرهم واستثنى بعضهم كشيخه أبي عبد الله محمد بن مزيان التواتي المغربي. منشور الهدایة مواضع متفرقة.

هذا، وقد كانت حلقات الدروس العليا تعقد في مساجد المدينة، وهي كثيرة جداً أهمها الجامع الأعظم⁽¹⁾، إلى جانب انعقادها في الزوايا والمدارس، فقد انتشرت الزوايا في قسنطينة بعضها تحت رعاية الطرق الصوفية، وبعضها تحت رعاية العائلات الكبيرة في المدينة كعائلة الفكون، عائلة ابن نعمون، وعائلة ابن باديس⁽²⁾. أمّا المدارس فهي معدودة أشهرها مدرسة عائلة الفكون⁽³⁾، والمدرسة الكتانية التي أنشأها صالح باي⁽⁴⁾، وأخضاعها لنظام داخلي دقيق، وعهد بمهمة التعليم فيها لمدرس خصص له راتباً سنوياً، وألزمـه بعقد ثلاثة دروس في اليوم⁽⁵⁾.

ونتيجة لهذا الانتعاش الذي عرفته الحياة الفكرية بقسنطينة خلال العهد العثماني؛ بـرـز فيها العـدـيد من الأسر العلمـيـة في مقدمتها أسرة الفكون، أسرة ابن مؤمن، وأسرة ابن الكـمـاد

¹ - بـنـيـ الجـامـعـ الأـعـظـمـ سـنـةـ 430ـ هـ، وـيـقـعـ فـيـ القـصـبةـ بـمـكـانـ يـسـمـيـ الـبـطـحـاءـ، وـكـانـ إـمامـهـ يـعـينـ مـنـ طـرـفـ الـبـايـ، وـهـوـ مـسـؤـولـ عـنـ جـمـيعـ مـوـظـفـيـهـ، كـمـاـ تـوـكـلـ إـلـيـهـ مـهـمـةـ إـدـارـةـ أـوـقـافـ الـمـسـجـدـ. الفـكـونـ، مـنـشـورـ الـهـداـيـةـ، صـ: 36ـ، هـامـشـ: 6ـ؛ Ernest mercier, Histoire de Constantine. Constantin, 1903. pp 216, 225.

² - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص: 29.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 36.

⁴ - تولى صالح باي بن مصطفى الحكم في قسنطينة بين سنتي (1771-1792م) وعرف بتقربه من العلماء واهتمامه بالتعليم، وهذا بني هذه المدرسة الواقعة بجوار جامع سيدى لخضر، وهي تشتمل على مسجد وخمس غرف واحدة للمدرس، وأربعة للطلبة الشامية المجاورين بالمدرسة. توفيق المدنـيـ، محمد عـثـمـانـ باـشاـ دـايـ الـجـزاـئـرـ، صـ: 134ـ.

⁵ - أحمد توفيق المـدنـيـ، المرجـعـ نفسهـ، صـ، صـ: 134ـ، 135ـ.

وغيرها، واشتهر بها جملة من العلماء من أكثرهم شهرة: الشيخ عمر وزان⁽¹⁾، ولهذا قال ارنست مارسي بأنها حافظت خلال القرن العاشر الهجري (16م) على شهرتها كمركز معرفي، وقد هيمن الوزان على هذه المدرسة التي تركت إرثًا معرفيا لا تزال تلمس آثاره⁽²⁾.

ولِنَسْتَدِلَّ على بروز مدينة قسنطينة كحاضرة علمية، يكفي أن نشير إلى أنها كانت طيلة العهد المدروس قبلة لطلبة العلم من مختلف مناطق الجزائر، ومن بلدان المغرب الإسلامي⁽³⁾. ومن أبرز الواردین عليها من المغرب الأقصى العلامة محمد اليسيني⁽⁴⁾ الذي دخلها سنة 928هـ / 1521م، ودرس على علمائها كالشيخ عمر

¹ - أبو حفص عمر الأنباري المعروف بالوزان (ت 965هـ / 1557م): كان قمة في جميع العلوم المتداولة في عصره، ولهذا وصفه الفكون بشيخ الزمان وياقوتة العصر. (منشور المداية، ص - 35 - 37). كما وصفه المنجور بقوله: كان هذا الرجل آية الله يهرب بها العقول في تحقيق المعقول والمنقول. وقد أخذ عليه بعض علماء المغرب كالشيخ أبي زكريا يحيى الزواوي. فهرس المنجور، ص، ص: 31، 32.

² - Ernest mercier, Histoire de Constantine, p : 208.

³ - ذكر الفكون بعض الواردین عليها خلال القرن 11هـ منهم: إبراهيم الفلاري التونسي (ت 1039هـ)، ومحمد بن مزيان المغربي التواتي، وأبو عبد الله محمد السوسي الفاسي. منشور المداية، مواضع متفرقة مثلا: ص، ص: 58، 72، 110.

⁴ - محمد بن عبد الرحمن اليسيني (ت 959هـ): قرأ على علماء المغرب والشرق، وعلى علماء قسنطينة كالشيخ محمد العطار الذي قرأ عليه طوالع = اليسيني وكان مختصا بها. أحمد بن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحر: محمد الأحمدي. القاهرة: دار التراث - تونس: المكتبة العتيقة. (ط1)، 1971. ج 1، ص: 246؛ المصدر نفسه، ج 2، ص: 202.

الوزان، وقرأ على هذا الأخير الأصلين والبيان وغيرها⁽¹⁾، كما دخلها من تونس الشيخ أحمد بن مصطفى برناز التونسي⁽²⁾ ودرس بها على الشيخ بركات بن باديس، والشيخ علي الكمام والشيخ عبد اللطيف الكمام⁽³⁾.

ويُعدّ الشيخ عبد الكريم الفكون أشهر العلماء المدرسين بها خلال القرن الحادي عشر الهجري، وقد تعلم على علماء قسنطينة فقط، إذ لا تذكر المصادر أنه ذهب إلى أي وجهة غيرها لطلب العلم، وقد أنسنت إليه الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم خلفاً لوالده الشيخ محمد بن عبد الكريم عام 1045هـ/1635م ثم عُهد إليه بقيادة ركب الحج⁽⁴⁾ فظل يتولاه إلى وفاته.

أما التدريس فقد تصدى له منذ صغره بإذن من والده فتخرج عليه عدد كبير من طلبة العلم من مدينة قسنطينة، ومن عنابة وزواوة، و مليانة ومدينة الجزائر، وغيرها، واشتهر بنبوغه في علم النحو الذي أخذه منذ صغره على الشيخ التواتي المغربي⁽⁵⁾

¹ - المنجور، فهرس أحمد المنجور، ص، ص: 31، 32.

² - أحمد بن مصطفى برناز (ت 1138هـ/1726م): من أبرز فقهاء الحنفية في عصره تولى التدريس في عدة مدارس. من مؤلفاته: الشهب المحرقة. محمد محفوظ، معجم المؤلفين التونسيين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1994. ج 1، ص: 92.

³ - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتحات آل النعمان، ص: 231.

⁴ - Ernest mercier, Constantine au 17^{eme} siècle «élévation de la famille el fagoun»; recueil de Constantine . volume: 9, série 2 ; 1878; pp: 225-237.

⁵ - استقر مدة بقسنطينة وتصدى للتدريس بها، ثم انتقل إلى تونس فتوفي بها سنة 1031هـ/1621م. الفكون، منشور الهدایة، ص- ص: 57 - 59.

ولهذا كثُر المُتخرجون عليه في علم النحو وتواضعه، وكان يُدرّسهم فيه أُلفية ابن مالك بشرحها للمرادي⁽¹⁾، وبشرح المكودي عليها⁽²⁾، إلى جانب تدريسه لعلوم أخرى كعلم الكلام والحديث الشريف⁽³⁾.

ونظراً لتفوق الفكون في علوم كثيرة، فقد درس عليه بعض أقرانه من العلماء كالشيخ أبي عمران موسى الفكريين (ت 1054هـ/1644م) الذي تصدَّى للتدرُّيس بقسطنطينة، ثم انضمَّ مدة إلى حلقة الشيخ عبد الكرييم الفكون فأخذ عليه: ابن الحاجب، وعقائد الشيخ السنوسي في علم الكلام⁽⁴⁾، وألفية ابن مالك في النحو⁽⁵⁾. وقد اشتهر هذا الأخير بتدرُّيس "ابن الحاجب"

^١ - حسن بن قاسم المرادي المراكشي (ت 749هـ): كان إماماً في العربية. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تج: محمد سيد جاد الحق. القاهرة: مطبعة محمد علي صبح المدنى، (ط2)، 1966. ج 2، ص: 116، 117.

^٢ - عبد الرحمن بن صالح المكودي (ت 807هـ): أحد أعلام النحاة بفاس. له نظم في التصريف وشرح على مقدمة ابن آجريوم وغيرها. أحمد بن القاضي، جدة المقتبس. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقه، 1974. ج 2، ص: 403.

^٣ - مواضع متفرقة من منشور المداية، مثلًا الصفحات: 93، 94، 95، 114، 174.

^٤ - محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (ت 895هـ): من أشهر المؤلفين في علم الكلام في العالم الإسلامي، وشتهرت تصانيفه فيه وهي: الكبرى المسماة بعقيدة التوحيد، والعقيدة الوسطى، والصغرى، وعقيدة المختصر أصغر من الصغرى والمقدمات المبينة لعقيدته الصغرى. ووضع لكل من هذه العقائد الخمس شروح؛ وله أيضاً تأكيل عديدة في علوم أخرى في مقدمتها القراءات القرآنية. ابن مرريم، البستان ص- ص: 238-248.

^٥ - عبد الكرييم الفكون، المصدر السابق، ص: 93.

وهو أحد المؤلفات التي درسها على الفكون، وكثير اعتماده بكتاب "التوضيح على ابن الحاجب" و"كانت له قوة دراية به وبأبحاثه" حسب الوزير السراج، الذي قال بأنّ موسى الفكيرين "آخر مدرس في ابن الحاجب في قسنطينة، لم يدرس فيه أحد البتة"⁽¹⁾ ومع ما في هذا الحكم من مبالغة فإنه يعني بدون شك اشتهره بتدرис هذا الكتاب.

إن المُتخرجين على الفكون كثُر، ومع ذلك لا تذكر المصادر المتداولة إلا عددا قليلاً مِنْ إجازتهم، وللإشارة فإنه عُرف بشدة في منح الإجازات الصوفية والعلمية على حد سواء، وهذا انتقد الشيخ سالم السنهوري المصري على إجازته للشيخ علي بن داود الصنهاجي القسنطيني⁽²⁾، كما رفض إجازة العياشي في الطريقة الزروقية⁽³⁾ سنة 1064هـ / 1653م مكتفيا بإجابته بقوله:

¹ - الحال السنديسة، ج 2، ص: 248.

² - لم يكن الفكون يراه مؤهلاً لاستحقاق الإجازة، ولهذا رفض إجازة سالم السنهوري له. الفكون، منشور المداية، ص، ص: 92، 93.

³ - تسبب الطريقة الزروقية لمؤسسها أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرئي الفاسي الشهير بزروق، (846-899هـ): عرف بجودة تأليفه في التصوف منها: شرحان على حزب البحر، وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وشرح مشكلاته، وكتاب القواعد في التصوف. أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص، ص: 130-133؛ ابن مريم، البستان، ص: 46.



إني أقول لك كما قال الإمام الشاذلي⁽¹⁾ - رضي الله عنه - لك
ما لنا من الخدمة، وعليك ما علينا من الرحمة⁽²⁾.

والواقع أن تشدد الفكون في منح الإجازة ليس مبررا كافيا
لقلة إجازاته لتصديه للتدريس مدة طويلا⁽³⁾، تخرج عليه خلاها
عدد كبير من الطلبة، فلا بد أن يكون من بين هؤلاء الطلبة
والعلماء الكثير من هم مؤهلين للإجازة. وعليه يمكن أن يعوز
السبب إلى قلة المادة العلمية في التاريخ الفكري لقسطنطينة، ومن
بين المصادر المعدودة المتداولة "منشور الهداية"، ونظرا لأنه وضع
أساساً هدف إصلاحي، فلم يتعرض مؤلفه لإجازات العلماء
المترجم لهم، حتى العلماء الذين أعجب بهم كالشيخ عمر الوزان،
ووجهه عبد الكريم الفكون.

والإجازة الوحيدة التي حظيت بالذكر في الكتاب المشار إليه
- بعد تلك التي انتقد صاحبها على منحها - هي إجازته لتلميذه

¹ - تنسب إليه الطريقة الشاذلية وهو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي مغربي الأصل (591-656هـ / 1190-1258م) نزيل الإسكندرية. من تصانيفه الاختصاص من القواعد القرآنية. السيوطي، حسن المعاشرة، ج 1، ص: 427 كحالة، معجم المؤلفين، ج 2، ص: 467، 468.

² - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج 2، ص: 390، 391. كان الفكون في هذه الفترة حسب العياشي في "غاية الانقباض، والانتزوء عن الخلق، ومحابية أهل الرسوم"، فربما يكون لانقطاعه إلى لتصوف علاقة برفضه إجازة العياشي.

³ - عمر الفكون حوالي خمس وثمانين سنة، قضى أغلبها في التدريس. وقد كان العالم لا يمنح الإجازة إلا إذا كان عالما كبيرا، اشتهر بعلمه ويتلامذته، وبعملية حسابية نجد مدة تدريسه التي تأهل فيها لمنح الإجازة أزيد بكثير من ربع قرن، وهي مدة كافية لأن يحيى عددا كبيرا من العلماء.



الشيخ أبو الحسن علي بن عثمان الشريف، الذي ورد عليه من جبل زواوة حوالي سنة 1028هـ / 1618م، فقرأ عليه المكودي والمرادي، ولما ظهر منه من نجابة في العربية أجازه، ووصف الفكون المستوى الذي أصبح عليه تلميذه المذكور بقوله: "لم يكن معه قبل قراءته شيء يعتد به من العربية، فلم ينصرف من عندي إلا وهو نحيب فيها فأجزته بعد طلبه⁽¹⁾، فهي كما يبدو إجازة قراءة في علم النحو، تحصل عليها صاحبها عن جدارة واستحقاق لما بلغه في العربية. ولكن على الرغم من إشادة الفكون بتلميذه المذكور، لم يورد نص الإجازة ولا مقطوع منها.

ومن أشهر تلامذة الشيخ الفكون، وأبعدهم صيتاً الشيخ أبو مهدي عيسى الشعالي، الذي درس عليه في الفترة الممتدة بين (1045-1061هـ / 1635-1650م)، السنة الأولى سنة تأليف منشور الهدایة، ولم يذكره فيه من جملة تلامذته، والثانية سنة رحيل الشعالي إلى الشرق. ومن المرجح أن يكون قد أخذ عليه في قسطنطينة لا في غيرها، إذ لا يُعرف من سيرة الفكون الذاتية أنه استقر بمدينة غير قسطنطينة، كما أنَّ الوظائف التي أوكلت إليه بهذه المدينة، قد تكون سبباً في منعه من التردد على أي مدينة غيرها⁽²⁾.

وقد قرأ عليه بعض كتاب الموطأ للإمام مالك والصحابيين (البخاري ومسلم) والسنن الأربعية (سنن أبي داود

¹ - عبد الكريم الفكون، منشور الهدایة، ص: 207.

² - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص: 90.

والنسائي⁽¹⁾، والترمذى، وابن ماجة، وطرفًا من "الأحكام الصغرى" لعبد الحق الإشبيلي⁽²⁾، والشفا للقاضي عياض والشهاب القضاعي⁽³⁾، وبعضا من رباعيات ابن عوانة، ومن أصول السلمي لزروق، وأجاز له باقي الكتب المذكورة، كما قرأ عليه كتابا أخرى مثل، "غنية الواقف لعبد الرحمن الثعالبي"⁽⁴⁾. كما ترك عيسى الثعالبي مروياته عن شيخه الفكون مسجلة في ثبته المسما "كنز الرواة"⁽⁵⁾.

والملاحظ أن الثعالبي لم يتم قراءة بعض الكتب على الفكون، ولجأ شيخه إلى إجازاته بباقيها "إجازة رواية"، لتدارك النقص الذي قد يلحق بالمتعلم لعدم قراءة كل الكتاب، وهذا ما

¹- الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي النسائي (215-303هـ): من أشهر مؤلفاته: كتاب السنن أحد الصحاح الستة. ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج 1 ص: 77.

²- الأحكام الصغرى في الحديث لابن الخرّاط عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي، المعروف بابن الخرّاط الإشبيلي المالكي (510-582هـ). حاجي خليفة، كشف الظنون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999. ج 5، ص: 410.

³- محمد بن سلامة بن جعفر الشافعى المصرى المعروف بالقضاعي (ت 454هـ): له أمالى فى الحديث. البغدادى، هدية العارفين. طهران: مكتبة الإسلامية والجعفرى تبريزى، 1947. ج 2، ص: 71.

⁴- العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلوف الثعالبي الجزائري (ت 875هـ / 1471م): له مؤلفات عديدة أشهرها: الجوادر الحسان في تفسير القرآن. أما عنية الواقف فلم يذكرها أحد من ترجموا له، ولعل المؤلف يقصد فهرسته المسماة بـ"غنية الواقف وبغية الطالب الماجد". أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 257؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 733؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 90.

⁵- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص: 91.

تُعارف عليه بين العلماء، ولكن ما عُرف عن الفكون من تشدد في منح الإجازات، يجعلنا نجزم بتمكن الشعالي من هذه الكتب وبقراءتها على شيوخ غير الفكون، ولو لا ذلك لما قرأ على شيخه بعضها، وأجازه بالباقي.

ولما كان الفكون من علماء السنة المتصوفة فهو شاذلي زروقي؛ فلم يفت الشعالي أن يأخذ عليه علم التصوف (علم الباطن) كما أخذ عنه علم الظاهر، فعرض على شيخه "الوظيفة الزروقية" وـ"حزب البحر" لأبي الحسن الشاذلي، وكلاهما عمل يضم مبادئ الطريقتين الأصلية الشاذلية، والفرعية الزروقية، ولقى الفكون تلميذه الشعالي الذكر وهو كلمة الإخلاص، وألبسه الخرقه الصوفية⁽¹⁾.

ومن أشهر تلامذة الفكون أيضاً الشيخ يحيى الشاوي الملياني والغالب علىظن أنه تلمذ عليه بعد سنة 1045هـ / 1635م لأنّه لم يذكره في "منشور المداية" من جملة تلامذته، وبالرغم من شهرة الشاوي في عصره، فلا تذكر المصادر المتوفرة ما الذي أخذه عن شيخه الفكون، فهو لم يترك مروياته عنه مسجلة كما فعل الشعالي في كتابه "كنز الرواية"⁽²⁾. ويذهب عبد الرحمن الجيلالي إلى أنّ الفكون أجاز يحيى الشاوي⁽³⁾، هذه الإجازة التي لا يُعرف عنها شيئاً شأنها شأن قراءته عليه.

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 91.

² - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص، ص: 92، 93.

³ - تاريخ الجزائر العام، ج 3، ص: 173.

ومن العلماء المدرسين بقسطنطينة أيضاً: الشيخ محمد بن علي القسطنطيني⁽¹⁾، ومن تلامذته الشيخ شعبان بن عباس المعروف بابن عبد الجليل القسطنطيني، الذي لازمه سنين عديدة، أخذ عليه فيها مؤلفات عدّة منها: "صحيح البخاري" و"الفية ابن مالك"، وختصر خليل، و"الفية العراقي" في علوم الحديث⁽²⁾، و"المحلى" في الأصول⁽³⁾ و"صغرى السنوسى"، بالإضافة إلى الفلك، وقد أجازه عامة بعد سنة 1139هـ / 1726م⁽⁴⁾.

وهكذا فعل الرّغم من انتعاش الحياة الفكرية بقسطنطينة خلال العهد العثماني، وتخرج عدد كبير من العلماء على كبار مدرسيها، فلم تُسعِفنا المصادر بإحصاء أكثر من أربعة إجازات علمية، وهو أمر يدعو إلى القول بأنّها أقل بكثير من مستوى المدينة، ذلك لأنّ تراثاً خطوطاً كثيرة بها تلف بفعل عوامل مختلفة في مقدمتها الاحتلال الفرنسي.

¹ - الفتى محمد بن علي الجعفري القسطنطيني البوبي الأصل، من تلامذة الشيخ أحمد ساسي البوبي. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 43.

² - الحافظ الشافعي زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المولود بالقاهرة والمعروف بالعرّاقى (725-806هـ): من مؤلفاته الألفية في الحديث، وشرحها. السيوطي، حسن المعاشرة، ج 1، ص: 307.

³ - شرح جمع الجوامع للسبكي في الأصول لجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد (791-864هـ): اشتهر بال محلى نسبة إلى محلى ضواحي مصر. أحمد بن القاضي، درة المجال، ج 2، ص: 243، 244؛ السيوطي، المصدر السابق، ج 1، ص: 371.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ج 2، ص: 42.



- إجازات علماء منطقة زواوة:

لم تكن حلقات الدروس العليا حكراً على الحواضر الثقافية بل حظيت بعض المناطق الريفية بقسط وافر من هذه الدروس وتأتي في مقدمتها منطقة زواوة، التي شهدت حركة فكرية نشطة بدأة من القرن العاشر الهجري (16م) لعاملين أساسين هما:

1- سقوط مدينة بجاية⁽¹⁾ على يد الإسبان، وخروج سكانها إلى المناطق الداخلية؛ من بينهم العلماء، ومن المعلوم أنها كانت أحد مراكز الثقافة الكبرى في الجزائر طيلة العهود السابقة للعهد العثماني.

2- تحول الزوايا المرابطية بالريف الزواوي إلى معاهد للتعليم وقد سهلت هذه المباني الجاهزة مهمة سرعة انتشار التعليم، ولم تتطلب وقتاً طويلاً لانطلاقها، فقصدتها طلاب العلم من جهات مختلفة حتى من المدن لمزاولة دراستهم بها⁽²⁾، وبالأخص في علم القراءات لاشتهر زواوة بهذا العلم.

ومن بين الزوايا التي أخذت على عاتقها مهمة التعليم في هذه المنطقة: زاوية سيدي علي بن يحيى بذراع الميزان؛ الواقعة وسط جبال جرجة، والتي تأسست في القرن التاسع الهجري

¹ - سقطت مدينة بجاية في يد الإسبان في شهر رمضان سنة 916هـ / جانفي 1510م وتمكن صالح رais من افتتاحها من أيديهم في سنة 963هـ / جوان 1555م. العنتري فريدة منسية، ص: 29؛ توفيق المدنى، حرب الثلاثمائة سنة، ص - ص: 343 - 348.

² - محمد سي يوسف، "نظام التعليم ببلاد زواوة"، ص: 194.

(15م)، وزاوية عبد الرحمن اليلولي (ت 1005هـ / 1694م) المشهور في المنطقة بإتقانه الرواية القرآنية بالقراءات السبع والعشر⁽¹⁾. وقد اشتهرت في الحقبة التي ندرسها عدد من الزوايا، تحدث الرحالة الإنجليزي شو (Shaw) عن بعضها قائلاً بأنَّ جماعة الصهريج ببلاد القبائل يدرس بها خمسماة من الطلاب، وتتولى الإنفاق عليهم⁽²⁾، كما أنَّ زاوية نقاوس تنفق على مائتي طالب⁽³⁾. وبالإضافة إلى هذه الزوايا كان طلبة زواوة يتوجهون خارجها، وبالأخص إلى قسطنطينة أين كانوا يتلقون على أجراء العلماء بها، ثم يعودون إلى بلادهم لزاولة التدريس بها، كالشيخ محمد البهلوبي، والقاسم بن يحيى، والشيخ علي ابن عثمان الشريف، الذين درسوا النحو على الفكون في قسطنطينة، ثم عادوا إلى بلادهم، وقد أخبر الفكون عن الأخير منهم قائلاً: "وهو الآن صاحب درس عظيم على ما بلغني... وصار يطعم الطلبة من عنده"⁽⁴⁾.

وما يدل على مكانة منطقة زواوة العلمية، هو إقبال الطلبة عليها من داخل الجزائر وخارجها للتلذذ على مشائخها، خاصة

¹ - محمد سي يوسف، المرجع نفسه، ص: 203.

² - Shaw, L 'Algérie un siècle avant l'occupation française , p: 195.

³ - Ibid, P: 219.

⁴ - عبد الكريم الفكون، منشور المداية، ص: 207.



في علم القراءات⁽¹⁾، فقد ارتحل إليها نزيل قسنطينة الشيخ النحوي أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي المغربي، وتتلذم في القراءات السبع على الأستاذ أبي محمد عبد الله أبي القاسم، حيث أقام عنده حوالي سنة، ثم عاد إلى قسنطينة⁽²⁾ وقد حصلت له ملكة عظيمة، ومعرفة تامة بعلم القراءات⁽³⁾، كما أقام بها الشيخ إبراهيم الجمني التونسي⁽⁴⁾ ست سنوات،قرأ خلاها على علمائها كالشيخ محمد السعدي، ومحمد المغربي، وأبو القاسم القاضي⁽⁵⁾. وأخذ بها أيضاً الشيخ أحمد برنار التونسي عن مشايخ أجلة منهم: الشيخ عبد القادر بن الموهوب، الشيخ أحمد بن مزيان الزواوي، كما قرأ القرآن العظيم بالسبعين عن الأستاذ محمد بن صولة، وأخذ عن الشيخ أحمد البصير البرغوثي، الذي أجازه في أوراد لقنه إياها⁽⁶⁾.

¹ - ما يشير الاستغراب حقا هو عدم التوصل إلى أي إشارة إلى الإجازة بالقراءات القرآنية في منطقة زواوة الشهيرة بعلم القراءات، ولعل ذلك راجع إلى قلة المصادر المحلية للمنطقة خلال العهد العثماني، وهذا جأ بعض الباحثين في تاريخ المنطقة إلى الرواية الشفوية مثل محمد سي يوسف في دراسته السابقة.

² - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص: 58.

³ - أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الجمني (1134هـ/1722م): من أبرز فقهاء المالكية في تونس، وكانت له مدرسة للمالكية بمجزيرة جربة. محمود مقيديش، نزهة الأنظار في عجائب التوارييخ والأخبار. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1988. ج2، ص: 440.

⁴ - محمود مقيديش، المصدر نفسه، ج2، ص: 437.

⁵ - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 232.

ومن الأسر العلمية الصوفية في منطقة زواوة أسرة الورتلاني، وأشهر أفرادها الشيخ الحسين الورتلاني⁽¹⁾، الذي كان جده ووالده من المتصوفة المدرسين، وذكر أن والده كان أفقه أهل زمانه⁽²⁾، وسأر هو على نهجهم حيث أصبح مدرساً وشيخ زاوية الأسرة⁽³⁾ في بلدته "بني ورتيلان".

ذكر الشيخ الحسين الورتلاني في رحلته بعض طلبه الدين درسوا عنه الفقه والتوحيد منهم: الشيخ محمد بن الفقيه، الذي أخذ عنه "صغرى السنوسي بحاشية المراكشي"، والشيخ محمد الشكلاوي الجزائري، الذي قرأ عليه "كبرى السنوسي" بشرح اليوسي" في أيام زيارته لقرية "تلس"، ومنهم أبي القاسم بن مدور من بنى عباس من قرية "تفرج" وهو قاضي بجاية، وقد كان

¹ - الحسين بن محمد السعيد بن الحسين الورتلاني (1125هـ / 1713م - 1193هـ / 1779م): درس بزواوة ومدينة الجزائر، وأخذ على علماء الشرق. من مؤلفاته: شرح على القدسية لعبد الرحمن الأخضرى، وشرح وسطى الإمام السنوسي. خثار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة. باتنة: دار الشهاب، 1978. ص - ص: 14 - 27؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 357؛ سعيدوني، من الثراث التاريخي والجغرافي، ص: 418.

² - الحسين الورتلاني، الرحلة الورتلانية "نזהة الأنظار في فضل علم التواريخ والأخبار" تصحيح: محمد ابن أبي شنب. الجزائر: مطبعة بير فونتانا الشرقية، 1908. ص: 308.

³ - أبو القسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 394.

الورتلاني يتوجه إلى بجاية في شهر رمضان من كل سنة قصد
الرباط، والتدريس والقيام بالوعظ والإرشاد⁽¹⁾.
ولكن على الرغم من كثرة المتخرجين عليه، وإقباله على
التدريس، فلم تسعفنا المصادر في الكشف عن إجازاته لتلامذته⁽²⁾
مع أنَّ عالماً مدرساً بمنزلته يفترض أن تصدر عنه إجازات علمية
وصوفية لمن درسوا عليه.

ومن بين الزوايا الشهيرة بمنطقة زواوة زاوية "شلاطة" في
منطقة بجاية، وشيخها محمد بن علي الشلاطي المعروف بابن علي
الشريف⁽³⁾، وكان هذا الأخير مشغلاً بالتدريس في زاويته
المذكورة، وإعطاء الأوراد والأذكار للمربيدين⁽⁴⁾، وقد منحه العالم
الحسن ابن مصباح⁽⁵⁾ صاحب معهدبني يعلى العجيسى بضواحي

¹ - مواضع متفرقة من رحلة الورتلاني، مثلاً الصفحات: 15، 17، 28، 65؛ مختار
فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة، ص: 23.

² - هناك العديد من المراجع التي تعرضت لهذه الشخصية، وكلها تعتمد في ترجمتها على
رحلته بالدرجة الأولى، ولذلك لم تشر أي منها إلى إجازاته لتلامذته منها.

³ - عاش في القرن 12هـ من مؤلفاته: "تفسير الغريب للمبتدئ" و"معالم الاستبصار
بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمساك" في الفلك والتنجيم ألفه سنة 1192هـ
والتعريف بالأحبار المالكين الأخبار، و"سيرة المصطفى وسيرة الخلفاء" ومن بعدهم من
سلوك العرفاء. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص، ص: 20، 126،
328، 409.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج 2، ص: 410.

⁵ - كان الشيخ الحسن بن أحمد زروق بن مصباح حيا سنة 1179هـ / 1765م، بحيث
ذكر الورتلاني بأنه لقيه أثناء حجه في السنة المذكورة، قائلاً بأنهم توجهوا: "قادسين

بجایة إجازة علمیة، وھي الإجازة التي نقلها العلامة العربي بن مصباح قریب صاحب المعهد في تأليف خصصه لمعهد شلاطة قائلًا - في سياق حديثه عن إجازة شیخه محمد بن علی الشیرف البولی:- " وقد أجازني شیخی ومولاي علامة الدنیا علی الإطلاق... أبو أحمد سیدی الحسن بن أحمد رزوق بن مصباح. من علم الحديث بصحیح البخاری ومسلم وغيرهما من كتب السنة، ومن علم التفسیر...". ثم استعرض الكتب التي أجازه بها في الفقه، علم الكلام، النحو، الأصول، وعلم البيان، ومصطلح الحديث وغيرها إلى أن قال: " وغير ذلك مما هو موسوم في ثبته الذي أجازنا به - رحمه الله - ^(۱)".

وهناك من علماء منطقة زواوة من اشتهر بتبحره في علمي الظاهر والباطن، ولهذا منح تلامذته إجازات علمية وأخرى صوفية؛ كالشیخ محمد بن عبد الرحمن الزواوي المعروف بالأزهري^(۲) مؤسس الطریقة الرحمانیة بالجزائر، وقد أعطت

بن يعلى عمل المدرس... سیدی الحسن ابن مصباح. الحسین الورتلانی، الرحلۃ، ص: 80.

¹ - المھدی البوعبدلی، الجزائر فی التاریخ، ج4، ص، ص: 152، 153.

² - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف الأزهري مجاورة، الزواوي إقليما، القحطولي قبیلة، الإماماعیلی عرشا، ولد بين سنتي 1126ھ و1133ھ في بني اسماعیل في زواوة، وتوفي سنة 1208ھ / 1793م، أخذ عن الشیخ الصعیدی، ولازم الشیخ محمد الحفناوی، وأخذ عنه التصوف. له تأليف وأوراد. مخلوف، شجرة النور ص: 372؛ الحفناوی، تعریف الخلف، ج2، ص- ص: 457 - 471.

طريقته في حياته، وبعد وفاته أهمية خاصة لنشر التعليم، وربطت بين التربية الروحية وبث العلم⁽¹⁾.

فبعد عودته من المشرق حوالي عام 1177هـ / 1763م⁽²⁾ جدًّا في بث العلم فأسس في قريته "آيت إسماعيل" زاويته المشهورة هناك قرب ذراع الميزان⁽³⁾، أدت هذه الزاوية خدمة هامة في نشر التعليم، وكان لها عدد من الأساتذة في حياة الأزهري نفسه، ومن هؤلاء: الشيخ أحمد بن الطيب بن الصالح الرحموني والشيخ علي بن عيسى المغربي؛ الذي عينه الأزهري قبل وفاته خليفة على الزاوية يديرها تعليماً وطريقة⁽⁴⁾. وكان شيخوخ الزوايا الرحمانية كلهم من العلماء، فكانت تدرس الزوايا علوم الشريعة إلى جانب علوم الطريقة⁽⁵⁾.

وقد تخرج على يد مؤسس الطريقة الكثير من العلماء، من مناطق مختلفة بالجزائر مثل: عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني وابن عزو من برج طولقة⁽⁶⁾، وزاره بزواجه الشيخ أحمد التيجاني (ت 1230هـ) في طريقه إلى الحج سنة 1186هـ، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية⁽⁷⁾، ولعله أخذ عليه أيضاً شيئاً من علم الظاهر.

¹ - العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، ص: 63.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 507.

³ - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 180.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 509.

⁵ - العيد مسعود، المرجع السابق، ص: 63.

⁶ - العيد مسعود، المرجع نفسه، ص: 63.

⁷ - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 40.

ومن تلامذته أيضاً: الشيخ العلامة يحيى بن عيسى الذي حرر له الشيخ المذكور إجازتين: إحداهما صوفية بالأوراد، وهي مطولة منها قوله: قد أجزت العارف... القطب المهدى سيدى يحيى نجل سيدى عيسى.. أن يعطي أورادنا، أي أوراد طريقتنا البركة الخلوتية لسائر المسلمين، كما أذن لشيخه أن يعطيها، أي شيخه الذي هو الكاتب لهذه الإجازة بالبنان محمد بن عبد الرحمن الأزهري...⁽¹⁾، ثم الحق بالإجازة كيفية تلقين ورد الطريقة الخلوتية.

والثانية إجازة علمية قال فيها: قد التمس مني السيد العلامة، ومعدن الشريعة والحقيقة سيد السادات، ومصباح الظلمات، سيدى يحيى بن سيدى عيسى... إجازة فيما صح لي روایته، أو ثبتت لي درايته، فأجبته لذلك لأنّه أهل وحقّيق بذلك⁽²⁾، وفيها استعرض بعض شيوخه الذين أخذ عنهم علوم الشريعة كالفقه المالكي، وسنته فيه. وأحق الأزهري إجازته العلميةسابقتها بوصية في حوالي صفحتين ركز فيها على التقوى والزهد والصبر.

وقد اكتسب الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري شهرة كبيرة بالجزائر بعد عودته من المشرق، فطلبه عمال المدن الكبرى وبالأخص صاحب مدينة الجزائر، فدخلها واحتفل به علماؤها في

¹ - أبو القاسم الحفناوى، المرجع نفسه، ج 2، ص - ص: 460 - 463.

² - الحفناوى، المرجع نفسه، ج 2، ص، ص: 465، 466.

الجامع الأعظم واشتهر أمره بها⁽¹⁾، فكان دائم التردد بينها وبين بني إسماعيل بزواوة، ولهذا بنى له الداي حسن باشا⁽²⁾ مسجداً بمدينة الجزائر سنة 1206 هـ / 1792 م⁽³⁾. ومن تلامذته الذين منحهم الإجازة أثناء إقامته بها الشيخ بلقاسم بن محمد المعاشقى الذي رفعه إلى رتبة مقدم الطريقة، والشيخ العابد بن الأعلى الشرشالى⁽⁴⁾، ونظراً لجمع الطريقة الرحمانية بين التربية الروحية والتعليم، فلا يُستبعد أن يكون قد أجاز لهؤلاء إجازات علمية وأخرى صوفية.

وأجاز الشيخ الأزهري - أيضاً - الشيخ حمودة بن محمد المقاييسى⁽⁵⁾، ولعل ذلك كان أثناء إقامتهما معاً بمصر⁽¹⁾، كما أجاز

¹ - الحفناوى، المرجع نفسه، ج 2، ص: 458.

² - تولى في 10 ذي القعدة 1205 هـ، وظل بها إلى وفاته سنة 1212 هـ / 1797 م. كان عارفاً، ذو فطانة. أحمد الزهار، مذكرات الزهار، ص - ص: 61 - 67.

³ - نظراً لتردد الأزهري بين زواوة ومدينة الجزائر كان له أتباع كثير بكليهما، ولهذا تنازعوا على مكان دفنه بعد وفاته، حيث دفن بالمدينة الأخيرة، وأنذه أتباعه بزواوة من قبره ليلاً، فعرف "ببوقبرين".

Devoulx, Les Edifices Religieux, R- Af, N°:14, Année: 1870
pp : 289, 290.

⁴ - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 507.

⁵ - حمودة بن محمد بن عيسى الشريف الجزائري المعروف بالمقاييسى لصيته، والمقاييس أسوة (ت 1245 هـ / 1829 م): أخذ العلم بمدينة الجزائر، ثم توجه إلى الشرق حيث تتلمذ على أعلام منهم: الزبيدي و محمد الأمير، وحسن العطار، ثم عاد إلى الجزائر، واستقر بها إلى وفاته. أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج 2، ص: 37؛ الحفناوى، تعريف الخلف، ج 2، ص - ص: 148 - 150؛ عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 209.

المقاييس بدوره لصاحبـه محمد الأزهـري⁽²⁾، وهذا ما جـرت به العـادة أن يتبادلـ العلمـاء الإجازـات فيما بينـهمـ، والمـعلومـ أنـ تـبـاـدـلـ الإجازـةـ بينـ الأـقـرـانـ يـسـمـىـ تـدـيـجاـ.

- إجازـاتـ علمـاءـ مدـيـنـةـ عـنـابـةـ:

في غـيـابـ جـامـعـةـ إـسـلـامـيـةـ تـتـكـفـلـ بـمـهـمـةـ التـعـلـيمـ منـ المـسـطـوـيـ العـالـيـ بـالـجـازـئـ، كـثـرـ إـقـبـالـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ عـلـىـ الـحـواـضـرـ الـعـلـمـيـةـ لـتـعـدـدـ حـلـقـاتـ الدـرـوـسـ الـعـلـيـاـ بـهـاـ، وـماـ يـلـفـتـ الـانتـبـاهـ هوـ شـدـ الرـحالـ خـلـالـ الـقـرـنـ الثـانـيـ عـشـرـ الـهـجـرـيـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ عـنـابـةـ (ـبـونـةـ)⁽³⁾ الـتـيـ لمـ تـكـنـ مـنـ الـحـواـضـرـ الـعـلـمـيـةـ الـبـارـزـةـ⁽⁴⁾، وـذـكـرـ لـشـهـرـةـ الـعـلـمـةـ الشـيـخـ أـحـمـدـ الـبـوـنـيـ⁽⁵⁾، حـيـثـ كـانـ الـعـالـمـ إـذـ تـصـدـرـ لـلـتـدـرـيـسـ وـاشـتـهـرـ أـمـرـهـ،

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص: 37.

² - عبد الحـيـ الكـتـانـيـ، فـهـرـسـ الفـهـارـسـ، جـ 1ـ، صـ 345ـ.

³ - تـقـعـ عـلـىـ مـقـرـبةـ مـنـ نـهـرـ سـيـوـزـ، وـيـشـرـفـ عـلـيـهاـ جـبـلـ أـيـدـوـغـ. توـفـيقـ المـدـنـيـ، كـتـابـ الـجـازـئـ. الـقـاهـرـةـ: طـبـعـ دـارـ الـمـعـارـفـ- الـبـلـيـدـةـ: نـشـرـ دـارـ الـكـتـابـ، (ـطـ2ـ)، 1963ـ. صـ 208ـ.

⁴ - هذا بشـهـادـةـ الشـيـخـ أـحـمـدـ الـبـوـنـيـ فيـ الـأـرـجـوزـةـ الـتـيـ تـقـدـمـ بـهـاـ لـلـبـاشـاـ مـحـمـدـ خـوـجـةـ بـنـ عـلـيـ الشـرـيفـ النـكـدـالـيـ الـمـعـرـوفـ بـيـكـداـشـ (ـتـ 1118ـ هـ/ 1707ـ مـ)، وـاصـفـاـ حـالـهـ الـعـلـمـيـ بـقـولـهـ فـيـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ: «ـقـدـ صـالـ فـيـهاـ الـظـالـمـ ◆ وـهـانـ فـيـهاـ الـعـالـمـ»
«ـخـرـبـتـ الـمـسـاجـدـ ◆ وـقـلـ فـيـهاـ السـاجـدـ».

ابـنـ مـيمـونـ، التـحـفـةـ الـمـرـضـيـةـ، صـ 129ـ.

⁵ - أبو العـبـاسـ أـحـمـدـ بـنـ قـاسـمـ بـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ مـحـمـدـ سـاسـيـ التـمـيـمـيـ الـبـوـنـيـ (ـ1063ـ / 1139ـ هـ)ـ / 1653ـ / 1726ـ مـ، أـخـذـ الـعـلـمـ عـنـ مـشـاـيخـ الـجـازـئـ مـنـهـمـ: وـالـدـهـ، وـبـرـكـاتـ بـنـ بـادـيسـ الـقـسـنـطـنـيـ، كـمـاـ رـاحـلـ إـلـىـ الـمـشـرـقـ وـأـخـذـ عـنـ عـلـمـائـهـ بـمـصـرـ وـغـيرـهــ. لـهـ تـأـلـيـفـ تـنـيـفـ عـنـ الـمـنـةـ بـيـنـ مـخـتـصـرـ وـمـطـوـلـ مـنـهـاـ: فـتـحـ الـبـارـيـ فـيـ غـرـبـ الـبـخـارـيـ، وـالـدـرـةـ الـمـصـوـنةـ

شُدّت إليه الرحال من أقصى جهات البلاد، وأقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب، وتزاحموا على حلقة⁽¹⁾.

وأهم مراكز التعليم بالمدينة - على ما يبدو - جامعها الأعظم المعروف باسم مؤسسه أبي مروان الشريفي⁽²⁾، إضافة إلى زاوية أسرة أولاد النوري البونية⁽³⁾، وهي أسرة جمعت بين العلم والصلاح، وسيطرت روحياً على عنابة ونواحيها طيلة قرنين من الزمن، وأنجبت عدداً من العلماء، وحظيت بوظائف الإفتاء والقضاء المالكي بعنابة إلى غاية الاحتلال الفرنسي لها⁽⁴⁾.

في علماء وصلحاء بونة وغيرها. الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 236-239؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 330؛ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ص: 177؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 60-64.

¹ - العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، ص: 67.

² - مروان أبو عبد الملك بن علي البوني (ت حوالي سنة 440هـ): أندلسية الأصل سكن بونة. من أشهر مصنفاته: شرح الموطأ. ابن فردون، الديباج المذهب، ج 2، ص: 320.

³ - ليس لدينا معلومات كافية حول هذه الزاوية، ولكن يفهم من أرجوزة أحمد البوني السابقة، أنه قد كانت له زاوية في قوله: «به تصير الزاوية ◆ عامرة لا خاوية». (ابن ميمون، التحفة المرضية، ص: 128). والمعلوم أنَّ معظم العائلات العلمية والصوفية الكبرى كانت تمتلك زوايا خاصة بها، وهذا دليل آخر على تملك أسرة البوني لزاوية.

⁴ - H' sen Derdour , Annaba 25 siècles de la vie quotidienne et de luttes. Alger : Complexe Graphique de Reghaia. 1983. tome:2 p : 91.

ورأس هذه الأسرة وصانع مجدها الشيخ قاسم بن محمد الساسي⁽¹⁾ – والد أحمد البوني المذكور- الذي تولى منصب الإفتاء المالكي في بونة بعد عودته من المشرق، وتصدى للتدريس⁽²⁾ في جامع عنابة الكبير، وكان والده الفقيه محمد بن إبراهيم ساسي البوني – معاصر عبد الكريم الفكون- هو الآخر خطيباً ومدرساً بجامع أبي مروان، وقد كان "مسنون القول عند الخاصة والعامة".⁽³⁾

وأشهر علماء هذه الأسرة واسطة عقدها الشيخ أبو العباس أحمد بن قاسم ابن محمد البوني، الذي جمع بين الفقه والتصوف وبرع في عدة علوم في مقدمتها الحديث الشريف؛ والذي أخذ على أجيال علماء المشرق، وأثناء عودته من الحج تصدر للإقراء بالأزهر.⁽⁴⁾

¹ – والد أحمد البوني الشيخ قاسم بن محمد الساسي التميمي (1010هـ / 1601م – 1088هـ / 1677م) : درس في جامع أبي مروان، ثم بالشرق خاصة بالأزهر، ورجع إلى بونة، وكان بها سنة 1635م / 1045هـ، واتصل به الباشا يوسف في عنابة فتدخل في إنهاء ثورة ابن صخرية، حيث كان وسيطاً بين القبائل المحلية الشائرة في إقليم الشرق والسلطات الحاكمة. العترى، فريدة منسية، ص: 37؛ Derdour, Op-Cit, Tome 2, pp : 91- 93.

² – H' sen Derdour, Ibid, Tome 2, pp : 91, 92.

³ – ترجم له الفكون في الفصل الثالث (فيمن ادعى الولاية من الدجاللة الكاذبين) وانتقده نقداً لادعاً على خروجه عن التصوف الصحيح، كما قال بأنه "صار رئيس الباطن والظاهر" عند أهل بونة. منشور المداية، ص: 165.

⁴ – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 33.

وعرفت الحركة الفكرية ببونة على أيامه انتعاشا يستحق التنوية، فقد كانت قبلة لطلاب العلم من داخل الجزائر ومن خارجها، كالشيخ أحمد برناز التونسي⁽¹⁾، والشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي الذي درس عليه الحديث، وكان يحضر مجلسه مع مشايخ بلده وولديه⁽²⁾ محمد وأحمد الزروق، كما تلمنذ عليه العديد من الطلبة الجزائريين من أشهرهم: الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، والشيخ عبد القادر الراشدي القسنطيني⁽³⁾ الذي لازمه مُدة طويلة حتى برع في الفقه المالكي. وقد أصبح فيما بعد شيخ جامع سidi الكتاني، ومفتى قسنطينة⁽⁴⁾، والشيخ حسن بن محمد بن العنابي، الذي أصبح فيما بعد مفتى مدينة الجزائر⁽⁵⁾. وقد كان ولداه المذكوران سابقاً من أبرز علماء بونة، ولهذا عُيِّنَ ابنه الشيخ محمد⁽⁶⁾ للإشراف على جامع أبي مروان، وجامع

¹ - محمد محفوظ ترجم المؤلفين التونسيين، ج 1، ص: 93.

² - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 236.

³ - عبد القادر الراشدي (1112هـ / 1704م - 1202هـ / 1788م): أصله من الرواشد ضواحي فرجيبة. وهو من كبار الفقهاء في قسنطينة؛ التي تولى بها القضاء والإفتاء مراراً، رُمي بالتجسيم ليله إلى الاجتهد. من مؤلفاته: رسالة في تحريم الدخان، وكتاب في عائلات قسنطينة. ذكر الحفناوي ونوبيهض تاريخ وفاته سنة 1112هـ. تعريف الخلف، ج 2، ص: 228-230؛ معجم أعلام الجزائر، ص: 94، 109.

Derdour ,Annaba, T2,p

⁴ - H' sen Derdour , Ibid, Tome 2, p: 109.

⁵ - Ibid , Tome 2, p: 98.

⁶ - محمد بن أحمد ساسي البوبي (1116-1178 هـ / 1765م): له العديد من المؤلفات منها: كتاب تاريخ تفصيل الحروب التسعة.

Derdour Ibid , T2, pp: 105, 106.

السلطان بعد وفاة والده⁽¹⁾، أمّا ابنه الشيخ أحمد الزروق، فكان هو الآخر من العلماء المدرسين، وكتب له والده الشيخ أحمد البوني إجازة عامة في سنة 1136هـ / 1723م أشركه فيها مع رفيقه محمد بن علي الجعفري المعروف بمحظى قسطنطينية⁽²⁾.

تقع هذه الإجازة في نحو أربعة كراسيس، قال فيها بعد تعريفه بعلم الحديث أنه أخذه عن والده محمد الساسي، ويحيى الشاوي وأحمد العيدلي الزواوي الملقب بالصديق، وأبو القاسم بن مالك اليراثي الزواوي، وهؤلاء جميعاً من الجزائريين، كما ذكر غيرهم من التونسيين والمغاربة والمصريين؛ وقد بلغ الجميع ثلاثة عشر شيخاً، واكتفى البوني بذلك خوف الإطالة، ثم ذكر كتب الحديث التي أخذها عن هؤلاء، وعدّه أيضاً بعض تأليفه⁽³⁾.

وكان ابنه الشيخ أحمد الزروق أيضاً من مشاهير عصره ولكنه كان أقل تأليفاً من والده⁽⁴⁾، وقد زاره الشيخ حسين الورتلاني صاحب الرحلة في عنابة، وأقام عنده أكثر من أسبوع، ووصفه

¹ - Ibid, Tome: 2, pp : 105, 106.

² - الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 239.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 64. النسخة التي اطلع عليها سعد الله من هذه الإجازة في زاوية طولقة مكتوبة في سنة 1140هـ / 1727م، وتقع في نحو ثلاثين ورقة، ولكنه لم يتمكن من الحصول على نسخة منها، وراسلت بدوري مديرها الأستاذ عبد القادر العثماني فكان الرد بتاريخ: 4 أبريل 2004، قائلاً أنه لا يملك هذه الإجازة، ولا غيرها من الإجازات.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 62.

باشتهره بجودة الخط، وبراعته فيه إلى جانب ثقافته الموسوعية
فأجاز الورتلاني في جميع العلوم⁽¹⁾.

- إجازات علماء خنقة سيدى ناجي:

قامت زوايا الريف الجزائري في العهد العثماني بوظيفة التعليم؛ فانتشر على نطاق واسع، محدثاً شبه توازن بين الريف والمدن في هذا المجال، ومن بين أشهر الزوايا التي حملت لواء العلم في منطقة نائية جداً: زاوية خنقة سيدى ناجي⁽²⁾ التي أشاد بها حسين خوجة، وصفها بأنها "معروفة بالعلم"، وبتخرّيجها "لشيخ كرام، وعلماء أعلام"⁽³⁾.

ولعلَّ مَا يؤكد كفاءة علمائها هو الحفاوة التي استقبل بها أحد أبناء الخنقة، وخرّيجي زاويتها الشيخ أحمد العمري⁽⁴⁾ من طرف

¹ - مختار فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة، ص: 168.

² - الخنقة قرية ضواحي مدينة بسكرة، تبعد عنها بـ 95 كم، وهي ذات نخيل وأشجار وهي وسط وادٍ بين جبلين. الورتلاني، الرحلة، ص: 117؛ أبو القاسم سعد الله زيارة خنقة سيدى ناجي. مجلة سيرتا. قسنطينة: مطبعة البعث. العدد: 03، ماي 1980.

ص: 113.

³ - وصفها أيضاً بكونها "ذائعة الصيت في الأماكن الغريبة"، وبأنها "مقر الصلحاء"؛ وقامت هذه الزاوية بوظائف اجتماعية إلى جانب وظيفتها العلمية؛ حيث كانت تطعم الطعام، ويساوي إليها الفقراء والمساكين في تلك الأماكن الخالية. خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 253.

⁴ - أحمد العمري: ولد بالخنقة سنة 1089هـ / 1679 م حفظ القرآن الكريم، ودرس علوم مختلفة في الزاوية، كالفقه والبيان وعلم الحديث على فقهاء أجياله منهم: الشيخ أحمد بن عمر، والشيخ أبو القاسم بن الطاهر والشيخ محمد بن عبد العزيز. حسين خوجة، المصدر نفسه، ص: 253.

الأمير التونسي الذي عظمه وأكرمه، وعُين له جميع ما يحتاجه، وقد لازم الشيخ المذكور خدمة الأمير مدة من الزمن، ثم تصدر للتدريس بجامعة الزيتونة، فكان له درس عظيم يقرئ فيه مختصر خليل والألفية وغيرها⁽¹⁾.

وما زاد في أهمية زاوية - مدرسة الخنقة، تدهور الحياة الفكرية بسكرة⁽²⁾، أكبر المدن القريبة منها، والتي وصف العياشي مسجدها الكبير بأنه: في غاية السعة وإتقان البناء، إلا أنه قل عامروه، وضعف ساكنوه فلا ترى به مدرسا ولا قارئا⁽³⁾، وهو يتفق في ذلك مع الورتلاني الذي وصفه بشموخ بنيانه: غير أنه كالعدم في زمننا (القرن 12هـ)، لأن دراس العلم وأهله، إذ لا تجد طالبا يقرأ القرآن، أو يتعلم مسألة من العلم فيه⁽⁴⁾، فإذا كان هذا حال جامعها الأعظم فما بال بقية مساجدها؟

أما الخنقة فقد وصف العياشي (القرن 11هـ/17م) سكانها بأهل خير وبركة، لهم رغبة في العلم وتعلمه، إلا أنهم في

¹ - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 253.

² - دخل العثمانيون مدينة بسكرة نهاية سنة 960هـ / 1552م، بقيادة الباشا صالح رais، وأصبحت من أعظم المراكز التجارية. توفيق المدنى، كتاب الجزائر، ص: 186.

³ - وصف العياشي مدينة بسكرة بأهلها من أعظم المدن وأجمع لمنافع كثيرة، مع توافر أسباب العمران، ثم تطرق إلى سبب خرابها، وهو أنها ابتليت في القرن 11هـ بتناقضات الترك عليها وعساكر الأعراب، فيستولي عليها هؤلاء تارة، وأولئك أخرى، إلى أن بنى الأتراك حصنا على رأس الماء الذي يأتي إليها فتملكوا البلاد وأضروا بأهلها. العياشي

الرحلة العيashية، ج 1، ص: 49؛ ج 2، ص: 411.

⁴ - حسين الورتلاني، الرحلة "نزهة الأنظار"، ص: 109.

بلاد قل فيها أهل التحصيل⁽¹⁾، وهذا القول مختلف مع ما ذهب إليه الورتلاني الذي زارها خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م) حيث قال بأنّ: "لها فضل عظيم، سيما إظهار العلم فيها، فإنّهم مشتغلون بال نحو والفقه والحديث، خصوصاً مختصراً البخاري لابن أبي جمرة"⁽²⁾، متفقاً مع ما وصفها به صاحب "ذيل بشائر أهل الإيمان" سابقاً.

إنّ هذا الاختلاف بين آراء الرّحالة يعني أنّ الحالة الفكرية بها قد عرفت انتعاشاً خلال القرن الثاني عشر؛ لازدهار مراكزها العلمية كالجامع الكبير المعروف بجامعة سيدى مبارك، والزاوية-المدرسة الناصرية⁽³⁾ المنسوبة إلى محمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت 1085هـ)، وقد كان الطالب يقرأ القرآن الكريم في المدرسة وبيت فيها وعندما ينضج علمياً، يحضر حلقات الدروس في الجامع الكبير المجاور لها⁽⁴⁾.

وقد أشعت الزاوية الناصرية بجامعها الكبير ومدرستها على الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين أو أزيد، وكانت موئلاً علماء

¹ - العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص: 402

² - الحسين الورتلاني، المصدر السابق، ص: 117.

³ - يعود تأسيس الجامع الكبير إلى القرن 11هـ، وهو واسع ويتكون على ستة عشرين عرضاً، وله صحن غير مغطى ملحق به، أما المدرسة فقد تأسست سنة 1171هـ وهي تحتوي على خمسة وعشرين غرفة، وتضم كل غرفة من خمسة إلى عشرة طلاب، ولها بابان خارجي وداخلي يؤدي إلى الجامع. أبو القاسم سعد الله، زيارة لخنقة سيدى ناجي . ص، ص: 116، 117؛ تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 284.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، زيارة لخنقة سيدى ناجي، ص- ص: 115- 117.

الزاب، والصحراء، والأوراس وقسنطينة، وزواوة، بل وتونس وطرابلس أيضا⁽¹⁾، ومِمَنْ درَسَ بها العلامة الشيخ إبراهيم الجمني التونسي الذي أخذ بها عن الشيخ عبد الله بن أبي القاسم الجلالى⁽²⁾.

وكان لعلماء الخنقة شهرة في المنطقة، وهذا أطلعهم الشيخ خليفة بن حسن القماري⁽³⁾ على نظمه المسمى "جواهر الإكليل" في نظم مختصر الشيخ خليل، وأرفقه بقصيدة وهي استدعاة بالإجازة⁽⁴⁾ على ما يبدو من قول التليلي الآتي: "ولما وردت هذه القصيدة على إخوانه العلماء في الخنقة تقبلوها بقبول حسن، وأنبتوها في قلوبهم نباتاً حسناً، وأجازوا الشيخ، وأجابوه بقول الشيخ محمد بن المبارك الصائغي⁽⁵⁾ نظماً، تأييداً لقوله وتسليمًا لرأيه ونقله"⁽¹⁾.

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص - ص: 115 - 117.

² - محمود مقديش، نزهة الأنوار في عجائب التواريχ والأخبار، ج 2، ص: 411.

³ - خليفة بن حسن القماري نسبة إلى قمار ضواحي وادي سوف، كان حيا سنة 1192هـ / 1778م وكان طاعناً في السن، عاش حياته العلمية متقللاً بين مسقط رأسه غمار وبين بسكرة وسيدي عقبة، وخنقة سيدي ناجي. من شيوخه في الفقه المالكي: أبو القاسم السجوري. من مؤلفاته: شرح على السنوسية، ونظم على الأجرمية. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص - ص: 77 - 79.

⁴ - ختم الاستدعاة بـ"باليت الموالي":

"وناشر أبيات الطويل خليفة ◆ عليكم سلام من لدنه يطول".

⁵ - اجتمع الزياني في قسنطينة سنة 1208هـ / 1793م بإمام وخطيب مسجدها العتيق الشيخ أبو البركات محمد المبارك بن الفقيه عمر الصائги. أبو القاسم الزياني، الترجمانة

فهل كتبوا له بإجازة أخرى غير هذه التي بين أيدينا؟ أم أنه أشار إلى هذا التقرير النظمي الذي كتب على مختصر خليل بأنه إجازة، فإذا كان الأمر كذلك فالإجازة المعنية إجازة بالتأليف⁽²⁾ ومما ورد فيها قول الشيخ ابن المبارك الصائفي⁽³⁾:

أيَا مَنْ غَدَا لِلْمُشْكِلَاتِ يُحَاوِلُ سَلَّ إِنْ رُمِّتَ عَنْ حِبْرٍ لَمْ يُطَاوِلْ
 لقد حاز قصب السبق فيها تقدماً به تجتلي للقاصرين النوازل
 أتانا جوابٌ رائق ذو عذوبة يفوق للألي الدر إذ هو واصل
 ويحكم حكماً عادلاً في مقاله إذا بان نور الحق بالضد خاملاً
 فإذا عانى حتم لحكم جوابه تختم إذ طبق الشريعة حاصل
 هذا، وقد حظيت هذه المنظومة بتقرير من طرف الشيخ محمد
 بن سليمان الشريف معاصر الشيخ خليفة، وهي قصيدة طويلة
 كلها إطراء للشيخ ولمنظومته، إلا أنَّ ناقل الخبر لم يذكر أنها
 إجازة، كسابقتها واكتفى بنعتها بالتقرير⁽⁴⁾.

الكبرى في أخبار العمور برا وبحرا، تتح: عبد الله الفيلالي. الرباط: دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع ، 1991. ص: 153.

¹ - محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي، «إنتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري ». دراسة خطوطية ببلدية غمار ولاية الوادي، ورقة: 12 و، 13 ظ.

² - حظي هذا النظم بإجازة أخرى بالتأليف كتب له بها الشيخ ابن شقرور الفاسي، ينظر الفصل الثاني.

³ - محمد الطاهر التليلي، مخ «إنتحاف القاري »، ورقة: 12 و، 13 ظ.

⁴ - محمد الطاهر التليلي، المرجع نفسه، ورقة: 13 ظ.



وهكذا، حفل الشرق الجزائري بمراكز علمية متعددة، وفي مقدمتها مدينة قسنطينة، كما حفل الغرب الجزائري بمراكز علمية لا تقل شأنها عن تلك التي زخر بها الشرق.

رابعاً. إجازات علماء منطقة الغرب الجزائري

- إجازات علماء مدينة معسکر وضواحيها

تبّوأت مدينة معسکر⁽¹⁾ - الواقعة في إقليم بني راشد-⁽²⁾ مكانة هامة في الميدان الفكري خلال العهد المدروس، لانتشار التعليم في هذا الإقليم بداية من القرن العاشر للهجرة (16م) بتأسيس عدد كبير من الزوايا به، واحتضانها مُهمة التعليم، كزاوية محمد بن يحيى السليماني، وزاوية عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي، وزاوية الشيخ محمد المشرفي وغيرها⁽³⁾، وبالإضافة إلى

¹ - كانت إدارة باليك الغرب مقسمة بين كل من تلمسان ومازونة، ثم جمعتا لأول مرة للبایي مصطفی أبو الشlagum بن يوسف المسراتي سنة 1098هـ / 1686م، فنقل كرسی الباليك إلى قلعة بني راشد ثم إلى معسکر، وبعد الفتح الأول لوهان سنة 1119هـ / 1707م نقل إليها المقر فظل بها إلى ما بعد 1143هـ / 1734م، وفيها عاود الإسبان احتلال وهران، وظل بها إلى أن فُتحت من جديد في 1206هـ / 1791م فنقل إليها مقر الباليك نهائياً. المزاري، طلوع سعد السعود، تج: يحيى بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990. ج1، ص، ص: 270، 271؛ محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأئيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدى البواعدي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978. ص، ص: 192، 193.

² - يمتد هذا الإقليم على طول نحو خمسين ميلاً من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلاً، جهته الواقعة جنوباً كلها سهول، والواقعة شمالاً كلها تقعراها مرتفعات. الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 26.

³ - بالهاشمي بن بكار، كتاب مجموع النسب والحساب والفضائل والتاريخ والأدب في أربع كتب. تلمسان: مطبعة ابن خلدون، 1961. ص: 35.

تفوق علمائها في الفقه المالكي، كانت منبع علم التوحيد⁽¹⁾ باعتراف علماء من بينهم الشيخ أحمد المقرى⁽²⁾، الذي قال في "حاشيته على صغرى السنوسي" بأنَّ سنته في علم التوحيد "يتصل بعلماء الراشدية العارفين بهذا الشأن"⁽³⁾.

واشتهر في المدينة عدة أسر علمية توارثت العلم والمعرفة وتقلب أفرادها في مناصب التدريس، الإفتاء، القضاء، والإماماة تأتي في مقدمتها "أسرة المشارف" التي أنجبت العديد من البيوتات العلمية، ذكرها المشرفي في كتابه "ياقوتة النسب الوهاجة" ثم أضاف قائلاً بأنَّ: "المشارف كلهم حازوا الرياسة على سائر شرفاء الراشدية، ولذلك كانت نقابة الأشراف فيهم لا ت تعداهم ولا تخرج منهم، وحصرها بينهم ملوك الأتراء (يعني بيات الغرب)⁽⁴⁾".

¹ - ذكر ابن مريم في ترجمته لحمد بن يحيى بن موسى المغراوي الراشدي (ق 10هـ)، المتبحر في علم التوحيد، بأنه دخل رفقة زميل له من الراشدية إلى تلمسان وأخذها عن السنوسي، وهو اللذان أوصلا علم التوحيد إلى بني راشد. البستان، ص: 275.

² - احمد بن محمد بن احمد المقرى التلمساني (986هـ - 1579م - 1041هـ / 1631م): فرأى على علماء تلمسان والمغرب. ترك عدة مؤلفات في علوم مختلفة أشهرها: نفح الطيب، وفتح المتعال، وأزهار الرياض، وإضاءة الدجنة. المحيى، خلاصة الأثر، ج 1 ص - ص: 302 - 311.

³ - المهدى البواعظى، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص، ص: 170، 171.

⁴ - أبو حامد المشرفي، «ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد مولى مجاجة». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 3326. الورقة: 13، 13 ظ.

ويُعدُّ الشيخ عبد القادر المشرفي⁽¹⁾ الملقب بإمام الراشدية أبرز علماء هذه الأسرة، فقد كان متظللاً في علم الأصول والفروع، وهذا اختياره الشيخ مصطفى بن مختار الراشدي - جد الأمير عبد القادر - للتدرис بمعهد القيطنة عند تأسيسه له⁽²⁾، ثم أسس لنفسه زاوية دينية ومعهداً علمياً بمسقط رأسه "الكرط"، أصبح في مستوى زاوية ومعهد القيطنة⁽³⁾. وكان مواظباً على بئر العلم⁽⁴⁾ فلا تخلوا زاويته من مائتي طالب في بعض الأوقات⁽⁵⁾، ولكن على الرغم من ذلك لم أتوصل إلى إجازاته لطلبه.

وتوارث أبناءه وأحفاده العلم من بعده، ومن أبرزهم حفيده العلامة محمد بن عبد الله مصطفى سقاط المشرفي⁽⁵⁾، شيخ الجماعة

¹ - عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي (ت 1192هـ / 1778م): ولد بالكرط قرب معسكر، ونشأ وتعلم بالمنطقة، ثم درس بها. من أشهر تلامذته الشيخ أبو راس الناصري. كما شارك في مقاومة النصارى الإسبان بوهران. مؤلفاته عديدة منها: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر. سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي، ص - ص: 412-414؛ يحيى بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1995. ج 2، ص:

.231

² - ابن سحنون، الثغر الجماني، (مقدمة التحقيق)، ص: 33.

³ - يحيى بو عزيز، المرجع السابق، ج 2، ص: 231.

⁴ - أبو حامد المشرفي، المصدر السابق، ورقة: 11 و.

⁵ - محمد بن عبد الله مصطفى سقاط المشرفي: اشتهر بالتللل في علوم اللغة، وقد ظل شيخاً للجماعات في بداية الاحتلال الفرنسي، وأوفدته الأميرة عبد القادر سفيراً إلى سلطان المغرب العلوي مولاي عبد الرحمن هشام، فنظم فيه هذا الأخير قصيدة، وبعد انتهاء المقاومة استقر بمكناس إلى وفاته. المشرفي، المصدر السابق، ورقة: 11 ظ، الكتاني، فهرس الفهارس، 2: 578؛ يحيى بو عزيز، المرجع السابق، ج 2، ص: 232.

بمدينة مسکر وهران بعد فتحها، وقد درس في "التلخيص" و"جمع الجوامع"⁽¹⁾، وفي "تفسير البيضاوي"⁽²⁾، ووصفه المشرفي بـ"أنفراده" في وقته بـ"علم المعاني والبيان وعلم المنطق"⁽³⁾.

وتلمنذ الشيخ سقط المشرفي على علماء الراشدية؛ كالشيخ محمد أبو راس الناصري، وقيل أنَّ هذا الأخير، كان يبيت مُجَدِّداً في المطالعة فتشدق عليه ابنته، وتستعطفه في الاقتصار فيقول لها: كيف ينام والدك وخلفه سقط؟⁽⁴⁾، ومن أجازه من علمائها الشيخ: محمد الطاهر بن عبد القادر بن محمد بن دح المشرفي المعسكري، وعبد القادر بن محمد السنوسي بن محمد المعروف بابن عبد الله ابن محمد، المعروف بالهاشمي بن زرفة الراشدي المعسكري⁽⁵⁾.

ومن علماء الراشدية المدرسين أيضاً الشيخ عبد القادر بن دحو، الذي قرأ عليه الشيخ أبو راس الناصري "الألفية" قراءة بيّنة

¹ - جمع الجوامع في أصول الفقه لـأبي الدين عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المصري (729-771هـ / 1327-1370م): من مؤلفاته أيضاً رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، وطبقات الفقهاء الشافعية. ابن حجر الدرر الكامنة، ج 2، ص 425-428؛ السيوطي، حسن المعاشرة، ج 1، ص 283.

² - عبد الله عمر بن محمد بن علي المعروف بـ"البيضاوي" (ت 685 أو 691هـ): صنف مختصر الكشف، والمهاجر في الأصول، وشرحه أيضاً، وشرح المطالع في المنطق. السيوطي، بغية الوعاة، ج 2، ص 51.

³ - المشرفي، «ياقوتة النسب الوهاجة»، ورقة 11 ظ.

⁴ - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص 577، 578.

⁵ - عبد الحفيظ الكتاني، المرجع نفسه، ج 2، نفس الموضع.

بالنقل وفية من أوها إلى نصف الإضافة، واكتفى الشيخ بتدريسه هذا الجزء، وقال له: "يكفي هذا وستبلغ أعلى المرافق" وأجازه بالباقي⁽¹⁾.

هذا، وظل موضوع الجهاد ضد النصارى الإسبان الشغل الشاغل للعلماء الجزائريين فشاركوا بأنفسهم في حركة الجهاد وخاضوا المعارك وألّفوا الكتب، ونظموا الأشعار لإلهاب الحماس والتحضير للمقاومة، بل وكونوا رباطا لهم قرب وهران، دعى برباط الطلبة يقيمون به، ويشنون الحروب على المحتلين الإسبان⁽²⁾، ومن أبرز العلماء المدرسين بالرباط الشيخ العلامة مصطفى الرماصي⁽³⁾، المعروف بتبحره في الفقه المالكي داخل الجزائر وخارجها⁽⁴⁾ فكان بذلك مرجع الفتوى في عصره⁽¹⁾.

¹ - أبو راس الناصر، فتح الإله ومنتها، ص: 65.

² - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحررة، ج 2، ص: 230.

³ - أبو الحيرات مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي (ت 1136هـ / 1723م): أخذ عن شيخ مازونة، وعن شيخ مصر كالشيخ الخرشي والزرقاني. له حاشية على شرح الشمس الثاني على المختصر، وكفاية المريد على شرح عقيدة التوحيد. مخلوف، شجرة النور، ص: 334؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 442؛ نويعض، معجم أعلام الجزائر، ص: 193.

⁴ - اشتهر خلال العهد الذي ندرسه حاشيته على شرح الثاني على المختصر، واعتمد عليها العلماء في الفقه المالكي، كالشيخ البناني الفاسي الذي اعتمد عليها في شرحه على مختصر خليل، كما اعتمد عليها الشيخ الدردير المصري في شرحه على مختصر خليل، وكان يقول: إن صاحبها حق تغني عن غيرها". البواعدي، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص: 171.

وقد تصدى الرُّماسي للتدرис بمعسكر، وبقمن جبال الرشيدية أثناء الفتح الأول لوهوان⁽²⁾، وهناك اجتمع به الرَّحال المغربي عبد الرحمن الجامعي، وذكره في "شرحه على أرجوزة الحلفاوي" بقوله: "كنت وفدت على العالم الراوية، النقاد منهل العلم الأصفي أبي عبد الله سيدى محمد المصطفى الرُّماسي فوجده يسكن بأهله بيوت الشعر، قرب غابة في رأس جبل يأوي إليهم ليلاً، ويظل بالنهار في داره ومسجده، يطالع كتبه ويقرئ طلبه، فسألته عن ذلك فقال: كننا على هذه الحالة على عهد الإسبانيين خوفاً منهم، فإننا كننا لا نأمن في الدور من أن يصلونا ليلاً، فخرجنا ببيوت الشعر، ليسهل علينا الفرار لغابة الجبل"⁽³⁾.

^١ - ذلك ما نستتجه من رسالة بعث بها تلميذه الشيخ أحمد بن عامر البرجي (ت 1150هـ / 1737م) يؤنبه على فتواي أصدرها، ورد فيها قوله: "لكن استغنىت بنفسك، واستقللت بفهمك على عادتك، إذ أنت قد أحملت نفسك للفتاوى، لم تسألني عن مسألة، ولم تباحثني في قضية، والأئمة ترد على أسئلتهم من تلمسان ومن المغرب الأقصى ومن الجزائر، والإخوان عن يمينك وعن شمالك تباحثني مكاتبة ومشافهه..." المهيي البواعدي، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص: 172.

^٢ - احتل الإسبان وهران سنة 914هـ / 1508م، وتم طردتهم منها سنة 1119هـ / 1707م في عهد البشا محمد بكداش، ومصطفى بوشlagum باي الناحية الغربية، وبهذا تكون مدة احتلالهم لها قرنين وأربع سنوات، وخصص له الكتاب والشعراء = عدة تأليف وقصائد. ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، ج 1، ص، ص: 235، 236.

^٣ - أحمد بن محمد الرشيد، الثغر الجماني، ص، ص: 30، 31.

ومن جملة تلامذته الشيخ محمد بن علي الشريف الجعدي الجزائري، الذي قرأ عليه⁽¹⁾: "الألفية بالمرادي"، و"جمل المجرادي"⁽²⁾ و"صغرى السنوسى" بشرح مؤلفها، و"حاشية الرماسى" عليها وبعض من صحيح البخاري، فأجازه فيما قرأه عليه، وما ورد في إجازته له قوله: "أجزته في جميع مروياتي، وفيما أجازني فيه أشياعي، منهم باللسان، ومنهم بالبيان"⁽³⁾ من توحيد وفقه، وحديث ونحو، ولغة وبيان معان، ومنطق وقراءات، إلى أن قال: وأكثر قراءاتي في العقائد السنوسية على الشيخ المحقق الولي الصالح سيدى محمد بن علي بن الخروبى القلى، أما البخاري فأخذته عن سيدى محمد بن الشارف المازونى (مؤسس مدرسة مازونة الفقهية)، وبعضه عن سيدى عبد الرحمن أبي زيد الراشدى⁽⁴⁾.

ومع غلبة علم الظاهر على الرماسى فقد كان من العلماء المتصوفة، وهذا أجاز لتلميذه المذكور أيضاً إجازة صوفية؛ مما ورد فيها قوله: "وبعد، فيقول عبيد الله سبحانه وتعالى محمد بن عبد الله بن مؤمن الرماسى، قد طلب مني ولدي سيدى محمد بن علي

¹ - عُرف الجعدي بالجزائري نسبة إلى مدينة الجزائر، ومن المحتمل أن تكون قراءته على الرماسى بوطن الرشيدية بعد فتح وهران وذلك أثناء رحلة الجعدي إلى فاس، التي كان موجوداً بها سنة 1133هـ / 1720م. الحفناوى، تعريف الخلف، ج 2، ص: 543.

² - لامية الجمل محمد بن محمد بن عمران الفزازي السلاوى، المعروف بالجرادى: (ت 778هـ / 1376م). رضا كحال، معجم المؤلفين، ج 3، ص: 684.

³ - البناء: الأصابع، ومفردها البناء وهي الإصبع كلها.

⁴ - الحفناوى، تعريف الخلف، ج 2، ص: 541.

الدخول في سلسلتنا في العبادة وأخذ المخرقة، فأسعفته في ذلك "إلى أن قال: " وقد أخذت الطريقة عن الشيخ القطب الرباني سيدى محمد الصحراوي نزيل قلعة مأمون ببلاد منداس"^(١)، ثم بين ما على المجاز له من صلاة و صيام وأذكار، وفقا للطريقة التي أجازه بها.

ومن أبرز علماء معسكر المدرسين بالرباط أثناء الفتح الثاني
 لوهان⁽²⁾ الشيخ محمد الموفق بن محمد المعروف بأبي الجلال⁽³⁾
 وقد ذكره تلميذه الشيخ أحمد بن سحنون الراشدي⁽⁴⁾ قائلاً: وهو

¹ - الحفناوي، المرجع نفسه، ج 2، ص، 451، 452.

2 - احتل الإسبان وهران من جديد سنة 1144هـ / 1731م، وظلوا بها ربع قرن إلى أن أخرجوا منها نهائياً سنة 1206هـ / 1791م على يد الباي محمد بن عثمان الكبير الكردي - باي الأیالة الغربية -، فتسابق الكتاب والشعراء إلى تخصيص هذا الفتح بعده تأليف. ابن سحنون، الثغر الجمانى، (من مقدمة التحقيق)، ص: 9.

³ - ابن عبد الله محمد الموفق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد، تعلم على شيوخ بلده، ثم على شيخ فاس والمحجاز عند أدائه فريضة الحج، ثم عاد إلى بلده ودرس بها. له رسالة قيمة رد فيها على زميله أحمد التيجاني - مؤسس الطريقة التيجانية -، وعلى الرغم من شهرته فلم يحظ بترجمة في كتب المصادر، وقد اشتكتى من ذلك الشيخ المهدى البواعبدلى . ابن سحنون، الثغر الجمانى، ص، ص: 63، 228.

⁴ - أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي توفي بعد عام 1211هـ/1796: ينتمي إلى أسرة علمية، حيث كان والده قاضي قضاة معسكر، نشأ بمعسكر ودرس بها، وكان من ملازمي بلاط البaiي محمد الكبير. وتولى وظيفة الكتابة لهذا البaiي 1193-1211هـ/1779-1796م، ودرس في الرباط أثناء حماصرة البaiي لوهران 1203هـ/1789م. له عدة مؤلفات منها *الثغر الجمانى*، و*عقود المحسن*. سعيدونى، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامى، ص- ص: 439- 441.

الآن كهف إليه الملاذ⁽¹⁾، ونظراً لمكانته العلمية اختاره باي الغرب محمد بن عثمان بالمعروف بـمحمد الكبير⁽²⁾ لإدارة مدرسته المحمدية⁽³⁾، التي بناها قرب مسجده الذي أسسه على أنقاض الجامع العتيق بـمعسكر، ولما عزم على طرد الإسبان من وهران فكر في إحياء الرباط بـجبل المائدة، فوقع اختياره على مدير المدرسة محمد بن عبد الله الجلالي رئيساً للرباط، وعيّن له مساعدين⁽⁴⁾ ومنع الناس من التدريس في المدن، وأن لا يكون التدريس إلا في ذلك الجبل⁽⁵⁾.

وقد درس على الشيخ محمد الجلالي عدد من الطلبة منهم: الشيخ أحمد بن محمد الراشدي، المعروف بـابن سحنون مؤلف "الثغر الجماني" ، الذي استجازه بعد أن لازمه عدة ليال وأيام، فأجازه وكتب له بذلك في 26 ربيع الثاني سنة 1203هـ/1788م. وبعد أن ذكر الشيخ المجيز استدعاء ابن

¹ - ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 228.

² - محمد بن عثمان الكبير تولى بايليك الغرب في جمادى الثانية 1193هـ، وظل به إلى أن توفي سنة 1213هـ. اهتم أهتماماً بالغاً بالعلم؛ فبني ورم المساجد = والمدارس. سحنون، المصدر نفسه، ص: 126 - 133؛ الزهار، مذكرات الزهار، ص: 63؛ الزياني، دليل الحيران، ص - ص: 199 - 204.

³ - وصفها ابن سحنون بقوله: "المدرسة التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها". وكانت تقع بجانب مسجده الأعظم الذي أسسه على أنقاض المسجد العتيق، وقد جعل بجانبه خزانة كتب، كما جعل من بين موظفيه أربعة مدرسين ورتب لهم رواتباً. الثغر الجماني ص: 127.

⁴ - ابن سحنون، الثغر الجماني، (مقدمة التحقيق)، ص، ص: 62، 63.

⁵ - أحمد بن سحنون، المصدر نفسه، ص: 233.

سحنون له قال: "فحينئذ قلت قد أجزت ولدنا فيما قرأ علىَّ وفيما تحصل لي وانتهى إلَيْ، من أصول وفروع، ومرويٌّ ومسموع، أو مؤلف وموضوع، ولبيت دعوته، وقبلت طلبه وقلت: قد أجزت الفقيه المذكور في جميع ذلك ما حضر قراءته علىَّ وما لم يحضره إجازة تامة، مطلقة عامة"⁽¹⁾.

ثم استعرض الكتب التي قرأها عليه ليستحق إجازته بقوله: وقد كان قرأ علىَّ أكثر صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري درساً، وسمع باقيه بحضورنا، وأكثر القرآن العظيم درساً، وقرأ علينا أوائل "كرب الشیخ السنوسی"، ومعظم "جمع الجوامع"، بل معظم شرحه لجلال الدين الخلی، وكل "جوهرة الأخضري وسلمه"⁽²⁾، وباحثنا في أكثر "السعديين" وحواشيهما حال قراءة الجوهرة، كما قرأ علينا جميع "الفیة ابن مالک" مباحثنا أكثر شروحها، كما قرأ علينا "رسالة الوضع" ونخبة بن حجر⁽³⁾، قراءة

¹- أحمد ابن سحنون، المصدر نفسه، ص- ص: 229 - 231.

²- عبد الرحمن الأخضري: ولد في بنطيوس من قرى بسكرة، وذهب معظم من ترجموا له إلى أنه عاش ثلثاً وثلاثين سنة فقط (920- 953هـ)، ولكن نضجه العلمي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان قد تقدم في السن. قضى حياته في التعليم والتأليف في زاوية عائلته في بنطيوس. وقد أثر بعلمه أكثر مما أثر بتتصوفة. من تأليفه: "الدرة البيضاء في الحساب والفرائض" والجواهر المكون في الثلاثة فنون: المعاني والبيان والبدایع" والسلم المرونق في علم المنطق" والمنظومة القدسية في طريق السنة. الحفناوي، تعريف الخلف،

ج 1: 67؛ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص- ص: 500 - 502.

³- الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المصري المعروف بابن حجر (773- 852هـ). السيوطي، حسن الماضرة، ج 1، ص: 310؛ البغدادي، هدية العارفين، ج 2، ص: 217.

تحقيق في الجميع، وغير ذلك مما أجزناه فيه، إجازة تامة شاملة
عامة⁽¹⁾.

ومن بين تلامذة الشيخ محمد الجلالي الذين أجازهم بعد فتح
وهران الشيخ عبد القادر بن عبد الله الراشدي العسكري، الذي
كتب له الإجازة في جمادى الآخرة سنة 1215هـ/1800م، وهي
الإجازة التي عدّ فيها المشايخ الذين أجازوه، من أهل فاس
وتونس ومصر، والمدينة المنورة، ثم أجازه بعدما بين ما الذي
أخذه عليه بقوله: "بعد أن جالسنا في ألفية ابن مالك مجالس
عديدة، وسلك معنا في المسائل الكثيرة، أحسن المسالك، وظهرت
نجابته فيما هنالك، فأجزته في الفقه والنحو والكلام"⁽²⁾.

إنَّ إجازتي الشيخ محمد الجلالي لكل من ابن سحنون
والراشدي إجازات تعليمية، كتبها لهم بعد أن قرءا عليه «قراءة
تحقيق» خبر خلاها مستوى كل منهما.

¹ - أحمد ابن سحنون، الثغر الجماني، ص - ص: 229 - 231.

² - المهدى البواعظلي، الجزائر في التاريخ ، ج4، ص، ص: 150، 151.

- إجازات علماء مدينة مازونة:

كانت مدرسة مازونة⁽¹⁾ على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية للجزائر، وكان لها نظام راسخ، وتقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، واستمرت تشع بالمعرفة حتى بعد انتقال العاصمة الإقليمية من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران، فكانت مقصد طلاب النواحي الغربية، ولا سيما من ندرومة ومستغانم وتنس وتلمسان ووهران⁽²⁾.

وتعُد هذه المدرسة من أقدم المدارس التي أُسست في العهد العثماني، حيث تُشير لوحة التدشين⁽³⁾ الموجودة بمدخلها وإحدى الوثائق التاريخية⁽⁴⁾ إلى أنها تأسست من طرف الشيخ محمد بن الشارف المازوني في سنة 1029هـ/1619م، فدرَّس بها

¹ - مازونة مدينة عتيقة، وهي تقع نحو أربعين ميلاً من البحر المتوسط. وقد اتخذت مقراً لحكم القطاع الغربي وتولى عليها ثمانية عشر بايَا. أوهلم حسن بن خير الدين سنة 971هـ/1563م، وأخرهم الباي مصطفى أبو الشlagم الذي نقل في أيامه كرسى الأيالة الغربية إلى القلعة ثم إلى معسكر. الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، ص: 36. الزيانى، دليل الحيران، ص، ص: 192، 193.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 285.

³ - توجد حالياً بالجهة اليمنى عند مدخل المسجد، وضعت من طرف أحد أفراد هذه الأسرة في الصف الأول من القرن 20 م.

⁴ - عدّ فيها مؤلفها أستاذة مدرسة مازونة، منذ نشأتها إلى تاريخ تحرير الوثيقة وهو سنة 1910م، مبتدئاً بمؤسسها ابن الشارف المذكور، ثم ابنه السيد عبد الرحمن، ولما توفي تولى التدريس ابنه السيد علي، والد الشيخ أبي طالب، وهكذا إلى سنة تحرير الوثيقة.



مؤسّسها حوالي أربع وستين سنة⁽¹⁾، وعنّه تخرّج الحافظ مصطفى الرّماصي. وقد توارث أبناءه المدرسة، وتداولوا على التدريس بها، وأبرزهم الشيخ محمد بن علي المعروف بأبي طالب⁽²⁾، الذي أصبح على رأسها منذ سنة 1189هـ / 1775م، وبقي مدرساً بها أربعة وأربعين سنة إلى وفاته⁽³⁾.

وقد اشتهرت مدرسة مازونة بالحديث وعلم الكلام، وخاصة بالفقه حتى قيل «مازونة بلد الفقه بالقطر الجزائري»⁽⁴⁾ وازدهرت حلقات الدروس بها خلال القرن الثاني عشر الهجري، وهو ما نستتجه من خلال المشوار الدراسي لأبرز خريجيها الشيخ أبو راس الناصري؛ الذي درس على شيوخ بلده معسّكر، ولما ذُكِرَت له مازونة «كثرة مجالسها ونجابة طلبتها، وقريحة أشياخها» سافر

¹ - ورد في هذه الوثيقة أنَّ محمد بن الشارف المازوني بُنِيَ المدرسة من ماله الخاص ودرس بها أربع وستين سنة، وأنَّه توفي سنة 1164هـ. ولكن يظهر أنَّه وقع تصحيف في تاريخ الوفاة، ذلك أنَّه أسس المدرسة سنة 1029هـ والفرق بين تاريخ التأسيس وتاريخ الوفاة 135 سنة، وهذا غير منطقي، ولو لعل الأقرب إلى الصواب هو سنة 1093هـ كتاريخ وفاة وذلك بالجمع بين تاريخ التأسيس (1029هـ) ومدة تدريسه بالمدرسة (64 سنة).

² - أبو طالب محمد بن علي المعروف بابن الشارف المازوني (1103_1233هـ): شارك في محاربة الغزو الإسباني لوهران مع جند الباي محمد الكبير باي وهران سنة 1205هـ. من مؤلفاته: حاشية على شرح الخرشفي. محمد أبو راس، فتح الإله، ص: 46؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 506؛ ابن سحنون، الثغر الجماني، ص:

³ - وثيقة تضم مدرسي المدرسة منذ تأسيسها إلى سنة 1910.

⁴ - الكتاني، المرجع السابق، ج 1، ص: 506.

إليها، وفيها درس على عدد كبير من العلماء، الذين تخصص جلهم في الفقه المالكي، وبالأخص بإقرائهم كتاب "ختصر خليل"⁽¹⁾.

ويُعدُّ الشيخ أبو طالب محمد بن علي⁽²⁾ من أشهر المدرسين مازونة، ونظراً للجهود التي قام بها في الجهاد ضدَّ النصارى في الرباط بوهران، وسعت له السلطة العثمانية المدرسة ببناء بيوتها وجامعها، وقد كان عدد الطلبة بالمدرسة في حياته كبيرة، فقد أخذ معه إلى الرباط بوهران مائتي طالب⁽³⁾. وأكثر تلامذته شهرة: محمد بن علي مؤسس الطريقة السنوسية، ومحمد أبو راس الناصري إلا أنَّ هذا الأخير لم يحضر مجالسه إلَّا لفترة وجيزة ثم انقطع عنها

¹ - من شيوخها الذين درس عليهم أبي راس: الفقيه ابن علي بن أبي عبد الله المغيل والشيخ العربي بن نافلة والشيخ محمد الصادق بن آغقول الذي انتهت إليه - حسب أبي راس: "رئاسة التدريس"، وشدَّت إليه الرحال من حوالي زواوة وغريس". وعقدت حلقات الدروس أخرى بضواحي مدينة مازونة. ومن شيوخ قرية الغيران القرية منها: الشيخ مصطفى بن هني، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ مصطفى بن يونس. كما كان للمقرئ الشيخ ابن قندوز التوجيني معهداً ضواحي مدينة البطحاء يتعلم فيه القرآن نحو أربعين طالب، عندما ألقى عليه السلطات العثمانية القبض وأعدمه. أبو راس، "فتح الإله ومنتها"، ص - 43- 46؛ ابن سحنون، "الثغر الجماني"، ص: 50.

² - خلَّدَ الشيخ عبد القادر بن المختار الخطابي أسانيد ابن الشارف بكتابه «الكوكب الثاقب بأسانيد أبي طالب»، مخطوط بحوزة الشيخ أبو عبد الله شراك إمام مسجد شرایفية بالمدينة الجديدة وهران.

³ - ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 234.



واعتراض عنه لما كان "يدعوه من إشارات غيب"⁽¹⁾، ولذلك يُستبعد حصوله على إجازة منه.

أمّا الشيخ محمد بن علي السنوسي، فقد قرأ عليه النصف الأول من "ختصر خليل" مراراً، وكان يلتزم شرح الخرشي⁽²⁾ غالباً مع حاشيته عليه، ثم أناب الشيخ حفيده الشيخ أحمد بن هني للتدريس، فقرأ عليه ابن علي السنوسي - على سبيل النيابة - النصف الثاني من المختصر مراراً، وسمع ابن السنوسي على شيخه بالإضافة إلى الكتاب المذكور مجالس من صحيح البخاري، ومثلها من صحيح مسلم والموطأ، وأخذ عليه التوحيد، وناوله شرحه الكبير على صغرى السنوسي، كما ناوله صحيح البخاري وصحيح مسلم، وحاشيه على الخرشي، وهي في جزأين، وأجازه في ذلك كله، آمراً له بإقراء ما قرأه عليه، ومراجعة عليه ما قرأه على حفيده من شرح الخرشي⁽³⁾، فهي إذن إجازة تعليمية.

وتولى حفيده الشيخ أبو العباس أحمد بن هني هو الآخر التدريس في المدرسة، فأخذ عليه عدد من العلماء كالشيخ محمد بن أبي الحسن العبادي⁽⁴⁾ الذي ورد إلى مازونة للاستزادة على

¹ - أبو راس، المصدر السابق، ص: 46.

² - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي (1010-1101هـ): شيخ المالكية بمصر تصدر للإقراء بالأزهر. من مؤلفاته: شرحان على مختصر خليل كبير وصغرى. المرادي سلك الدرر، ج 4، ص: 78؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 317.

³ - البواعدي، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص، ص: 196 ، 197 .

⁴ - أبو عبد الله محمد بن علي البحري الصابري العبادي الدار، درس على جملة مشايخ منهم والده، كما درس بالشفر الوهراني، ودرس بزاوية عمه المدعو أبي العباس أحمد بن

علمائها، فدرس على الشيخ المذكور، وأجازه إجازة عامة⁽¹⁾. كما درس عليه الفقيه محمد الحرشاوي الندرومي⁽²⁾، وأخذ عنه مختصر خليل، فأجازه بما سمعه منه⁽³⁾.

- إجازات علماء مدينة تلمسان:

كانت مدينة تلمسان⁽⁴⁾ - عاصمة الدولة الزيانية - من الحواضر الثقافية الكبرى في المغرب الأوسط، وبدخول العثمانيين إليها فقدت مكانتها السياسية والثقافية، نتيجة لاضطراب الوضع السياسي، وكثرة الفتنة الداخلية⁽⁵⁾، كما لم تسلم من الحملات المتكررة التي نظمها ضدها ملوك المغرب الأقصى⁽¹⁾.

أبي سيف بالعين الكبيرة بجبل أترار بنو ولهاص. الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 344.

¹ - الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 344.

² - المدرس بالجامع الأعظم، درس في مازونة أيضاً على الشيخ العباس بن رحال الندرومي، ثم رحل إلى فاس وأخذ على علمائها. الحفناوي، المرجع نفسه، ج 2 ص: 367.

³ - الحفناوي، المرجع نفسه، ج 2، ص: 367.

⁴ - تلمسان: مدينة كبيرة، توسيع أيامبني عبد الواد حتى أصبح فيها ألف كانون في القرن 8 هـ، بها خمسة أبواب. ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج 2، ص: 17.

⁵ - شهدت تلمسان أوائل القرن 10 هـ اضطراب، نتيجة اقتتال أفراد الأسرة الزيانية الحاكمة على العرش، فاستنجد سكانها بعروج بريروس فلبى طلبهم، ولكن ما إن علموا بنوایاه بضم المدينة إلى إقليم الجزائر تخلوا عنه، فتمكن أبو حمود من مساعدة الإسبان من الاستيلاء على تلمسان بعد قتل عروج في مايو 1518م، وكانت هذه الأحداث بداية الفوضى التي عرفتها المدينة عند دخول العثمانيين إليها، والتي سوف تستمر لسنوات عدة، وقد استعمل الولاة العنف اتجاههم فتأزم الوضع أكثر، من الثورات الداخلية التي



وطلت المدينة مهزومة سياسياً وثقافياً طيلة العهد العثماني⁽²⁾، بشهادة ابنائها والطارئين عليها، ومن اضطر إلى مغادرتها إلى المغرب الأقصى الشاعر سعيد المداسي⁽³⁾ الذي نظم العديد من القصائد التي عكست أحداث عصره، وهذا ما عبر عنه في قصيده النونية الشهيرة "الإعلام فيما وقع للإسلام من قبل الترك في تلمسان"؛ وما جاء فيها قوله⁽⁴⁾:

وأكبر شيء أفسدته أكفهم تلمسان عين الغرب علما وإيمانا
وكانت لهم لما أرادوا إفساداً أراذل منها كالبطارق أعوانا

شهدتها تلمسان: ثورة سنة 1085هـ/1674م. وحتى مع الهدوء النسبي الذي سادها خلال القرن 12هـ، عرفت بعض الاضطرابات منها محاولة القائد رجم الباجوبي الاستقلال بها سنة 1171هـ. الزهار، مذكرات الزهار، ص: 18؛ القادري، نشر الثاني، ج 1، ص: 217. توفيق المدنى، حرب الثلاثمائة سنة، ص - ص: 187 - 196.

¹ - من هذه الحملات حملات السنوات الموالية: سنة 956هـ، سنة 1068هـ، سنة 1085هـ، سنة 1091هـ. الناصري، الاستقصاء، ج 5، ص: 25؛ القادري، المصدر السابق، ج 1، ص: 217؛ وج 2، ص: 87.

² - على الرغم من أنها لم تسترجع مركزها الثقافي والسياسي، إلا أنها عرفت انتعاشًا ملحوظاً في الميدان الاقتصادي. المهدى البو عبدى، التعريف = مدينة تلمسان وولايتها عبر التاريخ. أعمال الملتقى التاسع للفكر الإسلامي "تلمسان" جويلية 1975م. قسنطينة: مطبعة البعث، 1979. مج 4، ص: 1367.

³ - أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني (ت 1088هـ/1677م): هجر تلمسان على إثر القمع والمصادرة التي تعرض لها سكان المدينة من طرف القائد حسن على عهد dai عثمان باشا حوالي (1060هـ / 1650م)، ولحق بيلات الملك محمد بن عبد الله العلوي، ثم بيلات مولاي اسماعيل. سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص: 370.

⁴ - سعيدوني، المرجع نفسه، ص - ص: 374 - 370.

ودخلها الشيخ أبو راس الناصر في أواخر القرن الثاني عشر المجري (18م)، وعبر عما آلت إليه في عهد العثمانيين، قائلاً -
بعدما ذكر أمجادها في العهود السابقة- "أَمَا الْآن فَهِيَ كَامِسُ الدَّابِرِ،
وَالْمَيْتُ الْقَابِرُ، قَدْ اسْتَوَى عَلَى أَكْثَرِهَا الْخَرَابِ، وَنَاحَ عَلَى عَرْوَشِهَا
الْغَرَابِ، فَأَصْبَحَتْ خَامِدَةَ الْحَسَنِ، ضَيْقَةَ النَّفْسِ، كَانَ لَمْ تَكُنْ
بِالْأَمْسِ"^(١)، وأقام بها الرّحالة المغربي أبو القاسم الزياني أزيد من
سنة^(٢)، ووصف طلبتها بقوله: "هُؤُلَاءِ الْطَّلَبَةِ الَّذِينَ بِتَلْمِسَانِ لَيْسُ
فِيهِمْ مَنْ يَحْسَنُ مِنْطَقَاً، وَلَا لِغَةً، وَلَا عَرْبِيَّةً، وَلَا إِصْلَاحَ لِلْلِسَانِ
وَلَا يَتَعَاطُونَ الْفَرْوَعَ الْفَقِهِيَّةَ، وَالْأَحَادِيثَ النَّبُوَيَّةَ"^(٣).

وهكذا فإنَّ الجو السياسي لم يكن ملائماً للاستقرار بتلمسان ونواحيها عقب استيلاء العثمانيين عليها، ولهذا هجرها العديد من العلماء، وظلت موجة الهجرة نحو المغرب الأقصى مستمرة حتى

^١ - أبو راس الناصر، فتح الإله ومنتها، ص: 108.

^٢ - سجل انطباعاته عنها في قصيدة هجا فيها قاضي المواريث بها، وما ورد فيها قوله: «كانت تلمسان بالأعلام صائلة ◆ وبالجیاد ولم تربط بها الحمر أصابها المسخ إذ عادت تبع بها◆ مناصب العلم للأجلاف والخور وكيف لا وجندو الترك حولكم ◆ تسوقكم بعضی الخسف لا تذر»

^٣ - أبو القاسم الزياني، الترجانة الكبرى في أخبار المعمور برا ومجرا، ص: 142.

بعد أن استقرت الأوضاع للعثمانيين بها⁽¹⁾، وهناك عائلات انتقلت بأسرها إليه ولاسيما إلى فاس⁽²⁾.

إن فقدان المدينة لزعامتها السياسية ولوروثها الثقافي، لا يعني أنها استسلمت نهائياً لها، فقد استرجعت بعض مآثرها بفضل جهود من آثر الاستقرار بها من العلماء⁽³⁾، وبفضل نشاط مؤسساتها التعليمية، ولهذا قال "أميريت مارسيل" بأنها كانت مركزاً فكرياً، وبأن التعليم الثانوي والعلمي فيها كان متوفراً لستة مئة طالب في مدرستي الجامع الكبير، ومدرسة أولاد الإمام⁽⁴⁾ وأضاف

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 423.

² - عد عبد الكبير الكتاني في كتابه زهر الأسم في بيوتات فاس حوالي 25 عائلة بفاس وحدها تعود أصولها إلى تلمسان استقرت هناك. مثلاً ج 1، الصفحات: 395، 406، 561، 565.

³ - يذهب المهدى البواعذلي إلى أن هؤلاء العلماء كانوا يحسنون بذلك الفراغ الذى ساد عاصمتهم، ولعل ذلك كان سبب الخلاف بينهم وبين علماء الراشدية الذى أنفوا من مزاحمتهم لهم في الميدان الثقافي، وتجلى ذلك الخلاف في عدة مظاهر، منها: انتصارهم لشرح الخرشى على مختصر خليل في الفقه، عندما حمل عليه عالم الراشدية الفقيه مصطفى الرماسى؛ الذى ألف رسالة أحصى فيها أخطاء الخرشى فيه، وكان على رأس المتتصرين للخرشى من علماء تلمسان قاضيها الفقيه محمد بن عبد الرحمن؛ الذى تصدى لشرحه. الجزائر في التاريخ، ج 4، ص: 169، 170.

⁴ - زارها أحمد المقرى رفقة جملة من العلماء في حدود سنة 1010هـ ووصف وضعيتها بالتدحرج، فلعلها حظيت بالاهتمام خلال القرن 12هـ. أحمد المقرى، رحلة المقرى إلى المغرب والشرق، تتح: محمد بن معمر. سيدى بلعباس (الجزائر): مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2004. ص: 40.

قائلاً بأنه وجد بضواحيها بالإضافة إلى الزاوية المشهورة المعروفة
بزاوية عين الحوت، حوالي ثلاثين زاوية⁽¹⁾.

وما يؤكد احتفاظ تلمسان ببعض مآثرها؛ شدُّ الرحال إليها -
من طرف بعض علماء المغرب الأقصى، فقد أخذ على علمائها -
خلال هذه الفترة العصيبة من تاريخها - الشيخ عيسى بن محمد
البطوئي صاحب "مطلب الفوز والفلاح" ت 1040 هـ / 1630 م⁽²⁾
والشيخ أحمد بن إبراهيم الراسي (ت 1039 هـ / 1630 م) الذي
درس بها سنين عديدة، ثم رجع إلى بطwie⁽³⁾ بلده حوالي عام
996 هـ / 1588 م، أمّا العلامة محمد اليسني فقد دخلها أثناء
رحلته إلى المشرق سنة 928 هـ، وسمع بها على الشيوخين: محمد
بن موسى مفتى تلمسان وسعيد المنوئي⁽⁴⁾.

ومن العلماء المدرسين بها خلال القرن العاشر للهجرة
الشيخ أحمد بن محمد العبادي⁽⁵⁾، وقد كان ابنه العلامة أحمد⁽¹⁾ من

¹ - Emerit Marcel, L'Algérie à l'époque d'abd - El-Kader p:13.

² - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 2، ص، ص: 455، 456.

³ - تقع بطwie أو بطwie في الساحل الشمالي من غرب مليلية، وهي من المراكز الفكرية
القروية بالمغرب. حجي، المصدر نفسه، ج 2، ص: 455.

⁴ - أحمد المنجور، فهرس المنجور، ص: 31.

⁵ - أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي (ت 932 هـ): نظراً لمكانته قدمه الناصر بن الشيخ
الوطاسي للتدرис في جامع القرويين مع توافر العلماء به، فأخذ عليه عدد من أعلام
المغرب كالشيخ أبي محمد الهبتي، وأخذ العبادي بدوره التصوف عن الهبتي. أحمد بن
عسكر، دوحة الناشر في محسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تج: محمد

جملة تلامذته، فأجازه في "ال حاجين" الأصلي والفرعي، عن شيخه محمد بن عيسى البطوئي⁽²⁾ السابق الذكر، فهي إجازة خاصة بالكتابين المذكورين، كما أجازه إجازة صوفية عن الشيخ محمد بن سليمان الجزوئي صاحب "دلائل الخيرات"⁽³⁾.

ومن العلماء المدرسين بضواحي المدينة: الشيخ الإمام محمد بن منصور المستغاني⁽⁴⁾، وكان الشيخ محمد بن علي الصباغ القلعي⁽⁵⁾ صاحب "الدّرّة الصباغية في شرح الجرومية"⁽¹⁾ من جملة

حجي. الدار البيضاء (المغرب) : منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، (ط3) 2003.
ص: 108.

^١ - أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي (ت 985هـ / 1577م): رحل إلى فاس سنة 968هـ، وأكرمه السلطان غالب ولشاكل حدثت له بفاس رجع إلى تلمسان ومنها إلى ملائكة ابن عسك ، المصدر نفسه، ص: 107.

² - أحمد بن عسكر، المصدر نفسه، ص: 107.
³ - المصدر نفسه، ص: 13.

⁴ - أبو عبد الله محمد بن منصور المستغاني دفين مزغران: من علماء القرن 10هـ، كان عالماً مدرساً، ومن جملة ما درس التوحيد، له شعر في مدح الشيخ محمد بن يوسف السنوسي. ابن مريرم، البستان، ص: 248؛ عبد القادر بن عيسى المستغاني، مستغاثم وأحوالها عبر العصور. مستغانم: المطبعة العلاوية، = (ط1)، 1996. ص: 41. لا نعرف بالضبط مكان دراسة ابن الصباغ عليه، فهل كان ذلك في مستغانم أم في القلعة أم في تلمسان؟

5 - التصوف محمد بن أحمد بن علي الصياغ القلعي نسبة إلى قلعة هوارة القرية من تلمسان، ولد سنة 923هـ، تولى قضاء القلعة، وهو من تلامذة أحمد بن يوسف الملياني، وألف في مناقب كتاباً سمّاه "بستان الأزهار". وله شرح في أسماء الله الحسني، وشرح في الأذكار والفوائد في شرح النظم الشهير بالمراد، وهو شرح القصيدة المرادية في التصوف للشيخ إبراهيم التازري. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 2، ص: 114-116.

تلامذته، فذكر في مقدمة كتابه المذكور بأنه قرأ عليه إعراب الأجرمية من أوله إلى آخره، فأجازه فيه⁽²⁾، فهذه إجازة قراءة خاصة بهذا المؤلف.

وكما هو الحال بالنسبة لباقي المدن الإسلامية، كان جامع تلمسان الأعظم⁽³⁾ أهم مركز تعقد فيه حلقات الدروس العليا والتي انتعشت به على يد أبرز علمائها خلال العهد المدروس وهو الشيخ العلامة سعيد بن أحمد المقرى⁽⁴⁾، فقد تولى الفتوى بها لمدة ستين سنة⁽⁵⁾، والخطابة بجامعها الأعظم لمدة خمس وأربعين سنة⁽⁶⁾ ولكن شهرته الحقيقة اكتسبها من تصديقه للتدريس بهذا الجامع

¹ - قال أبو القاسم سعد الله بأن هذا العمل يدل على سعة معلومات صاحبه في علم النحو. المرجع نفسه، ج 2، ص: 162.

² - الصباغ، « الدرة الصباغية في شرح الجرمية ». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2325. ورقة: 2 وجه.

³ - شبيه الخليفة المرابطي علي بن يوسف سنة 530هـ / 1135م. توفيق المدنى، كتاب الجزائر، ص: 190.

⁴ - أبو عثمان سعيد المقرى (928 أو 930هـ - 1025هـ / 1616م): تعلم في تلمسان على يد مشايخها منهم: محمد بن عبد الرحمن الورغاني، وعمر الراشدي وشقرن بن هبة الوجديجي. وكان ابن خالته الشيخ محمد ابن محمد بن عيسى البطوئي التلمساني نزيل المدينة المنورة ودفنه يكتب إليه، ويقول له في كتابه: أرم تلمسان قبل أن ترميك. ابن مرريم، البستان، ص: 104، 273؛ الأفراقي، «صفوة من انتشر»، ورقة: 34، وظ: القادرى، نشر الثانى، ج 1، ص: 131؛ أحد بن القاضى، جدة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقه، 1973، ج 1، ص: 323؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافى، ج 1، ص: 376-379.

⁵ - اليفرنى، المصدر السابق، ورقة: 34 ظ.

⁶ - ابن مرريم، البستان، ص: 104.

المقرى... فهو شيخ أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم عن غير
كلالة⁽¹⁾.

ولكن على الرغم من حرص المقرى على الاحتفاظ بإجازاته
وتدوينها في تاليفه، إلا أن مؤلفاته المتداولة لا تتحدث عن إجازة
عمه له، ولا نعرف عنها إلا ما ذكره محمد بن عبد الكريم قائلًا
بأنه "أجازه في جميع الفنون التيقرأها عليه"⁽²⁾، أو ما ورد عن أحمد
المقرى نفسه في كتابه "فتح المتعال في مدح النعال" مبينا سند
الأحاديث النبوية الواردة في النعال الشريفة: "أنبأنا عمنا ومفیدنا
شيخ الإسلام، ومفتی الأنام، الشيخ سعید بن أحمد المقرى - صبّ
الله شابیب رحماه - في عموم إجازته... (سند الحديث)"⁽³⁾.

وعلى الرغم من كثرة تلامذة الشيخ أحمد المقرى المذكور في
المغرب والشرق، فلم يتلمسن عليه إلا عدد قليل من الجزائريين
حيث رحل عن تلمسان نهائيا سنة 1013هـ، وكان عمره آنذاك
حوالي سبع وعشرين سنة، فلم يكن عندها قد بلغ مبلغ العلماء
الكبار المانحين للإجازة، وأثناء رحلته إلى الشرق سنة 1027هـ
نزل بمدينة الجزائر، وألقى بها دروسا في التفسير، وأحاطه علماؤها
وأدباًها بالتقدير والاحترام، وتبادل معهم الألغاز والأشعار
ولكنه لم يذكر أنه تبادل معهم الإجازات، وظل يتبادل الرسائل

¹ - أحمد المقرى، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج 1، ص: 10.

² - المقرى وكتابه نفح الطيب، ص: 131.

³ - أحمد المقرى، «فتح المتعال في مدح النعال». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2203. ورقة: 11 و.



مع بعضهم وهو في المشرق كالشيخ سعيد قدورة⁽¹⁾، كما كان يتبادل الرسائل مع الشيخ عبد الكريم الفكون⁽²⁾، ولكن لم تثمر علاقاته هذه بتبادل للإجازات.

وهناك من العلماء الجزائريين من أخذ عليه بالشرق، بحيث اجتمع به الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيسي بالقاهرة وحصل على إجازة منه، ومما ورد في إجازته له: "وكان من جملة من سلك هذا الطريق (أي طريق العلم)، وانتهى إلى خير فريق، الفقيه الفاضل، الأريب الشيخ محمد بن عبد الكريم بن محمد التواتي سألني أن أجيزه، بكل ما تجوز لي وعني روایته بشرطه، مع أيّي لست بأهل المعرفة بما طلب وضيّقه، فقال لسان حاله عند ارتحاله، ما لا يدرك جله لا يترك كله، ولما ألح في المطلوب، أجبته في صورة المكره المغلوب، جميع ما تصح لي وعنّي روایته من مجاز وسمّوّع، ومصنف ومجموع، على الشرط المعتبر، عند أصحاب الأثر"⁽³⁾، وكان ذلك في سنة 1041هـ.

¹ - من هؤلاء الذين لقيهم في مدينة الجزائر وتبادل معهم الأشعار: مفتى الحنفية بها محمود بن حسين ابن قرمان، والأديب محمد بن راس العين. وكان قبل ذلك وهو في فاس يتبادل الرسائل مع الشيخ عبد الرحمن بن علي المجاجي آبهلوں من ذلك الرسالة التي بعث لها بها سنة 1026هـ. المقرى، الرحلة، ص، ص: 72، 73، و 213.

² - الفكون، منشور المداية، ص: 224.

³ - بكري البكري، "تمثيل رمز تاريخ وعنوان حضارة"، ص، ص: 67، 68.



أما الشيخ محمد المنور التلمساني⁽¹⁾ فلا نعلم إن كان مدرسا بتلمسان، وكل ما يمكن تأكيده من خلال بعض الإشارات الواردة في "فتح الإله"، أنه درس في الغرب الجزائري، فقد وجد الشيخ الرماسي يدرس في المنطق، فاعتراض عليه في بعض الأمور⁽²⁾، وكان الشيخ عبد القادر المشرفي المعروف بإمام الراشدية ممن تلمذ على الشيخ المنور، وكان ملازما له⁽³⁾، فأخذ عنه الفقه والأصول، وعلم الكلام والنحو والبيان فأجازه⁽⁴⁾، فهذه إجازة تعليمية حصل عليها صاحبها بعد الدراسة والملازمة الطويلة لشيخه.

ورحل الشيخ محمد المنور إلى المشرق واستقر بمصر، ودرَّس برواق المغاربة في الأزهر، وطار له صيت هناك، وفي إحدى حجات الشيخ الحسين الورتلاني حضر دروسه في "كجرى السنوسي"، وقد اجتمع عليه خلق كثير، فأثار هذا الأخير في مجلسه عشر مسائل جلها في علم الكلام، إلا أن أجوبة المنور لم ترق له وهذا قال عن جوابه في المسألة الأولى: "فوجدته كأنه لم يسمعه (أي

¹ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله أيوب الملقب بالمنور (ت 1172هـ / 1758م): أخذ عن علماء الجزائر والمغرب الأقصى. مرتضى الزبيدي، تاج العروس. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (ط1)، 1888م، ج 3، ص: 590.

² - أبو راس الناصر، فتح الإله، ص: 54. وكان هذا الاعتراض سببا في تأليف الرماسي في المنطق.

³ - كان ملازما له حتى في سفره حيث زار معه مدينة الجزائر. أبو راس، المصدر نفسه، ص: 91.

⁴ - أبو راس، المصدر نفسه، ص: 53.



علم الكلام) قط، فلم يتعب نفسه في شيء أصلاً، فلما علمت منه ذلك، تبين لي أنه لا خبرة له به رأساً، والكلام فيه معلوم، أما عن جوابه في المسألة الثانية فقال: "فلم يتفق له الجواب أيضاً كأنه- رضي الله عنه- وإن حصل له علم تحقيقاً، فقد طال عليه العهد ببرؤية الكتب"⁽¹⁾.

ومن المعلوم أن الشيخ الورتلاني استجاز جملة من علماء المشرق⁽²⁾، ولكنه لم يستجز الشيخ المنور التلمساني، فهل إخفاق هذا الأخير في الإجابة عن الأسئلة المطروحة للنقاش، جعلته لا يراه كفؤاً لأنّه لأخذ الإجازة عنه ؟ سيما وأنه علق على كثرة الحاضرين حلقة بقوله: "غير أنَّ الغالب منهم مقصودهم البركة ومعه التحقيق من غير شك"⁽³⁾.

وقد أجاز الشيخ المنور عدداً من العلماء الجزائريين الوافدين على مصر، كالشيخ محمد بن عبد الرحمن الزواوي الأزهري الذي أجازه، وكتب له بذلك⁽⁴⁾، والشيخ علي بن محمد الجزائري المعروف بابن الترجمان، الذي اتخذ مسكنه قرب الجامع الأزهر

¹ - الورتلاني، نزهة الأنوار في علم التواریخ والأخبار، ص- ص: 304- 306.

² - ذكر الورتلاني كل العلماء الذين أجازوه بالشرق، فلو أجازه محمد المنور لذكر ذلك. الرحلة، ص- ص: 294- 297؛ وينظر أيضاً الفصل الثالث.

³ - الحسين الورتلاني، المصدر نفسه، ص، ص: 303، 304.

⁴ - الحفناوي، تعريف الخلف ب الرجال السلف، ج²، ص: 471.

⁵ - محمد بن علي الجزائري (1100- 1185هـ/ 1771م): دخل الروم مراراً، وحظي عند أرباب الدولة. عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في الترجم الأخبار، تتح: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1)، 1997. ج¹، ص: 288.



ولهذا يغلب على الظن، أن يكون تردد على الأزهر لطلب العلم وبالأخص على الشيخ المنور التلمساني الذي أجازه، وكان ابن الترجمان من العلماء البارزين لهذا وصفه الجبرتي بأنه: "أحد أذكياء العصر، ونجباء الدهر، من جمَعَ متفرقات الفضائل، وحاز أنواع الفواضل"، وبأنه "زاحم العلماء بمناقبه في تحصيل أنواع العلوم"^(١).

ومن علماء تلمسان المهاجرين إلى المشرق، بعد تصديهم للتدريس بها مدة طويلة: الشيخ محمد بن عبد الرحمن البدرى التلمساني الذي "نبذ تلمسان نبذا كلها، ولحق بالحرمين الشريفين"^(٢)، عندما عُزل عن المناصب التي كان يتولاها ومن بينها القضاء، وذلك بعد أن "الحق عوام تلمسان بالفقهاء، وسفهائهم بالزهاد" - كما وصفه تلميذه أبو راس^(٣)، وكان هذا الشيخ أحد علماء تلمسان الأربعة الذين اتصل بهم الشيخ محمد الموفق بن عبد الله الجلالي وأجازوه، أمّا الإجازات الثلاثة المتبقية فقد منحها له كل من: السيد محمد بن للو، والسيد الداودي القرولي، والسيد الطالب^(٤).

ودخل الفقيه أبو عبد الله محمد العيد بن محمد الفجالي القسنطيني الشاذلي، مصر أثناء رحلته لأداء الفريضة، واجتمع

^١ - عبد الرحمن الجبرتي، المصدر نفسه، ج ١، ص: 287.

^٢ - أبو راس الناصر، فتح الإله ومنتها، ص: 49.

^٣ - أبو راس الناصر، المصدر نفسه، نفس الصفحة.

^٤ - البواعدي، الجزائر في التاريخ، ج ٤، ص: 151.

فيها مع بعض أهل الإغاثة والنصر فأجازوه في الفقه المالكي، وفي الأحزاب الشاذلية، ودلائل الخيرات⁽¹⁾، ومنْ أجازه في بعض ذلك نزيل مصر القطب الشيخ محمد العربي التلمساني الذي كتب له الإجازة في أوائل ربيع الأول سنة 1132هـ / 1719م، وقال فيها حاكيا عن نفسه: " وقد تلقى العبد الفقير، المعترف بغایة العجز والتقصير، محمد العربي التلمساني دلائل الخيرات عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهذه نعمة عظيمة من أكبر النعم...".

أما نوع هذه الإجازة، فلا يستبعد أن تكون إجازة روایة، كما قد تكون إجازة صوفية لأنَّ كلاهما من رجال التصوف وللإشارة فإنَّ الفقيه محمد العيد لم يكن من فطاحل العلماء، فلم يأخذ غير الفقه والتوحيد، بشهادة الشيخ محمد الشريف الجعدي الذي التقى به أثناء زيارته لمدينة الجزائر في سنة 1143هـ / 1730م، وقد ذكر بأنه: "أخذ من الفقه طرفاً، وتبواً من التوحيد غرفاً"، وذلك ما أخبره هو به، كما لاحظ ذلك بنفسه لأنَّ حاله تشهد به.

يتضح مما تقدم أنَّ إهمال العثمانيين للعلم وحركة التعليم بالجزائر، انعكس سلباً على التعليم من المستوى العالمي بها، ولقلة

¹ - دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار - صلى الله عليه وسلم - للشيخ الصوفي محمد بن سليمان بن داود، أبي عبد الله الجزاولي المراكشي المغربي المكي المالكي (ت 863هـ أو 870هـ حسب ابن القاضي). درة الحجال، ج 2 ص: 297؛ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن النابع. بيروات: دار مكتبة الحياة. مج 4، ج 7، ص: 258، 259.

² - الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 544.

المناصب الدينية والعلمية بها، فلم يكن للطلبة محفز لمواصلة التعليم سوى الرغبة في العلم، والطموح الذاتي، وهذا كان جلهم يكتفي بالتعليم الأولي، لينشغل بطلب الرزق عن طلب العلم.

ومع ذلك فلا جدوى من الحط من مستوى الدروس العليا في الجزائر، فقد عقد كبار مدرسيها حلقات دروس ذات مستوى راقي في معاهد مختلفة، وبالأخص في جوامعها العظمى، كما تبادل العلماء الجزائريين الإجازات العلمية فيما بينهم، ورغم قلتها إلا أنها تعبر عن مستوى العلماء الجزائريين لأن الإجازة لا تمنح إلا من طرف أكابر العلماء.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو انحصر الإجازات المتبادلة بينهم في إجازات القراءة والرواية، فلم أجده أي ذكر أو أية إشارة في المصادر التي اطلعت عليها، لإجازات التدريس والإفتاء، والإجازة بالقراءات القرآنية، وهو أمر مستغرب بالأخص في منطقة زواوة الشهيرة بعلم القراءات.



الفصل الثاني

الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء
الجزائريين وعلماء المغرب الأقصى وتونس

ارتبط علماء الجزائر بصلات ثقافية وثيقة بأقرانهم في المغرب الأقصى وتونس، في وقت لم تكن فيه الحدود السياسية تحكم في حركة الأفراد، فتنقل هؤلاء العلماء بين هذه الأقطار؛ طلبا للعلم أو هجراناً لبلدانهم لظروف مختلفة، في مقدمتها الظروف السياسية، حيث دأب العلماء على هجران البلدان التي تكثر فيها الفوضى والفتنة إلى أخرى أكثر أمناً واستقراراً، بحثاً عن جو ملائم للعطاء الفكري. كما كان لا اهتمام الحكام بالحركة الفكرية دور كبير في استقطاب العلماء إلى بلدانهم، واتصل علماء المغرب الإسلامي فيما بينهم أيضاً في المشرق، خصوصاً أثناء الرحلات الحجازية. وكان لتنقلاتهم دور إيجابي في توثيق الصلات الثقافية بينهم، فتبادلوا التاليف والفتاوی، والأراء في المسائل الفقهية والكلامية المتنوعة، واستجذروا وأجازوا بعضهم البعض.

أولاً. التعليم من المستوى العالي بالمغرب الأقصى وتونس

شهد القرن العاشر الهجري (16م) تحولاً سياسياً في المغرب الإسلامي⁽¹⁾ عموماً، حيث تزامن دخول المغرب الأوسط في طاعة العثمانيين مع قيام الدولة السعودية⁽²⁾ في المغرب الأقصى والتي بُويع أول سلطانها سنة 916هـ / 1510م، في الوقت الذي كانت فيه الدولة الحفصية في المغرب الأدنى تعيش مرحلة من التدهور، أدت في النهاية إلى خضوعها هي الأخرى للخلافة العثمانية.

وقد انتعشت الحياة الفكرية بالمغرب الأقصى مع قيام الدولة السعودية، وما ساعد على ذلك هو: أنَّ السلاطين السعوديين

¹ - لم أتناول الإجازات العلمية المتبادلة مع علماء المغرب الإسلامي عموماً، دون تخصيص لهذاين القطرين، لأنَّ المادة العلمية المتوفرة لا تسعفي لذلك، فلم يشتهر علماء قطر طرابلس (ليبيا) الذي كان تابعاً للخلافة العثمانية، ولم تترجم المصادر إلا لعدد قليل منهم، ولم تكن به مراكز فكرية، بل كاد ينعدم فيها التدريس تماماً، وقد صور الورتلاني تصويراً واضحاً لتطور حالتها الثقافية، وانعدام التدريس في مدينة طرابلس وأشار إلى وجود بعض المدارس في بعض القرى والمدن، لتدريس القرآن الكريم وبعض العلوم ويشير إلى كثرة الأولياء والصالحين والمزارات بها. مختار فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة، ص، ص: 176-179.

² - قامت الدولة السعودية على أنقاض الدولة الوطاسية؛ وهي فرقة من بني مرين، ولما عجزوا عن مقاومة البرتغاليين وردهم عن سواحل المغرب، واستغلوا بالكيد لبعضهم حباً في الرئاسة، ثارت عليهم الرعية؛ وفي مقدمتها الأعيان والعلماء، ونصبوا رجلاً من أشراف السعوديين وهو محمد القائم. محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب ص: 45.



أنفسهم كانوا رجال علم وأدب، حيث كان محمد القائم⁽¹⁾ أول سلاطينها فقيها، فاشتغل بالتدريس قبل أن يختار للإمارة، كما كان ابنه محمد المهدى الشيخ أديباً، وأبناؤه محمد المتوكل وأحمد المنصور⁽²⁾، وأحفاده محمد بن عبد القادر وزيدان كلهم علماء أدباء. وعليه فمن الطبيعي أن يتکاثر عدد العلماء والطلبة أيام إقبال الدولة السعدية بعد أن وُطئت لهم الأکناف، وأغدقوا عليهم الأرزاق⁽³⁾.

تُعد ولاية السلطان أحمد المنصور الذهبي التي تزيد عن ربع قرن الأبرز في تاريخ الدولة السعدية من جميع النواحي، في مقدمتها الحياة الفكرية التي بلغت في عهده أوج ازدهارها، وتجلى ذلك في تزايد معاهد العلم، وقد كان هذا السلطان نفسه عالماً مولعاً بالحديث الشريف فأخذه رواية ودرایة، وتلقى إجازات

¹ - محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله (ت 923هـ / 1517م): كان يقطن درعة موطن أجداده، ونظرًا لما عرف به من حسن السيرة، نصبه الرعية سلطاناً عليها سنة 916هـ / 1510م، وبعد وفاته خلفه ابنه أحمد الأعرج. محمد حجي، الحركة الفكرية ج 1، ص: 43.

² - السلطان أبو العباس أحمد المنصور بالله ابن السلطان أبي عبد الله الشيخ (956-1112هـ): كان عالماً أدبياً، مشاركاً في عدة علوم، وله بعض التأليف. بويح في جمادى الأولى سنة 986هـ / 1578م، واهتم بالمنشآت الدينية والعلمية ببناء وترميمها، وتوسعت الدولة في عهده حتى شملت صحراء تيكوران وتوات سنة 990هـ. الناصري الإستقصا، ج 5، مواضع متفرقة مثلاً الصفحات: 89، 91، 117، 118، 119؛ ابن القاضي جددة الاقتباس، ج 1، ص، ص: 114، 115.

³ - محمد حجي، المرجع السابق، ج 1، ص: 55.

كثيرة⁽¹⁾، فكان يقدم المساعدات المختلفة للطلبة والعلماء، ويحضر مجالس العلم بالقرويين⁽²⁾، عند حضوره إلى فاس، ويكرم العلماء القائمين على ذلك⁽³⁾.

وحتى مع الفتنة التي أصابت المغرب خلال القرن الحادى عشر الهجري (17م)، إثر اقتتال أبناء السلطان أحمد المنصور على العرش⁽⁴⁾، لم يُعدم العلماء وال المتعلمون، وعدهم آنذاك كثير بالزوايا الكبرى منها: الزاوية الناصرية في درعة، والزاوية العياشية في الأطلس الكبير⁽⁵⁾، والزاوية الدلائية⁽⁶⁾ بـ تادلا في الأطلس

¹ - أشهرها إجازة الشيخ أحمد المنجور، كما استجاز مراسلة بعض علماء مصر فأجازوه كالإمام بدر الدين القرافي الذي أجازه عامة. أحمد بن القاضي، المتقدى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تتح: محمد زروق. الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1986.

² - ج 1، ص: 533-535؛ أحمد الناصري، كتاب الإستقصا، ج 5، ص: 155.

³ - يعرف الجامع الأعظم بفاس بجامع القرويين، وهو في غاية الكبر، يبلغ محيط دائرته نحو ميل ونصف، وله واحد وثلاثون بابا كلها كبيرة وعالية. الوزان، وصف إفريقيا ج 1، ص: 224.

⁴ - عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعودية. الرباط (المغرب)، 1977. ص - ص: 307-313.

⁵ - بعد وفاة السلطان أحمد المنصور استفحـل الصراع بين أبنائه الثلاثة وهم: أبو عبد الله محمد الشـيخ المأمون، وأبو فـارس عبد الله الواثق، وزـيدان النـاصر، = فـدخل المغرب في فـوضـى، وضـعـفت سـلـطـةـ الـدـولـةـ؛ حتـىـ اـقـتـصـرـ مـلـكـ السـعـدـيـنـ عـلـىـ الـعـاصـمـةـ مـراـكـشـ فـيـ سـنـةـ 1069ـهـ/1658ـمـ، لـظـهـورـ عـدـدـ مـنـ الزـعـمـاءـ الـخـلـيـنـ وـاستـقـالـلـ كـلـ مـنـهـ بـمـنـطـقـتـهـ وـتـنـازـعـهـ فـيـماـ بـيـنـهـمـ. عبدـ الكـرـيمـ كـرـيمـ، المـرـجـعـ نـفـسـهـ، صـ -ـ صـ: 328-330.

⁶ - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص: 55.

⁷ - هناك زاویتان دلائیتان، تبعد إحداهما عن الأخرى بنحو 12 كلم، أسس أولاهما الشيخ أبو بكر بن محمد الدلائي حوالي عام 974هـ / 1566م في مرتفعات جبال



الكبير أيضاً، وتعُد الأخيرة أهمها فقد اشتهرت بإيواء الطلبة ونشر العلم⁽¹⁾، ففي الوقت الذي كانت فيه فاس⁽²⁾، ومراكش وغيرها من المدن العلمية ثعاني من ضروب المحن والفتن، ظلت الزاوية الدلائية أحسن البقاع التي يلجأ إليها العلماء، بحيث يجدون الطمأنينة والهدوء فيتفرّغون للعلم، لهذا تطورت الزاوية وكثرت فيها المدارس التي ازدحمت بالطلاب، وتکاثر عدد العلماء المستغلين بالتدريس في مساجدها، وتكوّنت فيها خزانة كتب عظيمة⁽³⁾. وهكذا فقد كادت الفتنة أن تقصف بالعلم والثقافة بالغرب لو لا الزاوية المذكورة.

وبعد هذه الفرضيّة التي عمّت المغرب أكثر من نصف قرن، تُكَوِّن السلطان المولى رشيد بن علي الشريف ثاني أمراء الدولة العلوية - الناشئة على أنقاض الدولة السعودية - من القضاء على الإمارات المتنازعة⁽⁴⁾ الواحدة تلو الأخرى، ودانت

الأطلس المتوسط، وشيد الثانية حفيده السلطان محمد الحاج الدلائي عام 1048هـ / 1638م بين خنيفه وقصبة تادلا. محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 2، ص: 499.

¹ - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي. بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، (ط 3)، 1975. ج 1، ص: 279.

² - أصبحت فاس العاصمة الثقافية للمغرب مركزاً للفتن، وسدّ جامع القرنين عدة مرات وتعطلت الصلاة فيه مرات عديدة مثلاً في سنوات: 1040هـ / 1630م، 1050هـ. القادرى، نشر الثاني، ج 3، ص، ص: 380، 376، 290.

³ - محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي. الدار البيضاء (المغرب): مطبعة النجاح الجديدة، (ط 2)، 1988. ص: 74.

⁴ - الإمارات المحلية التي ظهرت بالمغرب في القرن 11هـ هي: الدلائية بالمنطقة الوسطى للغرب، والمجاهد العياشي بالسهول الشمالية الغربية على الأطلس، وبودمیعة بسوس

له آخر إمارة بالطاعة سنة 1081هـ / 1670م، فأعاد بذلك للغرب وحده الدخلية⁽¹⁾. وظهر حرصه على العلم حتى أثناء حروبه، حيث خربَ الزاوية الدلائية مركز إحدى الإمارات المحلية في سنة 1079هـ، ونقل أهل العلم من رجالها مكرمين إلى فاس، وكثيراً ما كان يتعهدهم ببره وإحسانه، ومن مآثره العلمية تشييد مدرسة الشراطين بفاس⁽²⁾.

نعم المغرب الأقصى بالاستقرار نسبياً في عهد الدولة العلوية، واهتم جُل سلاطينها بالعلم خاصة السلطان المولى محمد بن عبد الله (ت 1204هـ / 1789م)، الذي كان دائم الاهتمام بالجانب العلمي والتعليمي، فعمل على القضاء على علم الفروع وعلم الكلام معاً، واعتنى بنشر كتب السنة، وبعث بأوامره إلى كافة علماء المغرب، وألزمهم باتباعها، ولكنه لم يمنع النظر في كتب الخلاف عموماً، كما أمر بالرجوع إلى الأمهات التي عليها الاعتماد⁽³⁾، ذلك ما تضمنه المنشور الذي أصدره سنة 1203هـ / 1788م⁽⁴⁾.

والجنوب المغربي، وأخيراً العلويون بسجل ماسة ودرعة؟ = وهم الذين تمكنا من الإستلاء على حكم المغرب والقضاء على الإمارات المذكورة. عبد الكريم كريم المغرب في عهد الدولة السعودية، ص: 333.

¹ - عبد الكريم كريم، المرجع نفسه، ص: 336.

² - عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج 1، ص: 284.

³ - عبد الله كنون، المرجع نفسه، ج 1، ص: 284.

⁴ - يتضمن المنشور ثلاثة فصول: خصص الأول والثاني للقضاء والإمامية، أما الثالث فهو خصص للتعليم، وكان موجهاً للمدرسين في مساجد فاس، ومن جملة ما ورد فيه

وأهم الحواضر العلمية بالغرب في عهد الدولتين السعدية والعلوية هي: فاس، والحاضرة مراكش، كما كانت مدينة ترودانت⁽¹⁾ هي الأخرى من الحواضر العلمية المشهورة في المغرب⁽²⁾. وقد شهدت أكبر مساجد مراكش نشاطا علميا واسعا مثل: جامع الشرفاء، ومسجد باب دكالة، ومسجد أبو العباس السبتي، إلى جانب مدرسة ابن يوسف، كما ألحقت بهذه المساجد مكتبات غنية بالكتب⁽³⁾.

أما فاس فقد وجد بها العديد من المراكز العلمية كجامع الأندلس، ومدرسة العطارين، المدرسة المصباحية ومدرسة الحلفاويين⁽⁴⁾، وأشهر مراكز العلم بها، بل بالغرب الإسلامي كله: جامع القرويين الذي تم تجديده على عهد السعديين وأنشئت

تحديد الكتب التي تقرأ في كل علم من العلوم، فأمر مثلاً في علم الكلام بالاقتصار على عقيدة ابن أبي زيد القيرواني لأنها عقيدة سلفية خالية من التأويل الذي يجنب إليه الأشاعرة، وباقتصر مدرسي مختصر خليل على خمسة شروح له فقط تم تحديدها، ثم أضاف قائلاً: ومن أراد أن ينحوض في علم الكلام والمنطق، وعلوم الفلسفة وكتب الغلة الصوفية، وكتب القصص فليتعاط ذلك في داره مع أصحابه... ومن تعاطى ما ذكرنا في المساجد نالته عقوبة فلا يلومن إلا نفسه. عبد الهادي التازي، جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس. بيروت: دار الكتاب اللبناني، (ط1)، 1972. ج 3، 723.

¹ - تعرف أيضاً بالحمدية²؛ وهي مدينة عظيمة في سوس، تقع جنوب الأطلس الكبير بعيدة عنه بحوالي أربعة أميال. حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، ص: 117.

² - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 2، ص: 405.

³ - محمد حجي، المرجع نفسه، ج 1، ص: 55.

⁴ - عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ص - ص: 308-316.

بجواره مكتبة عظيمة⁽¹⁾، وظل يحتفظ بمكانته أيام العلوين فظهرت به كراسي علمية جديدة، بالإضافة إلى استمرار الكراسي التي كانت موجودة من قبل⁽²⁾.

ونتيجة لهذا الانتعاش الذي عرفته الحركة الفكرية مع السعديين ثم العلوين⁽³⁾، فمن الطبيعي أن يظل المغرب الأقصى الوجهة الرئيسية لكثير من طلبة العلم الجزائريين، حيث استمر تدفقهم على مدنه وبالأخص فاس؛ كما كان قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر، وأصبح المغرب ملجاً يأوي إليه المناهضين لاستبداد بعض البايات، وقد دخله علماء كثيرون من تلمسان، وهران، مدينة الجزائر، ومن قسنطينة وعنابة، فلقوا من رحابة صدر المغاربة، وعناء الملوك، وسخاء عطاياهم ما سلاهم عن الاغتراب، ودفع بهم إلى الانكباب على التدريس والتأليف، ورغم تشابه الثقافة بين القطرين، لوحظ بعض التمييز لدى العلماء الجزائريين المهاجرين في بعض العلوم، سيما في علم الكلام؛ الذي ازدهر في تلمسان مع الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، وهذا

1 - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص: 55.

2 - محمد بن عزوز، كرسي الحديث بظهور حصة العين بجامع القرويين بمدينة فاس.

الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي - بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2003. ص: 23.

3 - وهذا يذهب محمد بن عبد الكريم إلى: أن الحركة العلمية في المغرب الأقصى كانت في القمة بالنسبة إلى الأقطار العربية الأخرى مثل: الجزائر وتونس وطرابلس الغرب والشام وحتى مصر بازهراها المعمور. المقرى وكتابه نفح الطيب، ص: 61.



نشر المهاجرون من تلاميذه كتبه في المغرب، فاعتمدتها العلماء
وراجت بينهم⁽¹⁾.

وبالمقابل كان لعلماء المغرب الأقصى حركة واسعة في الجزائر خلال هذا العهد، لأسباب كثيرة منها: أن التزاعات السياسية بال المغرب أدت ببعض علمائه إلى مغادرته طلبا للهدوء والاستقرار في الجزائر، كما كانت شهرة بعض العلماء الجزائريين تجلب إليهم بعض علماء المغرب الراغبين في الأخذ عنهم، إضافة إلى اتخاذ المغاربة الجزائر طريقا للحج بحرا وبرا، وكثيرا ما كانوا يتزلون بالمدن الجزائرية؛ فيشترون لوازمهم، ويتصل العلماء المرافقين للركب بعلماء الجزائر، فيجizzون ويستجizzون⁽²⁾.

أما إالية تونس الناشئة على أنقاض الدولة الحفصية⁽³⁾، فقد اهتم حكامها الجدد بالعلم والتعليم، فأخرجوها من الركود الفكري الذي ورثته عن الحفصيين، واستدل أحمد عبد السلام

¹ - محمد حجي، المرجع السابق، ج 1، ص: 68.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 439.

³ - اضطربت الأحوال الداخلية في الدولة الحفصية أثر الخلافات التي مزقت الأسرة الحاكمة؛ فاستعان بعض أمرائها بالإسبان الذين استولوا على مدينة تونس سنة 942هـ / 1535م، ونصبوا الحسن بن محمد حاكما عليها، وكان أخوه الأمير رشيد قد طلب الحماية والعون من خير الدين بربروس فأجابه، وبعد أحداث طويلة تمكن سنان باشا من فتحها سنة 981هـ / 1583م، وظلت ولاية عثمانية إلى سنة 1298هـ / 1881م. وتداول على حكمها: البشوارات والدايات، والباليات من آل مراد وآل حسين بن علي. الصلايبي، الدولة العثمانية، ص - ص: 215-220؛ خوجة، ذيل البشائر ص، ص: 21، 22.

على تقهقر الحياة العلمية بها خلال النصف الأول من القرن الحادى عشر الهجري، بقلة العلماء المترجم لهم في كتب الترجم المشرقية "خلاصة الأثر" للمحي بالمقارنة مع عدد العلماء المغاربة المترجم لهم⁽¹⁾. أمّا حسين خوجة فقال في سياق ترجمته للعالم المولى أحمد أفندي بائه: "وجد تونس إذ ذاك خاوية من العلم"⁽²⁾.

اجتهد بعض حكام تونس من الديايات⁽³⁾، والبايات في النهوض بالتعليم، فعاد النشاط الثقافي والتعليمي إلى الظهور بها في النصف الثاني من القرن الحادى عشر الهجرى (17م)، ورغم سعي حكامها لإشاعة المذهب الحنفي إلا أنهم لم يهملوا المذهب المالكى، فجددوا المدارس المالكية القديمة كالمدرسة الشماعية والمدرسة الوفيقية، والعصفورية، والعنقية، والمتصرية وغيرها كما بني مراد باي الثاني المدرسة المرادية، ونصب على رأسها شيخا مالكيا⁽⁴⁾.

¹ - أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون في القرون 17 و 18 و 19م، ترجمة: أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي. تونس: المجمع التونسي للعلوم والفنون، (ط1)، 1993. ص، ص: 26، 27.

² - قدم المولى أحمد أفندي تونس من بلاد الروم (القسطنطينية) أيام عثمان داي (1007-1019هـ). ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 167.

³ - مثل يوسف داي الذي تولى بين سنتي (1047-1019هـ)، فقد أنشأ جامعا للمذهب الحنفي، وجانبه مدرسة. حسين خوجة، المصدر نفسه، ص: 92.

⁴ - حسين خوجة، المصدر نفسه، ص، ص: 47، 48.



كان اهتمام البايات المراديين⁽¹⁾ بالمنشآت الدينية والعلمية كبيرا، بحيث شيد حمودة باشا المرادي جاما للحنفية بمدينة تونس كما أمر ببناء مدرسة بالقيروان، وسار أبناؤه وأحفاده على سنته و منهم ابنه مراد الثاني، الذي بنى عددا من المساجد والمدارس بقباس وباجة وتونس و جربة وغيرها⁽²⁾.

كما اهتم البايات الحسينيين أيضا بالتعليم، خاصة مؤسس الدولة حسين بن علي (1117-1153هـ / 1705-1740م)، الذي أسس زاوية بكل من القيروان وصفاقس، نفطة وسوسة، وعدة مدارس في مناطق مختلفة، وغيرها من الإجراءات التي تخص التعليم، وجرى خلفاؤه من الحسينيين على سيرته في رفع رسوم العلم⁽³⁾.

كان بتونس خلال العهد المدروس عدد من الحواضر العلمية، في مقدمتها تونس، إلى جانب عدد من المدن كالقيروان وصفاقس وجريدة⁽⁴⁾.

¹ - تأسست الدولة المرادية سنة 1019هـ / 1610م على يد مراد الأول، وانتهت سنة 1114هـ / 1702م، وهي التي وضعت إطارا لخطة الباي فبرز هذا اللقب، وغطى على جميع الألقاب الأخرى. أحدثت خطة الباي بطلب عثمان داي، وكلف صاحبها بقيادة المحلة المكلفة بجمع الضرائب. خوجة، المصدر نفسه، ص، ص: 27، 28.

² - أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون، ص: 35.

³ - أحمد عبد السلام، المرجع نفسه، ص - ص: 65 - 67.

⁴ - الوزير السراج، الحال السندينة، ص: 56. ترجم حسين خوجة في كتابه "ذيل بشائر أهل الإيمان" لعلماء كل مدينة على حدة.

وظل جامع الزيتونة⁽¹⁾ أهم مراكز التعليم في القطر التونسي رغم أنَّ الحكام الأوائل لم يولوه أي عناية، ولعل ذلك لارتباطه بالذهب المالكي، إلَّا أنه أخذ يسترجع مكانته مع نهاية القرن الحادي عشر الهجري، ورتب به العلماء دروسهم، ولما تولَّ حسين بن علي رأس الدولة الحسينية رتب به شيوخاً يقرأون القرآن الكريم، وأساتذة لتدريس العلوم المختلفة بلغ عددهم الثلاثين، هذا زيادة على مدرسي الأحباس والمتظوعين⁽²⁾.

رغم وطادة العلاقة بين العلماء الجزائريين بأقرانهم في تونس، إلَّا أنَّ زيارة هؤلاء للجزائر كانت قليلة نسبياً خلال هذا العهد، يعود ذلك إلى اكتفائهم بما يأخذونه عن علمائهم، لاسيما في جامع الزيتونة الذي يروي غليلهم، ويتجهون أن أرادوا المزيد إلى الشرق، فلم تكن الجزائر تقدم لهم شيئاً تقريباً مما كانوا يطلبون. أمَّا الجزائريون فقد رحلوا إلى تونس لطلب العلم والتجارة⁽³⁾، كما اتصلوا بعلمائها أثناء ترددتهم على المشرق ذهاباً وإياباً، وهناك من العلماء الجزائريين من استقر بتونس، وساهم في

¹ - أسسه الوالي الأموي في المغرب عبد الله بن الحجاج سنة 114هـ / 732م.

السراج، المصدر نفسه، ج 2، ص: 558.

² - حسين خوجة، ذيل بشارور أهل الإيمان، ص، ص: 46، 47.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 46.



تشيّط الحركة الفكرية بها؛ فقد ترجمت المصادر التونسية لعدد من هؤلاء⁽¹⁾.

والحاصل أنَّ الظروف السياسية والفكرية، أثرت على التواصل الثقافي بين الجزائر وجارتيها، وكانت علاقـة العلماء الجزائريـين بأقرانـهم في المـغرب الأقصـى أكثر متانـة مـا هي عليه بينـهم وبينـ علمـاء تونـس، على الرـغم من ازدهـار الحـركة العـلمـية في القـطـريـن، ذلك ما سـوف نـلـمـسه من خـلال حـجم الإـجازـات المـبـادـلة بيـنـهم.

¹ - درَسَ عدَدُ مِنْهُمْ بِجَامِعِ الْزيْتُونَةِ مثَلَّ: الأَسْتَاذِ سَاسِيِّ المَقْرِيِّ الزَّوَّاَوِيِّ (ت 1100هـ / 1689م)؛ وَكَانَ عَالِمًا بِالْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَالْعَشْرِ، وَالشِّيخِ عَاشُورَ = بْنِ مُوسَى الْقَسْنَطِينِيِّ (ت 1074هـ / 1663-1664م) الَّذِي درَسَ بِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَمِنْهُمْ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِيِّ الْجَزاَئِرِيِّ الَّذِي رَحَلَ إِلَى تُونِسَ سَنَةَ 1093هـ / 1682م، وَأَخْذَ عَنْ عَلَمَائِهَا، ثُمَّ تَصَدَّى لِلتَّدْرِيسِ بِالْجَامِعِ الْمَذْكُورِ. خَوْجَةُ، ذِيلُ الْبَشَائِرِ، ص: 189، 248، 249؛ الْوَزِيرُ السَّرَاجُ، الْحَلْلُ السَّنَدِسِيَّةُ، ج 2، ص:

ثانياً. إجازات القرنين العاشر والحادي عشر

الهجريين (16-17 م)

- إجازات بعض علماء تلمسان للشيخ محمد بن عسکر:

عرفت مدينة تلمسان اضطرابات وفتن خلال الأربعين سنة الأولى⁽¹⁾ لدخول العثمانيين إليها، ولهذا هجرها عدد كبير من علمائها إلى المغرب الأقصى؛ بحثاً عن المدow و الاستقرار، فحظوا هناك بتقدير سلاطين المغرب، وتولوا المناصب العلمية الرفيعة، كما عقدوا حلقات دروس أقبل عليها المغاربة، فقرروا عليهم واستجازوهم.

ومن جملة هؤلاء العلماء: الشيخ العلامة محمد شقرور بن هبة الله⁽²⁾، الذي قدم فاس سنة 967هـ / 1559م واستقر بها إلى وفاته، فكانت مدة إقامته بها حوالي ست عشرة سنة. وقلده السلطان الغالب بالله الفتوى، ورياسة العلم بحضور مراكش.

¹ - ظلّ الزيانيون متسبّلين بملك تلمسان مستظهرين في أغلب الأحيان بالإسبان، إلى أن أقْتَلَ بعض علماء المدينة بخلع آخرهم وهو الحسن بن عبد الله سنة 962هـ / 1555م فالتّجأ إلى إسبانيا وانقطع خبره، وحينها أُعلن صالح رais نهَايَة دُولَة بني زيان، وضم تلمسان إلى الإيالة الجزائرية، وتسبّبت هذه الفتوى بهجرة كبرى للعلماء من تلمسان.

محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص: 39؛ وج 2، ص: 355.

² - محمد بن محمد بن هبة الله الوجديجي الملقب بشقرور التلمساني (908-983هـ): ومن تلامذته سعيد المقربي. له شرح على رجز أبي إسحاق التلمساني في الفرائض. أحمد بن القاضي، درة الحجال، ج 2، ص: 215؛ ابن مرريم، البستان، ص: 261؛ أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 599.



فجعل له كرسيا للدرس في مشور قصره، كان يحضره السلطان وسائر الأمراء⁽¹⁾. وقد وصفه ابن القاضي بأنه كان: "يقوم على ابن الحاجب أتم قيام، وكان عارفا بالأصلين، والبيان والمنطق"⁽²⁾.

وكان ابن شقرور يتنقل بين فاس ومراكش، ويُفتي الناس بهما. ومن تلامذته المغاربة الشيخ محمد بن عسکر⁽³⁾ الذي لازمه عدة سنوات، وأخذ عنه علوم جمة، فأجازه مرتين على الأقل الأولى سنة 969هـ / 1561م ورد فيها: "أجزت الفقيه... أبو عبد الله محمد بن سيدى بن علي عسکر جميع مروياتي، وكل مسموعاتي عن أشيائي... فليرو عني ما رويت، ولیتحدث بما سمعت على شرط الإجازة، ووصفها إجازة صحيحة ثابتة كما

¹ - محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادى عشر والثانى، تتح: محمد حجي - أحمد توفيق. الرباط: دار المغرب للتأليف والتراجمة والنشر، 1977. ج 1، ص: 82.

² - أحمد بن القاضي، جدة الاقتباس، ج 1، ص: 325.

³ - محمد بن علي بن عمر بن الحسين بن مصباح ابن عسکر الحسني العلمي: (936 - 986هـ / 1529 - 1578م)، نال حظوة كبيرة لدى السعديين، فولوه قضاء مسقط رأسه شفشاون، ثم القصر الكبير، ودرّس مدة طويلة بشفشاون، وكان تردداته على البلاط السعدي في فاس ومراكش يتبع له فرصة ملقاء فطاحل العلماء ومناظرهم، فاتسعت معارفه وغدا شخصية علمية مرموقة في عصره، ولكن أدركه شؤم السياسة فاخذ محمد المتوكل المخلوع، وهلك معه في معركة وادي المخازن. ابن عسکر، دوحة الناشر، ص: 7؛ الناصري، الاستقصاء، ج 5، ص، ص: 81 - 82؛ حجي، الحركة الفكرية، ج 2، ص: 423؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 3، ص: 524.

يجب⁽¹⁾. وتتميز هذه الإجازة بكونها جُدُّ مختصرة، خلافاً لغالب الإجازات المعروفة في تلك الفترة، والثانية سنة 972هـ / 1564م حيث أجازه في عقائد الشيخ السنوسي وشرحها ومُحَصَّل المقاصد للشيخ ابن زكري⁽²⁾، حسبما أجازه في ذلك شيخه عثمان المنوي كما أخذه عن الشيختين بإجازتهما له في ذلك جملة وتفصيلاً⁽³⁾. وبعد مضي سنة تقريباً على تواجد ابن شقرور بفاس، ورد إليها جملة من فقهاء تلمسان⁽⁴⁾، من بينهم الشيخ أحمد بن أحمد العبادي⁽⁵⁾؛ فأكرمه السلطان أعظم تكريماً، وفضله عن بقية المهاجرين، وقال: لا يُسُوِّوه بأحد من الفقهاء وغيرهم فإنه همته

¹ - ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 106. ينظر نص هذه الإجازة كاملاً في الفصل الرابع.

² - أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (ت 899هـ): من مؤلفاته مُحَصَّل المقاصد مما به تعتبر العقائد وهو منظومة كبرى في علم الكلام، بها أكثر من ألف وخمسة بيـتـ. ابن عـسـكـرـ، المصـدرـ نـفـسـهـ، صـ، صـ: 108، 109؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 267.

³ - ابن عـسـكـرـ، دوحة الناشر، صـ: 106.

⁴ - حين وقعت الفتنة في تلمسان، استغاث جملة من العلماء بالسلطان السعدي، فرخلهم من تلمسان، وأمدتهم بالجند، ونقل بعض أعيانها إلى فاس، ووصل كل منهم على قدر حاله، ووصل أحمد العبادي بـألف مثقال ذهبـاـ عـدـاـ الـهـدـاـيـاـ، ورغمـ=ـ هذا التقدير الذي حظي به بـفـاسـ، إلا أنه لم يستقر بها لأنـهـ اـجـبـرـ إلىـ الـانتـقالـ إلىـ مـراـكـشـ لأـمـورـ لمـ يـذـكـرـهاـ صـاحـبـ الدـوـحةـ، فـرـجـعـ إلىـ تـلـمـسانـ وـمـنـهـ إلىـ مـلـيـانـةـ. ابن عـسـكـرـ، المصـدرـ نـفـسـهـ صـ: 107.

⁵ - سبقت ترجمته ووالده في الفصل الأول.

كبيرة⁽¹⁾، ولما استغل بالتدريس، اثالت عليه الناس من كل ناحية. ومن أخذ عنه بفاس الشيخ محمد بن عسکر، ولكن لم يلزمه ملازمته لابن شقرور، وإنما لقيه وأخذ عنه مروياته فأجازه العبادي في سلسلة المشايخ الصوفية، وفي الحاجبين الأصلي والفرعي، وكتب له بذلك، وأجازه بهذه العبارة: "أجازني والدي - رحمه الله - الحاجبين عن الشيخ محمد بن عيسى البطوئي"⁽²⁾، ثم سرد سنته إلى الإمام ابن الحاجب.

- إجازات الشيخ سعيد المقرى لبعض علماء المغرب:

ظللت الصلات الثقافية وثيقة بين مدینتي فاس وتلمسان خلال العهد العثماني؛ لقرب المسافة بين المدينتين، ولذلك قلما نجد من علماء تلمسان من لم يدرس بفاس؛ لعدم إرضاء مدينتهم لطموحهم العلمي، كالشيخ العلامة سعيد المقرى الذي مكث مدة بالغرب الأقصى، ودرس على علمائه قبل أن يعود إلى تلمسان ويتصدى للتدريس بها، ولهذا كان المغاربة على معرفة تامة بمنزلته ويفضله⁽³⁾، وقد استغل اثنان من علماء فاس فرصة وجود ابن

¹ - ولعل هذا التكريم الذي حظي به العبادي بالإضافة إلى تمكنه من العلوم، يرجع لسمعة والده أحمد بن محمد بالغرب، حيث كان قد ورد على فاس على عهد الدولة الوطاطسية، فقدمه الناصر بن الشيخ الوطاطسي للتدرис بجامع القرويين مع توافر العلماء بهذا الجامع. ابن عسکر، المصدر السابق، ص- ص: 107 - 108.

² - ابن عسکر، دوحة الناشر، ص: 107.

³ - درس سعيد المقرى على أجلة علماء فاس منهم: الشيخ عبد الواحد الونشريسي وعلى بن هارون، وعبد الوهاب بن محمد الزقاق التجيبي. وكان الشيخ أحمد بن القاضي

أخيه الشيخ أحمد المقرى بال المغرب أثناء رحلته الأولى سنة 1009هـ / 1600م⁽¹⁾، ليكلفوه بإستجازته لهما وهما: الشيخ أحمد ابن القاضي⁽²⁾، والشيخ أحمد ابن أبي القاسم التادلي⁽³⁾. فاما الأول فقد حمله استدعاء كتابيا، يتكون من شطرين: نثري ونظمي، ورد في جزئه الثري بعد الحمدلة والتصلية: وبعد فيطلب العبد الضعيف... من السيد الكامل أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرى القرشي، الذي ملك أزمة العلوم... وحاز قصب السبق في المثور والمنظوم، أن يتفضل عليه بالإجازة العامة الجامعية التامة فيما لسيدنا من مروي ومقوء ومجاز ومسموء، وأن يتفضل بذكر مشيخته الأعلام... وأن يبدأ بالمسلسل بالأولية حديث

على معرفة تامة بمكانته، ولهذا قال في ترجمته: انتهت إليه رئاسة بلده تلمسان. جدة الاقتباس، ج 2، ص: 520.

¹ - سوف نتطرق لهذه الرحلة بالتفصيل في الصفحات المowالية من هذا الفصل.

² - أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية، الشهير ابن القاضي (960-1025هـ): تخرج على كبار علماء المغرب عندئذ مثل الشيخ: السراج والقصار والمنجور، رحل إلى الشرق وجاور بالحرمين الشريفين مدة، وأخذ عن علماء مصر كالشيخ: سالم السنهاوري، ويدر الدين القرافي. له عدة مؤلفات منها: المتقى المصور، جدة الاقتباس، ودرة الحجال وغيرها. عبد الكبير الكتاني، زهر الأس، ج 2، ص: 100؛ ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس. الدار البيضاء: مطبع إديال، (ط 2)، 1990. ج 1، ص -

ص: 326-328؛ حجي، الزاوية الدلائية، ص - ص: 92-99.

³ - أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي (ت 1013هـ): صاحب زاوية الصومعة بتادلا، له مشاركة في العلوم والمعرفة بالتصوف، أخذ عن الشيخ يعزى الخروبي، والشيخ محمد بن عبد الرحمن الشريف. محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط 1)، 1996. ج 3، ص، ص: 1137، 1138.

الرحمة ليكون أول مروي العبد عنه¹، وما تضمنه الشطر النظمي المتكون من ستة عشر بيتا قوله⁽¹⁾:

ولما نأيتم ولم أستطع أسير لحضرتكم بالقدم
سعيت إليكم برجل الرسول وخطبتكم بلسان القلم
إلى أن قال:

فإنني استجزتك من أرض فاس لتسعف يا بحر علم فكم
لما صاح عنكم وجاز لكم روایة كل بشرط مُتم
فنظم له العلامة سعيد المقرى إجازة أباح له فيها رواية مروياته
في عشرين بيتا، قال فيها مستدركا - بعد التواضع المعتاد لدى
العلماء-⁽²⁾:

ولكن أجزتكم مكرها ولا بطل بل لأمر مهم
بما صاح عنا وجاز لنا روایة كل بشرط مُتم
وبما أن الإجازة جواب للاستدعاء، فقد تكررت فيها
بعض عباراته، من ذلك البيت الخامس عشر في الإجازة، وسيما
عجزه وهو: "روایة كل بشرط مُتم". والإجازة التي نحن بصدده
الحديث عنها مؤرخة في سنة 1009هـ، والمعلوم أنَّ رحلة أحمد
المقرى الأولى استمرت إلى سنة 1010هـ؛ أي أنها تأخرت عن
الإجازة بحوالي سنة، مما يعني أنَّ أحمد المقرى كلفَ بدوره من

¹ - أحمد المقرى، روضة الأُس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين
مراكش وفاس. الرباط: المطبعة الملكية، (ط2)، 1983. ص: 267.

² - أحمد المقرى، المصدر نفسه، ص: 266-269. نصها الكامل في الفصل الرابع.

يحمل الاستدعاء إلى عمه بتلمسان قبل عودته إليها، واللاحظ أنه أجازه عامة بناء على طلبه، ولكنه لم يلبِ رغبته بذكر شيوخه، وبإجازته بالحديث المسلسل بالأولية.

وأما الثاني وهو الشيخ أحمد بن أبي القاسم التادلي، فقد أكد على المقرى أن يستجيز له عمه سعيد المقرى، وما ذلك حسب المقرى إلاً لحرصه على أنواع العلوم، وإنَّ فقد شاركه في شيوخه كالخروبي، وقاربه في السن⁽¹⁾، وللإشارة فإنَّ أحمد المقرى لم يذكر شيئاً عن الاستدعاء الذي تقدم به التادلي لعمه، مما يعني أنه شفهي، بينما وأنَّه قال: "أكد عليَّ أن استجيز له مولانا العُمَّ والتَّأكيد لا يكون غالباً مع الاستدعاء الكتابي". كما لم يذكر شيئاً عن إجازة عمِّه للتادلي. فهل كانت إجازته له شفهية هي الأخرى؟ ولكن ذلك أمر مستبعد، إذ كيف تكون إجازة شفهية مُراسلة؟

وقد سبق الحديث عن الإجازة مراسلة؛ التي لا يجري العمل بها إلاً في الإجازة بالرواية بين أعلام العلماء، وهو ما تأكَّد لنا، فكلاً من أحمد بن القاضي وأحمد التادلي من أعلام المغرب آنذاك، فليسَا في حاجة إلى إجازة تثبت مستوىهما العلمي، وما يطمئن إليه هو إجازة لرواية مرويات عالم محدث جليل القدر كالشيخ سعيد المقرى.

¹ - أحمد المقرى، المصدر نفسه، ص: 303.



- الإجازات المتبادلة بين الشيخ أحمد المقرى وعلماء المغرب

تونس:

تزيد المدة التي مكث فيها المقرى بالمغرب عن الخمس عشرة سنة، وهذا كون علاقات وطيدة مع علمائه، بل لا يزال مفخرة المغاربة إلى الآن، وخلال هذه المدة درس ودرس، وأجاز واستجاز، فلم تقطع صلاته بهؤلاء العلماء حتى عندما كان بالشرق، فظل يترااسل معهم، كما درسوا عليه هناك.

أ- أحمد المقرى مجازاً:

زار الشيخ أحمد المقرى المغرب الأقصى لأول مرة في سنة 1009هـ / 1600م، فدخل فاس في الرابع صفر، وفي نفس اليوم الذي حلّ بها توجه إلى جامع القرويين، حيث حضر حلقة الشيخ علي بن عمران السلاسي⁽¹⁾، في "مختصر خليل"⁽²⁾، وناقشه في بعض المسائل الفقهية، ومنذ ذلك الحين انتشرت سمعة المقرى العلمية بين علماء فاس؛ فأقام بها نحو سبعة أشهر يُفيد ويستفيد، ويروي ويستجيز، إلى أن التقى بأحد قواد السلطان أحمد المنصور فأعجب به، وأصطحبه معه إلى مراكش عاصمة السعديين، حيث البلاط

¹ - قاضي فاس ومتفيها: أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي (960-1018هـ). اليفري، «صفوة من انتشر»، ورقة: 104 ظ، مخلوف، شجرة النور، ص: 296.

² - أحمد المقرى، روضة الآنس، ص: 333.



غاصباً بالعلماء والأدباء الذين كانوا يفدون على السلطان
ليمدحوه بأشعارهم من الشام والعراق، مصر والخجاز وغيرها⁽¹⁾.
فأقام بها هي الأخرى حوالي سبعة أشهر، ثم عاد إلى فاس،
ليغادرها بعد أن قضى بها مدة راجعاً إلى تلمسان في ذي القعدة
1010هـ / سبتمبر 1602م، وبهذا يكون غيابه عن تلمسان
واحداً وعشرين شهراً.

وقد خلَّد المقربي هذه الرحلة بكتاب ألفه في علماء المغرب
سماه "روضة الأس العاطرة الأنفاس" في ذكر من لقيته من أعلام
الحضرتين مراكش وفاس؛ عدَّ فيه حوالي أربعة وثلاثين عالماً من
علماء المغرب؛ الذين اتصل بهم ولقائهم بمراكش وفاس، وفي
رحلته هذه استجاز خمسة من أعلام المغرب حيث شذ فأجازوه،
وكتبوا له بذلك. ولم يرد عنه في كتابه المذكور أنَّ أحداً من العلماء
استجازه، ولو فعل أحدهم لما تردد المقربي في تسجيل ذلك؛
لحرصه الشديد على جمع إجازاته سواء كان مانحاً أو متلقياً لها،
وهذا قد يعني أنه لم يكن بلغ آنذاك مبلغ العلماء الكبار المانحين
للإجازة، فلم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين من عمره.

وكانت إحدى هذه الإجازات شفهية؛ حيث أجازه الوزير
الأديب عبد العزيز الفشتالي⁽²⁾ بمراكش في جميع نظمه ونشره،

¹ - محمد بن عبد الكريم، المقربي وكتابه نفح الطيب، ص - ص: 143 - 154.

² - أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي (956-1031هـ): كان إماماً أدبياً، ولد
الوزارة للمنصور الذهبي، أخذ عن المنجور والحميدي والزموري وغيرهم. وأخذ عنه



وتحسّر المقرئ على تلقّيه لها لفظاً، وبرأ ذلك بضيق الوقت لتأهله للسفر⁽¹⁾، وهنا يتبنّى لنا أنَّ العلماء كانوا يُحِبُّون الإجازة المكتوبة؛ لما تتميز به من مصداقية.

ومن أبرز علماء المغرب الأقصى آنذاك: الشيخ أحمد بن القاضي، الذي لقيه أحمد المقرئ بكل من مراكش وفاس، فاستفاد من علومه، ثم استجازه فأجازه جميع ما يجوز له وعنه روایته، وما أخذه عن شيوخه. وكتب له ثلاثة إجازات: اثنان بمراكش في يوم عرفة من عام 1009هـ، والثالثة بفاس بعد إجازتي مراكش بأشهر.

هذا، ولم يورد المقرئ في كتابه "روضة الأس" الإجازة الأولى والثانية بنصوصها، واكتفى بعرض ما احتوت عليه؛ حيث أجازه ابن القاضي جميع ما يجوز له وعنه روایته، وما أخذه عن شيوخه، وأجازه أيضاً بجميع تأليفه وما له من منظوم ومنتشر، وكل ذلك بشرطه المعتبر المأثور، ومن جملة المؤلفات التي أجازه بها بعد قراءتها عليه كتاب أبو القاسم الحوفي في الفرائض، وتلخيص ابن البناء⁽²⁾. كما أجازه جميع تأليف ابن البناء، وصحيح البخاري والموطأ، وحديث الرحمة المسلسل بالأولية، وهو أول حديث

الكثير من العلماء. من: مؤلفاته تاريخ الدولة النصورية، وشرح مقصورة المكودي. المحي، الخلاصة، ج 2، ص: 425؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 298.

¹ - أحمد المقرئ، روضة الأس، ص: 163.

² - أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء (654-721هـ).

ابن القاضي، جدورة الاقتباس، ج 1، ص: 148-152.

سمعه منه. هذا ولم يفت المقرى أن يذكر شيخه أحمد بن القاضي ومؤلفاته؛ التي أجازه بها وعددتها أربعة عشر كتابا⁽¹⁾. أمّا الإجازة التي أورد المقرى نصّها كاملاً فلا تتضمن تاريخ ومكان كتابتها، ويغلب على الظن أنّها الإجازة الثالثة؛ أي التي كتبها له بفاس لأنّها لا تحتوي على مقدمة كالإجازات المتعارف عليها، بل بدأها الشيخ بالتأكيد على ما ذكره المقرى بقوله: ما ذكره السيد الفقيه... أبو العباس أحمد المقرى صحيح، وهذا يعني أنّه اطلع على ما كتبه المقرى حول الإجازتين السابقتين؛ وفيها أجازه بجملة من الفهارس⁽²⁾، بالإضافة إلى مصنفات الحافظ العراقي، ومصنفات أحمد الزروق، ومصنفات خليل بن إسحاق، وما ورد فيها قوله: أجزت له الفهارس التي ذكرها بأسانيدها إلى أربابها، وما اشتملت عليه من المقوءات والمجازات وغير ذلك⁽³⁾.

ولا يُستبعد أن يكون الشيخ أحمد بن القاضي قد أجاز للمقرى أيضاً في رحلته الثانية، حيث كان ابن القاضي في آخر أيامه ملزماً تدرّيس "صحيح البخاري" بجامع الأئمّة بفاس، وعندهما يقرب اختتامه يُجيز الحاضرين كل يوم؛ لتحصل الرواية

¹ - أحمد المقرى، روضة الآنس، ص- 284-297.

² - من بين الفهارس التي أجازه بها: فهرسة محمد بن غازي العثماني، وفهرسة ابن حجر العسقلاني، وفهرسة المتوري، وفهرسة أبو جعفر بن الزبير، وفهرسة محمد الوادي آشي. المقرى، روضة الآنس، ص، ص: 296، 297.

³ - أحمد المقرى، المصدر نفسه، ص- ص: 295-297.

لمن سمع، ولو حدثنا واحدا على طريقة المشارقة، وكان المقرى من جملة الحضور⁽¹⁾، فيكون قد أجازه في جملة الحاضرين، كما درس ابن القاضي بالزاوية الدلائية مدة غير قصيرة⁽²⁾، وكان المقرى من المترددين عليها؛ قبل أن تُسند إليه الخطابة والإمامية بجامع القرويين⁽³⁾.

ولقي الشيخ أحمد المقرى في رحلته الأولى: الشيخ العلامة أبو العباس أحمد بابا التنبكتي⁽⁴⁾ بمراكنش، وتذاكر معه في فنون جمة واستعار منه جملة من الكتب بخزانته، وقد استجازه فأجازه بجميع تاليفه، وكتب له بذلك عدة مرات، وأورد المقرى في "روضة الأس" نصي إجازتين؛ الأولى كتبها له في أواسط محرم سنة 1010هـ / 1602م، على ظهر أول ورقة من مسودته لكتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، وما جاء فيها: "أجزت الفقيه... سيدي أحمد بن محمد المقرى... أن يروي عني هذا التعليق في التاريخ، وجميع ما

¹ - عبد الكبير الكتاني، زهر الأس في بيوتات أهل فاس، ج 2، ص: 100.

² - محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص: 94.

³ - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 2، ص: 367.

⁴ - أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر محمد أقيت التنبكتي الصنهاجي (963-1032هـ): المؤرخ الإمام، بيته شهير بالجاه والعلم. أخذ عن والده، وعمه أبو بكر، ولازم الشيخ محمد بغية وأجازه. أخذ عنه: أبو القاسم بن أبي النعيم وابن أبي العافية وغيرهما. له ما يزيد عن الأربعين تأليفا منها: شرح على المختصر وحواش على مواضع منه، وشرح صغرى السنوسي ونيل الابتهاج. أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج، تعلق: علي عمر. المغرب: مكتبة الثقافة الدينية، (ط 1)، 2004. ج 2، ص: 170-172؛ المحيي، خلاصة الأثر، ج 1، ص: 289-286؛ القادري، نشر المثاني، ج 1، ص: 271-274.

جعته في الفنون، وبعد أن استعرض مؤلفاته التي أجازه بها قال: وأجزته غير ذلك مما جعته في العربية والفقه والحديث، وأجازه أيضاً أن يروي عنه جميع كتاب خليل⁽¹⁾.

أما الإجازة الثانية كتبها له ثلاثة أشهر بعد الأولى، يوم 15 ربيع الثاني 1010هـ؛ وهو يوم خروجه من مراكش؛ وَمَا جاء فيها قوله: أجزت الفقيه المشار إليه... أن يروي عني جميع ما يجوز لي وعني روایته، مما أخذته من شيوخنا، وسادتنا الفضلاء معقوها ومنقولها متى شاء، بأي لفظ شاء، على شرطه المعتبر عند أهل الأثر، ثم عدد بعض مروياته بأسانيدها من جملتها: "موطاً مالك والصحيحين البخاري ومسلم، و"الشفا" للقاضي عياض، وغيرها من الكتب الحديثية والفقهية⁽²⁾.

كما اجتمع أحمد المقرى أيضاً بأحد أقطاب التصوف بالغرب؛ نزيل مراكش الشيخ أحمد بن أبي القاسم التادلي، وهو صاحب زاوية الصومعة بتادلا فأخذ عنه، ويوم خروجه من مراكش في التاريخ المشار إليه سابقاً، إستجازه فأجازه بمنزله بكل ما تجوز له وعنه روایته وجميع تأليفه⁽³⁾، وما أخذه عن شيوخه، فآخرج له ستين مجلداً كلها من تصنيفه، وأجازه إياها، وأجازه

¹ - أحمد المقرى، روضة الأَسْ، ص، ص: 304، 305.

² - المقرى، روضة الأَسْ، ص - ص: 303 - 306.

³ - له عدد كبير من المؤلفات أغلبها في التصوف، منها: سراج الباحث في شرح المباحث، والدرة النفيسة في فضائل الأدعية الشريفة، ونور المصباح في فضائل حزب الفلاح. المقرى، المصدر نفسه، ص - ص: 300 - 302.

أيضاً جميع ما له من منظوم ومنتور وأدعية وأذكار، وكل ما رواه عن شيوخه أئمة التصوف كالشيخ محمد الخروبي الطرابلسي⁽¹⁾، بالإضافة إلى ما تحمله عن شيوخه كالأمام يعزا الجزولي، وصافحه وشابكه كما صافحه وشابكه الخروبي وغيره بسنده إلى الإمام ابن مرزوق، وأذن له في لبس الخرقة من طريق عبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي، وأبي مدين – رضي الله عنهم⁽²⁾. وهكذا فيما أنَّ التادلي من شيوخ التصوف، فقد أجاز للمقربي رواية مروياته في علم الحقيقة والشريعة.

واتصل أحمد المقربي في فاس بالشيخ أبي عبد الله محمد القصار⁽³⁾، فأجازه جميع ما يجوز له وعنده روايته بشرطه، وكتب له بذلك يوم سفره من فاس إلى تلمسان؛ وهو يوم الخميس 17 ذي القعدة 1010هـ، وذكر في إجازته هذه مروياته التي أجازه بها بأسانيدها منها: حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وموطأ الإمام

¹ - المتصوف أبو عبد الله محمد الخروبي الصفاقسي نزيل الجزائر (ت 963هـ): من مؤلفاته: كفاية المرید وشرح تصلیة القطب أبي محمد عبد السلام ابن مشيش، ورسالة ذو الإفلas إلى خواص أهل مدينة فاس. ابن عسکر، دوحة الناشر، ص: 114.

² - أحمد المقربي، روضة الأَسْ، ص: 300-302.

³ - أبو عبد الله محمد بن قاسم بن علي القيسي الغرناطي أصلاً الشهير بالقصار (936-1012هـ): الفقيه المحدث شيخ الفتيا بفاس، أخذ الفقه والحديث عن أبي التعيم رضوان بن عبد الله الحملولي الفاسي، وعن حمزة خروف الأنصاري التونسي، وعن اليستني، وعبد الوهاب الزقاق، والمنجور، وزين العابدين البكري، وعنده أعلام منهم عبد العزيز القشتالي. وله عدة تأليف، وفهرسة جمعت رواياته في الفقه. المحيي، خلاصة الأثر، ج 4، ص: 121؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 295.

مالك، والصحيحين (البخاري ومسلم)، وختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي، والبردة⁽¹⁾، ورسالة ابن أبي زيد⁽²⁾ في الفقه، وكتاب "قوت القلوب" للإمام أبي طالب المكي، وأحياء علوم الدين للغزالى⁽³⁾، وجمع الجوامع لابن السبكي وجميع تصانيفه، وتصانيف البيضاوى، وتصانيف الإمام عياض، وتصانيف القرافى، وابن حجر وزكريا، وأنشده البيت المشهور في الإجازة وهو⁽⁴⁾:

أجزت لكم مروينا مطلقا وما لنا سائلاً أن ترحو بداعء

وهكذا فلم يستجيز المقرى إلا خمسة من العلماء الذي لقيهم بكل من فاس ومراكش، وهم آنذاك أعلام المغرب، فأجازوه بإجازات تصب كلها في نوع واحد، وهي الإذن برواية مروياتهم أو مؤلفاتهم، ولكن لا نعلم يقينا إن تلقى إجازات أثناء رحلته الثانية.

١ - قصيدة "الكوكب الدرية" في مدح خر البرية، المعروفة بالبردة لشرف الدين محمد بن سعيد بن حاد الدلاصي المولد، المغربي الأصل، البوصري المنشأ: (ت 608هـ - 695هـ / 1213م - 1296م). السيوطي، حسن المعاشرة، ج ١، ص: 464؛ البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص: 138.

٢ - كتاب الرسالة في الفقه المالكي لإمام المالكية في وقته العلامة عبد الله أبي محمد بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني: (ت 386هـ / 996م). ابن فرحون، الديباج المذهب، ج ١، ص - ص: 376 - 378.

٣ - أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعى الغزالى (450 - 505هـ). البغدادي، المرجع السابق، ج ٢، ص، ص: 79، 80.

٤ - المقرى، روضة الأَسْ، ص - ص: 322 - 329.



بـ- الشيخ أحمد المقرى مُجيزا:

رجع أحمد المقرى ثانية إلى المغرب الأقصى في سنة 1013هـ / 1604-1605م، ومكث به هذه المرة أربعة عشر عاما، انتهت بتوجهه إلى المشرق في أواخر رمضان سنة 1027هـ / 1617م، وبما أنه لم يصرح بالأسباب التي جعلته يعود ثانية إليه فقد حاول بعض الباحثين استنباطها⁽¹⁾ منها: تدهور الثقافة في تلمسان، ونضوب معينها، وإعراض أهل البلاد عن طلبها لانشغالهم بالحروب الداخلية وضروريات المعاش، فلم يجد المقرى لبعض اهتماماته العلمية والأدبية رواجا في سوق الثقافة الكاسدة، بالإضافة إلى إحسان المغاربة إليه في رحلته الأولى، كل ذلك جعله يحن للعودة إلى ديارهم⁽²⁾، ومنها أيضا أنه أراد أن يقيم في فاس لازدحامها بالعلماء، ول يكن قريبا من السلطان زيدان بن المنصور الذي جاء إليه، وبقي تحت كفه، وكان هذا السلطان فقيها، وله مشاركة في العلوم وتفسير القرآن⁽³⁾، واعتبر محمد حجي رحلة المقرى الأولى إلى المغرب - حينما كانت الدولة السعودية في أوج قوتها - رحلة استطلاعية قرر من خلالها الاستيطان به⁽⁴⁾.

¹ - محمد بن عبد الكريم، المقرى وكتابه نفح الطيب، ص- ص: 159-163، محمد عبد الغني حسن، المقرى صاحب نفح الطيب، ص، ص: 28، 29.

² - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص: 162.

³ - محمد عبد الغني حسن، المرجع السابق، ص: 28.

⁴ - الحركة الفكرية، ج 2، ص: 367.

ومهما كانت أسباب عودة المقرى هذه المرة إلى فاس، فقد استقر هناك مُعمرًا وقته بالتأليف والتدريس، حيث ألف في ظل السلطان أبي المعالي زيدان مكتبة حافلة بالمخطوطات في شتى الفنون، وفي ذلك يقول: "حللت الحضرة الفاسية - حفظها الله - حيث المجالس غاصة بالعامة والخاصة، والمساجد آهلة معمرة... وحلل المعارض فضفاضة، والعوارف الجليلة مفاضة"⁽¹⁾، وفي أوائل جمادى الأولى سنة 1022هـ / جوان 1613م أُسندت إليه وظيفة الإفتاء، والخطابة، والإمامنة بجامع القرويين، فظل متولياً لها أزيد من خمس سنوات، إلى أن خرج متوجهاً إلى المشرق⁽²⁾.

وأثناء إقامة المقرى بال المغرب كان يحضر حلقات كبار علمائه، منها حلقة قاضي الجماعة بفاس الشيخ أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني⁽³⁾ سنة 1018هـ / 1609م، الذي كان ينعقد لإقراء "تلخيص المفتاح"⁽⁴⁾ بعد العصر⁽⁵⁾، كما أقام مدة في الزاوية الدلائية

¹ - أحمد المقرى، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج 1، ص: 4.

² - أحمد المقرى، نفح الطيب، ج 7، ص: 135.

³ - أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني الأندلسى (952-1032هـ): قاضي الجماعة بفاس، أخذ عن القصار وأبي زكريا السراج وأحمد بابا وغيرهم. حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 3، ص: 1263؛ عبد الكبير الكتاني، زهر الأَس، ج 2، ص: 59؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 298.

⁴ - تلخيص المفتاح في المعاني والبيان للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القرزوبي الشافعى (666-739هـ / 1339م)، وهو تلخيص القسم الثالث الخاص بالبلاغة من كتاب مفتاح العلوم لسراج الدين أبي يعقوب يوسف السكاكى المتوفى سنة 626هـ. السيوطي، بغية الوعاة، ج 1، ص، ص: 156، 157.

⁵ - محمد القادرى، نشر المثاني، ج 1، ص: 254.

يدرس الحديث الشريف على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي (ت 1046هـ)، والشيخ أحمد بن القاضي⁽¹⁾.

وقد تصدى الشيخ أحمد المقربي للتدرис هناك؛ فتخرج عليه عدد من أعلام المغرب وأجازهم كالشيخ أحمد بن علي السوسي البوسعيدی (ت 1046هـ)، وأحمد بن موسى الأبار الفاسي، وعلي بن عبد الواحد الأنباري⁽²⁾؛ الذي أجازه نثراً⁽³⁾ بعد أن قرأ عليه الموطأ والرسالة، وختصر خليل، وابن الحاجب وغير ذلك⁽⁴⁾. كما حضر الشيخ محمد الشهير بابن القاضي⁽⁵⁾ دروسه بفاس في عدة علوم منها الفقه، الحديث وعلم الكلام، وقرأ بعض

¹ - محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص، ص: 94، 115.

² - علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن الأنباري السجلماسي (ت 1057هـ / 1647م): أخذ على علماء المغرب الأقصى، وحج ودخل مصر سنة 1043هـ وأخذ عن علمائها كالشهاب الغنيمي وعلي الأجهوري، ثم رجع واستقر بمدينة الجزائر. له مؤلفات كثيرة غالباً نظم. المحيي، خلاصة الأثر، ج 3، ص، ص: 173، 174؛ اليفرني، «صفوة من انتشر»، ورقة: 103؛ مخلوف، شجرة النور، ص:

.308

³ - محمد بن عبد الكريم، المقربي وكتابه نفح الطيب، ص: 271.

⁴ - محمد اليفرني، المصدر السابق، ورقة: 103.

⁵ - محمد بن قاسم بن القاضي المكتاسي (ت 1041هـ / 1631م): من فقهاء فاس، أديب بارع في الكتابة وفرض الشعر، طارت شهرته في التدريس بالقرويين على حداثة سنه، وأخذ عن عمّه أحمد بن القاضي. توفي قتيلاً لاتهامه بالموافقة على تمكين النصارى من ثغر العرائش. ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس، ج 4، ص، ص: 40، 41؛ محمد حجي، موسوعة الأعلام المغرب، ج 3، ص: 1292.

المختصر فأجازه المقربي به، وبكل مروياته ومصنفاته من نظم ونشر⁽¹⁾.

أما الفقيه أبو الحسن علي الفاسي الشهير بالشامي⁽²⁾، فقد جمعته به صداقه متينة، وله معه مراسلات تدل على ذلك، وكان يحضر دروسه بالقرويين، كما تبادل معه الأشعار والألغاز والتقاريظ، من ذلك التقريط الذي كتبه له على "أزهار الرياض بأخبار القاضي عياض" بعد اطلاعه عليه في أواخر محرم سنة 1026هـ/1617م، وفيه أخبر بأنه أجازه قائلاً: "فلما أوقفني على هذه الرياض... وأسمعني منها - حفظه الله - جملة جميلة من لفظه، وأملئ علي من قصائدها عدة حفيلة من وافر حفظه، وأجازني ذلك كله، وجميع مروياته الحميدة الآثار، وكلما أنسنده وأسند إليه من نظام أو ظار، حسبما كتب ذلك بخطه بمحول هذا الصفح... إجازة تامة قرت بها العينان"⁽³⁾.

١ - أحمد المقربي، رحلة المقربي إلى المغرب والشرق، ص، ص: 77، 78.

٢ - الأديب أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي (ت 1032هـ / 1623م): اشتهر بالشامي نسبة إلى الشام لأنّ جده قدم من الشام إلى فاس، فقيه أصولي وأديب شاعر عمل كاتباً عند أحد المتصور، ثم عند ولی عهده المأمون. من مؤلفاته: شرح مقصورة المکودی، ودرة الإسعاف بنظم أجداد بعض الأشراف. الحبی، خلاصة الأثر، ج ٣، ص، ص: 141، 142؛ المقربي، نفح الطيب، ج ٦، ص: ٥٩؛ حجی، الحركة الفكرية، ج ٢، ص: ٣٧٤.

٣ - أحمد المقربي، الرحلة، ص: 202.

ومن جملة من أخذ عليه بفاس واجازه في السنة المذكورة الأستاذ أبو عبد الله محمد بن يوسف التاملي⁽¹⁾، وأورد المقربي في "فتح المتعال"⁽²⁾ وفي "الرحلة" القصيدة التي استجازه بها، وهي في خمسة عشر بيتاً، وإنجازته له نظماً في اثنين وعشرين بيتاً بتاريخ جمادى الأولى سنة 1026هـ، نكتفي هنا بالمقصود منها؛ وهو قول الناظم⁽³⁾:

وها أنا ذا أشهدت أني أجزتكم على السنن المعلوم والمقصد الأولي
جميع تاليفي ونظمي وإن وهي ونشرى وإن حاز الركاكة والضعفا
وكل الذي أرويه عنم لقيته من السادة الغر الآلى أحسنوا الرصفا
وكتب إليه الفقيه محمد بن الفقيه عبد الواحد بن أبي عبد الله
الرجراحي المراكشي باستدعاء نثري، وقصيدة يدحه ويستجيزه
بها؛ منها قوله⁽⁴⁾:

هذا عبكم العفيف ببابكم إذ أنت حقاً ملجاً الضعفاء
جودوا بحقكم له برجائه لا زلت في الخير والنعماء

¹ - الأستاذ المقرئ أبو عبد الله محمد بن يوسف التاملي السوسي المراكشي (ت 1048هـ / 1638م)؛ أخذ بفاس عن الحسن الدراوي، وأبي عبد الله الترغبي، ومحمد الصغير المستغاني وغيرهم. اليفرني، «صفوة من انتشر»، الأوراق: 103 ظ، 104؛ الحبي، خلاصة الأثر، ج 4، ص: 271.

² - هذا ما ذكره اليفرني في الصفو، ورقة: 104. لم أتمكن من اطلاع عليها لأن نسختي المكتبة الوطنية، وهمما تحت رقمي: 2002 و2003 مبتورتي الآخر.

³ - أحمد المقربي، رحلة المقربي، ص، ص: 192، 193.

⁴ - أحمد المقربي، المصدر نفسه، ص: 124.

ولكن المقرى الذي ذكر هذا الخبر لم يورد إجازته له، والغالب على الظن إجازته لما جرت به العادة. والملحوظ أنَّ المقرى لم يذكر أسماء بعض العلماء الذين أجازهم في المغرب؛ من ذلك إجازة في أربعة أبيات افتتحها بقوله⁽¹⁾:

أجزتك يا عبيد جميع ما قد رويت عن الشيوخ ذوي الكرامة
متشوري ومنظومي جميعاً لمن قد شاءه مني ورامة
والجدير بالذكر أنَّ صلات المقرى بالغاربة لم تقطع برحلته
بل درس عليه عدد منهم في الشرق، وحصلوا على إجازاته بحيث
أخذ عليه العالم الشيخ أبو بكر السوسي المراكشي⁽²⁾؛ الوافد
لنواحي مصر فأجازه نثراً بجميع مؤلفاته ومرaciياته⁽³⁾.

ولم تكن صلات المقرى وثيقة بعلماء تونس كما هي مع علماء المغرب الأقصى، ولذلك فلم يجز إلاً لعدد قليل منهم، فأثناء رحلته إلى الشرق سنة 1028هـ / 1618م نزل بمدينة سوسة⁽⁴⁾، واستقر بها مدة، فاستجازه مكتبة من مدينة تونس

¹ - أحمد المقرى، المصدر نفسه، ص: 175.

² - أبو بكر بن مسعود مفتى المالكية بدمشق (984-1032هـ)؛ ولد بمراكش وبها نشأ، رحل إلى الشرق وعاش به متقللاً بين مصر ودمشق التي استقر بها أخيراً. المحيى، خلاصة الأثر، ج 1، ص: 97.

³ - أحمد المقرى، الرحلة، ص، ص: 121، 122.

⁴ - سوسة: مدينة كبيرة عتيقة على ساحل البحر المتوسط تبعد بمسافة ميل من تونس. الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، ص: 83.



الشيخ محمد تاج العارفين⁽¹⁾؛ وهو حيئن من كبار علماء تونس. وذلك ما ذهب إليه صاحب "المؤنس" بقوله: "لم يكن بالديار التونسية من يوم حلّ بها العسكر العثماني من تعاطى الرواية والدرائية إلاً الشيخ... أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني..." وكان مجلسه من أجل المجالس⁽²⁾، ثم حضر إلى المقرى بسوسة، فنظم له إجازة في ثلاثة وأربعين بيتا منها⁽³⁾:

أجزتك تاج العارفين جميع ما رویت
عن أعلام المهدى قلا أو كثرا
مجازاً ومقوءاً وإذنا بشرطه وكل الذي لفقته نظماً أو نثرا
وأجاز المقرى بتونس أيضاً للشيخ أبي القاسم بن جمال الدين
المسراتي القيرواني⁽⁴⁾ جميع مؤلفاته ومروياته؛ في قصيدة نظمها له
في ثمانية أبيات.

¹- أبو عبد الله محمد تاج العارفين بن أبي بكر العثماني التونسي: كان حيا سنة 1037هـ / 1628م. هو أول من تولى الإمامة بجامع الزيتونة من بيت البكريين واستمرت الإمامة وراثية في بيته لمدة 173 سنة. فرأى على الشيخ أبي بكي الرصاع، وأخذ عنه ابنه أبو بكر، ومحمد فاتحة، ومحمد الحجيج وغيرهم. وله "إعمال النظر الفكري في تحرير الصاع النبوى". مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 293، 294؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 1، ص، ص: 116-117.

²- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تتح: محمد شمام. تونس: المكتبة العتيقة، (ط3)، 1967. ص: 317.

³- المقرى، المصدر السابق، ص، ص: 153، 154؛ وينظر النص كاملاً في الفصل الرابع.

⁴- أبو القاسم بن جمال الدين محمد بن خلف المسراتي (ت 1065هـ / 1654م بمصر): أجازه النور الأجهوري، والدشطوطى البكري وغيرهم. محمد مخلوف، شجرة النور، ص: 305.

إن جل إجازات الشيخ أحمد المقرى في الرواية، حيث كان يُجيز أقرانه من العلماء، وتلامذته رواية مروياته ومؤلفاته، ولم يمنح لتلامذته إجازات خاصة فيما قرؤوه عليه إلا نادراً، كما لا نعلم أنه أجاز أحداً في التدريس أو الفتوى أو القراءات القرآنية. وللإشارة فإن المقرى كان من أحرص العلماء على الاحتفاظ بإجازاته، وهذا أوردها بنصوصها في كتابه: "فتح المتعال" و"نفح الطيب"، و"روضة الآس" وفي رحلته.

- إجازات الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري لبعض

العلماء الجزائريين:

طالت مرحلة الفوضى التي عمت المغرب الأقصى أواخر الدولة السعودية، حتى كادت أن تقضي على المراكز العلمية به وفي مقدمتها جامع القرقوين، وهذا زار بعض علمائه الجزائريين ودرسوا بها ثم عادوا إلى بلادهم، في حين كان بعضهم ينشد الهدوء والاستقرار اللذين فقدا فيهم؛ فاستوطنوا الجزائر كالشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري؛ الذي استقر بأسرته في مدينة الجزائر بعد عودته من الحج⁽¹⁾، فوجد فيها ترحيباً كبيراً من طرف حاكم الجزائر آنذاك يوسف باشا⁽²⁾؛ الذي قرئ له منه⁽¹⁾.

¹ - اليفرني، «صفوة من انتشر»، ورقة: 103 ظ.

² - أبو الجمال يوسف باشا: تولى بين سنتي 1050 و1052هـ / 1640م و1642م، ثار عليه جند الإنكشارية وسجنه. وكان محباً للعلماء، وهذا ذهب وقد منهم إلى استنبول برئاسة محمد بن علي القوجلي طالبين تدخل الباب العالي في تعينه على الجزائر



دخل الشيخ علي الأنصاري مدينة الجزائر بين عامي 1045 - 1047هـ / 1636 - 1635م، وكان بها ساعة قدومه إليها علماء بارزون؛ أمثال الشيخ سعيد قدورة، والشيخ أحمد الزروق بن داود⁽²⁾، ولكن الطلاب كانوا في حاجة إلى المزيد من رجال العلم، ولاسيما من المغرب الذين اعتادوا التوجّه إليه لاستكمال معارفهم في جامع القرويين وغيره، فكان مجيء الشيخ الأنصاري إليهم فرصة نادرة عليهم أن يغتنموها⁽³⁾، فأخذ عليه عدد كبير من طلبة العلم الجزائريين، سيما وأنه كان متوفياً من عدة علوم، حتى وصف بأنه "كان آية باهرة في جميع العلوم".

ومن بين أكثر تلامذة الشيخ الأنصاري ملازمة له في الجزائر الشيفين: أبو حفص عمر المنجلاتي، وعيسى الشعالى فقد لازمه الأول "أربع عشرة سنة نهاراً وليلًا في غالب الأوقات" فأخذ عنه جملة من الفنون⁽⁵⁾، ومع أنَّ المنجلاتي لم يذكر في إجازته لابن زاكور أنَّ الأنصاري أجازه، إلا أنَّ المدة التي قضتها في الدراسة عليه تكاد تؤكِّد على إجازته له؛ إجازات تعليمية بإقرائه

وأقصاء خصومه. المدنى، محمد عثمان باشا، ص، ص: 37، 38 = أبو القاسم سعد الله آيات وآراء في تاريخ الجزائر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990 ج3، ص: 204.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 371.

² - لا نعلم بما إذا تبادل الأنصاري الإجازات مع بعض هؤلاء العلماء.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 371.

⁴ - المحبي، خلاصة الأثر، ج 3، ص: 174.

⁵ - ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص، ص: 10، 11.

بعض المتون، كما فعل مع تلميذه الشيخ عيسى الثعالبي؛ الذي لازمه كما يقول العياشي "لزوم الشاخص"، وخدمه خدمة الراغب حتى اختص به، وصار من عليه أتباعه⁽¹⁾، وتزيد المدة التي لازمه فيها على عشر سنين، قرأ عليه فيها علوماً كثيرة، استوفى ذكرها في فهرسه "كتنز الرواة"، حيث أجازه عدة مرات، وأنابه عنه في مباشرة التدريس⁽²⁾. ويغلب على الظن أن إجازات الأنصاري للثعالبي تتتنوع بين الإجازات التعليمية، وإجازات الرواية.

وقد ذكر المحي شيخ يحيى الشاوي الملياني بمدينة الجزائر وعدّ من بينهم الشيخ عبد الواحد الأنصاري قائلاً بأئمه: روى عنهم الحديث والفقه وغيرها من العلوم، وأجازه شيوخه⁽³⁾، فهل كان الشيخ الأنصاري من جملة شيوخه الذين أجازوه؟ ومن بين تلامذته أيضاً قاضي الحنفية بمدينة الجزائر الشاعر محمد بن علي القوجيلي⁽⁴⁾، الذي نظم في شيخه عبد الواحد

¹ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج 2، ص: 127.

² - عدّ المحي في ترجمته للثعالبي الكتب التي قرأها على الأنصاري، وهي كثيرة جداً. خلاصة الأثر، ج 3، ص: 240.

³ - المحي، المصدر نفسه، ج 4، ص: 486.

⁴ - الشاعر محمد بن علي القوجيلي (ت 1080هـ / 1669م): محدث من أبرز الشعراء الجزائريين خلال القرن 11هـ. تولى وظائف لدى يوسف باشا. ترك بعض التأليف منها: عقد الجمان اللامع المتلقى من قعر بحر الجامع؛ وهو منظومة في مخرجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري. وله شعر في أغراض مختلفة كالمدح والغزل والرثاء والوصف. أبو القاسم سعد الله، آيات وآراء، ج 3، ص: 204، 205؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 3، ص: 500.



الأنصاري قصائد رائعة؛ من بينها هذا الاستدعاء الذي يقع في اثنين وثلاثين بيتاً، أكتفي هنا بالمقصود، وهو قول الناظم⁽¹⁾:

يا معنماً وهب الجزيل لمن مِنْ بابِه يرجو ندى المشرى
إنا جمعنا من مذاهبكم فأجزى جُزِيت بأعظم الأجر
فيما انتقیتم في فوائدكم من رائقِ في النظم والنشر
مع ما تجروز لكم روایته من كل فن شامخ القدر
بدراية ورواية ثبتت بصحیح إسناد عن الغر
نقلًا عن الأعلام سلسلة لا يُقتني بسلاسل التبر
وأجلها جمع البخاري إذ ما مثله جمع مدى الدهر

ومن تلامذة الشيخ الأنصاري أيضاً مفتى الحنفية بمدينة الجزائر: الشيخ محمد المهدى⁽²⁾ جد ابن علي الشاعر المشهور في القرن الثاني عشر الهجري، وقد نظم في شيخه المذكور قصائد؛ منها هذه القصيدة الغزلية⁽³⁾ التي استجاوه بها؛ منها قوله⁽⁴⁾:

¹ - أحمد بن عمار، أشعار جزائرية، تتحـ: أبو القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988. ص، ص: 122، 123.

² - محمد المهدى بن رمضان بن يوسف العلـج: كان مفتىـاً للحنفـية بمـديـنةـ الجزـائـرـ سنـةـ 1045هـ / 1635مـ، ويـظـهـرـ آـلـهـ ظـلـ بـهـ إـلـىـ سنـةـ 1069هـ / 1658مـ. ويـبـدـوـ أـيـضـاـ أـنـهـ نـقـلـ إـلـىـ أـزـمـيرـ مـنـ خـلـالـ رسـالـةـ بـعـثـ لـهـ بـهـ حـمـدـ بـنـ رـاسـ العـيـنـ؛ وـهـ مـنـ عـلـمـاءـ مـديـنةـ الجزـائـرـ. ابنـ عـمـارـ، المـصـدرـ السـابـقـ، صـ، صـ: 22، 23؛ الحـفـنـاوـيـ، تـعـرـيفـ الـخـلـفـ

جـ2ـ، صـ: 479ـ؛ الـبـوـعـدـلـيـ، الـجـزـائـرـ فـيـ التـارـيـخـ، جـ4ـ، صـ: 219ـ.

³ - تـأـثـرـ مـعـظـمـ الشـعـرـاءـ الـجـزـائـريـنـ فـيـ هـذـهـ الفـتـرـةـ بـالـشـعـرـ الـأـنـدـلـسـيـ، فـكـانـواـ لـاـ يـدـخـلـونـ إـلـىـ الـأـغـرـاضـ الـشـعـرـيـةـ الـمـخـلـفـةـ إـلـاـ مـنـ خـلـالـ الغـزلـ.

⁴ - ابنـ عـمـارـ، المـصـدرـ السـابـقـ، صـ: 113ـ.

عسى عطفة يحيى بها المتنشق
فوعده جميل منك لا شك يصدق
فحبي شفيع بالوسائل أسبق
فملبوس ذاك الشوق لا يتخرق
فيا ربَّة الحُسْنِ الذي ملك النَّهْيِ
عِدِينِي بِوَصْلٍ وَامْطَلِي بِنِجَازِهِ
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِمَا أَنَا آمِلُ
فِيَا قَلِيلِي الْمُضَنِّي رُوِيدَكَ فَاتِئِدَ
أَخْشِي اندراسا للعُلَى وَزَعِيمَهَا

علي بن عبد الواحد المتصدق⁽¹⁾

تمثل كل من هاتين القصيدتين استدعاءً، وهما كل ما وصلنا عن إجازة الشيخ الأنصاري لمحمد القوجيلي ومحمد المهدى، ذلك أنَّ العادة جرت بأن لا يرفض الشيخ الإجازة لكتاب العلماء كالشيوخين المقصودين بالإجازة، رغم أنهما حنفيان، لأنَّ الإجازة لا علاقة لها بالمذهب، إلا أن تكون إجازة تدريس أو فتوى خاصة بمذهب معين.

- الإجازات المتبادلة بين الشيخ عيسى الثعالبي وعلماء

المغرب وتونس:

كان المغرب الأقصى يتخبط في ضروب المحن والفتنة؛ في الفترة التي هاجر فيها الشيخ عيسى الثعالبي إلى الشرق (وهي سنة

¹ - رغم أنَّ هذه القصيدة غير تامة في كتاب "أشعار جزائرية"، فإنه يبدو أنَّ قائلها يستجيز بها الأنصاري على ما هي عادتهم عندئذ، ومن الأبيات المتصلة بهذه الأبيات وتؤكد أنَّ القصيدة هذه استدعاء قول الناظم:

فوجة علاء واضح متهلل ◆ وبحر نداء طافح يتدقق
وجود سواه بالمعالي مقيد ◆ وجود يديه بالمعارف مطلق
أقام لأرباب المعارف سوقها ◆ فكسادها قد عاد في الحين ينفق



1061هـ / 1650م)، وهذا لا يُستغرب أنه لم يتجه إليه كما هي عادة العلماء الجزائريين الراغبين في الهجرة، سيما وأنهم كانوا يلاقون رعاية منقطعة النظير من طرف سلطنه، كما لا يعرف من سيرته الذاتية أنه درس بالغرب، أو رحل إليه لأي سبب آخر، ومع ذلك فقد جمعته صلات وثيقة ببعض علمائه منذ كان بالجزائر؛ حيث لازم بها الشيخ عبد الواحد الأنصاري فأجازه عدة مرات، وقد سبق الحديث عن ذلك.

وأثناء رحلته إلى المشرق، نزل الشيخ عيسى التعالي بمدينة تونس، وأخذ عن كبار علمائها كالشيخ أبي بكر بن الشيخ تاج العارفين البكري (ت 1072هـ)، ولكن الحبي⁽¹⁾ لم يذكر عمّا إذا أجازه أم لا، أمّا محمد مخلوف فقد ذكر العلماء الذين أخذ عنهم التعالي بتونس ومصر، ثم أضاف قائلاً: وأجازوه وأثنوا عليه بما هو أهل⁽²⁾، ولم يخصص من منهم أجازه، فهل كان الشيخ المذكور من جملة العلماء المجيزين له؟، ويغلب على الظن أنه قد أجازه روایة؛ لأنَّ العلماء ما كانوا يفوتون فرصة استدعاء كبار المحدثين؛ كالشيخ أبي بكر تاج العارفين الذي خلف والده في مجلس تدريسه، وقام بعلم الحديث الشريف أحسن قيام⁽³⁾.

¹ - خلاصة الأثر، ج 3، ص: 241.

² - شجرة النور، ص، ص: 311، 312.

³ - ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص: 317.



رضاه بالتلذذ على الشعالي قائلاً: "قرأت عليه وسمعت في أزمان قليلة ما لم يسمع غيري في عمره، وكيفية مؤنة تقيد الأسانيد بموافقي له في كثير من شيوخه، ولما حصل العياشي على نسخة من فهرسة شيخه المسمى "بكنز الرواية"، أجازه بها، وناوله إياها⁽¹⁾ كما سمع من لفظه "كتاب الدعاء" لابن أبي الدنيا بكامله، وأجازه به ويكل ما اشتمل من أدعية وأذكار، وسمع منه أيضاً خطبة القاموس" في اللغة، وأجازه باقيه⁽²⁾، وخطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - الأخيرة وأجازه بها⁽³⁾، وجميع رسالة ابن أبي زيد في منزله بجانب المسجد الحرام، وأجازه بها وبسائر مروياته خصوصاً مؤلفات أهل مذهب مالك جمِيعاً، وسمع منه أيضاً جميع كتاب السنن للنسائي المسمى "بالمجتبى" بالمسجد الحرام، فلما كان يوم ختمه أنشد العياشي مُستجيزاً شيخه بخمسة أبيات افتتحها بقوله⁽⁴⁾:

ختمنا كتاب المجتبى وأتمه وأسمعناه شيخنا مسند الدنيا
واختتمها بقوله:

أجزنا وكل الحاضرين جميع ما روitem بلا شرط يحضر ولا تينا
وللعيashi استدعاءً جماعي لعلماء المشرق، بلغ عدد المذكورين فيه بالإضافة إليه تسعة من بينهم ابنه حمزة، فكتب لهم

¹ - العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص: 133.

² - العياشي، الرحلة العياشية، ج 2، ص: 176، 177.

³ - المصدر نفسه، ج 2، ص: 182.

⁴ - المصدر نفسه، ج 2، ص: 176.

عليه ستة عشر عالماً مُجيزين لهم من بينهم الشيخ عيسى الشعالي⁽¹⁾، وكان من عادة العلماء مراجعة شيوخهم فيما أُفوه، والأخذ برأيهم فيه، وهذا عرض العياشي على شيخه الشعالي قصائده المدحية المرتبة على حروف المعجم، وراجعته فيما يحتاج إلى مراجعة منها فاستحسنها، واستجاز هو بدوره تلميذه فيها⁽²⁾.

وقد كان الشيخ عبد الله العياشي يستدعي لنفسه ولأصحابه من يلقاء من أجلة العلماء، وفي طريق عودته إلى المغرب استجاز جماعة من العلماء، وكتب إليهم بإجازات المشايخ لهم عند وصوله إلى طرابلس، ومن جملة أصحابه المجازين شيخه عيسى الشعالي⁽³⁾. وظلت صلة العياشي قائمة بشيخه حتى بعد عودته إلى المغرب، فقد استدعي في سنة 1076هـ / 1665م الشيخ عبد القادر الفاسي⁽⁴⁾ لنفسه ولجماعة من المشايخ من بينهم شيخه العياشي، فكتب لهم ولده الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الشعالي، فكتب لهم ولده الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد

¹ - عبد الحفيظ بن محمد الفاسي، معجم الشيوخ المسما "رياض الجنة أو المذهب المطرب": بروت: دار الكتب العلمية - منشورات محمد علي بيضون، (ط1)، 2003.

ج 1، ص: 71.

² - العياشي، الرحلة، ج 2، ص: 177.

³ - العياشي، المصدر نفسه، ج 2، ص: 382.

⁴ - أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد الفاسي (1007-رمضان 1091هـ): قرأ على والده وعلى علماء فاس، لوم يتصد للتاليف لانشغاله بالتدريس فتخرج عليه عدد كبير من طلبة فاس وغيرها، ومن أخذ عنه ابن علي اليوسى، أفراده ولده عبد الرحمن بترجمة في كتاب سماه "تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر": المحيى، خلاصة الأثر، ج 2، ص: 444-451؛ محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 4، ص: 1636-1643.

ال قادر إجازة ضمنها مشهور أسانيد والده، وهي فهرسة في نحو
كراستين، وكتب إثرها والده الإجازة لمن ذكر ضمنها^(١)، وما جاء
في الفهرس - بعد الإشارة إلى إنابة والده له في كتابة الإجازة -:
قال الشيخ المستجاز المذكور لذلك أجزت المستدعي المذكور
وولده (أي العياشي وولده حمزة)... ثم للشيخ العالم الحافظ
العامل أبي مهدي عيسى الشعالي^(٢)، وبعد أن عدّ أكثر من عشرين
عالماً وفقيها من المشرق والمغرب ممن تعمّه الإجازة قال: "إجازة
عامة في جميع مالنا من مقوء ومجاز ومسنون، وما تحملناه من
الأصول والفروع، فيحدثوا عني جمّعاً بما شاءوا، وكيف شاءوا،
على السنن المُعرف، والنهج المسنون المعروف، إيجاب لتلكم
الطلبة..."^(٣). ثم شرع مباشرة في سرد سند مرويات والده مبتدئاً
بالحديث الشريف.

وهناك عالم آخر اشتهر بالاسم نفسه مع المجاز له سابقاً، وهو
الشيخ الفقيه عبد الله العياشي ابن المجاهد محمد العياشي^(٤)، وأخذ
هو الآخر على الشيخ عيسى الشعالي في الحرمين الشريفين،

^١ - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 767.

^٢ - الفهرس المُجاز به، ضمن مجموع رقم: 181، بدار الكتب المصرية، الأوراق: 11 ظ، 12 و.

^٣ - عبد الله العياشي (999-1073هـ / 1663م): كانت له مجالس علمية راقية
حضرها أعيان علماء المغرب الواردين على أبيه الأمير، وفيهم محمد مبارزة المعروف
بالصغير. وله تأليف منها: شرح التحفة، وشرحان على المرشد المعين كبير وصغير، وقد
جادل إلى جانب أبيه. محمد خلوف، شجرة النور، ص: 309.

وحصل على إجازة منه⁽¹⁾، وأجاز الشاعري أيضاً للشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي⁽²⁾، والشيخ أحمد بن سعيد الدلائي⁽³⁾، وكانت إجازته لهذا الأخير في سنة 1068هـ / 1657م؛ وهي الإجازة التي عدّ فيها أساتذته الذين أخذ عنهم الحديث في مصر، وبالأخص علماء الأزهر المالكية أمثال: الشيخ علي الجهوري، والشيخ يوسف الفيشي⁽⁴⁾.

وأخذ عنه بمكة أيضاً الشيخ عبد الله محمد البوحسني المغربي⁽⁵⁾؛ منظومة الشيخ أحمد المقرى في علم الكلام المعروفة " بإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة" فأجازه فيها عن الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري عن مؤلفها⁽⁶⁾، هذا وقد شهدت

¹ - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 2، ص: 448. ورد في الامامش من نفس الصفحة أن هذه الإجازة ضمن مخطوط مع الرباط، ع: 3283 ك.

² - محمد القادري، نشر المثاني، ج 3، ص، ص: 151، 152.

³ - لم أتمكن من ترجمته، رغم الرجوع إلى مصادر ومراجع مغربية ترجمت للدلائين، وبالأخص كتاب "الزاوية الدلائية"؛ الذي ترجم لعلماء الأسرة الدلائية، ولكنه لم يذكر هذا الاسم مطلقاً.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 56.

⁵ - عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى: هو بدوره أجاز بإضاءة الدجنة العلامة محمد بن المختار الأعمش ووجه إليه بنسخة منها، ورغبه في وضع شرح عليها، فأجابه إلى ذلك. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تتح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1981. ص: 160.

⁶ - الولاتي، المصدر نفسه، ص: 160.

المنظومة المذكورة إقبالاً كثيراً بأرض شنقيط⁽¹⁾; حيث بلغت تلك الربوع في وقت مبكر جداً، وأعجب بها الشناقطة فتداولوها وكثرت شروحهم وتعاليقهم عليها، وتنوعت حواشيهن عليها حتى تجاوزت العشرين شرحاً وحاشية⁽²⁾.

- إجازات علماء مدينة الجزائر للأديب المغربي

محمد بن زاكور:

كان المغاربة يتخدون الجزائر طريقاً للمشرق براً وبحراً، وكثيراً ما كانوا ينزلون بمدنها، ويلتقون بالعلماء فيجيرون ويستجرون، ومن القلة الذين دخلوا إليها من دون أن يكونوا متوجهين إلى المشرق أو عائدين منه: الأديب محمد بن زاكور الفاسي⁽³⁾; الذي

¹ - شنقيط في الأصل مدينة من منطقة أدرار إلى الشمال من وسط موريتانيا الحالية ونظراً لازدهارها خلال القرن 12هـ انسحب اسمها على كافة المجال الموريتاني الحالي. جاه الله ولد سالم، دور ركاب الحاج والأوقاف في التواصل بين المجال الشنقيطي - السوداني مع المشرق العربي، مجلة الجسرة الثقافية. قطر: نادي الجسرة الثقافي. العدد: 14، خريف 2002. ص: 40.

² - محمد بن المحبوب، الوصل الثقافي بين الجزائر وببلاد شنقيط، ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، الصادرة عن جامعة وهران، العدد: 5، سنة: 1998. ص: 293-297.

³ - أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (ت 1120هـ / 1708م): أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي والكماد القسنطيني وغيرهم. له نظم كثير في أنواع من العلم منها: حاشيته على الخزرجية، وديوان شعر القادرى، نشر المثانى، ج 3، ص: 203؛ عبد الكبير الكتани، زهر الأَس، ج 1، ص: 459، 460؛ البغدادى، هدية العارفين، ج 2، ص: 310؛ خلوف، شجرة النور، ص: 330.

حل بمدينة الجزائر في سنة 1093هـ / 1682م، وبما أنه لم يصرح في كتابه المخلد لهذه الرحلة المسمى "نشر أزاهر البستان" عن أسبابها، فقد اختلف الباحثون في تحديدها، بين كونها عائلية وهو ما ذهب إليه بعض الدارسين المغاربة، وبين كونها علمية وهو ما ذهب إليه بعض الدارسين الجزائريين.

وقد أكد على السبب الأول عبد الوهاب بن منصور قائلاً في تقدیمه للكتاب المذكور، بأنّ ابن زاکور ألهه عن الزيارة التي قام بها لأغراض عائلية، وتجارية إلى الجزائر وتطوان سنة 1093هـ و 1094هـ، تلك الزيارة التي اغتنمتها للاجتماع بعدد من العلماء والأخذ عنهم⁽¹⁾.

كما برهن عبد الله كتون على أنّ زيارة ابن زاکور لتطوان تعود إلى الروابط العائلية، ثم أضاف قائلاً: كما لا يبعد أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الجزائر أيضاً، لأنّ أولاد ابن زاکور كانوا بها موجودين، ونفي كونه دخلها لطلب العلم مستدلاً على ما ذهب إليه من كون ابن زاکور نفسه لا يذكر أنه خرج بقصد طلب العلم، وإنما يقول لما حل ببلد كذا أخذ عن فلان وفلان⁽²⁾.
أمّا نور الدين عبد القادر⁽³⁾، وأبو القاسم سعد الله⁽¹⁾ فقد أكدوا على أنّ سمعة بعض العلماء الجزائريين جلبتهم للأخذ عنهم،

¹ - محمد بن زاکور، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، ص: ١.

² - ذكريات مشاهير رجال المغرب (ابن زاکور). تطوان: مطبعة كريما ديس. ج 13، ص، ص: 8، 9.

³ - صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 202.

وهناك فرق بين كون أسباب رحلته عائلية أو علمية، لأنَّ السبب الأخير يعني شهرة العلماء المدرسين آنذاك بمدينة الجزائر، وشد الرحال إليهم من المغرب الأقصى الذي كان يتعجب بالعلماء والأدباء الأفذاذ، وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية.

ومهما كانت أسباب قدوم ابن زاكور إلى مدينة الجزائر فإنَّ مكوثه بها عدة أشهر، هو للتللمذ على علمائها الأفذاذ، وهذا رحل فور الانتهاء من القراءة عليهم، فلو وجد علماء بمنزلتهم لأطوال مدة إقامته أكثر ليتمكن من الدراسة عليهم، وهذا ما جاء على لسانه في الجزء المخصص لعلماء مدينة الجزائر في الرحلة⁽²⁾: وإنما لم أحفل بسواهم، ممَّن تبوا دُراهم، اكتفاء بالبحار عن الجداول والأنهار... وحرصاً على إتيان بيوت المعارف من أبوابها، وتلقي درر المحسن عن أربابها⁽³⁾.

ويبدو جلياً حرص واهتمام ابن زاكور بإجازات العلماء الجزائريين، فقد كان يتطلع لقراءة "مختصر سعد الدين التفتزاني"⁽⁴⁾

¹ - تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 439.

² - الرحلة مقسمة إلى قسمين متساوين تقريباً، الأول مخصص لمدينة الجزائر، والثاني لمدينة تطوان.

³ - محمد بن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص: 45.

⁴ - مختصر سعد الدين التفتزاني على تلخيص المفتاح في البيان والبديع والمعاني لسعد بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتزاني (712 - 791هـ): وله شرح على العضد وشرح الشمية في المنطق، وشرح التلخيص مطول. السيوطي، بغية الوعاء، ج 2، ص: 285.

على الشيخ أبي عبد الله بن خليفة الجزائري⁽¹⁾، والحصول على إجازته، فوعلده بذلك فور ختمه تفسير القرآن الذي كان مشغلاً به، غير أنه توفي قبل أن يأخذ عليه، مما جعل ابن زاكور يتحسر على ذلك⁽²⁾، وما معاودته واستجازة الشيخ محمد قدورة عند اعتذاره عن الإجازة بكونه ليس أهلاً لمنحها، إلاً اعترافاً منه بفضله وتقديمه. وقد احتفظ ابن زاكور بإجازاتهم له كاملة في "نشر أزاهر البستان"، بل واحتفظ بإجازة الشيخ علي الشبراهمي لشيخه ابن عبد المؤمن⁽³⁾، في حين أهمل الإجازة التي كتبها له الشيخ الصفووي أبو عيسى محمد المهدى بن أحد⁽⁴⁾؛ مع أنه ساقها بنصها العلمي، وتتبع فيها أسماء مشيخته، والمأهوم من أسانيده⁽⁵⁾. ودأب الأديب محمد بن زاكور على تقديم قصائد مدحية يستجيز بها شيوخه بالجزائر، كلما ختم كتاباً أو أنهى الدراسة على أحدهم، فقدقرأ على الشيخ عمر المانجلاطي كتاب "جمع

¹ - ابن خليفة (ت ربيع الثاني 1094هـ)، أخذ بصر عن العلامة يس الحمصي وغيره. وتصدى للتدريس بالجزائر، له شرح على السلم المرونق، وتفسير للقرآن الكريم. ابن زاكور، المصدر السابق، ص - ص: 41 - 43.

² - محمد بن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص، ص: 40، 41.

³ - ابن زاكور، المصدر نفسه، ص: 32 - 37.

⁴ - إجازة الشيخ المهدى الفاسى لابن زاكور في ذي القعدة 1100هـ. محمد بن عبد الكبير الكتани، تحفة الأكياس (وهي ذيل كتاب والده زهر الأس)، ج 2، ص: 377. والفارق الزمني بين هذه الإجازة وبين إجازات علماء الجزائر له ستة سنوات. وكان من الممكن إلحاقها بها مادام كتابه ليس ككتب الرحلات المتعارف عليها بل هو فهرسة أكثر منه رحلة.

⁵ - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 283.



الجواجمع" للإمام السبكي في مدة أربعة أشهر، وكانت قراءته بإحضار شرّاحه كالمحلّي، وولي الدين العراقي، والكوراني وحواشي مع بعض شروح مختصر ابن الحاجب، ثم استجازه فأجازه برواية ما رواه عن أشياخه، ومن أجيئهم: الشيخ عبد الواحد الأنصاري، والشيخ سعيد قدورة، وكتب له بذلك في 20 جمادى الثاني سنة 1094هـ، وأجازه بهذه العبارة: "أجزته أن يروي عني، ما روته عن أشياخي في الفنون التي أسردها بشرطه المعتبر، عند أهل النظر"⁽¹⁾.

وقرأ ابن زاكور على الشيخ محمد بن عبد المؤمن الجزائري صدرا من كتاب "جمع الجواجمع"، وبعضا من كتاب "تلخيص المفتاح"، وأرجوزة ابن التلمساني في الفرائض⁽²⁾، ثم سأله الإجازة فيما قرأه معه أو سمعه منه؛ فأجابه إلى ذلك وكتب له بالإجازة في 23 جمادى الثانية من نفس السنة، وما ورد فيها: "فأجزته بذلك (أي فيما قرأه معه وسمعه منه) على شرطه المعتبر، عند أهله بإجازة الحافظ علام مصر أبي الحسن علي الشبراهمسي... وبإجازة نزيل المدينة المنورة، ومدرس الحرم الشيخ أبي العباس أحمد بن تاج الدين"، ثم أجازه برواية أرجوزة من نظمه في العقائد والفروع،

¹ - ابن زاكور، المصدر السابق، ص- 9-13.

² - الأرجوزة المشهورة في الفرائض لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني نزيل سبطة (609-697 هـ). ابن فرحون، الديجاج المذهب، 1ج، ص، ص: 242، 243.

متكونة من تسعه وسبعين بيتا، وكلفه بشرحها إن أمكنه أو من
أهله الله لذلك⁽¹⁾.

كما حضر مجلس الشيخ محمد بن سعيد قدورة، وسمع عليه
بعضا من "الجامع الصغير"⁽²⁾، وأبوابا من "صحيح البخاري" ثم سأله
الإجازة، فاعتذر عن ذلك بأنه ليس أهلا لأن يحيى، فلم يزل ابن
زاكور يلح عليه في الطلب، ولما اقترب موعد عودته إلى فاس كتب
إليه باستجابة نظمية في أحد عشر بيتا منها⁽³⁾:

مولاي أسرفت في إنتظار متظر	إجازة وهي أنسني ما به اعتضدا
لأن مطل الغنى أنت	آثار صدق بأن الظلم فيه بدا
وأنت أعلم أهل العصر قاطبة	بها ومن لم يقل هذا فقد جدا
أجز وأنجز فلا عريت من شرف	إجازة لم تغادر لكم سندًا
فكتب له إجازة مطلقة عامة في أوائل رجب 1094هـ، مما	ورد فيها قوله: "أجزته إجازة مطلقة تامة عامة، على شروطها
	المتعارفة عند العلماء القائلين بها في جميع مقوءاتي معقولا
	ومنقولا، توحيدا أو نحوها، فليححدث بذلك إن أحب عن أشياخني
	وأشياخهم إلى المؤلفين ⁽⁴⁾ ، وتجدر الإشارة إلى أن إجازة محمد

¹ - ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص- ص: 31- 22.

² - الجامع الصغير من حديث البشير النذير لعبد الرحمن بن محمد بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد، المعرف بجلال الدين السيوطي (849- 911هـ). السيوطي، حسن المعاشرة، ج 1، ص: 5.

³ - محمد بن زاكور، المصدر السابق، ص: 39.

⁴ - ابن زاكور، المصدر السابق، ص: 38.

قدورة لابن زاكور تختلف عن إجازة المانجلاتي وابن عبد المؤمن له، فهي جد مختصرة، ولا تحتوي على شيوخه، ولا على سند مروياته عنهم.

- إجازات علمية متفرقة خلال القرنين العاشر والحادي

عشر الهجريين:

إنَّ ما عرفته علاقات الجزائريين الثقافية بالمغاربة من حيوية خلال العهد العثماني، ما هو إلَّا امتداد لذلك التواصل الفكري الذي شهدته العهود السابقة له، ولهذا نجد صلاتهم بهم في فترة مبكرة من القرن العاشر الهجري (16م)، ومنْ كان بفاس عشية دخول العثمانيين إلى الجزائر الشيخ محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي⁽¹⁾ الملقب بشقرون، الوهري الأصل⁽²⁾، الفاسي

¹ - الحافظ التكلم المقرئ: محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي (ت 929هـ / 1522م) لقب بشقرون لأنَّه كان أشقر اللون، له فهرسة في مروياته. عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج 2، ص: 300؛ ابن مرريم، البستان، ص: 115.

² - وجد بفاس حيث تذَّكر عدد من أفراد أسرة ابن أبي جمعة المغراوي، وهم أحفاد العلامة محمد بن عمر المواري دفين وهران، نذكر منهم: محمد بن أبي جمعة المغراوي التسوفي بفاس سنة 917هـ، والعلامة أحمد ابن أبي جمعة المغراوي مؤلف كتاب "جواهر الاختصار والبيان" المتوفى بين سنتي 930 و940هـ. المزاري، طلوع سعد السعو، ج 1 ص، ص: 86، 97؛ أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 580؛ أحمد بن القاضي، جدة الاقتباس، ج 1، ص: 246.

الدار^(١)، وقد أخذ على علمائها كالشيخ العلامة محمد بن غازي (ت 919هـ)^(٢)، والشيخ أحمد الدقون^(٣)، وما تضمنته إجازة هذا الأخير له قوله^(٤):

أجاز لك الدقون يا نجل سيدي أبي جمعة والأل كل الذي روا فحدث بما استدعيت فيه إجازة وسلم على من خالف النفس والهوى ومهنْ غلبت عليه نسبة الجزائري، نزيل مدينة الجزائر وخطيبها العلامة الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري^(٥)؛ الذي دخل فاس مرتين: الأولى سنة 959هـ / 1551م أيام السلطان السعدي محمد المهدي الشريف، سفيرا للسلطان العثماني أبي الربيع سليمان شاه صاحب القسطنطينية^(٦)، وفيها أجاز للشيخ أبي عبد الله الحضرمي الوزرالي بسبطة، وله إجازات أخرى منحها لكل من الشيخ محمد بن يوسف الترغي، والشيخ محمد بن

^١ - عبد السلام بن سودة، المصدر السابق، ج 2، ص: 300. لم تتحدث المصادر التي ترجمت له عن نشأته وتكونيه العلمي الأولى، وإن كان من مواليد فاس أو كان من الواردين عليها من الجزائر.

^٢ - أحمد بن القاضي، درة الرجال في أسماء الرجال، ج 1، ص: 151.

^٣ - الأستاذ الرواية أحمد بن يوسف الصنهاجي الشهير بالدقون (ت بفاس 921هـ / 1515م): الخطيب بالقرويين، أخذ عن محمد المواق وغيره. أحمد بابا، المصدر السابق، ص: 136.

^٤ - أحمد بن القاضي، المصدر السابق، ج 1، ص: 132.

^٥ - استقر بالجزائر إلى وفاته، ودام إقامته بها أكثر من ثلاثين سنة، لعب خلالها دورا هاما في الحياة السياسية آنذاك. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 499. وبما أنني لم أنطرق في البحث كله إلى طرابلس، أدرجته هنا كجزائري.

^٦ - ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 114.

أحمد الحضري⁽¹⁾، أمّا عن نوع هذه الإجازات فلا يمكن الجزم بأنّها صوفية أو علمية، لعدم معرفتنا بما أخذوه عنه، ولأنّه كان من أقطاب التصوف، كما كان مُتمكناً من علم الظاهر، سيما الفقه والحديث إلى جانب فصاحته اللغوية، وهذا قال فيه معاصره ابن عسّكر، كانت "له قدم بارع في فنون التصوف والمعارف الروحانية، مع تفنته في علوم الفقه والحديث"⁽²⁾.

ومن أشهر من تمتع بمكانة مُميزة في المغرب خلال القرن العاشر الهجري من المهاجرين التلمسانيين: محمد بن الْوَقَاد⁽³⁾ و محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن جلال⁽⁴⁾. وقد أصبح الأخير منهما مفتياً وخطيباً بجامع القرويين، إلى جانب تصدّيه للتدريس فتخرج عليه عدد كبير من العلماء، غير أنّ إجازاته لم تمحظ بالذكر في المصادر المداولة، إلاّ ما ورد على لسان معاصره ابن عسّكر في سياق ترجمته لأحمد بن زكري التلمساني صاحب منظومة في علم الكلام معروفة بـ"مُحَصَّلُ الْمَقَاصِدِ"، قائلاً بأنّه يصعب شرحه حتى أنّ محمد بن يوسف السنوسي قال لمن طلب منه ذلك: "لا يقدر على شرح هذا إلا مؤلفه"، ثم ذكر العلامة محمد

¹ - أحمد بن القاضي، جدودة الاقتباس، ج 1، ص: 322.

² - ابن عسّكر، المصدر السابق، ص: 114.

³ - أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الْوَقَاد (ت 1001هـ / 1592م): رحل من تلمسان واستقر بالمغرب، تولى القضاء والخطابة، وكانت له وجاهة عند ملوك المغرب. اليفرني، «الصفوة»، الأوراق: 72 و 72 ظ.

⁴ - محمد بن عبد الرحمن بن جلال الْوَغْرَانِي التلمساني (908-981هـ). أحمد بن القاضي، جدودة الاقتباس، ج 1، ص: 325.

اليستني والشيخ ابن جلال السابق الذكر - وكان إماماً في علم الكلام - وذكر بأنه قال لهذا الأخير: سمعت عنك أئمتك أجزته له (أي لليستني)⁽¹⁾، فهذه الإجازة على ما يبدو إجازة خاصة بالمنظومة المذكورة، ولعلها جاءت بعد قراءة لها.

أما الشيخ محمد بن الوقاد - السابق الذكر - فقد تصدى لنشر العلم بعدة مدن مغربية إلى أن استقر بمدينة ترودانس، وتولى بها القضاء والخطابة، وبعد وفاته خلفه ابنه الشيخ المحدث عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الوقاد⁽²⁾، في الخطابة والتدريس بالمدينة المذكورة، وظلَّ هذا الأخير مداوماً على طلب العلم، ومن أشهر شيوخه المغاربة العلامة الشيخ أحمد بابا التنبكتي الذي كتب له إجازتين، الأولى بكتاب "الشفاء" في سنة 956هـ / 1549م نقتصر منها على يفي بمقصودنا، وهو قول الشيخ أحمد بابا: وبعد فقد أجزت لسيدي الفقيه الصالح سيدي أبي زيد عبد الرحمن بن سيدي الإمام المفتى... سيدي محمد التلمساني نزيل سوس الأقصى بقاعدته ترودانس - أمنها الله - بكتاب الشفاء لأبي الفضل عياض... بحق سماعي له كله مراراً على سيدي والدي الفقيه

¹ - ابن عسكر، دوحة الناشر، ص - ص: 109 - 111.

² - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقاد (ت 1057هـ): كان إماماً مشاركاً في عدة علوم، من أشيائده: والده وسعيد المهروزي وغيرهما. اليفريني «الصفوة»، الأوارق 117، ظ 118.

المحدث أحمد بن عمر بن محمد أقيت^(١)، والثانية بتاريخ 13 ربيع الثاني 1007هـ / 1598م وهي مطولة وعامة^(٢).

وقد أجاز الشيخ عبد الرحمن بن الواقد بدوره عامة للعلامة عبد الرحمن ابن أحمد التمني^(٣) صاحب فهرس "الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة"^(٤).

ونظراً للمكانة التي تبوأتها مدينة قسنطينة كأكبر الحواضر العلمية في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري، فلم يفوّت علماء المغرب الأقصى فرصة الأخذ عن علمائها، كالشيخ سعيد الماغوسي الشهير بال حاج أبي جمعة^(٥)؛ الذي نزل بها أثناء رحلته إلى المشرق وأخذ على بعض أعلامها منهم: الشيخ عمر الأنصاري الشهير بالوزان، والشيخ محمد العطار، والفقیہ محمد المغربي القاضي، كما قرأ على الشيخ عبد الكريم بن بھي الفكون

^١ - حسن الصادقي، مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية. الرباط: معهد الدراسات الإفريقية، (ط١)، 1996. ص: 42.

^٢ - الفقیہ المنوني، أبحاث مختارة. المغرب: مطبعة دار المناهل، 2000. ص: 343.

^٣ - أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم بن محمد (ت 1060هـ / 1650م). ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج 2، ص: 329.

^٤ - الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 922، 923.

^٥ - سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي (950-1016هـ / 1607م)؛ أخذ عن أعلام بالمغرب وبمصر والهجاز والشام والقسطنطينية وأجزاءه. أديب متمكن في اللغة، ألف كتاباً لغوية عديدة منها: نظم الفرائد الغرر، شرح مقصورة المكودي وإيضاح المبهم من لامية العرب المقرى، روضة الأس، ص - ص: 226-228؛ حجي، الحركة الفكرية، ج 2، ص: 398.

"مختصر السعد"، و"مختصر ابن الحاجب الأصلي" فاجازه⁽¹⁾، ولا يُستبعد أن يكون الحاج أبو جمعة قد مكث بقسطنطينة مدة مكتنته من الأخذ عن هؤلاء العلماء.

وكان للشيخ سعيد قدورة رحلة إلى المغرب الأقصى؛ حيث سافر من تلمسان إلى صحراء فجيج وسجلماسة، وحلَّ في بني عباس سنة 1015هـ / 1606م. وأقام يُدرِّس بها مدة غير يسيرة، وخلال شهر رمضان من نفس العام، عقد مع العالم المتصوف أحمد بن أبي محلٍي السجلماسي⁽²⁾ بالمسجد الرئيسي دروساً حديثية مشتركة، وبالأخص في "صحيحة البخاري"، ولم تقطع الصلة بين الرجلين إلى أن قامت ثورة ابن أبي محلٍي⁽³⁾، فشرقاً أحدهما وغرب الآخر⁽⁴⁾.

¹ - أحمد المقربي، روضة الآس، ص، ص: 227، 228.

² - أبو العباس بن أبي محلٍي (1022هـ / 1613م): الأديب الفقيه الصوفي، ثائر على السعدين، استولى على سجلماسة والمناطق المجاورة لها. من مؤلفاته: "الأصليل الخريت في قطع حلقوم العفريت"؟ هو فهرسة ورحلة له بوادي الساورة عام 1016هـ. وله أيضاً كتاب "سم ساعة في تقطيع أمعاء مفارقة الجماعة" أدرج فيه أجوبة لبعض العلماء له بشأن شيخ فجيج عبد القادر السماحي رأس الدجالين المتصوفة في نظره، ومن بين هذه الأجوبة جواب الشيخ سعيد قدورة. القادري، نشر المثاني، ج 1، ص: 113؛ حجي، المرجع السابق. ج 1، ص: 33.

³ - ذكر أحد الناصري أن قدورة ذهب في وفد من أهل تلمسان والراشدية لتهنئة ابن أبي محلٍي على نجاحه في ثورته، وأن هذا الأخير ذكر في كتابه "الأصليل" أن قدورة من تلامذته. الاستقصاء، ج 6، ص: 30. ولكن الأصح أن قدورة تتلمذ عليه قبل ثورته التي قامت سنة 1019هـ لأن كتاب الإصليل الذي ذكره ضمنه ألفه سنة 1016هـ.

⁴ - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 2، ص: 627.

دخل قدورة أيضاً فاس وأخذ على علمائها^(١)، إلا أن المصادر التي ورد فيها خبر تل门ذه على علماء المغرب جاء مقتضباً، فلم تذكر من شيوخه غير ابن أبي محلب، ولكن لا نعرف ما الذي أخذه عليه ولا عما إذا أجازه أم لا.

وبعد عودة الشيخ سعيد قدورة إلى الجزائر وتصدره للتدرис بها، أخذ عليه بعض علماء المغرب، كالشيخ محمد بن عبد الرحمن الصيني التازي (ت 1115هـ / 1703م)⁽²⁾، والشيخ محمد بن سليمان الروdanى⁽³⁾؛ الذي نزل بمدينة الجزائر أثناء رحلته إلى المشرق فآقام بها مدة، أخذ خلاها على علمائها وعلى رأسهم الشيخ سعيد قدورة⁽⁴⁾، فتلقى عنه الحديث المنسلي بالأولية وحديث المصافحة، وحديث المشابكة وغيرها⁽⁵⁾، ويغلب على الظن أن تكون إقامته بها طويلة لما ذكر المحيي من أنَّ الشيخ سعيد قدورة "هو أجل مشايخه"⁽⁶⁾، وهذا لا يتأتى دون قراءته عليه

^١ - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 279.

² - محمد القادري، نشر المثاني، ج 3، ص: 146.

³ - محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي (1037 - 1094هـ): قرأ بالمغرب على عيسى السكتاني ومحمد بن أبي بكر الدلائي، كما قرأ على علماء مصر واستوطن الحجاز. له عدة تأليف منها فهرسته "صلة الخلف" وختصر تلخيص المفتاح وغيرها. المحيى، خلاصة الأثر، ج 4، ص: 204-207؛ العياشي، الرحلة العياشية، ج 2، ص:-
ص: 30-36؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 316.

⁴ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص: 30.

- محمد الرو丹ي، صلة الخلف بموصول السلف، تلح: محمد حجي. بيروت: دار

³¹ الغرب الإسلامي، (ط1)، 1988. ص: 31.

⁶ - المحى، خلاصة الأثر، ج 4، ص: 204.

لعلوم شتى خلال مدة كافية لذلك، وقد كانت الدراسة في ظروف كهذه عادة ما تتوج بإجازة علمية، ومما يذكر أنَّ الشيخ محمد الروداني قد خلَّد أسانيد شيخه سعيد قدورة في ثبته "صلة الخلف بوصول السلف"، وأشهرها عن شيخه سعيد المقربي، لاسيما في الحديث والفقه المالكي وأصول⁽¹⁾.

كما أخذ الشيخ عبد الله العياشي صاحب الرحلة على علماء جزائريين آخرين عدا الشيخ عيسى الثعالبي، فأثناء عودته من الحج سنة 1073هـ، لقي بطرابلس (الغرب) الشيخ عاشر القسنطيني، وتقدم له باستدعاء كتبه لنفسه ولأصحابه، وخطبه بعض الأبيات منها⁽²⁾:

للشيخ عاشر الإمام الأجاد حاوي الكمالات التقى الأرشد
مُدَّت يدي لتناول كل فضيلة علمًا وذوقًا من إمام مرشد
فأجاز له وفهم لفظاً، واعتذر عن عدم كتابة الإجازة بضيق
الوقت، ومزاحمة الأشغال لقرب السفر⁽³⁾، وبما أنه لم يقرأ عليه
شيئاً فهـي إجازة رواية، كما تلقى الشيخ محمد بن عبد القادر
الفاسي أيضاً إجازة من الشيخ عاشر القسنطيني⁽⁴⁾.

¹ - محمد الروداني، المصدر السابق، مواضع متفرقة مثلاً: الصفحات: 21-23، 31، 453.

² - أبو سالم العياشي، رحلة العياشي، ج 2، ص: 382.

³ - أبو سالم العياشي، المصدر نفسه، ج 2، ص: 382.

⁴ - محمد القادري، نشر الثاني، ج 3، ص: 151، 152.

وقد درس بعض علماء المغرب وتونس على الشيخ يحيى الشاوي بالشرق، كالشيخ أبي الحسن علي النوري الصفاقي^(١) الذي قرأ عليه بالجامع الأزهر^(٢)، ومن جملة ما قرأ عليه شرح المرادي على الألفية، فأجازه في سنة ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م بما رواه عن مشايخه المغاربة وهي: الموطا والشفا والصحيحان، وحزب البحر للشاذلي، وكتب الشيخ السنوسي وغير ذلك^(٣)، وقال علي النوري في فهرسته - معجباً بذكاء شيخه -: "ولما كتب الإجازة قال: مؤرخة بمجموع الاسم واللقب، فعددت حروف يحيى الشاوي، فوجدتتها ثمانية وسبعين ألف، وذلك هو التاريخ"^(٤).

أما الشيخ محمد بن سنة المغربي^(٥) فقد تلقى إجازات جملة من كبار علماء مدينة الجزائر آنذاك كالشيخ عمر بن محمد المانجلاطي، ومحمد بن عبد المؤمن، ومحمد بن سعيد قدورة، ومحمد

^١ - أبو الحسن علي بن محمد النوري الصفاقي (١٠٥٣-١١١٧هـ / ١٦٤٤-١٧٠٦م): تاهر في علم القراءات، بنا بصفاقس زاوية ومدرسة. له عدة تأليف منها: "غيث النفع" في إخلاف القراءات، وتنبيه الغافل في علوم التجويد. مخلوف، شجرة النور، ص، ص: ٣٢١، ٣٢٢؛ خوجة، ذيل البشائر، ص - ص: ١٢٧-١٢٩؛ مقديش، نزهة الأنوار، ج ٢، ص - ص: ٣٥٨-٣٦٨.

^٢ - محمود مقديش، المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٣٦٠.

^٣ - محمد مخلوف، شجرة النور، ص: ٣٢١.

^٤ - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج ٢، ص: ١١٣٣.

^٥ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن سنة (١٠٤٢-١١٠٢هـ / ١٥٩٣م): جال في بلاد الصحاري، ودخل أرض السودان مراراً وسوس الأقصى، وشنقيط وتوات، وتبكت وأوزان وفاس، وغيرها. ولازم الإمام محمد بن أحمد بغيض التشكيني وأجازه عاماً. الكتاني، المرجع نفسه، ج ٢، ص، ص: ١٠٢٦، ١٠٢٧.

بن خليفة، وعيسيى الثعالبي، ومحمد بن عبد الكريم الجزائري⁽¹⁾ وذكر الكتاني بآئه: "حصل على إجازات كثيرة، وأغلب من أجازوه لم يرَوه"، وبما أنه لم يدخل مدينة الجزائر فيغلب على الظن أن هؤلاء العلماء أجازوه مراسلة كما جرت العادة بذلك، إلا الأخير منهم فيفترض أن لا تكون إجازته مراسلة، لأنَّ محمد بن عبد الكريم⁽²⁾ استقر بفاس إلى أن توفي بها، وهي من المدن التي زارها الشيخ ابن سنة.

وكان الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري قد رحل إلى الشرق، ودرس على العلماء به وأجازوه، ومنهم الشيخ أبي الغيث المعروف بالقشاش التونسي (ت 1031هـ)⁽³⁾، كما كان يتردد على فاس⁽⁴⁾ إلى أن استقر بها منذ سنة 1083هـ / 1672م؛ أي مع قيام الدولة العلوية، فأكرمه السلطان مولاي إسماعيل "مراراً، وكان يجله ويعظمه"، ولازم بها العلامة الشيخ عبد القادر الفاسي⁽⁵⁾.

¹ - عبد الحفيظ الكتاني، المرجع نفسه، ج 2، ص: 1027.

² - أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم (ت بفاس 1102هـ): الفقيه المعمر أخذ العلم بالجزائر، وبالشرق والمغرب. ومن شيوخه: عبد القادر الفاسي وأبو عبد الله = السوسي الجزائري، والقشاشي والأجهوري وغيرهم. القادري، نشر الثاني، ج 3، ص: 23؛ الجبرتي، عجائب الآثار، ج 1، ص: 85؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 327.

³ - عبد الرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج 1، ص: 85.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 426.

⁵ - محمد القادري، نشر الثاني، ج 3، ص: 23، 24.



وقد ترجم له تلميذه المستند أبو عبد الله محمد المعروف بالصغير بن عبد الرحمن الفاسي (ت 1134هـ / 1721م) في فهرسته "المنح البدية في الأسانيد العالية"؛ الذي صدره بمشائخه الذين أجازوه عامة، ومن جملتهم الشيخ محمد بن عبد الكريم، ثم قال: "فهؤلاء الخمسة عشر كلهم أجازوني... وتركت غيرهم ممن هو نازل عنهم"⁽¹⁾، فهو بالنسبة للمغاربة يعد من أجل العلماء.

كما استقر بفاس في نفس الفترة الشيخ محمد بن أحمد القسطياني المعروف بابن الكمام⁽²⁾، وحصل له من التكرييم ما كان حصل لسابقه، وحظي بمكانة رفيعة عند ملوك المغرب الأقصى⁽³⁾ وكان قد "ارتحل لفاس برسم القراءة على مشائخها". وعند دخوله إليها تصدر لإقراء "جمع الجوامع" للسبكي فأبدع في إقرائه، ورأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدوه، فكثر الازدحام عليه⁽⁴⁾ وكانت له ملكة في علم الكلام والمنطق، والحفظ التام في علم

¹ - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 595، 596.

² - اختيار الهجرة على الدخول في المنافسات على المناصب، رغم أن انتماه إلى عائلة شهرة بالعلم والشرف في قسنطينة، كاف لإصاله إلى أرقى المناصب الدينية والعلمية بها.

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 427.

³ - كتب له تلميذه العالم النحوبي محمد بن أمير المؤمنين اسماعيل (ت 1116هـ) أيام خلافته بسوس الأقصى قصيدة مدحه فيها منها: (ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس ج 4، ص: 78).

فمن مبلغ عنِي رسالة شيقٍ ◆ إلى عالم الأعلام صدر الأكابر
إلى شيخنا أسمى السمي محمد ◆ أحلها هوج الرياح العواطر =
في دوحة العام التي عمَّ عرفها ◆ جميع البرايا بين باد وحاضر.

⁴ - اليفرني، «صفوة من انتشر»، ورقة: 164 ظ.

الحديث والفقه وغيرها من العلوم، وهذا "أذعن له الكافة من علماء فاس"⁽¹⁾. والجدير بالذكر أنه زاحم علماء فاس بتكونيه العلمي الجزائري فقط، وفيه دلالة على متانة التعليم الذي كان يؤديه بعض العلماء الجزائريين حينئذ.

وقد شغل كرسي البخاري بجامع القرويين⁽²⁾، بالإضافة إلى تدریسه علوم مختلفة منها: التفسير والأصول، والفقه والبيان والمنطق، فتخرج عليه عدد كبير من علماء المغرب، ومن أخذ عنه العديد من العلوم: الشيخ عبد الرحمن الجامعي⁽³⁾، والشيخ محمد بن عبد السلام بناني الفاسي⁽⁴⁾، والشيخ محمد المساوي الدلائي (ت 1136هـ)⁽¹⁾.

¹ - نشر الثاني، ج 3، ص: 155.

² - محمد بن عزوز، كرسي الحديث بظهر حصة العين بجامع القرويين بمدينة فاس، ص: 43.

³ - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجامعي الفاسي (1087-1144هـ / 1731م) : قرأ بفاس على عبد الرحمن بن علي الفاسي، وحمد الكمامي القسنطني وغيرهما. درس بالقرويين، وله عدة تأليف. خوجة، ذيل البشائر، ص: 254؛ خلوف، شجرة النور، ص: 351؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 2، ص: 10. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 306. التازي، جامع القرويين، ج 3، ص: 222، 223.

⁴ - أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن حمدون الفاسي (ت 1163هـ / 1749م) : البناني نسبة إلى قرية بنان. أخذ عن أحمد بن الناصر، وميارة الصغير و أبو سالم العياشي واليوسي وغيرهم. وأخذ عن علماء الشرق كالخرشي وعبد الباقى الزرقانى، وله منهم إجازات. وأخذ عنه من لا يعد كثرة. له تأليف منها شرح لامية الزفاف، وشرح الإكتفاء للكلاعي، واختصار شرح الشهاب على الشفا وغيرها. القادرى، نشر الثاني، ج 4،

كما أخذ عنه الشيخ أحمد بن مبارك⁽²⁾، وأجازه فيما رواه عن شيخه محمد المغربي عن النور الأجهوري، وعن عبد الله بن عبد المؤمن، وفتى الجزائر محمد الموهوب، وأحمد بن عبد العظيم، وأحمد بن الواثق، وهؤلاء عن الشيخ سعيد قدورة بسنده⁽³⁾، وأخذ عليه أيضاً الفقيه السجلماسي إبراهيم بن عبد الرحمن الملاحي (ت 1130هـ) فأجازه⁽⁴⁾.

ص: 81؛ الكتاني، زهر الأَس، ج 1، ص، ص: 151، 152؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 353.

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش (السان المقال)، تعلق: أبو القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1983. ص: 43؛ محمد = محفوظ المراجع السابق، ج 2، ص: 10؛ محمد القادرى، المصدر السابق، ج 3، ص: 267.

² - أبو العباس أحمد بن مبارك اللطفي السجلماسي (1090-1156هـ): أخذ عن القاضي بردلة، ومحمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد القسنطيني وغيره. وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ التاودي، وأبو حفص عمر الفاسي وغيرهم. له تأليف منها شرح على جمع الجواب، وكشف البُّس عن المسائل الخمس. القادرى، المصدر السابق، ج 4، ص: 41؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 352.

³ - محمد مخلوف، شجرة النور، ص: 352.

⁴ - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي. الرباط: المطبعة الملكية، 1978. ص: 157.

ثالثاً. إجازات القرنين الثاني والثالث عشر

الهجريين (18, 19 م):

- إجازة الشيخ محمد الطيب الفاسي للشيخ مصطفى بن

رمضان العنابي:

لم تخل المهام السياسية من تواصل ثقافي؛ فكثيراً ما كان الحكام يجعلون بعض العلماء الأفداد القادرين على التفاوض من بين وفد السفاراة، فيقوم هؤلاء - إلى جانب مهمتهم السياسية - بالاجتماع بأقرانهم من العلماء، وعقد حلقات علمية يتم فيها النقاش حول المسائل الفقهية، والكلامية المختلفة، ويحيزون ويستجيزون. ومن السفراء المغاربة الواردین إلى الجزائر الشيخ محمد الطيب بن محمد الفاسي⁽¹⁾، الذي اختاره السلطان المولى إسماعيل "لعلمه وفصحته"⁽²⁾ ليرأس الوفد المغربي إلى واقعة المشارع⁽³⁾، فدخل مدينة الجزائر سنة 1103هـ / 1691م صحبة

¹ - أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي (1064-1113هـ / 1701م): أخذ عن والده وعمه، وجده، وابن عميه المهدي الفاسي، وأبي سالم العياشي. له تأليف منها: شرح مقدمة جده في الأصول، فهرسة والده في رفع الأسانيد. خلوف، شجرة النور، ص: 329.

² - الناصري، الاستقصاء، ج 7، ص: 79.

³ - وقعت معركة "المشارع" بين الجيشين الجزائري، والمغربي عند وادي ملوية في رمضان سنة 1103هـ / 1691م، هزم فيها الجيش المغربي. الناصري، المصدر نفسه، ج 7، ص:



الأمير عبد الملك ابن السلطان مولاي إسماعيل، والكاتب الوزير محمد الغساني (ت 1119هـ)⁽¹⁾ صاحب الرحلة المعروفة "برحلة الوزير في افتراك الأسير"⁽²⁾.

ومن بين العلماء الذين اجتمع بهم الشيخ محمد الطيب الفاسي بالجزائر الشيخ مصطفى ابن رمضان العنابي⁽³⁾، فتباحث معه في مسائل علمية واستجازه فأجازه، ومِمَّا قاله محمد الطيب عن هذا اللقاء: "ولما دخلت مدينة الجزائر كان مَا أتحفني الله بلقائه، من أعلامها الفقيه التبي... مصطفى بن رمضان الحنفي الشهير بالعنابي، فتذاكرت معه في فتوى علمية، واستفدت منه فوائد سنية، وذكرت له زوائد ودررا، علقت بذهني مَا سمعته من جهابذ علومهم مرضية، فحمله حسن نيته، وخلوص طويته، أن استدعي مُنْيٍ إجازة في ذلك وغيره"⁽⁴⁾.

يتضح من سياق النص أنَّ هذا المقطع هو جزء من الإجازة المشار إليها، وهو ما لم يذكره البوعدلي؛ الذي اكتفى بقوله بعد إيراد هذا المقطع: "وقد أجازه فعلاً" ، وبالجمع بين هذا المقطع، وما أورده أبو القاسم سعد الله حينما تحدث عن هذه الإجازة، قائلًا

¹ - محمد بن عبد الوهاب بن عثمان (ت 1119هـ): فقيه وأديب، ثُلُد ولاية نطوان لعدة أعوام، ثم أصبح وزيراً، ثم سفيراً. ابن زيدان، أحاديث أعلام الناس، ج 4، ص، 159، 160.

² - ابن سحنون، الثغر الجمانى، (من مقدمة التحقيق)، ص: 75.

³ - سبقت ترجمته في الفصل الأول.

⁴ - ابن سحنون، الثغر الجمانى، ص، ص: 75، 76.

بأنَّ محمد الطيب الفاسي سمي ابن العنابي في إجازته له: بالفقير النبيه، العلامة الدراكه، المشارك النحرير أبو الخير مصطفى بن رمضان الحنفي الشهير بالعنابي⁽¹⁾، وهذا ما تضمنه الجزء الذي أورده البوعبدلي ولم يذكر أنه إجازة.

ويتبين أيضاً أنَّ هذه الإجازة تكون من شطرين نشري ونظمي⁽²⁾، لما ذكره أبو القاسم سعد الله من أنَّ الأرجوزة التي أجازه بها تبلغ حوالي سبعين بيتاً، منها هذا البيت⁽³⁾:

أقول مُحِبِّيَ مُفْصِحًا بِلساني أجزت الفقيه المصطفى التركمانى
أمَّا نوع هذه الإجازة الذي لم تبيّنه المقاطع المذكورة، فيغلب على الظن أنها ليست تعليمية؛ لأنَّه لم يأخذ عليه كتاباً أو كتاباً معينة، كما أنَّ هذا النوع من الإجازات يُمنع في أغلب الأحيان في سنوات الطلب، وقد كان مصطفى العنابي حيَّثَنَدَ من كبار العلماء، فهي على الأرجح إجازة رواية.

- الإجازات العلمية المتبادلة بين الشيخ أحمد البوني وعلماء

المغرب:

تلمذ الشيخ أحمد بن قاسم البوني على مشايخ تونسيين ومغاربة، وهذا ما ذكره في إجازته لابنه أحمد الزروق⁽¹⁾، وبما أنَّا

¹ - المفتى الجزائري: ابن العنابي، ص، ص: 15، 16.

² - أستبعد أن يكون قد كتب له إجازتين إحداهما نظمية وأخرى نثرية، لأنَّ كلاماً من البوعبدلي وأبو القاسم سعد الله يؤكدان أنَّه كتب إجازة واحدة.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص، ص: 15، 16.

لم نحصل على هذه الإجازة فلا نعرف ما إذا أجازوه أم لا، عدا الشيخ محمد بن سليمان الروداني الذي أجازه بفهرسته المسمى "بصلة الخلف بموصول السلف"⁽²⁾، ومما لا شك فيه هو أنه تلمنذ عليه بالشرق، ذلك أنَّ هذا الأخير دخل مدينة الجزائر قبل سنة 1066هـ، لأنَّه تلمنذ على الشيخ سعيد قدورة المتوفى في التاريخ المذكور، وفي هذا التاريخ كان البوسي ابن ثلات سنوات، في حين استقر الروداني بالشرق إلى وفاته، ورحل البوسي هو الآخر إلى الشرق وقرأ على مشايخه.

وقد تلمنذ على الشيخ أحمد البوسي بعض العلماء المغاربة في بونة، من ذلك الشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي الذي قدم إلى الجزائر بعد سنة 1119هـ⁽³⁾، ومحث بها مدة زار أثناءها عدد من مدنها، واجتمع بأعلامها آنذاك، فوفد على الرباط بوهران واجتمع بالشيخ مصطفى الرماسي⁽⁴⁾، ودخل أيضاً مدينة الجزائر وأعجب بالأديب محمد بن محمد بن سيدى بن علي⁽⁵⁾، ولكن لا نعلم إذا ما أخذ عنهما شيئاً أو أجازوه.

¹ - حول هذه الإجازة ينظر المبحث الثالث من الفصل الأول.

² - عبد الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 427.

³ - دخلها بعد الفتح الأول لoyeran وشارك الجزائريين فرحتهم بهذا الفتح بشرحه أرجوزة المفي محمد الحلفاوي التي تسجل أحداث الفتح، ونال الجامعي حظوة لدى محمد بكداش باشا. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 443.

⁴ - ابن سحنون، الثغر الجعmani، ص، ص: 30، 31.

⁵ - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص، ص: 197، 198.

أمّا في بونة فقد أخذ الجامعي على الشيخ أحمد البوسي⁽¹⁾ وترجم له في رحلته المسماة "بالتاج المشرق الجامع ليواقية المشرق والمغرب"، فقال مُتحدثاً عن بونة: "لما دخلتها أمت دار الشيخ... أبي العباس أحمد بن الولي الصالح البر الناجع، أبي عبد الله قاسم بن الولي الصالح، أبي عبد الله محمد المعروف ببساسي فوجده طلق الحبّا، وأنزلني بمنزل لإكرام أضيفاه مهياً؛ وأثناء المدة التي لازمه فيها كان يحضر مجالس دروسه، وذلك ما عَبَر عليه بقوله: "فأقمت عنده ينزعجني في كل يوم في رياض تأليفه الحديثة وغيرها... وكنت أحضر أثناء تلك المدة مجلس روایة الصحيحين بين يديه، مع مشايخ بلده وولديه... ولما وقفت في علم الحديث على البحر العباب، والعجب العجاب، سأله الإجازة فيما وقفت عليه وغيره من تصانيفه"⁽²⁾.

ولا نعلم عمّا إذا تصدر الجامعي للتدريس بالجزائر، ولكنه رحل منها إلى تونس قبل سنة 1136هـ واستقر بها نهائياً، ودرس بجامع الزيتونة حيث "كان له درس عظيم، ومحفل جسيم، ومدحه العلماء، وشكرته الطلبة"⁽³⁾.

¹ - ذهب كل من محمد محفوظ (تراجم المؤلفين التونسيين، ج 2، ص: 10)، ومخلوف (شجرة النور، ص: 351) إلى أنَّ الجامعي رحل إلى قسنطينة، وأخذ عن عالمها الشيخ أحمد البوسي، لكنَّ الأصحُّ هو أنه درس عليه في عناية لا في قسنطينة، لأنَّ البوسي تصدى للتدريس ببونة، وشدَّت إليه الرحال من مناطق مختلفة.

² - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 236.

³ - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 255.

- إجازات بعض علماء المغرب للمنور التلمساني ومحمد

المجعدي بفاس:

شهدت سنة 1133هـ / 1720م رحيل بعض العلماء الجزائريين إلى فاس للأخذ عن مشايخها كالشيخ محمد بن عبد الله أيوب التلمساني الملقب بالمنور الذي استقر مدة بها، وأخذ على مشايخها، ووُجدَ له مجموعة من الإجازات كتبها له مشايخ المغرب تضمنت إجازاته العامة، من الشيخ أبي العباس أحمد بن مبارك اللقطي، وإجازته من طرف شيخه أبي عبد الله المستاوي بتاريخ 1133هـ، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ذكري الفاسي، والشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن الحاج، والشيخ محمد بن محمد بن حمدون بناني، ومن العلامة القاضي محمد العربي ابن أحمد بردلة (ت 1133هـ)، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح بن المعطي الشرقاوي، ومن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الحرishi⁽¹⁾، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي⁽²⁾؛ الذي أجازه بفهرسته المنح البدية في الأسانيد العالية⁽¹⁾.

¹ - عبد الحفيظ الكتاني، المرجع السابق، ج 2، ص: 570.

² - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (1058-1134هـ / 1721م): أخذ عن جده وعن عمه محمد، وعن أبيه وبه تخرج وأجازه، وأبي سالم العياشي، والخرشي والزرقاني، وعنه أخذ جماعة منهم: ابنه أبو مدين، ومحمد عبد

ويظهر أن إجازاته هذه كانت حوالي سنة 1133هـ، لأنَّ
شيخه محمد المساوِي أجازه في هذه السنة، وتوفي خلالها أحد
هؤلاء الشيوخ، مَا يعني أَنَّه أجازه قبلها أو أثناءها، إلى جانب
إجازة صوفية مُنحت له هناك مؤرخة بـ 12 ذي الحجة من نفس
السنة⁽²⁾.

كما قصد الشيخ محمد بن علي الشريف الجعدي الجزائري
فاس في السنة المذكورة، للقراءة على مشايخها، فاجتمع هناك
بالشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي، وسأله الأخذ عليه، فأجابه
إلى ذلك وناوله فهرسته "المنج البدائية"، فقرأها كلها، ثم طلب منه
الإجازة بجميع ما فيها، فأجازه بذلك، وأجازه أيضاً أن يُحيي
بجميع ما فيها، ثم سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية،
وحديث الضيافة، ثم أضافه على الأسودين، ولقنه وشابكه
وناوله السبحة وصافحه وألبسه الخرقة، ثم ناوله أوائل الكتب
الستة، فقرأها عليه وهو يسمع، ثم أول "الموطأ"، والجل من جامع

السلام بناني وغيرهم. له تأليف منها: الكوكب الزاهر في سير المسافر^{الكتاني}، المرجع
نفسه، ج 2، ص - 596 - 598؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 333.

¹ - عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج 2، ص: 598.

² - لدينا وثيقة مؤرخة بسنة 1133هـ شهد فيها كاتبها عبد العزيز بن محمد التادلاوي
بأنَّ شيخاً صوفياً لم يذكر اسمه، واكتفى بـ ^أالشيخ العارف بالله، أذن للمنور في
التاريخ المذكور أعلاه في تلقين الورد لمن طلبه منه، وكان المنور قد لازم هذا الشيخ لمدة
23 يوماً، والوثيقة رغم أنها كاملة لا يوجد بها اسم المحيي، فقد تكون تابعة إلى جزء
غير موجود، ربما يكون طلب المنور لشهادة الكاتب. = الوثيقة ضمن مجموع رقم:
181، مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية، ورقة: 27.

الترمذمي، والكثير من سنن ابن ماجة، ومسند الدرامي، ومفتاح الشفا؛ وهو لوالده الشيخ عبد الرحمن الفاسي حاذى به الشفا للقاضي عياض، وقرأ عليه أيضاً المقالة المنسوبة للعلامة عبد الرحمن الثعالبي، وذلك في شوال من السنة المذكورة⁽¹⁾.

ومن خلال ما قام به الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي بافتتاحه القراءة والرواية بالحديث المسلسل، ليتبعه بكتب الحديث بما فيها الصحاح، تتضح أهمية الحديث المسلسل عند العلماء.

- إجازات بعض علماء المغرب لعبد الرزاق بن حادوش

الجزائري:

بالرغم من مشقة السفر حيث ذكره، فقد شغف بعض رجال العلم بالترحال، كالشيخ عبد الرزاق بن حادوش الذي انتقل إلى العديد من الأقطار الإسلامية، من ذلك أنه زار المغرب الأقصى مرتين على الأقل (1145هـ و1156هـ / 1743م)⁽²⁾، واشتهر ابن حادوش في مجال أدب الرحلة برحلته المعروفة "بلسان المقال في

¹ - محمد الحفناوي، تعریف الخلف برجال السلف، ج 2، ص: 543.

² - كما أدى فرضية الحج مرتين: سنة 1130هـ وسنة 1161هـ / 1748م، ومكت في هذه السنة بيلد رشيد وظل مقينا بها إلى حوالي عام 1168هـ. ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص: 433.

النبا عن النسب والحسب والحال⁽¹⁾؛ التي سجل فيها مذكراته لفترة تناهز الأربع سنوات من حياته (1156-1161هـ / 1743-1748م)، وهي تضم عدداً من الإجازات كتبها له بعض

أعلام المغرب الأقصى.

فقد رحل الشيخ ابن حادوش سنة 1156هـ إلى مدينة تطوان⁽²⁾ من أجل طلب العلم⁽³⁾، وأقام بها مدة، اتصل خلالها بالعديد من العلماء، والتلقى في الجامع المعروف بجامع لكاش بالشيخ أحمد الورززي⁽⁴⁾، فتاه بصحيحي البخاري ومسلم، وموطأ الإمام مالك، فكان يحمل الكتاب منها، ويسرد سنته إلى مؤلفه من كناشته، ثم يقرأ منه نحو الورقة ويضعه ويحمل الآخر، ولما انتهى من كل ذلك، أجاز ابن حادوش، وكتب له وناوله الكناشة لينقل منها بعض الأسانيد.

¹ - يفهم مما سجله ابن حادوش في رحلته هذه أنَّ ما وصل إلينا منها هو الجزء الثاني، بينما فقد باقي الرحلة وهو الجزء الأول والجزء الثالث. سعيدوني، المرجع نفسه، ص:

.433

² - مدينة صغيرة، تبعد بنحو ثمانية عشر ميلاً عن المضيق، وستة أميال من البحر. الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، ص: 318.

³ - مارس ابن حادوش في هذه الرحلة التجارة إلى جانب اتصاله بالعلماء، كما كان حريصاً على اقتناء الكتب بالشراء وبالنسخ. رحلة ابن حادوش، مواضع متعددة.

⁴ - أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي الدرعي التطواني (ت 1179هـ / 1765م) : الورززي نسبة إلى ورزازة بناحية السوس، وبيتهم بيت علم، حج مرتب في زيارة بيت المقدس، أجازه علماء مصر، وله فهرس جمع فيه مروياته. الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص، ص: 1110-1112.



ثم داوم الشيخ عبد الرزاق خلال إقامته على حضور دروس الورززي، فسمع منه درسا من "السبكي"، و"مختصر خليل" الذي كان يُدرِّسه ضحى كل يوم، والتفسير بين المغرب والعشاء، وفي يوم 17 محرم 1156هـ كتب له الإجازة بخطه، ذكر فيها بأنه رغب في أن يسمع عنه بعض الحديث، ثم أضاف قائلا: "فاسمعته بعض موطأ مالك بن أنس - رضي الله عنه - من روایة يحيى بن يحيى الليثي، وأجزته سائره، وأسمعته بعض صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، وأجزته سائره، ورغبني أيضاً أن أجيزه في كل ما صحت لي روایته من مسموع ومجاز... فأسعفته... أن يروي عني الكتب الستة، أعني البخاري ومسلم، وأبا داود والترمذى، والنمساني وابن ماجة وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل"⁽¹⁾.

"وأجازه أيضاً أن يروي عنه بعض الفهارس، حيث قال: وكذلك أجزته بكل ما صحت لي روایته من جملة ما في فهرسة الإمام ابن غازي المكناسي ثم الفاسي، كذا ما في فهرسة الشيخ محمد بن سليمان السوسي ثم المكي، وما في فهرسة الشيخ إبراهيم الكردي ثم المدنى، وغير ذلك مما صح لي"⁽²⁾، ولابن حادوش إجازة أخرى من شيخه الورززي بمدينة الجزائر في سنة 1159هـ⁽³⁾ سوف يرد ذكرها.

¹ - عبد الرزاق بن حادوش، رحلة ابن حادوش. ص، ص: 37، 38.

² - ابن حادوش، المصدر نفسه، ص: 38.

³ - المصدر نفسه، ص- 259: 263.

كما حضر الشيخ ابن حادوش مجالس دروس الشيخ محمد بن عبد السلام بناني الفاسي⁽¹⁾، الذي كان له مجلس بالقرويين كان يحضره الأعلام⁽²⁾، فتقدم إليه باستدعاء نظمي في اثنين عشر بيتاً، يهمنا منه هذه الأبيات⁽³⁾:

أبح لي أتل من بحر علمك غرفة أبل بها حرّ الفؤاد من الجهل
 أجزني وأطلق لي رواية كلّما روته عن أشياخ غر أولي الطول
 ووشع بخطك الشريف إجازتي فذاك لها الزهر النضيد مع الفل
 فأجازه وكتب له بذلك في أواخر محرم 1156هـ، منه المقطع
 الموالى: "قلت: أجزت الفقيه المذكور جميع ما يجوز لي وعنّي
 روايته، من مقوء ومسنون ومجاز، كل ذلك بشرطه عند أهله،
 وأذنت له أن يحدث عني بكل ما سمعه منّي، أو بلغه عنّي من
 مؤلفات ومناولات"، ثم عدّه مؤلفاته وهي: شرح على كتاب
 الإكتفاء للإمام الكلاعي المسمى "معانٰي الوفاء بمعانٰي الإكتفاء"
 وشرح على اللامية الزرقانية في الفقه، وشرح على الحزب الكبير
 لأبي الحسن الشاذلي، وشرحه على الصلاة لعبد السلام بن

¹ - أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن حدون الفاسي (ت 1163هـ / 1749م): عرف بالبناني نسبة إلى قرية بنان، أخذ عن أحمد بن الناصر، وميار الصغير وأبي سالم العياشي واليوسي وغيرهم، وعن علماء المشرق كالخرشي وعبد الباقى الزرقانى، وله منهم إجازات، كما أخذ عنه من لا يعد كثرة. له تأليف منها: شرح لامية الزقاق وشرح الإكتفاء للكلاعي، واختصار شرح الشهاب على الشفا وغيرها. القادرى، نشر المثانى، ج 4، ص: 81؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 353.

² - عبد الكبير الكتاني، زهر الأَسْ، ج 1، ص: 152.

³ - ابن حادوش، المصدر السابق، ص: 39.

مشيش، ثم أضاف قائلاً: "وغير ذلك مما جمعته أو نظمته إجازة تامة عامة".

أخذ ابن حمادوش أيضاً بفاس على الشيخ أحمد بن مبارك المعروف بالسجلماسي، حيث كان يقرأ عليه "ختصر السنوسي" في المنطق صبيحة كل يوم، حتى ختمه عليه يوم الثامن جمادى، ثم تقدم إليه باستدعاء نظمي في ثلاثة عشر بيتاً منها⁽¹⁾:

وأني طلبت الله أن أرى وجهكم وأسجد عن تلك الأكف على البرى
وها أنا قد نلت الذي كنت أشتاهي وقد بقيت لي الإجازة في النشري
وضع خطك المرفوع في نصب صفحتي وعقب به من قد لقيت من الغرى
لم يكتب ابن مبارك الإجازة فور تسلمه الاستدعاء، بل أخذه
معه إلى داره ليتفرغ لها، ولكن المنية وافته قبل كتابتها، وقد علق
ابن حمادوش عن تأخيره لكتابتها بقوله: "كانه استقل واستحيا أن
يضع يده نثرا ولا قدرة له على الشعر"⁽²⁾.

وحرصاً منه على هذه الإجازة، تقدم ابن حمادوش بطلب مكتوب إلى القاضي بوخريرص السجلماسي⁽³⁾ يطلب فيه الشهادة على إجازة ابن مبارك له، ومؤكداً فيه على قراءاته عليه لختصر

¹ - ابن حمادوش، الرحلة، ص: 83.

² - ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص: 86.

³ - قاضي فاس أبو محمد عبد القادر بن العربي بوخريرص الفاسي (1118-1188هـ / 1774م): أخذ عن عبد الله العراقي وغيره، ولازم الشيخ ابن مبارك، وهو عمدته الذي أنقى عمره في خدمته، وأخذ عنه جلة من الطلبة. غلوف، شجرة النور، ص: 356.

السنوسي، وعلى تقييده عليه شرحا سماه "الدرر على المختصر" كان قد رأه الشيخ ابن مبارك وفرح به، وبأنه تقدم له باستدعاء، وحين تقدمه له في المسجد دخل عليهم القاضي بوخريص فشاهدها (أي الإستجازة) حقا فسألها ما هذا؟ قال: إجازة فلان لأوقع إثراها بالبناء، فكتب له القاضي بوخريص شهادة بإجازة ابن مبارك له، وأجازه هو بدوره فيما رواه عن ابن مبارك، وغيره ماله من معقول ومنقول، وذلك في يوم 27 جمادى الأولى 1156هـ⁽¹⁾.

وفي 27 رجب من نفس السنة، قبض الشيخ عبد الرزاق إجازته التي كتبها له الشيخ البناي، ورفعها إلى الشيخ أحمد السرائي التطوانى (ت 1156هـ) بأمر من شيخه البناي، وأخبره بأنَّ شيخه أرسله إليه ففرح بذلك، وكتب له بالإجازة في اليوم الموالي. وما ورد فيها قوله: "أجزته فيما سمع وغير ذلك ما يصح لي وعني روایته، إجازة تامة عامَّة"⁽²⁾، ثم أخذ ابن حادوش يت Rudd على مجلس شيخه المذكور فقرأ عليه "الفية العراقي" بشرحها من زوال الشمس إلى صلاة الظهر، وختمتها عليه في أكثر من أربعة عشر مجلساً، وقد كان ابن حادوش يقرأ الأبيات، والسرائي يسمع، ثم يضعها ويقرأ الشرح⁽³⁾.

¹ - ابن حادوش، الرحلة، ص - ص: 89 - 91.

² - عبد الرزاق بن حادوش، المصدر السابق، ص، ص: 67، 68.

³ - المصدر نفسه، ص: 70.

- إجازات الشيخ أحمد الورززي لبعض علماء مدينة الجزائر:

ورد الشيخ أحمد الورززي مرتين إلى مدينة الجزائر، الأولى في سنة 1159هـ / 1746م، والثانية في سنة 1162هـ / 1748م فقد حل بها للمرة الأولى في يوم 22 رمضان ليغادرها راجعا إلى بلده يوم 15 شوال؛ أي بعد مكوثه بها لمدة ثلاثة وعشرين يوما، هذه الرحلة التي يفترض أن تكون رحلة علمية لنزوله بمدرسة الجامع الكبير، وإلقاءه بعض الدروس في الجامع المذكور، كإلقاءه درس في التفسير تلبية لرغبة بعض علمائها، كما قام الورززي بتصحيح كتاب "الدرر على المختصر للسنوسي" للشيخ عبد الرزاق بن حادوش بحضور جماعة من الطلبة، وكان مؤلفه قدقرأ كتاب المختصر للسنوسي في تطوان على الشيخ ابن مبارك، وأنباء قراءته كتب الشرح المذكور. ورغم مرور ثلاث سنوات على ذلك إلا أن ابن حادوش استغل فرصة قدوم شيخه الورززي إلى مدينة الجزائر ليصححه عليه، لأنّه من تلامذة الشيخ ابن مبارك المذكور بالإضافة إلى أنه "حقق في الفنون، وخصوصا المنطق"⁽¹⁾.

واستغرق تصحيحه حوالي عشرين يوما؛ حيث شرع فيه يوم 23 رمضان ليختتم في 13 شوال من السنة المذكورة، وهي مدة كافية لتصحيحه تصحيحا دقيقا، سيما وأنّه كان يعقد لذلك ثلاث جلسات في اليوم: الأولى من طلوع الشمس إلى الضحى،

¹ - عبد الرزاق ابن حادوش، الرحلة. ص: 258.

والثانية إلى الزوال أو عند صلاة الظهر، والثالثة من صلاة العصر إلى الغروب.

أما عن طريقة التصحح فقد بينها ابن حمادوش بقوله: اشتغلنا به قراءة بحث وتفتيش، فما قبله مما كان منصوصاً قبله للمتقدمين أو من كلام شيخنا ابن مبارك أثبته، وما لم يقبله حذفته⁽¹⁾، وكتب الشيخ الورززي بخط يده على أول ورقة من كتاب "الدرر" «إجازة تأليف»، وهي بعد الحمدلة والتصلية:

يقول من يضع اسمه عقب تاريخه: أنَّ مؤلف هذا الشرح على مختصر الشيخ السنوسي، وهو الشريف سيدي عبد الرزاق بن محمد الجزائري، سرده على وجه من المذاكرة، لعل أن نجد فيه ما يحتاج للإصلاح أو التكميل، فأصلحنا منه الموضع التي تحتاج إلى الإصلاح على حسب ما سهل الله سبحانه علينا ونرجو من الله سبحانه أن يكون كلُّه أو جله صواباً، وإنْ وقع فيه خطأ فيكون معذوباً محصوراً، وهو إن شاء الله يصلح للقراء والمذاكرة...⁽²⁾.

إنَّ قول الشيخ الورززي بصلاحية "كتاب الدرر" للقراء والمذاكرة ثُوحي بأنَّها إجازة تأليف، إلا أنَّ أبا القاسم سعد الله محقق الرحلة وواضع عنوانها لم يُسمِّها كذلك وعنونها هكذا: "شهادة الشيخ الورززي للمؤلف على كتابه الدرر". ولكنه ذكره في

¹ - المصدر نفسه، ص، ص: 258، 259.

² - المصدر نفسه، ص: 259.



تاریخ الجزائر الثقافی" قائلًا بـأئـمـة الورزـزـي أعـطـا لـابـن حـادـوـش شـهـادـة تـدـلـ عـلـى بـرـاعـتـه فـي مـعـالـجـة هـذـا المـوـضـوع، وـبـأئـمـة الشـيـخـ أـحـدـ بنـ عـمـارـ قـرـظـ هـذـا الـكـتـاب، وـقـالـ بـأئـمـة كـتـاب صـغـيرـ الـحـجـمـ كـثـيرـ الفـائـدةـ، وـأـجـازـ قـرـاءـتـهـ وـشـجـعـ عـلـيـهـ⁽¹⁾.

وـشـهـدـ عـلـى هـذـهـ الإـجـازـةـ أـرـبـعـةـ منـ طـلـبـةـ الـجـزـائـرـ نـورـدـ شـهـادـتـيـنـ مـنـهـمـاـ⁽²⁾، لـأـئـمـهـماـ تـؤـكـدانـ عـلـىـ أـنـ ماـ كـتـبـهـ الـوـرـزـزـيـ لـابـنـ حـادـوـشـ إـجـازـةـ بـالـتـأـلـيفـ، حـيـثـ كـتـبـ أـبـوـ القـاسـمـ بـنـ يـوسـفـ الحـسـنـيـ مـاـ يـلـيـ: "ماـ ذـكـرـ يـمـنـةـ هـذـهـ الـوـرـقـةـ مـنـ تـجـوـيزـ التـأـلـيفـ المـسـمـىـ بـالـدـرـرـ تـأـلـيفـ الـعـالـمـ... عـبـدـ الرـزـاقـ عـلـىـ يـدـ الـعـالـمـ الـعـلـامـ الـبـرـكـةـ أـبـيـ الـعـبـاسـ سـيـدـيـ أـحـدـ الـوـرـزـزـيـ مـنـ أـولـهـ إـلـىـ آخـرـهـ صـحـيـحـ.... وـكـتـبـ الـبـرـنـوـصـيـ مـاـ صـورـتـهـ: "وـبـمـثـلـ مـاـ شـهـدـ بـهـ أـعـلـاهـ يـشـهـدـ بـهـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ الـبـرـنـوـصـيـ الدـارـ، السـلـيـمانـيـ أـصـلـاـ، وـأـئـمـهـ أـجـازـهـ فـيـهـ أـوـاـخـرـ شـوـالـ عـامـ تـسـعـ وـخـمـسـينـ وـمـائـةـ وـأـلـفـ⁽³⁾".

وـأـئـمـاءـ زـيـارـةـ الـوـرـزـزـيـ الثـانـيـةـ لـمـدـيـنـةـ الـجـزـائـرـ، اـجـتـمـعـ بـأـحـدـ أـبـرـزـ عـلـمـائـهـ آـنـذاـكـ، وـهـوـ مـفـتـيـ الـخـنـفـيـةـ الشـيـخـ مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ الـمـهـدـيـ

¹ - تـارـيـخـ الـجـزـائـرـ الثـقـافـيـ، جـ2ـ، صـ: 152ـ.

² - الشـهـادـتـانـ الـأـخـرـيـتـانـ الـأـوـلـيـ لـعـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـلـيـ بـنـ الشـارـفـ الـمـازـوـنـيـ، وـالـثـانـيـةـ لـلـأـدـيـبـ أـحـدـ بـنـ عـمـارـ؛ الـذـيـ كـتـبـ لـهـ شـهـادـةـ وـتـقـرـيـظـاـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ لـكـتـابـ الـدـرـرـ؛ هـيـ أـكـبـرـ بـحـوـالـيـ ثـلـاثـ مـرـاتـ مـنـ إـجـازـةـ الـوـرـزـزـيـ نـفـسـهاـ.

³ - اـبـنـ حـادـوـشـ، الرـحـلـةـ، صـ- 259ـ- 262ـ.

المعروف بابن علي⁽¹⁾، وقد كان المفتى الحنفي يقوم بمهمة التدريس بالجامع الجديد الحنفي، إلى جانب وظيفة الإفتاء والخطابة، وكان ابن علي موصوف بالحفظ الغزير، ورواية الحديث النبوى، والمهارة في التفسير، بالإضافة إلى اشتهراته بجودة الشعر والنشر، والفصاحة في الخطابة، وكانت له صلات قوية بعلماء المغرب الذين زاروا الجزائر على عهده كالشيخ عبد الرحمن الجامعى، والشيخ الورززى المذكور، وله شعرا في كليهما، وقال في الأخير منهما قصيدة بارعة طالبا منه الإجازة⁽²⁾، افتحها بهذا البيت⁽³⁾:

خَلِيلِي عَادَ الْأَنْسُ وَالْعَوْذُ أَخْمَدٌ فَقَدْ زَارَنَا شَيْخُ الْمَشَايِخِ أَخْمَدٌ
إِلَى أَنْ قَالَ:
فَمَالِكُ قد أَصْبَحْتَ مَالِكَ عِلْمَهُ وَفِي خَلْدِي أَنْتَ الْإِمَامُ الْمَجْدُ

¹ - محمد بن محمد بن محمد المهدى بن رمضان بن يوسف العلچ (1090هـ / 1679م) وتوفي على الأرجح سنة 1169هـ / 1755م)؛ وهو من أسرة ذات صلة بالوظائف الرسمية، تولى الفتوى الحنفية بمدينة الجزائر سنة 1150هـ واستمر بها إلى سنة 1169هـ. له ديوان شعر يشتمل على قصائد بلية في المذاهب النبوية. ابن عمار، أشعار جزائرية، ص: 197؛ البغدادي، هدية العارفين، ج 2، ص: 328؛ نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 194.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص، ص: 272، 273.

³ - ابن عمار، أشعار جزائرية، ص: 84.

فجد لي بما أرجوه منك فإني رأيت كنزا للذخائر يقصد^(١)

وإن لم أتوصل إلى إجازة الورززي لابن علي، فالذي لا شك فيه هو إجازته له، كما جرت العادة بعدم رفض الإجازة، سيما وإن المستجيز من كبار العلماء. وهكذا فقد ربطت الشيخ الورززي علاقات ح密مة مع علماء مدينة الجزائر التي كان يتتردد عليها، دون أن يكون متوجها إلى الشرق أو عائدا منه، وفي ذلك دليل آخر على ذيوع صيت علمائها.

- إجازت الشيخ عبد القادر بن شقرنون الفاسي لبعض

العلماء الجزائريين:

أخذ بعض العلماء الجزائريين العلم بفاس على الشيخ عبد القادر بن شقرنون الفاسي^(٢)، كالشيخ محمد أبي راس الذي اتصل به، وتذاكر معه في بعض المسائل^(٣)، وقاضي وهران الطاهر

^١ - من خلال هذا بالبيت يتبين أن غرض القصيدة الإستجازة. ابن عمار، أشعار جزائرية، ص: 84، هامش: 3.

² - القاضي أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرنون الفاسي (ت 1219هـ / 1804م): أخذ عن أبي العباس الملاوي، وأبي العباس الدلائي، وعبد الرحمن المنجرة، وعبد القادر بوخريريس وغيرهم. وحج ولقي أعلاما وأخذ عنهم منهم الشيخ مرتضى. وعنه أخذ السلطان أبو الريبع سليمان. من مؤلفاته "شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية". عبد الكبير الكتاني، زهر الأَسْ، ج ١، ص: 150، 151؛

ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج ١، ص: 333.

³ - محمد أبو راس، فتح الإله ومتنه، ص: 105.

بن عبد القادر بن عبد الله بن محمد المدعو "دحو" المشرفي العسكري شارح "النصيحة الزروقية"، وقد أجازه ابن شقرور بالإضافة تلميذه الطيب بن كيران⁽¹⁾ عامه ماهما⁽²⁾.

وفي طريق الشيخ ابن شقرور إلى الحج سنة 1193هـ / 1779م، نزل بناوحي بسكرة، فوفد عليه بعض علماء المنطقة، وكان من بينهم الفقيه خليفة ابن حسن القماري، الذي اعتاد على الخروج من قريته قمار لمقابلة ركب الحج المغربي، فيأخذ من علمائه، ويأخذون منه. وفي السنة المذكورة أطلع ابن شقرور على نظمه لختصر خليل المسمى "جواهر الإكيليل" في نظم مختصر خليل⁽³⁾، وبعد أنقرأ هذا الأخير أجزاء منه، كتب له بتقرير في شهر ربيع الثاني، مَا جاء فيه قوله: "قد أطلعني على نظمي الجليل، لختصر أبي الدنيا خليل، المكتوب هذا أول ورقة منه، فطالعت منه البدء والختام، ومواضع منه أنبأني على أنه مقدم من

¹ - أبو عبد الله الطيب بن محمد بن عبد الجيد بن عبد السلام بن كيران (1172-1227هـ / 1812م): عرف بتبحره في علم الأصول والفروع. له تأليف عديدة منها: شرح على توحيد المرشد المعين. خلوف، شجرة النور، ص، ص: 376، 377؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 3، ص: 373؛ النازي، جامع القرويين، ج 3، ص: 807.

² - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 460.

³ - أطلع الشيخ الناصري الدرعي صاحب الرحلة الكبرى على منظومة الشيخ القماري، اثر لقاءه بنظمها في سيدى عقبة، وحكم عليها حكماً مختلفاً قليلاً على حكم ابن شقرور قائلاً: وهو نظم سلس لا يأس به، غير أنَّ صاحبه غير متتمكن من الصناعةعروضية، وإنما للنظم عنده سجية". أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 78.

فرسان البراعة، وأئمة اليراعة، إذ هو نظم عذب الموارد، مهذب المقاصد، سلس العبارة، رائق الإشارة... وقد طلب مني... أن أوقع عليه ما تيسر، ولم يعذرني إذ أنا على سفر، فساعدته إسعاد حب صادق، فرقمت هذه الحريفات⁽¹⁾.

وأمّا كون هذا التقرير إجازة، فذلك ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله⁽²⁾، غير أنه لم يقل أنها إجازة التأليف. والملحوظ أن هذه الإجازة لا تتضمن أي إذن من أي نوع، كما في إجازة الورززي لابن حمادوش المذكورة سابقا.

- إجازات محمد بن محمود العنابي لبعض علماء أسرة بيرم

التونسية:

أسرة بيرم تركية الأصل، دخل أول أفرادها تونس أثناء الفتح العثماني لها⁽³⁾، وشهد القرن الثاني عشر بزوغ شهرتها العلمية، حيث أنجبت العديد من العلماء⁽⁴⁾، الذين توارثوا الخطط الدينية

¹ - الطاهر بن بلقاسم التليلي، «اتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري»، ورقة: 12، 13.

² - تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 49، 77.

³ - تعني بيرام العبد بالتركية، وقد قدم بيرام إلى تونس صحبة جند سنان باشا لاستنقاذ البلاد من الاحتلال الإسباني سنة 981هـ / 1573م، وطاب له المقام بتونس. محفوظ معجم المؤلفين التونسيين، ج 1، ص 130.

⁴ - من أفراد هذه الأسرة الذين تولوا الخطط الدينية الخنفية الكبرى، وفي مقدمتها رئاسة الفتوى الخنفية: رأس الأسرة شيخ الإسلام محمد بن حسين المعروف ببيرم الأول (1214هـ / 1800م)، وابنه محمد بيرم الثاني (ت 1247هـ / 1831م)، وحفيده محمد

الرفيعة، وفي مقدمتها القضاء والإفتاء الحنفيين. ولما كان الشيخ محمد بن محمود العنابي يمر بتونس أثناء تردداته على المشرق، فقد ربطه علاقات وردية مع بعض علمائها، ومنع إجازات لبعضهم من التجأوا إليه، وطلبوها منه ذلك نثراً وشِعراً، ولا سيما علماء أسرة بيرم⁽¹⁾، وقد جمعته بهم مودة كبيرة، تشهد عليها الرسائل المتبادلة بينه وبين الشيخ محمد بيرم الرابع⁽²⁾، منها الرسالة التي بعث بها إليه أثناء إقامته بمصر، والتي تضمنت قوله: "فقد كتبنا إليكم... من خضراء تونس... تجديداً لعهود المودة القديمة"⁽³⁾.

بيرم الثالث (ت 1259هـ / 1843م). ترجمتهم مستوفاة في كتاب العمر، لحسن حسني عبد الوهاب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990. ج 2، مواضع متفرقة.
 ١ - هناك عوامل تكون قد ساهمت في تغطية العلاقة بينه وبين هذه الأسرة، فكل من أسرتي ابن العنابي وأسرة بيرم، تركية الأصل، حنفية المذهب، دخلت المغرب الإسلامي مع الفتح العثماني، وتقررت من السلطة الحاكمة وحظيت بمناصب دينية رفيعة.

² - محمد بن محمد بن محمد بن محمد، المعروف ببيرم الرابع (1220-1278هـ / 1806-1861م) حل نفس اسمه ولقب أبيه وجده قبله، وهو يروي عن أبيه وغيره تولى خطبة التدريس، ثم الإفتاء ثم رئاسة الفتوى الحنفية سنة 1259هـ / 1843م، بالإضافة إلى توليه نقابة الأشراف، وإماماً عدة جوامع، وإدارة العديد من المدارس، كما كان مستشاراً للأمير محمد باي (1855-1859م). من أشهر مؤلفاته: التراجم المهمة للخطباء والأنتمة. الكتани، فهرس الفهارس، ج 1، ص، ص: 242، 243؛ أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون، ص: 602؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 3، ص: 686.

³ - بعث له بهذه الرسالة بعد سنة 1260هـ يجدد له فيها المودة، ويوصيه فيها خيراً بأحد العلماء المغاربة، وبعث ابن العنابي بدوره أبيات في تحية آل بيرم رد عليهما محمد بيرم الرابع بأبيات أيضاً، وكان قد قرر كتاب "شرح الدر المختار" لابن العنابي في سنة 1245هـ. أبو القاسم سعد الله، المفتى الجزائري: ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي، ص - ص: 123-127.



لقد تلقى محمد بيرم الرابع إجازتين على الأقل من الشيخ ابن العنابي، إحداهما صوفية مشافهة بالأحزاب الشاذلة⁽¹⁾، والثانية إجازة علمية كتابية، عدّد فيها طرق تلقيه للحديث الشريف والفقه، فذكر بأنه روى "صحيح البخاري" بطرق عديدة، ولكن طريق السمع والقراءة إنما هي على والده محمود (ت 1234هـ)، وبأنه سمعه على جده محمد بن حسين قاضي الجزائر (ت 1203هـ)، بالإضافة إلى قطعة من أول كتاب "فضائل القرآن" ووُقعت له منه إجازة تتضمنه، كما روى صحيح البخاري أيضاً سمعاً لبعضه، وإجازة لباقيه عن شيخه الإمام أبي الحسن علي بن عبد القادر بن الأمين، ثم قال: "وقد أجزت بهذا، ويكل ما أجازني به مشائخي، الشاب الفاضل اللوذعي الكامل أبا عبد الله محمد بن شيخ الإسلام محمد بن شيخ الإسلام محمد الشهير بيرم - حفظه الله - إجازة عامة بشرطها المعلوم لأهله..."⁽²⁾، وبعد ختمه للإجازة الحق بها ما يلي:

أ- فقرة عنونها بـ «تنمة» أرَخ فيها لوفاة شيخه، وعمدته ابن الأمين بسنة 1236هـ، ثم أضاف قائلاً: "وقد أجاز جميع من أدرك حياته، وقد اقتديت أنا به في ذلك، فأجزت بكل ما أجازني به مشائخي جميع من أدرك حياتي"⁽³⁾، فهذه الإجازة التي أجاز بها

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 38.

² - أبو القاسم سعد الله، المفيج الجزائري: ابن العنابي، ص- ص: 115-118.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 118.

لجميع من أدرك حياته «إجازة عامة للعلوم» المدف منها نشر السند.

ب - التأكيد على إجازته لمحمد بيرم الرابع بقوله: "نعم أجزن الشاب الأديب الفاضل السيد محمد بن شيخ الإسلام محمد بكل ما تجوز عني روایته".

ج - تذليل الإجازة بختمه الذي يحمل عباره: «متظر لطف الودود عبده محمد ابن محمود سنة 1232هـ».

لكن التاريخ الذي يحمله الختم ليس تاريخ الإجازة على ما يبدو من عدة أوجه منها: أنَّ ابن العنابي كان بالجزائر في السنة المذكورة، مُتَوَلِّاً لقضاء الحنفية⁽¹⁾، ومنها أَنَّه أجاز مصر لكل من إبراهيم السقا وعبد القادر الرافعي في سنة 1242هـ، ولكنه أرَخ لإجازته للأول بسنة 1242هـ بينما وضع ختمه المشار إليه في إجازته للثاني، وهو يحمل نفس التاريخ أي 1232هـ. وهذا التاريخ هو الذي يوجد دائماً في ختمه الموضوع على وثائق أخرى، بحيث كان له بحكم منصبه في الدولة ختماً خاصاً به.

وَنص الإجازة نفسه يؤكد أنَّ تاريخ 1232هـ ليس هو تاريخ الإجازة، إذ كيف يكتبها فيه، وقد أخبر فيها عن وفاة والده التي كانت سنة 1234هـ وعن وفاة شيخه ابن الأمين التي كانت سنة 1236هـ.

¹ - ذلك ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله (المفتى الجزائري، ص: 28) انطلاقاً من مجموعة من الوثائق، وذهب عبد الحميد بيك (أعيان من المشارقة والمغاربة، ص: 187) إلى أنه كان بين سنتي 1213هـ و1236هـ مفتياً للممالكة بالجزائر.

اما تاريخ الإجازة الحقيقي فهو بين سنتي 1236 و1245هـ، حيث حج الشيخ ابن العنابي سنة 1236هـ، واستقر بالأزهر لمدة تسع سنوات، ثم رجع إلى الجزائر وحلَّ بتونس بين سنتي 1244-1245هـ / 1828-1829م⁽¹⁾، فهو إما أن يكون قد أجاز محمد بيرم في المشرق، أو في تونس أثناء نزوله بها.

لقد أقام الشيخ ابن العنابي هذه المدة في تونس مُحاطاً بالعلماء، وكلهم أشادوا به ونوهوا بعلمه، كما أكرمه باي تونس عندئذ، وأحاطه بالتجليل والتعظيم⁽²⁾، واستجازه عدد من علماء تونس، من بينهم: الشيخ مصطفى بيرم عم محمد بيرم الرابع السابق الذكر، الذي استدعاه بقصيدة تتكون من أربعة عشرة بيتاً تضمنت هذه الأبيات⁽³⁾:

فكم طابت الخضراء نشرا وبهجة
وكل إماء بالذي فيه راشح
ولست الذي يراد بالمدح قدره
فقدرك معلوم ومجدك واضح
واطلب من عليك نيل إجازة
بفضلك لا أني لذلك صالح
والذي لا شك فيه هو أنَّ ابن العنابي لم يطلب المستجيز
لحرصه على نشر سلسلة السند على أوسع نطاق، حتى أنه كان
يجيز كل من أدرك حياته.

¹ - عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص: 188.

² - أبو القاسم سعد الله، المفتى الجزائري ابن العنابي، ص: 30.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 129.

- إجازات علمية متفرقة خلال القرنين الثاني والثالث عشر

المجريين:

هناك إجازات علمية كثيرة متبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء القطرين لم ترد حولها إلا إشارات في الكتب الترجم والرحلات، منها أنَّ الشيخ عمر بن عبد القادر التنانني⁽¹⁾ استقر بالغرب، وأخذ على علماء فاس كالشيخ محمد بن أحمد بن مبارك السجلماسي الذي أجازه، كما درس هناك بجامع القرويين، فصار من أشهر الأساتذة به، ثم عاد إلى بلده سنة 1129هـ وتفرغ للتعليم بزاوiyته بتنانن⁽²⁾.

وإذا كانت رحلة العلماء الجزائريين إلى تونس قليلة، بالمقارنة مع رحلاتهم إلى المغرب الأقصى، فإنَّهم بضرورة أداء فريضة الحج وطلب العلم كثيراً الرحلة إلى الشرق، وهذا كانوا يتزلون بها، ويتصلون بعلمائها، ومن هؤلاء الشيخ أحمد بن عمار الذي ربط علاقات متباعدة مع أقرانه بها، وتبادل معهم الإجازات والتقاريظ⁽³⁾، ومن أشهر تلامذته بها الشيخ إبراهيم السيالة⁽¹⁾

¹ - عمر بن عبد القادر التنانني (ت 1152هـ / 1739م): نحوى من فقهاء قصر تنانن بمنطقة توات. من مشايخه المغاربة: محمد بن زكري الفاسي، ومحمد حميد مباركة. تخرج عليه الكثير من الطلبة بزاوية بتنانن، وأجاز الكثير منهم. فرج محمود فرج، إقليم توات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ص - ص: 88 - 98.

² - فرج محمود فرج، إقليم توات، ص: 89، وص: 113.

³ - من ذلك التقرير الشري الذي كتبه للكاتب الوزير أبي محمد حمودة بن محمد بن عبد العزيز التونسي (ت 1202هـ)، على رسالة في مسائل من الكلام، ردُّ بها على أسئلة

الذي جمع ثبّتاً في أسانيد شيخه سمّاه "منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد"، فأجازه به سنة 1204هـ / 1789م⁽²⁾.

كما نزل بها الشيخ أبو راس مرات عديدة منها سنة 1205هـ / 1790م، فأكرمه السيد حمودة باشا، واجتمع بعلمائها، وأجلة فقهائها كمفتي الحنفية بها السيد محمد بيرم الذي قرأ عليه "ختصر الكنز" في الفقه الحنفي، والشيخ أحمد بن عبد الله السوسي المغربي الأصيل، التونسي الدار، وقد خاطبه أبو راس قائلاً: "أحببت أن أكون من تلامذتك الراغبين في إجازتك، وإن لم أكن لذلك أهلاً، فيكون ذلك منك لنا وبلا، كي تهب علي نفحاتكم، وسناء بركاتكم" فأجازه في جميع ما يتعلّق بالدين ووصائله، وفروعه وأصوله ومسائله، وكتب له بخط يده⁽³⁾.

كما كان أبو راس كثير الزيارة للمغرب الأقصى، من ذلك الزيارة التي قادته إلى فاس سنة 1216هـ / 1802م حيث أقام بها مدة، وأهدى العديد من المؤلفات إلى السلطان المغربي سليمان

بعض علماء قسنطينة في صفر سنة 1196هـ. الوزير حمودة، الكتاب البashi، تج: محمد ماضور. تونس: الدار التونسية للنشر، 1970. ج 1، ص، ص: 19، 20.

^١ - إبراهيم بن عبد الله السبالة: كان حيا سنة 1204هـ / 1790م. كحالة، معجم المؤلفين، ج 1: ص: 40.

^٢ - عبد الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص، ص: 121، 122.

^٣ - محمد أبو راس، فتح الإله، ص، ص: 51، 52، وص: 115.

منها شرح بعنوان "روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان"⁽¹⁾، وأنباء زياراته هذه كان يتصل بالعلماء⁽²⁾ ويأخذ عنهم وياخذون عنه لكن لا نعرف إن أمرت هذه الاتصالات بإجازات علمية أم لا. هذا، ولم تقتصر علاقات العلماء الجزائريين بتونس بالتردد على المشرق، بل إنَّ منهم من درس مدة هناك كالفقيَّه النحوي محمد الصالح الزواوي⁽³⁾، حيث وُجدَ بخطه آنه قرأ وأجيز بجامع الزيتونة⁽⁴⁾، غير أنَّ صاحب "تعريف الخلف" لا يذكر شيوخه ولا بما أجيز. ويبدو آنه تلقى بها تكويناً مُهماً، إلى جانب ما يكون قد أخذه بالجزائر، لاشتغاله بالتدريس في جبل بني عيسى بمجرد عودته منها.

وبحكم قرب الجهة الغربية للجزائر من المغرب الأقصى، فقد كان علماؤها الأكثر اتصالاً وتواصلاً مع أقرانهم به، حيث أجاز الشيخ ابن أبي طالب المعروف بالشارف المازوني للشيخ أبي العباس أحمد التادي الحموي العلمي السويفي (ت

¹- G. Faure – biguet, « notice sur le chiKh Mohammed Abou Ras », pp : 311, 318.

²- منهم الطيب بن كيران، والشيخ حدون، والفقيَّه الشيخ محمد بن بنيس الذي مُحت معه في تفسير ابن عطية. محمد أبو راس، فتح الإله ومتنه، ص - ص : 101 - 106.

³- محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي الرحموني (ت 2 - 1243 هـ / 1827م): من شرفاء العش في بلد امشدالة. تأليفه كثيرة منها: ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب، والدليل على الأجرورية وشرح على الأزهرية، وحاشية على شرح الصغرى لمؤلفها. الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 533؛ ملوف، شجرة النور، ص: 382.

⁴- الحفناوي، المرجع نفسه، ج 2، ص: 533.



1236هـ⁽¹⁾، كما تلقى الشيخ أبو عبد الله محمد المهدى بن محمد المدعو بالكتروسي⁽²⁾ بمدينة مازونة استدعاها كتابيا من فاس سنة 1240هـ/1827م. من طرف الشيخ محمد التوهامى بن رحون⁽³⁾، وعما ورد فيه: "ول يكن في كريم علمك، أني أطلب من سعادتك إجازة شاملة، مطلقة عامة، في جميع ما لديك من العلوم، والأسرار والفهم، والطرق الصوفية والأحاديث المسليفات إلى خير البرية تبركا بسندك العالى...".

ثم تحدث عن مشروعية طلب الإجازة مراسلة، والأسباب الداعية إلى ذلك، ثم ختم الاستدعاة بستة أبيات، منها:

عبدك المتوجع لفضلك يرجو	من علا مجدهم عموم إجازة
يدرك الفوز بالفضائل عنها	وتكون إلى السعود مجازة
دم بربع السعود قاموس علم	كل ناح ينال منك مفازة

وليس لدينا دليل على إجازة محمد المهدى له إلاً ما تعارف عليه بين العلماء، من عدم رفضهم الإجازة بالرواية ولو طالت

¹ - عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، ج 1، ص: 119.

² - أبو عبد الله محمد بن المهدى بن محمد بن المهدى بن أحمد بن علي الإدريسي الحسنى المازوني الكتروسي. ينتمي إلى أسرة آل الكتروسي العلمية التي حظيت بتأييد، ودعم كبير من طرف بيات الغرب، فتولى عدد من أفرادها مناصب دينية هامة كالقضاء والفتوى والخطابة والإمامية.

³ - محمد التوهامى بن محمد المكي بن عبد السلام بن رحون العلمي الحسنى الإدريسي (ت 1263هـ/1847م): كان عالماً مستذاً. أخذ عن جماعة وافرة من أهل المشرق والمغرب. وله ثبت في مروياته. عبد الحفيظ الفاسي، المصدر السابق، ج 1، ص: 118.

⁴ - وثيقة ملك لعائلة الكتروسي بجازنة.

المسافات، وهذا الاستدعاء دليل قاطع على ذلك التواصل الفكري الذي جمع علماء مازونة بأقرانهم في المغرب الأقصى. وكان علماء الراشدية على اتصال دائم بالمغرب، فقد رحل الشيخ أبو عبد الله محمد بن الموفق الجلالي إلى فاس، والتقى بأكابر علمائها واستفاد منهم⁽¹⁾، وأجازه جماعة ذكرهم في إجازاته ل聆ميذه عبد القادر الراشدي كالسيد محمد جسوس⁽²⁾، والسيد التاودي بن سودة⁽³⁾، والسيد محمد البناي والسيد عبد الله السوسي، والسيد عمر السوسي، والسيد إدريس العراقي الحسيني، ومولاي بن عبد الرحمن إدريس وغيرهم⁽⁴⁾.

¹ - محمد بن سحنون، الثغر الجماني، ص: 228.

² - أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد جسوس (1089-1182هـ): أخذ عن أبي عبد الله المنساوي، محمد ابن عبد القادر الفاسي، والعرببي بردلة. أخذ عنه جماعة من الأعيان كالشيخ التاودي بن سودة. من تأليفه: شرح خليل، والرسالة، وشرحان على الحكم بن عطاء الله. عبد الكبير الكتاني، زهر الأس، ج 1، ص، ص: 280، 281.

³ - أبو عبد الله محمد بن الطالب بن سودة المرئي الفاسي التاودي (1128-1207هـ): أخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الناصري، وأحمد بن مبارك السجلماسي، حج وقدم مصر سنة 1182هـ، وعقد دروسا بالجامع الأزهر. تولى القضاء بالغرب سنة 1203هـ. من تأليفه: حاشية على الزرقاني شارح خليل، وشرحان على الأربعين النووية. الجبرتي، عجائب الآثار، ج 2، ص - ص: 105-107.

⁴ - المهدى البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص: 151.

كما تبادر معهم الشيخ العلامة عبد القادر المعروف بابن عبد الله سقط المشرفي الإجازات العلمية، ومن مشايخه المغاربة⁽¹⁾ الشيخ الهاדי بن محمد الشريف الذي أجاز له ثبته⁽²⁾، والشيخ محمد بن محمد بن عربي البناي المالكي، وعلي بن محمد الميلي. وأجاز ابن عبد الله سقط بدوره لبعض المغاربة في فاس كالشيخ أبي العباس أحمد بن الطاهر الأزدي المراكشي، والشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام أبي العباس أحمد الشدادي الفاسي عاممة ما له مطلقا بتاريخ 1247هـ / 1831م، أي حوالي سنة بعد دخول الفرنسيين إلى الجزائر، وقال فيها: "إجازة عامة تتناول من وجد منها من الأولاد، ومن سيوجدهم من الأحفاد، وكل من استجراهما".⁽³⁾

أما الإمام محمد بن علي السنوسي، فقد انتقل إلى فاس لطلب العلم، ثم رحل مكة حاجا، فلقي بها الشيخ أحمد بن إدريس المغربي الميسوري (ت 1253هـ / 1837م) وأخذ عنه، وحصل له نفوذ عظيم في الحجاز وضواحيه، إلا أنه آثر تركه والانتقال إلى طرابلس (بلبيسا) فوفق لنشر دعوته بأكثر بقاعها، حتى برقة

¹ - دخل المغرب الأقصى سيرا للأمير عبد القادر بعد الاحتلال الفرنسي، وبعد الخلال المقاومة رجع إليه واستقر بمكناس إلى أن توفي بها. المشرفي، «ياقوتة النسب الوهاجة»، ورقة: 11.

² - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 1099.

³ - عبد الحفيظ الكتاني، المرجع نفسه، ج 2، ص: 577 - 579.

ووجه إفريقيا، وأسس بها العديد من الزوايا أشهرها زاوية جغبوب⁽¹⁾.

فأخذ عنه هناك عدد من المغاربة منهم: عبد الهادي بن محمد الشاوي الفاسي (ت 1319هـ)؛ الذي لقي السنوسي أثناء حجته سنة 1260هـ، ثم رحل إليه مرة أخرى من المغرب، ولازمه بجغبوب إلى وفاته، فسمع عليه الكتب الستة، وغيرها مما كان يقرؤه مدة مقامه عنده، فأجازه عامته⁽²⁾، كما أخذ عنه الشيخ أحمد بن الطالب بن محمد بن سودة (ت 1321هـ) بالمدينة المنورة سنة 1267هـ، فأذن له في الطريقة وأجازه عامته، وكان ابن سودة قد لقي في الإسكندرية الشيخ مصطفى بن محمد الكبابطي الجزائري⁽³⁾ فأجازه⁽⁴⁾.

يتجلّى من حصاد الفقرات السابقة أنَّ تبادل الإجازات العلمية بين علماء الجزائر وأقرانهم في المغرب الأقصى، كان أكبر حجماً وأكثر تنوعاً، مما كان بينهم وبين نظرائهم في تونس رغم

¹ - عبد الحفيظ الفاسي، معجم المشايخ، ج 1، ص، ص: 105، 106.

² - عبد الحفيظ، المصدر نفسه، ج 2، ص، ص: 222، 223.

³ - مصطفى بن محمد بن عبد الرحمن (1186-1278هـ): أخذ على علماء الجزائر في عصره كالشيخ علي ابن الأمين. كان مفتياً في مدينة الجزائر عند الاحتلال، ولما دافع عن الأوقاف ورفض تسليم سجلاتها للمحتلين احتجزوه، ثم ونفوه إلى الإسكندرية في سنة 1259هـ فظل مقيماً بها إلى وفاته. عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص: 212، 213؛ الزهار، مذكرات الزهار، ص: 183.

⁴ - عبد الحفيظ الفاسي، معجم المشايخ، ج 2، ص - ص: 80-82.



الصلات الوثيقة التي ربطتهم بهم، ولعل مرد ذلك إلى العوامل التالية:

- أ- قرب تونس من مصر حيث الجامع الأزهر، وهذا كان علماً تونس الراغبين في الاستزادة من العلم يتوجهون إليه فيأخذون عن علماء مصر، وعن العلماء المجاوريين به الوافدين من مختلف مناطق العالم الإسلامي.
- ب- يبدو أنَّ الجزائر لم تكن تقدم لعلماء تونس أكثر مما في بلادهم لإزهار حلقات الدروس من المستوى العالي بتونس، نتيجة لجهود حكامها الذين شيدوا المدارس والمساجد والزوايا العلمية، وأقروا عليها الأوقاف كثيرة وشجعوا العلماء، خاصة بجامع الزيتونة الذي رتب فيه الحكام عدد كبير من المدرسين، وأجروا لهم رواتب ثابتة، هذا إلى جانب الأستاذة المتظوعين به.
- ج- أمَّا عن تفضيل العلماء الجزائريين للاستقرار بال المغرب على تونس، فهو إكرام ملوكه لهم، ومنحهم أرقى المناصب الدينية كالفتوى المالكية بفاس، والخطابة بجامع القرويين، وهذا ما لم يحظوا به مطلقاً في تونس، لتقديم حكامها الأحناف لعلماء مذهبهم على علماء المالكية حتى من بين علماء قطرهم.



الفصل الثالث

الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء
الجزائريين وعلماء المشرق



ظلّ المشرق الإسلامي يُمثّلُ المرجعية الدينية لأهل المغرب الإسلامي عموماً، نظراً لوجود مركز الخلافة والمقدسات الإسلامية به، فقصدوا للحجّ والمجاورة، ولطلب العلم أيضاً، كما اختار بعضهم الاستقرار به لأسباب عديدة، وفي مقدمتها الأسباب السياسية، فكثيراً ما هاجر العلماء من بلدانهم خوفاً من التورط مع أصحاب السلطة، وهذا فرغم أخطار السفر آنذاك، وتعرض ركب الحجّ لنهب الأعراب، فقد رحل عدد كبير من أهل العلم الجزائريين إلى المشرق، فأفادوا واستفادوا، وأجازوا واستجازوا، في حين لم تشهد الجزائر وفود علماء المشرق إليها إلا في أحيان قليلة جداً وذلك لتفوقه من الناحية الفكرية.

أولاً- التعليم من المستوى العالي بالشرق خلال

العهد العثماني:

خضع المشرق الإسلامي منذ العقد الثاني من القرن العاشر الهجري (16م) للخلافة العثمانية^(١) وعاصمتها القسطنطينية ويزّ به خلال هذا العهد العديد من الحواضر العلمية والثقافية التي ازدهرت بها حلقات الدروس العليا، وفي مقدمتها مدينة

^(١) - تمكن السلطان سليم الأول (ت 926هـ) من دخول حلب في سنة 922هـ/ 1516م إذ هزم السلطان الفوري في معركة مرج دابق، ثم دخل مدينة دمشق، والمناطق المجاورة لها، وفي سنة 923هـ تمكن من دخول مصر، أما شريف مكة أبو الشبيبي بن محمد أبي البركات، فقد سلم له ما كان بيده من الآثار الشريفة، فقبلها منه، وهكذا أصبح المشرق الإسلامي تابعاً للخلافة العثمانية. إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلبة، ص- ص: 113-116.

القاهرة بمصر، ومكة المكرمة والمدينة المنورة، إلى جانب مدينة دمشق بالشام⁽¹⁾.

وتأتي القاهرة على رأس الحواضر العلمية المذكورة، فقد تنوّعت المراكز العلمية بها، وحفلت بالعديد من المدارس، بعضها قديمة كالمدرسة الأشرفية، والمدرسة الصرغتمشية⁽²⁾، والمدرسة الصلاحية⁽³⁾، ونظرًا لأهمية هذه الأخيرة فلا يختار شيخ الأزهر إلا من بين مدرسيها، ومن أهم المدارس الحديثة بها مدرسة أبي الذهب التي أنشئت سنة 1189هـ / 1775م، والتي حملت اسم مؤسّسها الذي أقرّ بها العديد من المدرسين، ورتب لهم رواتبًا سخية⁽⁴⁾.

كما وُجدَ بها العديد من الزوايا التي كانت الدراسات فيها تميّل للاتجاهات الصوفية، بالإضافة إلى الدراسات الإسلامية

¹ - عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابليسي. بيروت: دار الجيل، (ط1)، 1987. ص: 62.

² - هي مدرسة صرغتمش المعروفة بجامع صرغتمش؛ الذي أنشأه سيف الدين صرغتمش الناصري سنة 757هـ / 1256م. السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص: 231.

³ - بناها السلطان صلاح الدين الأيوبى سنة 572هـ وجعل التدريس والنظر بها للشيخ نجم الدين الجنوشاني، ورتب له راتباً. وهي مجاورة لضريح الإمام الشافعى، وكان التدريس بها مشروطاً لأعلم علماء الشافعية. السيوطي، المصدر السابق، ج 2، ص: 225؛ المحيى، خلاصة الأثر، ج 4، ص: 40.

⁴ - أحمد شلي، موسوعة التاريخ الإسلامي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (ط7)، 1986. ج 5، ص: 346-348.



العامة، ومن أهمها: زاوية الخضرى والزاوية القريبة من المشهد الحسيني، والزاوية الملحة بالجامع الكبير بالمنصورة⁽¹⁾.

وقد اقتضت الضرورة أحياناً أن عُقدت الحلقات العلمية بالمنازل، لأن ذلك يُعد مفخرة لأصحابها من العلماء الذين لم يستطعوا أن يجتمعوا المربيين حولهم، لقلة بضاعتهم من العلم، فجمعوهم في بيوتهم حول شيخ العصر، وهناك بعض مشاهير العلماء منعهم ظروف الصحة أو غيرها من الانتقال إلى المدارس أو المساجد والزوايا فاندفع الطلاب نحوهم يأخذون عنهم في بيوتهم. وبيوت العلماء كثيرة من أكثرها شهرة: بيت حسن الجبرتي الذي كانت حلقات الفكر به لا تكاد تتوقف، ومن بيوت العظاماء بيت أحد أعيان التجار بمصر: وهو الحاج أحمد بن محمد الشرابي (ت 1171هـ / 1757م)، فقد كان العلماء يتربدون إلى منزله؛ الذي كانت به مكتبة للإعارة والمطالعة الداخلية⁽²⁾.

وكان أكثر مساجد مصر مراكز فكر وإشعاع، جلس بها العلماء وتحلق حولهم الطلاب، وأطلق على كل شيخ من شيوخ المساجد لقب "شيخ عمود": فبجوار الأعمدة المتعددة كان يجلس هؤلاء العلماء، واكتسبت بعض هذه المساجد شهرة في مجال التعليم منها: جامع عمرو، وجامع شيخون، ومسجد الإمام الشافعى، ومسجد كتخدا بالأزبكية، بالإضافة إلى جامع المشهد

¹ - أحمد شلي، المرجع نفسه، ج 5، ص - ص: 350 - 352.

² - أحمد شلي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 5، ص، ص: 352، 353.

الحسيني، الذي تصدى للتدرس به مجموعة عظيمة من شيوخ العصر وفطاحل الشعراء⁽¹⁾.

أما الجامع الأزهر⁽²⁾ بالقاهرة فقد احتل الصدارة في مصر، بل وفي العالم الإسلامي، وإن أقل نجمه قليلاً في العهد العثماني حسب جومييه (jomier)، ومن أسباب احتلاله لهذه المكانة حيث ينبع⁽³⁾ انقراض الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، ووقوعه في مكان يتوسط العالم الإسلامي، وقربه من الحجاز، بالإضافة إلى أهمية مصر الاقتصادية، ولهذا اجتمع به عدد كبير من العلماء الوفدين عليه من مناطق مختلفة⁽⁴⁾، وكانوا يعرفون بالمجاورين⁽⁵⁾. وقد كان بعض هؤلاء المجاورين يقيم بالقرب منه، في حين يقيم البعض الآخر داخله، وينقسمون إلى طوائف لكل منها حارة

¹ - أحمد شلي، المرجع نفسه، ج 5، ص - 348 - 351.

² - بناء القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله الفاطمي بعدما اخْتَطَ الإسكندرية، وكان بناؤه في شهر رمضان سنة 361هـ / 972م، وبدأت به حلقات دروس الفقه الشافعي في صفر 365هـ / أكتوبر 975هـ، وبعد قاضي القضاة أبو الحسن علي بن نعман أول من جلس للتدرس به. السيوطي، حسن المحاضر، ج 2، ص: 221.

³ - حظي الجامع الأزهر ببعض الرعاية من طرف رجال الدولة العثمانيين، فكثيراً ما زاره الفاتح سليم شاه، وأمر بتلاوة القرآن فيه، وتصدق على فقراء المجاورين. جومييه، الجامع الأزهر: مسجد وجامعة في القاهرة. ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية. القاهرة: دار الشعب. ج 3، ص - 183 - 185.

⁴ - جومييه، المرجع نفسه، ج 3، ص: 186.

⁵ - يسمى العلماء والطلاب بالمجاورين لسكنائهم بجوار الأزهر، ونفس المصطلح يطلق على المقيمين بجوار المسجد الحرام.

رواق خاص بها⁽¹⁾، ومن أقدم الأروقة التي شهدتها الأزهر: رواق المغاربة⁽²⁾ وهو رواق كبير يخص لأهل المغرب الإسلامي⁽³⁾، وقد أصبح الرواق بمنابه مؤسسة ثقافية واجتماعية تقدم خدمات لأبناء المغرب الإسلامي، وترعاهم طوال مدة دراستهم في الأزهر، أو أداء مهمتهم العلمية إن كانوا مدرسين، وكان الرواق يصرف لهم مرتبات، ولكن لا يستحقها إلا من كان مالكي المذهب، وكانت رئاسته بيد أحد المغاربة المالكين المشتغلين بالتدريس بالأزهر، فكان هو الناظر على الأوقاف المحبوبة عليه. وقد وجده الرواق العون المادي الضخم من التجار المغاربة المقيمين بمصر، أو المرتددين عليها⁽⁴⁾.

١- الحارة عبارة عن حجرات يضع فيها المجاورين متاعهم، والرواق هو الفضاء الواقع بين العمودين، وكان يقرأ فيه الدرس بجماعات صغيرة، وتقام فيه الأذكار، ويتبع تقسيم الأروقة تارة التقسيم الجنسي، وتارة أخرى التقسيم المذهبي، وبالأزهر عدد من الأروقة أهمها: رواق الصعايدة، وهو أهم أروقة المالكية، وكان لكل رواق شيخ جومييه، المرجع السابق، ج ٣، ص: 187، 188.

² - يقع رواق المغاربة في الجانب الغربي من الجامع الأزهر، وهو على يمنة الداخل من باب المغاربة، أحد أبواب الجامع التسعة الرئيسية، وقد تم تجديده في سنة 872-901هـ / 1466-1467م، وهذا يعني أنه كان قائماً من قبل، وكانت به مكتبة كبيرة. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517-1798م). تونس - الجزائر: المجلة التاريخية المغربية، وديوان المطبوعات الجامعية، 1982. ص: 99.

³ - جومييه، المرجع السابق، ج 3، ص، ص: 186، 188.

⁴ - عبد الرحيم عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني، ص- ص: 99- 101.

وكان مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزيان مهمين من مراكز العلم في الدولة الإسلامية، وكثير الوافدون على مكة بالخصوص بعد الفتح العثماني لها، وذهب النشاط في الحركة العلمية بها، نتيجةً ازدياد عدد العلماء الذين طاب لهم مجاورة بيت الله الحرام، وما أسهموا في تنشيط الحياة الفكرية بها تشييد العثمانيون للعديد من مدارس من أهمها: مدرسة الأشرف قايتباي، ومدرسة الوزير محمد باشا، والمدرسة المرادية التي أسسها السلطان مراد الثالث (982-1003هـ)، ومدارس السلطان سليمان (926-974هـ)، بحيث أمر هذا الأخير عام 972هـ/1564م، بإنشاء أربع مدارس في الجهة الجنوبية للمسجد الحرام يُدرَّس في كل واحدة منها أحد المذاهب الفقهية الأربع وأوقف عليها أوقافاً، وحدَّ الرواتب التي تدفع للطلاب والمدرسين، ولم يكن يُعين بها إلاً كبار العلماء، ونظراً لعدم وجود عالم ضليع في تدريس الفقه الحنبلية في زمان بناءها، جعلت المدرسة المخصصة لهذا المذهب داراً للحديث، وأصبحت تدرس الحديث الشريف بالصحيح الست، وقد صارت المدرسة المالكية السليمانية أرقى المدارس الأربع^(١).

وكان المسجد الحرام أَهْمَ المراكز العلمية والتعليمية في الحرمين الشريفين، لتنوع حلقات الدروس به، والتي كان يعقدها

^١ - عبد الرحمن بن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص- 61-66.

شيخ من أئمة علماء المحرم، وأخرين وافدين عليه من مختلف مناطق العالم الإسلامي للحج والمجاورة^(١).

أما مدينة دمشق فقد اشتهرت بجامعها الأموي^(٢)، الذي تعددت به حلقات الدروس، كما وُجد بها عدد كبير من المدارس في مطلع القرن العاشر الهجري، وعدها 159 مدرسة، بعضها خصص لتدريس القرآن الكريم، والأخر للحديث الشريف، وبعضها للمذاهب الفقهية وغيرها من العلوم^(٣).

ووُجد بالشرق العديد من المدارس والزوايا والمساجد، التي قامت بمهمة التعليم، غير أنها لم ترق إلى مستوى المراكز العلمية التي حفلت بها الحواضر الثلاثة السالفة الذكر، بعضها كان بيت المقدس ونابلس وحلب^(٤)، وبعضها الآخر في القسطنطينية وغيرها كان بمراكز تعليمية أخرى^(٥).

^١ - هذا ما يُستخلص من كتب تراجم الرجال في العهد العثماني؛ بمحث نجد أنَّ عدداً كبيراً من العلماء من مختلف مناطق العالم الإسلامي قد وجاوروا ودرسو ودرسوا به، ومنهم عدد من علماء الجزائر كالشيخ عيسى التعالى والشيخ أحمد المقرى، الشيخ محمد بن أحمد الشريف الأزميري وغيرهم.

^٢ - بني الجامع الأموي سنة 88هـ / 658م، من طرف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، مكان كنيسة ماريوننا. البدرى، نزهة الأنام في حasan الشام. بيروت: دار الرائد العربي، (ط١)، 1980. ص: 22.

^٣ - عبد الرحمن بن صالح، تاريخ التعليم في مكة، ص: 66.

^٤ - عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس، ص: 62.

^٥ - الزياني، الترجمان الكبرى، ص، ص: 111، 112.

هذا، وبالرغم من تنوع مراكز الثقافة التي ازدهرت بها حلقات الدروس العليا بالشرق، فقد وُصفت الحياة الفكرية به بالتراجع أيام العثمانيين⁽¹⁾، وأوزع عبد القادر عطا ذلك إلى تحول القسطنطينية إلى عاصمة الدولة، ومركز الثقل ومحور ارتکاز في العالم الإسلامي، وبالتالي مركز النشاط العلمي والثقافي في الدولة التي تتكلم اللغة التركية⁽²⁾.

كما حَمِلَ عمار هلال العثمانيين مسؤولية إصابة العالم العربي الإسلامي بالضعف الثقافي والحضاري، مُعتبراً القرن العاشر الهجري أول مرحلة من مراحل التقهقر الذي مسَّ جميع النواحي، وفي مقدمتها العلوم وأصحابها وهي الظاهرة التي استمرت حسب رأيه طيلة العهد العثماني⁽³⁾.

والواقع أنَّ العصر كان عصر ركود في الحركة العلمية والأدبية في كل البلاد الإسلامية، وهو ما أجمله محمد بن عبد

¹ - ذهب إلى ذلك العديد من المؤرخين العرب والمستشرقين، كمحمد بن عبد الكريم الذي يرى بأنَّ الحركة العلمية والأدبية بالغرب الأقصى كانت في القمة بالنسبة إلى باقي الأقطار الإسلامية الأخرى، لأنَّه لم يخضع للعثمانيين. المقربي وكتابه *فتح الطيب*، ص: 61، أما كارل بروكلمان فقد قال بأنَّ حياة العثمانيين العلمية كانت خلوا أو نكاد من الأصالة والإبداع. *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير العلبي. بيروت: دار العلم للملائين، (ط9)، 1981. ص: 482.

² - تبنَّى عبد القادر عطا ما ذهب إليه الدكتور جمال الدين الشيال. *التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس*، ص: 62.

³ - عمار هلال، *العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية* (فيما بين القرنين التاسع والعشر الميلاديين / 3-14هـ). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995. ص، ص: 292، 293.

الكريم بقوله: إنَّ الحركة العلمية قد وقفت عجلتها، ونفذت طائفها، وأصبحت اجترار في العقائد والفقهيَّات، وتزويفاً في العبارات، وتقليداً للسابق ولو كان مخطئاً، وكفراناً للاحق ولو كان مصيباً، وساد النقل، وئيَّد العقل⁽¹⁾. فمن الطبيعي أن تتأثر حلقات الدروس بصورة مباشرةً بهذا الوضع، ولهذا يرى عبد القادر عطا بأنَّ الجمود كان "طابع هذه الدراسة، بحيث أصبح المدرسون يرددون ما قاله السابقون، ويدرسون المتون والكتب القدِّيمَة دون أن يؤلفوا أو يكتبوا كتاباً جديداً"⁽²⁾.

وهكذا فقد أجمعَت آراء هؤلاء الباحثين على اتسام الحركة العلمية والأدبية بالركود خلال العهد المدرُّوس، ولكن علينا أن نُميِّز بين نوعين من العلوم: العلوم العقلية التي أصابها تدهور كبير، واختفت معالمها في بعض المناطق، وأوشكت على ذلك في مناطق أخرى، وبين العلوم النقلية التي عرفت تراجعاً محسوساً عمياً كانت عليه في العهود السابقة، رغم أننا نجد العصر يعج بالمحدثين والفقهاء، والنحوين والأدباء، والشعراء القراء والمؤرخين، الذين تمتلئ بهم كتب التراجم والرجال المؤلفة لتلك القرون⁽³⁾. ولكن لا أحد ينكر بأنَّ هذا العصر قد أنجب العديد من العلماء الأفداد، المدرسيَّن في مختلف العلوم النقلية سِيما

¹ - محمد بن عبد الكري姆، المقرئ وكتابه نفح الطيب، ص: 78.

² - عبد القادر بن عطا، التصوف الإسلامي، ص: 63.

³ - شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله، ج 3، ص: 1653.

العلوم الإسلامية⁽¹⁾، أما التراجع الحقيقى فقد مسَّ الحياة الأدبية بالخصوص، فلم يكن هناك أدباء بارعين، وشعراء فطاحل، فضمر الشعر، بالرغم من كثرة النظماء⁽²⁾.

ومهما كان الأمر فقد قصد جهور من العلماء الجزائريين المشرق لأسباب متعددة، وفي مقدمتها الحج والمحاورة، عملاً بقول الرَّسُول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لا تُشَدُّ الرُّحَال إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدٍ: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى⁽³⁾، وقد جاور الحرم المكي عدد من العلماء الجزائريين⁽⁴⁾، بينما لم تسمع الظروف لآخرين بالمحاورة كالشيخ أَحَدُ المقرِّي الذي اكتفى باداء فريضة الحج، وبيرز ذلك لشيخه محمد بن أبي بكر الدَّلَانِي في رسالة كتبها له في أواخر ربيع الأول سنة 1041هـ، مُحِبِّاً على تسؤال قد يتadar إلى شيخه قائلاً: ولسيدي أنْ يقول ما بال فلان لا يجاور بالمدينة، ويكمel بالحلول فيها دينه؟ وما له من أرب بمصر والشام، ثم أجاب مبيناً الأسباب وهي: أَنَّه يحتاج إلى مُؤْنَةٍ كثيرة... وأنَّ الأعراب تنتهـ ما في ذلك المقام جهراً... وهناك أيضاً مانع

¹ - من الانتقادات الموجهة إلى هذا العصر في العلوم الإسلامية إغلاق باب الاجتهد واقتصر المؤلفين على الشروح والحواشي، والاختصارات والتعليقات.

² - شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج 3، ص: 1653.

³ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب الحج، باب لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد، رقم الحديث: 1397.

⁴ - من الجزائريين المجاورين بالحرم الشيخ عيسى الثعالبي الذي جاور بالحرم بين سنتي 1062هـ المحيى، خلاصة الأنثر، ج 3، ص: 241.



عظيم، وهو أنهم يعتقدون أن المغربي المجاور هناك يصعب عليه المال مطرا، ولو فرض أنه أعطاهم الألوف لما قنعوا بذلك⁽¹⁾.

وتقرن رحلة الحج بالنسبة للعلماء عادة بطلب العلم، فيؤدي العالم فريضتين في آن واحد: فريضة الدين وفريضة طلب العلم، وكان اقتصار أفراد هذه الفتة على القيام بإحدى الفريضتين تحط من قيمة الرحلة؛ ولذلك كان يجتهد كل من يرتحل لطلب العلم إلى المشرق في أن لا يعود إلى بلاده دون آداء فريضة الحج، كما يجتهد الحجاج من العلماء في أن لا يفوتوهم الاتصال بالعلماء هناك والأخذ عنهم، وكانت مكة في موسم الحج تعج بالعلماء من مختلف البلاد الإسلامية، وكانت مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي، ونفس الشيء يقال عن القاهرة التي كانت محطة رحال الحجاج المغاربة⁽²⁾.

كما كانت هناك رحلات علمية كثيرة إلى المشرق، سيما وأن أهل المغرب الإسلامي عامة كانوا ينظرون بعين الإكبار إلى كل من يأخذ عن علماءه، أو يحصل على إجازاتهم⁽³⁾، وكانت هذه الرحلات عادة ما تتجه إلى الجامع الأزهر لرسوخ المنزلة العلمية

¹ - محمد بن الطيب القادري، نشر الثاني، ج 1، ص: 301.

² - العيد مسعود، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني"، مجلة

سيرنا، ع: 1، سنة: 1979. ص: 48.

³ - أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون، ص: 40.

التي احتلها في نفوس أهل العلم الجزائريين، ولعظم المكانة التي يتبؤها خريجوه في الأوساط العلمية وغير العلمية في الجزائر⁽¹⁾. ونظراً لتردد الجزائريين على المشرق للأسباب السالفة الذكر فقد كانت صلاتهم الثقافية وثيقة بعلمائه، على الرغم من قلة وفود المشارقة على الجزائر⁽²⁾، وقد أفاد العلماء الجزائريون هناك واستفادوا، وأجازوا واستجازوا.

¹ - العيد مسعود، المرجع السابق، ص: 48.

² - دخل الجزائري مع الدولة العثمانية بعض العلماء الأحناف، الذين وفد جلهم من استنبول، فاستقروا بها، وتولوا بها المناصب الخفية العليا كالإفتاء والقضاء والخطابة ولكن ما لبثوا أن أصبحوا من الجزائريين، فتولى أبناؤهم هذه الوظائف من بعدهم، ولم تعد الدولة بحاجة إلى علماء وافقين من المشرق. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 3، ص - 197-199.

ثانياً- إجازات القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين

(١٦-١٧م):

- الإجازات العلمية المتبادلة بين احمد المقرى وعلماء

المشرق:

غادر الشيخ احمد المقرى مدينة فاس في اواخر رمضان من سنة 1027هـ / 1617 م قاصداً حج بيت الله الحرام، فركب البحر من ثغر تيطوان، وعرّجت به السفينة على مدينة الجزائر وتونس، فرسوّة وصولاً إلى الإسكندرية، فكان هذا آخر عهد له بالمغرب الإسلامي، حيث استقر بالشرق إلى أن وافته المنية سنة 1041هـ^(١).

اتخذ الشيخ احمد المقرى الحج^(٢) ذريعة لغادرة المغرب الأقصى، لما اضطربت أحواله إثر تطاحن أبناء السلطان احمد المنصور على العرش، وهو ما لم يصرّح به المقرى، ولكن يفهم مما ورد في بعض مؤلفاته أن تلك الفتنة أزعجه فاضطر إلى الهجرة، ومن ذلك قوله مُتحدثاً عن هجرته من المغرب: "إنه لما قضى الملك"

^١ - المحبي، خلاصة الأثر، ج ١، ص: 303.

^٢ - رغم أن المقرى طلب إذنا للحج من السلطان زيدان، وصرح في العديد من مؤلفاته أنه خرج من المغرب للحج، إلا أن المؤرخين المعاصرین له، والدارسين لهذه الشخصية يشيرون إلى أسباب سياسية أخرى تقف وراء رحلته، منها اتهامه بالميل إلى قبيلة شراكة ورفضه الفتوى بشأن ثغر العرائش. اليفرني، «صفوة مَنْ انتَشَر»، ورقة: 57 ظ؛ الناصري، الاستقصا، ج ٦، ص: 22.

الذي ليس لعيده في أحكامه تعقب أو رد... برحلتي من بلادي ونقلتي عن محل طاري وتلادي، بقطر المغرب الأقصى الذي تمت محسنه، لو لا أنَّ مسامرة الفتن سامت بضائع أمنه نقصاً⁽¹⁾.

حلَّ الشيخ المقرى بمصر في جادى الأولى من عام 1028هـ / 1618م⁽²⁾، ودرَسَ مدة الحديث والعقائد بالجامع الأزهر⁽³⁾، ولما اقترب موسم الحج توجه إلى الحرمين الشريفين، فأدَى الفريضة، وأقام هناك مدة، ثم عاد ثانية إلى مصر في محرم 1029هـ / 1619م فاستوطنها نهائياً، وظلَّ يتردد منها على الحرمين الشريفين، فحج خمس مرات، وزار المدينة المنورة سبع مرات، أما بيت المقدس فسافر إليه ثلاث مرات، ودمشق مرتين⁽⁴⁾، وعند عزمه على العودة إليها والاستقرار بها في المرة الثالثة وفاته الأجل⁽⁵⁾، فيكون بذلك قد قضى حوالي اثني عشر عاماً منتقلًا بين مصر والشام والحجاج.

وفي المشرق عاش المقرى حياة حافلة بالنشاط العلمي، حيث تفرغ هناك للتأليف والتدريس، فعقد دروساً بكل مكان كان محل به، فهرع إليه الأعيان والعلماء، وجلسوا للسماع القراءة عليه، وبهذا انتشرت إجازاته بين المشارقة. والحاصل أنَّ التكريم الذي

¹ - أحد المقرى، نفح الطيب، ج 1 ص: 13.

² - أحد المقرى، رحلة المقرى إلى المغرب والشرق، ص: 61.

³ - عبد الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 574.

⁴ - محمد القادري، نشر الثاني، ج 1، ص، ص: 299 - 300.

⁵ - الحبي، خلاصة الأنثر، ج 1، ص: 311.

حظي به هناك لا يقل عن ذاك الذي أحاطه به المغاربة، حتى تساوى في المتزلة مع أعلام المشرق، وهو ما ورد في قصيدة رثاء بها الشيخ المصطفى بن محب الدين الدمشقي، وساواه فيها بعلامة مصر الشهير الشيخ إبراهيم اللقاني المتوفى معه في نفس السنة، منها هذا البيت⁽¹⁾:

مضى المقرى اثر اللقاني لاحقا
إمامان ما للدهر بعدهما خلف
وقد كانت استفادة الشيخ أحمد المقرى العلمية بمصر ضئيلة،
بالنسبة إلى ما استفاده بفاس، لأنَّه أتاهَا كعالم نحريـر، فأفاد أكثر مـا
استفاد، وبيـدو ذلك جليـا في مظـهـرين:

أـ مؤلفاته العديدة التي ألفها هناك في العلوم المختلفة.
بـ تلامذته الذين جلسوا إليه وأخذوا عنه علوماً كثيرة وأجازهم فيها، وفي التفاف طلبة الأزهر حوله بمـجرد وصوله إلى مصر، دليل واضح على مقدرته العلمية التي أتـى بها من المغرب.
ومع ذلك جلس المقرى إلى حلقات بعض المشايخ بالشرق على سبيل المذاكرة وهم: الشيخ نور الدين علي بن زين العابدين الأجهوري (ت 1066هـ)، ونجم الدين محمد بن محمد العامري الغزـى (ت 1061هـ) صاحب "الكتاب السائرة في أعيان المائة العاشرة"، وعبد الرؤوف بن تاج الدين المناوي (ت 1031هـ)،

¹ - المحيـي، المـصدر نفسه، جـ1، صـ: 9.

كما كان يحضر دروس صهره الشيخ يوسف بن عبد الرزاق بن أبي العطا بن وفا (ت 1051هـ)⁽¹⁾.

وهناك إجازة علمية مطولة كتبها له الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الصديقي المالكي⁽²⁾ في مصر، مؤرخة بـ 12 ربيع الأول سنة 1029هـ / 1619م، أبدى فيها الصديقي إعجاباً كبيراً بالمقربي، وضمنها عدة أبيات في مدحه، وأشار إلى استدعائه له بالإجازة بقوله: "فطلب مني الإجازة حق المطلوب بها أن يكون طالباً، والمرغوب منه أن يكون في مثلها راغباً، فقدمت عزمي وأخرت... وقلت يا سبحان الله ما بال بحر يستفيض غديراً، وما بال بليل يستزيد من الرَّحْم هديراً، وعلمت أن شوامخ الشجر إذا مذَّت غصون أوراقها، واتصل ثمر شجرها بساقها، ليس إلا لتكريم وفادها، وتقرب من نفعها فاقصدها"، وهكذا إلى أن صرَّح بلفظ الإجازة قائلاً: "فاستخرت الله الذي لم ينجب مستخِيره... وأجزت له بما روته وأخذته، واستندت عليه واعتمدته، عن السلف العظام، والسادة الأعلام، مشايخ الإسلام، من مرويات ومسموعات، ومصنفات وجموعات، إجمالاً وتفصيلاً، فروعًا

¹ - محمد بن عبد الكريم، المقربي وكتابه نفح الطيب، ص، ص: 265، 266.

² - أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوارث المالكي (ت 1045هـ / 1635م) كان عالماً في غالب العلوم، أخذ عن أئمة عصره، وهو من شيوخ عبد الباقى الخبلي من مؤلفاته: شرح على متن التهذيب في النطق، وله عقيدة نظماً، وشرح من المawahب قطعة. المحيى، خلاصة الأثر، ج 1، ص، ص: 234-236؛ مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 291، 292.



وأصولاً، معقولاً ومنتقلاً، عموماً وخصوصاً⁽¹⁾، ثم شرع في ذكر مشايخه الذين روى عنهم، مُبتدئاً بعمدته خاله الشيخ محمد الصديقي (ت 994هـ)، مضيفاً إلى ما تقدم مصنفاته من شروح ورسائل.

وقد جَدَ المقربي في الاستغلال بالتدريس بالشرق، فكان مُدرساً بارعاً في كل فن يطرق بابه، سيما إملاء الحديث والعقائد، فدرس برواق المغاربة بالجامع الأزهر، وبالإسكندرية وثغر رشيد⁽²⁾، كما درس بالمسجد الأقصى أثناء زياراته له، وبمكة والمدينة المنورة التي درس الحديث الشريف في مسجدها، وبالجامع الأموي بدمشق.

ومن جملة تلامذته الذين درسوا عليه بمصر وأجازهم الشيوخين: عبد الباقي الحنبلي الدمشقي⁽³⁾، وعبد القادر بن غصين

¹ - أحد المقربي، رحلة المقربي إلى المغرب والشرق، ص - ص: 111 - 116.

² - رشيد مدينة قرية على البحر والنيل قرب الإسكندرية، وهي أكبر ثنور مصر وأهمها، وأقربها من استنبول، وبعد فتح العثمانيين لمصر زادت العناية بها، ووصلت إلى أوج ازدهارها العماني بما شيد فيها من مساجد، ومنازل، وقلاع، وبوابات وغيرها، وانتعشت اقتصادياً. إبراهيم عنانى، رشيد في التاريخ. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1987. ص، ص: 26، 27.

³ - عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي الأزهري الدمشقي (1005-1071هـ / 1660م): الشهير بابن البدر، ثم بابن فقيه فضة، ولد بيعلبك، وقرأ بها على والده، ثم ارتحل إلى دمشق وقرأ على مشايخها، ثم إلى مصر، وتتصدر للقراء بالجامع الأموي سنة 1041هـ، وأخذ عنه الكثير من العلماء. الحبي، خلاصة الأثر، ج 2، ص 283-285.

الغزي⁽¹⁾. فاما الأول فقد درس عليه العقائد والحديث بالأزهر وقد ذكره في ثبته قائلًا: "دخلت مصر سنة ثمانية وعشرين (1028هـ)، فوجدته في صحن الجامع الأزهر يقرأ العقائد، وله مجلس عظيم، فلم يستنكر عليه ما كان يُورِّده من الأعاجيب، لأنَّ العقائد فن أهل المغرب، فلما دخل رجب افتتح البخاري⁽²⁾.

واما الشيخ ابن غصين⁽³⁾، فقد قرأ عليه أرجوزته في العقائد المسماة "إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة"، وهو الآخر ذكر قراءاته عليه بقوله: "أنا مِمْنَ كَانَ السَّبَبُ لِشِيخٍ فِي نُظُمِّهَا، فَإِنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ صَغْرَى الشِّيخِ السُّنُوسيِّ فِي مِصْرٍ، فَسَأَلَنَا مِنْهُ نُظُمِّهَا فِي الْعَقَائِدِ، فَكَانَ كُلُّمَا قَرَأْتُ دَرْسًا نَظَمَهُ، فَيَقْرُؤُهُ غَدًا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ خَتَمَهَا"⁽⁴⁾.

هذا، وقد اشتهرت "إضاءة الدجنة" كثيراً، وهو ما جاء على لسان مؤلفها، في رسالة بعث بها إلى شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي في سنة 1041هـ: وقد كتبَ من هذه العقيدة بالحرمين واليمن، ومصر، والشام أكثر من ألفي نسخة، كَتَبَتْ خطوي على

¹ - محمد بن عبد الكريم، المقرئ وكتابه نفح الطيب، ص: 193.

² - عبد الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 574.

³ - عبد القادر بن أحمد بن يحيى، المعروف بابن غصين الغزي الشافعي (1013-1087هـ): رحل إلى مصر سنة 1033هـ وأخذ بها عن الشيخ علي الحلبي، والبرهان اللقاني، والشمس البابلي وغيرهم. وكانت له مع شيخه المقرئ علاقة وثيقة، حتى أن المقرئ توسط له عند الأمير ليبني له مدرسة عند المسجد الحرام. الحفيظ، المصدر السابق، ج 2، ص: 437؛ العياشي، الرحلة العياشية، ج 2، ص: 305.

⁴ - أبو سالم العياشي، المصدر نفسه، ج 2، ص: 306.



اكثرها، ودرستها بمكة، وبيت المقدس، ودمشق، ومصر والإسكندرية ورشيد وغزة - والله المنة - والعزم الآن على شرحها متوافر⁽¹⁾.

أجاز المقرى بشغر رشيد الشيخ أحمد بن مسعود الرشيدى نظما في ثمانية أبيات⁽²⁾، والشيخ محمد بن نور الدين الرشيدى نظما مرتين: الأولى في ثلاثة أبيات⁽³⁾، والثانية في اثنى عشرة بيتا بكل ما أخذه عن شيوخه، وبكل ما صنفه نظما ونشر، وعما ورد في الثانية قوله⁽⁴⁾:

هذا كتاب به الأسلاك تستظم
وثرقه عن علوم الشرع مبتسما
فيه أجزت الرشيدى الذي بُهرت
خلاله الأوحد الدراكة الفهم
محمد نجل نور الدين سيدنا من
ما أخذت عن شيوخي من كل
فضله في جبين العصر مرتسم
العلوم تروى وتحتفظ
ما كتبت من الأوضاع في عمري
نظمها ونشرها وبحر العجز يلتقط
ومن بين تلامذته المصريين الشيخ أحمد بن القاضي شهاب
الدين العجمي⁽⁵⁾، الذي حضر عليه بعض الدروس في المنطق

¹ - محمد القادري، نشر الثاني، ج 1، ص: 303.

² - أحمد المقرى، الرحلة، ص، ص: 68، 69.

³ - أحمد المقرى، المصدر نفسه، ص: 149.

⁴ - أحمد المقرى، المصدر نفسه، ص: 152.

⁵ - أحمد بن أحمد بن محمد المعروف بالعمجي الشافعى الوفائى المصرى (1014-1086هـ) قرأ على عدة مشايخ منهم: البرهان اللقانى، والشهاب الغنيمى، والخفاجى، والشمس البابلى. وأخذ عنه جماعة منهم: الشيخ الخيارى، وإبراهيم بن محمد الجنينى.

وفي "شرح الجلال المحلي على جمع الجواجمع، والموهاب اللدنية"⁽¹⁾ فحرر له المقرى إجازتين، الأولى في جمادى الآخرة سنة 1033هـ / 1623م، أجازه فيها بمحروياته، وبكتاب "الموهاب اللدنية" الذي قرأه عليه، فهي إجازة عامة وخاصة "بالموهاب اللدنية" وقال فيها: "أجزت. الشيخ أحمد القاضي شهاب الدين العجمي جميع ما تجوز لي وعني روایته بشرطه، فقد حضرني قطعة من شرح المحقق الجلال المحلي على جمع الجواجمع، وحضرني في المنطق وغيره" ، إلى أن قال: "وأجزته الموهاب اللدنية إذ جمعني وجملة من الأعلام بعض الدروس فيها، فليروي عنّي ذلك وغيره بشرطه، من كل ما تصح لي وعنّي روایته"⁽²⁾.

والثانية في نفس السنة أجازه فيها بهذه العبارة: "أجزت الشاب الموفق بفضل الله. الشيخ أحمد بن القاضي شهاب الدين الشهير بالعمجي - حفظ الله شبابه ويسر للخير أسبابه - بكل ما تجوز لي وعني روایته من مؤلف ومجموع، ومقرر ومجاز ومسموع، على الشرط المعتبر عند أصحاب الأثر، وقد حضرني... في عدة دروس في المنطق والأصولين"⁽³⁾.

من تأليفه: شرح ثلاثيات البخاري، ورسالة في الآثار النبوية. الحبي، خلاصة الأثر، ج ١، ص: 176.

¹ - الموهاب اللدنية بالمنع المحمدية في السيرة النبوية لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني المصري الشافعى (851-923هـ). حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 5، ص، ص: 115، 116.

² - احمد المقرى، رحلة المقرى إلى المغرب والشرق، ص: 83.

³ - احمد المقرى، المصدر نفسه، ص، ص: 89، 90.

ولما كان المقرى كثير التردد على الحرمين الشريفين - كما أسلفنا الذكر - فقد اتصل بمحاكمه⁽¹⁾ وباعيـانـ العـلـمـاءـ بـهـ، وـرـبـطـ عـلـاقـاتـ وـدـيـةـ، وـمـنـ هـؤـلـاءـ الشـيـوخـ الـذـيـنـ عـقـدـ مـعـهـمـ صـدـاقـةـ مـتـنـيـةـ الشـيـخـ عـبـدـ الرـحـمـنـ المـرـشـدـيـ⁽²⁾ مـفـتـيـ الحـنـفـيـةـ مـكـةـ، وـخـطـيبـ المسـجـدـ الـحـرـامـ، وـكـانـ هـذـاـ الـأـخـيرـ يـحـضـرـ بـعـضـ درـوـسـهـ فـيـ الحـدـيـثـ⁽³⁾، رـفـقـةـ اـبـنـهـ الشـيـخـ حـنـيفـ الدـيـنـ⁽⁴⁾.

وقد نظم المقرى في سنة 1030هـ / 1620م، إجازة مروياته في إحدى وأربعين بيـتاـ، لـلـابـنـ (ـحـنـيفـ الدـيـنـ) أـفـادـ فـيـهاـ بـأـنـهـ روـيـ بـذـكـرـهـ، وـتـبـيـهـاـ عـلـىـ عـظـمـ شـائـهـ وـقـدـرـهـ، وـمـنـذـ أـوـلـ حـجـةـ لـهـ ظـلـ المـقـرـىـ يـتـصـلـ بـهـ، وـبـخـلـفـهـ ابنـ أـخـيـهـ مـحـسـنـ بـنـ الـحـسـينـ (ـتـ 1038هـ)، وـلـهـ مـعـ هـذـاـ الـأـخـيرـ مـرـاسـلـاتـ كـثـيرـةـ، أـرـوـدـ بـعـضـهاـ المـقـرـىـ فـيـ رـحـلـةـ المـقـرـىـ، مـوـاضـعـ مـتـفـرـقـةـ مـثـلاـ: الصـفـحـاتـ 53ـ، 54ـ وـ 138ـ، 139ـ، وـ 218ـ وـ 220ـ.

¹ - كتب سلطان المغرب الغالب بأمر الله كتابا إلى شريف مكة السيد إدريس بن حسن العلي الهاشمي حمله المقرى معه، يستوصيه به خيراً. وذكر فيه بأنه كتبه للمقرى تنويهاً بذكره، وتنبيها على عظم شأنه وقدره، ومنذ أول حجة له ظل المقرى يتصل به، وبخلفه ابن أخيه محسن بن الحسين (ت 1038هـ)، وله مع هذا الأخير مراسلات كثيرة، أرود بعضها المقرى في رحلة المقرى، مواضع متفرقة مثلا: الصفحات: 53، 54 و 138، 139، و 218-220.

² - عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري الحنفي المكي (ت 1037هـ): تعاطى الفتوى على مذهب أبي حنيفة سنة 1012هـ، وبasher إمامـةـ المسـجـدـ الـحـرـامـ وـخـطـابـهـ فـيـ سنـةـ 1020هــ. المـحـيـ، خـلـاـصـةـ الـأـثـرـ، جـ2ـ، صـ: 369ـ ـ376ـ.

³ - من ذلك حضوره دروسه في صحيح البخاري في شهرى شعبان ورمضان سنة 1033هـ بطيـةـ المـشـرـفـةـ، وـكـانـ اـبـنـ حـنـيفـ الدـيـنـ قـارـئـ الـدـرـسـ، وـلـهـ مـعـ المـقـرـىـ عـدـةـ مـرـاسـلـاتـ. أـحـمـدـ المـقـرـىـ، المـصـدـرـ السـابـقـ، صـ: 87ـ وـ 241ـ.

⁴ - حنـيفـ الدـيـنـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـبـيـسـيـ (ـ1014ـ ـ1067ـهـ): مـفـتـيـ الحـنـفـيـةـ بـالـحـجـازـ، أـخـذـ عـنـ وـالـدـهـ، وـعـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ الزـمـزـيـ وـغـيـرـهـ، تـولـىـ الـخـطـابـةـ وـالـتـدـرـیـسـ بـالـمـسـجـدـ الـحـرـامـ. مـنـ مـؤـلـفـاتـهـ: شـرـحـ مـنـاسـكـ الـوـسـيـطـ. المـحـيـ، المـصـدـرـ السـابـقـ، جـ2ـ، صـ: 126ـ ـ128ـ.

الستة لما قرأ عليه بعضها⁽¹⁾، كما أجاز المقرى بمحكمة نشرا خطيب
الحرم الشيخ تاج الدين المالكي المكي⁽²⁾، مؤلفاته ومروياته بعد أن
قرأ عليه بعض المتون منها صدرًا من الموطأ⁽³⁾.

وفي إحدى زياته لكة لقي المقرى بها الفتى الدمشقي الشيخ
عبد الرحمن بن عماد الدين⁽⁴⁾، فجُبِّبَ إليه دمشق، ودعاه إلى
زيارتها⁽⁵⁾، فأجاب دعوته ودخلها لأول مرة في شعبان من سنة
1037هـ / 1627م، ثم عاد إليها للمرة الثانية في شهر رمضان
سنة 1040هـ وحصل له بها إكرام كبير في الزياراتين⁽⁶⁾.

وقد دامت زيارته الأولى لدمشق أزيد من شهرين، حيث
دخلها في شهر شعبان، وغادرها راجعاً إلى مصر في أواخر شوال

¹ - أحمد المقرى، المصدر السابق، ص، ص: 81، 82.

² - القاضي تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم بن تاج الدين بن محمد المعروف بابن
يعقوب (ت 1066هـ): أخذ عن أكابر شيوخ عصره كالعلامة عبد القادر الطبرى،
وعبد الملك العصami وغيرهم. وتتصدر للتدریس بالمسجد الحرام، وكان يمكّن من صدور
الخطباء المدرسين. من مؤلفاته: رسالة في شرح قصيدة لغفيف التلمساني. المحيى،
خلاصة الأثر، ج 1، ص - ص: 457 - 464.

³ - أحمد المقرى، الرحلة، ص: 90.

⁴ - عبد الرحمن بن محمد العمادي الدمشقي (978 - 1051هـ): مفتى الحنفية بالشام،
ولي التدریس بعدة مدارس منها: المدرسة الشبلية، ثم السلمية، ثم السليمانية. من
مؤلفاته: الروضة الريا فيمن دفن بدريها. المحيى، المصدر السابق، ج 2، ص - ص: 380 - 389.

⁵ - محمد بن عبد الكريم، المقرى وكتابه نفع الطيب، ص: 200.

⁶ - المحيى، المصدر السابق، ج 1، ص: 311؛ المقرى، الرحلة، ص: 38.



من السنة المذكورة⁽¹⁾، وفيها أقام بالمدرسة الجقمقية، ولقبت دروسه في الجامع الأموي إقبالاً كبيراً من طرف الأعيان والطلبة والعلماء، وفي ذلك يقول الحبي: "ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق، ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس"⁽²⁾ ودرس جملة من الفنون، وأملأ صحيح البخاري، بعد صلاة الصبح تحت قبة النسر⁽³⁾، ولما كثُر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع. أمّا يوم الختم وهو يوم 27 رمضان، فقد كان حافلاً جداً، إذ اجتمع فيه الآلوف من الناس، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن، وأتيَ بكرسي الوعظ، فصعد عليه وتكلم بكلام في العقائد والحديث الشريف، وترجم للبخاري. وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر، ثم ختم الدرس، ونزل عن الكرسي فازدحم الناس على تقبيل يده⁽⁴⁾.

وفي زيارته هذه أجاز المقرى عدداً من علماء دمشق، وقد تلقى تلامذته إجازاته بالقبول والرضا، وافتخروا بإحرازهم لها،

¹ - المقرى، نفح الطيب، ج 7، ص: 136.

² - الحبي، المصدر السابق، ج 1، ص: 305.

³ - قبة النسر في وسط رواقات المسجد، وهو اسم حادث أطلقه العوام لأنَّهم شبهاً بالنسور في شكله، لأنَّ الرواقات عن يمينها وشمالها كالأنجنة. عبد الله البدرى، نزهة الأنام، ص: 35.

⁴ - الحبي، خلاصة الأثر، ج 1، ص، ص: 304، 305.

كالأديب الدمشقي يحيى المحسني⁽¹⁾، الذي اعترف له في رسالته إليه بأنه تلميذه الذي لم يزل مُغترفاً من فيض علومه، معترفاً بحقه، ويؤكد الافتخار بالتلذذ عليه قائلاً: إنَّ الرَّاقِمُ لِهَذِهِ الصَّحِيفَةِ... هو تلميذكم، من تشرف بدرسكم، وافتخر بإجازتكم⁽²⁾.

ولما رأى الشيخ أحمد المقرى إقبال أهل دمشق عليه "عقد في كتابه "نفح الطيب" فصلاً يتعلق بها وبأهلها، وأورد في مدحها أشعاراً⁽³⁾، وقد تضمن هذا الفصل بعض الإستدعاءات التي تلقاها من علمائها، إلى جانب ست إجازات نظمها لبعضهم هناك، جاءت أربعة منها مؤرخة بسنة 1037هـ / 1627م، واثنتان بدون تاريخ.

فقد تقدم إليه الشيخ محمد بن يوسف الكريبي⁽⁴⁾ باستدعاه نظمي في خمسة وأربعين بيتاً، وصفه بشمس المحسن، وبالبدر

¹ - يحيى بن أبي الصفا بن أحمد المعروف بابن محسن الدمشقي (ت 1053هـ / 1643م): الحنفي الأديب. أخذ عن عبد الرحمن العمادي، ويوسف الفتحي، ولد بالمدرسة الغزالية. المحيى، المصدر السابق، ج 4، ص: 463.

² - أحمد المقرى، نفح الطيب، ج 2، ص: 453.

³ - المحيى، المصدر السابق، ج 1، ص: 304.

⁴ - محمد بن يوسف بن يوسف الكريبي الدمشقي (1008-1068هـ / 1657م): أديب قرأ على الشرف الدمشقي، وفضل الله بن عيسى، وعبد الرحمن العمادي وغيرهم، تخرج في الأدب على أبي الطيب الغزى، وأتقن اللغتين الفارسية والتركية، درس بالمدرسة العزية بدمشق، ثم سافر إلى الروم، وولي بها قضاء الركب لشامي سنة 1034هـ. المحيى، خلاصة الأثر، ج 4، ص، ص: 73، 74.

وبحر الهدى والعلم، وقطب دائرة الفضائل، وغيرها من الأوصاف، ثم قال^(١):

بعض أوصاف لذاتك قد غدت
كالبحر عذباً ما ذهلاً لم ينضب
جاءتك تسائلك القبول وحسبها
فخراً قبولك وهو جل المطلب
ترويه بالسند القوي عن النبي
تروم منك إجازة فاقت بما
فأجابه المقرىء بإجازة نظمها له في ستة وعشرين بيتاً، وبعدما
 وأشار إلى إستجازته قال^(٢):

يسأل من مثلي بها الإجازة
بشرطها عند الذي أجازه
فليرو عني ما سمعت كله
وما جمعت في الفنون جملة
على شروط قررت في الفن
مرجتياً حصول كل من

^١ - أحمد المقرىء، نفح الطيب، ج ٢، ص ٤٣٤، ٤٣٦.

^٢ - أحمد المقرىء، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٧.

ومن جملة تلامذته الذين درسوا عليه الحديث في الجامع الأموي، الأديب يحيى المحسني الذي لازمه كما يقول المحيي: "لزوم الظل للشيخ"⁽¹⁾، فأجازه المقرى بمروياته بإجازة نظمها له في أربعة وأربعين بيتاً، خصص ثمانية منها لذكر سند بعض مروياته، وفي مقدمتها صحيح البخاري، وبعد ما أشار الشيخ المقرى لاستجازة المحسني قال⁽²⁾:

وبعد ذلك استمطر الإجازة من نوء وعدى اقتضى إنجازه فليروي عني كل ما يصح لي بشرطه الذي يزين كالحلي كما إستجازه مفتى الحنفية بدمشق عبد الرحمن العمادي لأبنائه الثلاثة⁽³⁾ وهم: عماد الدين، وشهاب الدين، وإبراهيم - وهو أصغرهم وناظم الاستدعاء -، فأجازه المقرى بإجازة نظمها لهم في تسعه وسبعين بيتاً ضمنها أسانيد بعض مروياته⁽⁴⁾.

¹ - خلاصة الأن، ج 4، ص: 463

² - المقرى، نفح الطيب، ج 2، ص: 430 - 432؛ الرحلة، ص، ص: 163 . 164

³ - أبناء عبد الرحمن العمادي مفتى الحنفية الثلاثة، هم على التوالي: عماد الدين مفتى الحنفية (1004 - 1068هـ)، وشهاب الدين الشاعر (1007 - 1078هـ)، وإبراهيم الأديب (1012 - 1078هـ)، وقد حظوا بمناقب متعددة بدمشق، ودرسوا في عدة مدارس، وتولوا في بعض الأحيان قضاء الركب الشامي. المحيي، المصدر السابق: ج 1 ص: 23 - 25؛ وج 2، ص: 231 - 235؛ وج 3، ص: 203.

⁴ - المقرى، نفح الطيب ج 2، ص: 426 - 428؛ الرحلة، ص - ص: 165 - 167

وفي زيارته هذه لازمه نقيب الشام محمد بن كمال الدين الحنفي⁽¹⁾، وحضر دروسه في "شرح الهمزية لابن حجر"، وفي إضاءة الدجنة، وقرأ عليه بعضا من صحيح البخاري، ومن صحيح مسلم، ومن "الأربعين النووية"، فأجازه بسائرهن، وما تصح له عنه روايته، وكتب له بالإجازة⁽²⁾.

وحضر الأديب الدمشقي أحمد بن شاهين⁽³⁾ هو الآخر دروس المقرى بالجامع الأموي في عقيدته إضاءة الدجنة، ثم سأله أن يُجيئه فيها وفي غيرها، فنظم له إجازة في ستة وخمسين بيتا، وهي تختلف في بعض التفاصيل عن جُل إجازات المقرى، التي قدّم لها غالبا بالحديث عن فضل علم الرواية والإسناد، لأنّها تخص الحديث الشريف، أمّا هذه فقد قدم لها بالحديث عن فضل علم التوحيد (أصول الدين) لأنّها تتعلق بكتاب فيه كقوله:⁽⁴⁾.

¹ - محمد أفندي المعروف بابن حسن، محمد بن محمد بن الحسين الحنفي الدمشقي (1024-1085هـ): قرأ بدمشق على شيوخها وأجازوه. منهم: محمد بن منصور بن حب، والعلامة عبد اللطيف الجالقى، وعمر القاري. المحيى، خلاصة الأنر، ج 4، ص: 125.

² - ترجمة المجاز له (محمد أفندي) بخط ولده إبراهيم، ضمن مجموع رقم: 335، مصطلح الحديث - دار المصرية، الأوراق: 77 ظهر - 79 وجه.

³ - الأديب أحمد بن شاهين القبرصي الأصل، الدمشقي المولد (995-1053هـ): لزم الحسن البورينى، وعمر القاري، وعبد الرحمن العمادى. تولى القضاء بالركب الشامي سنة 1030هـ. المحيى، المصدر السابق، ج 1، ص - ص: 210-217؛ البغدادى، هدية العارفين، ج 1، ص: 159.

⁴ - المقرى، نفح الطيب، ج 2، ص، ص: 425، 426؛ الرحلة، ص - ص: 167-169.

وإنْ فضل علم أصول الدين هدى وخيراً جل عن تبيين
 لأنَّه أصل يعم النفع به وكل ما سواه فرع
 ثم ذكر المقرى بائه درس الكتاب المذكور بمصر ومكة
 والشام، وكان المستجيز من جملة الحاضرين دروسه فيها بدمشق،
 فأجازه بهذه الأبيات:

فليرو عنني كل ما أسمعته
 إيه بالشرط وما جمعته
 مع القصور راجيا للأجر
 من الفنون نظمها والنشر
 كهذه العقيدة السديدة والنعل ذات المدح العديدة
 كذلك ما لفقت في عمame من خص بالإسراء والإماماة
 والفقه والحديث والنحو وفي وأسرار وفق وهو بالقصد وفي
 وتلقى الشيخ أحمد المقرى استدعاء في خمسة أبيات من طرف
 الشيخ محمد المحسني⁽¹⁾ فأجازه بكل ما يرويه في ست وعشرين
 بيتاً، هذه بعض الأبيات من إجازته⁽²⁾:

¹ - محمد بن تاج الدين بن أحمد المحسني الدمشقي الحنفي (1012-1072هـ): خطيب بجامع دمشق، من بيت علم، قرأ على علماء عصره منهم: الشرف الدمشقي وعبد اللطيف الجالقى، والعمادى المفتى وعمر القاري، والنجم الغزى وغيرهم. كان خطيباً بعدة جوامع منها: الجامع الأموي، الذى كان يدرس فيه غالباً الأوقات. المحيى، المصدر السابق، ج 3، ص 408-411.

² - أحمد المقرى، نفح الطيب، ج 2، ص 438.

فليبر وعنى كلَّ ما يصحُّ
على شروط غياثها يسع
وكلَّ ما لفقت أو جمعت
نظمًا ونشرًا مثلَ ما أسمعت
وروى عنه الشيخ محمد بن علي بن عمر القاري^(١) بعضًا من
صحيح البخاري، ثم سأله الإجازة، فأجابه إلى ما طلب بإجازة
نظمية في اثنين وأربعين بيتاً، أباح له فيها رواية مروياته، منها:
صحيح البخاري، وكلَّ ما ألفه في الفنون^(٢). وهناك إجازة نثرية
كتبها المقرئ بأرض الخليل للشيخ محمود بن أحمد العمادي
الخليلي، ضمنها سبعة أبيات، مطلعها^(٣):

أجازك العبد يا من هو محمود ما قد رواه وهو معدود
وأجاز نظمًا في ستة أبيات للشيخ زين العابدين^(٤) بما يرويه
عن شيخ المغرب منظوماً ومنتوراً^(٥)، وفي سبعة أبيات لزاهد
اسمه عبد المنعم^(٦). إنَّ هاتان الإجازتان تختلفان بعض الشيء عن
الإجازات التي نظمها المقرئ لأكابر علماء مكة ودمشق لورودها

^١ - محمد بن علي بن عمر الشهير بالقاري: ولد سنة ١٠١١هـ، وقرأ على جده، وعلى
المقى فضل الله ابن عيسى البوسي، وعلى الشرف الدمشقي وغيرهم. درس بالمدرسة
الشامية الجوانية، وولي قضاء الحج سنة ١٠٥١هـ. المحيى، خلاصة الأثر، ج ٤، ص: ٤٥.
.55

^٢ - أحمد المقرئ، المصدر السابق، ج ٢، ص: ٤٤٠، ٤٤١.

^٣ - أحمد المقرئ، الرحلة، ص: ٧١.

^٤ - لم أتمكن من ترجمة الشيختين: زين العابدين وعبد المنعم لأنَّ أسمائهما غير تامة.

^٥ - أحمد المقرئ، الرحلة، ص: ٨٣.

^٦ - أحمد المقرئ، المصدر نفسه، ص: ١٧٥.

في أبيات قليلة، وتخليه عن المقدمة، حيث افتحت هما مباشرة بقوله:
"أجزت فلان".

وأخذ عنه الشيخ محمد ميرزا بن محمد، المعروف بالسروجي
الدمشقي الميداني المتوفى بمكة سنة 1088 هـ / 1677 م، فأجازه
بجميع مؤلفاته ومروياته⁽¹⁾، كما أجاز نظماً للشيخ شهاب الدين
المروانى⁽²⁾.

وقد كان الشيخ أحمد المقرى مهتماً بتسجيل أسانيد مروياته
فكتب فهرساً فيها، وذلك ما ورد عن تلميذه الشيخ عبد الباقي
الخنبلى المذكور سابقاً، الذى قال في ثبته، أنَّ المقرى أحال في
إجازته له على فهرسته⁽³⁾ المتضمنة لأسانيده⁽⁴⁾، ونجده حريصاً
على ذكر أسانيده حتى في إجازاته لتلامذته، ولا يُثنى عن ذلك إلا
عذر قاهر كمداهمة سفر أو غيره، فيعتذر للمجاز عن ذلك في
بعض الأحيان، كاعتذاره للشيخ محمد بن يوسف الكريبي
الدمشقي في إجازته له بقوله⁽⁵⁾:

¹ - الحبي، المصدر السابق، ج 4، ص، ص: 202، 203.

² - العياشي، الرحلة العياشية، ج 2، ص: 382.

³ - ذكر ناصر الدين سعيدونى في كتابه (من التراث التاريخي والجغرافي للغرب
الإسلامي، ص: 331) أنَّ للمقرى ثبت مفقود يسمى "الخنابذ" على شاكلة روضة
الأَسْ. فهل هو نفس الفهرس الذي أحال عليه المقرى في إجازته لعبد الباقي الخنبلى أم
هو فهرس آخر؟

⁴ - عبد الحبى الكتانى، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 576.

⁵ - احمد المقرى، نفح الطيب، ج 2، ص: 437.

ولي أسانيد أبي وقتي عن تفصيلها لما من الرحلة عن والعذر باد والكريم يقبل والصفح نهج يقتفيه الأنبل ومن خلال دراسة إجازات المقرى لعلماء المغرب والشرق على حد سواء نجده يُكثر من نظم إجازاته، كما نجد أغلبها عامة تشمل جميع معارفه ومؤلفاته، وقلما يحرر إجازة خاصة تتعلق بعلم أو جملة علوم معينة، وقد نال جل إجازاته أصحابها بعد القراءة والملازمة له، فاعترف لهم فيها بأنهم حصلوا على ملكة تؤهلهم لرواية العلم عنه ونقله إلى الآخرين.

- الإجازات العلمية المتبادلة بين الشيخ عيسى الثعالبي علماء

الشرق:

لقد طال شُؤم السياسة هذه المرة الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي، فاضطر إلى مغادرة الجزائر، والاستقرار بمكة المكرمة إلى أن توفي بها في سنة ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م^(١)، فدامت مدة إقامته بالشرق حوالي تسعة عشرة عاماً.

كان الشيخ عيسى الثعالبي من جلة خواص يوسف باشا، فآيده لما قامت الثورة المعروفة بشوربة ابن صخرية^(٢) بالشرق

^١ - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ١، ص: ١٦٥.

^٢ - علم مراد باي قسطنطينة بدسائس بعض الزعماء المحليين، فاستدعاهم إلى معسكره، وأعدمهم سنة ١٠٤٧ هـ / جوان ١٦٣٧ م، فكان ذلك سبباً لاندلاع ثورة عارمة عمت كل بابليك الشرق، تزعمها أبو عبد الله محمد الصخري بن أحد الشريف من شيوخ الذاوادة، فاختل النظام، وهزم مراد باي مرات، وعندما تولى يوسف باشا السلطة، زار

الجزائري، وعند وفاة الباشا المذكور أصبح خائفاً على نفسه، فلم يُعد إلى مدينة الجزائر التي استولى على الحكم فيها خصوص الباشا⁽¹⁾، وظلَّ ينتقل بين جبال زواوة، وقسنطينة، وبسكرة، ثم توجه إلى المشرق للحج سنة 1061هـ / 1652م، فأدَّى الفريضة سنة 1062هـ، وجاور بالحرم المكي سنة 1063هـ⁽²⁾.

وفي السنوات الأولى لإقامته بالشرق أكبَ الشعالي على الدرس، فأخذ عن أجلة مشايخ الحرم كالقاضي تاج الدين المالكي (ت 1066هـ)، والإمام زين العابدين الطبرى⁽³⁾، والشيخ عبد العزيز الززمي⁽⁴⁾، والشيخ علي بن الجمال المكي، فأجازوه

البaillyk بنفسه على رأس قوات معتبرة، وراسل الزعماء الدينيين، والأعيان فتمكن من إخاد هذه الثورة، ولم يعد من رحلته هذه التي استغلها لإخضاع بسكرة وضواحيها إلا عام 1642م. العنtri، فريدة منسية، ص - 36 - 38؛ ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 59.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص، ص: 53، 54.

² - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج 2، ص: 127، لم يتفق العياشي مع الحبي (خلاصة الأثر، ج 3، ص، ص: 242، 243) على الفترة التي جاور فيها الشعالي بالحرم، ودرس على مشايخه، في بينما ذكر العياشي أنها كانت في أيام مجاورته بمكة بين سنتي 1062، 1063هـ ذهب الحبي إلى أنَّ ذلك كان بعد عودته من مصر أي بعد سنة 1065هـ.

³ - علي بن عبد القادر الطبرى الحسنى المكي الشافعى (ت 1070هـ): من مؤلفاته التاريخ المسما بالأرج المسکي والتاريخ المكي. الحبي، خلاصة الأثر، ج 3، ص - ص: 161 - 166.

⁴ - عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز، الشيرازي الأصل، المكي الززمي الشافعى (997-1072هـ). الحبي، المصدر نفسه، ج 2، ص، ص: 426، 427.

برويانهم، كما أخذ على الأستاذ أحمد القشاشي⁽¹⁾، ولازم بها الحافظ محمد بن علاء الدين البابلي القاهرة الأزهري الشافعى⁽²⁾. (1077هـ).

وبعد أدائه الفريضة ومجاورته بمكة، رجع إلى مصر، ومكث بها بين سنتي 1064هـ و1065هـ / 1653م و1654م، فأخذ عن إمام المالكية بها الشيخ علي الأجهوري⁽³⁾، والشيخ شهاب الدين الخفاجي الحنفي⁽⁴⁾، والشيخ سلطان بن أحمد المزاحي⁽⁵⁾، والشيخ

¹ - أحمد بن محمد يونس المدعو عبد النبي بن أحمد البدرى (ت 1071هـ): من مؤلفاته شرح على حكم ابن عطاء. المحيى، المصدر نفسه، ج 1، ص - ص: 343 - 346.

² - أبو سالم العياشى، المصدر السابق، ج 2، ص: 128.

³ - علي بن زين العابدين بن محمد بن أبي محمد عبد الرحمن (967 - ت 1066هـ): ذكر القادري تاريخ ولادته في سنة 975هـ. نور الدين الأجهوري نسبة إلى قرية أجهور الورد بريف مصر، شيخ المالكية بعصره بالقاهرة، أخذ عن شيخ كثرين منهم محمد الرملبي، وحسن الكرخي، وأخذ عنه علماء كثرين منهم: البابلي والنور الشراملي والشهاب العجمي. من مؤلفاته: شروحه الثلاثة على مختصر خليل، وشرح على الفية ابن مالك. المحيى، المصدر السابق، ج 3، ص - ص: 157 - 160؛ القادري، نشر الثاني، ج 2، ص: 81.

⁴ - أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة، الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ): من مؤلفاته الريحانة. المحيى، المصدر نفسه، ج 1، ص - ص: 331 - 343.

⁵ - سلطان بن أحد بن سلامة بن إسماعيل، المزاحي المصري الشافعى (985 - 1075هـ)، من مؤلفاته: حاشية على شرح المنهج للقاضي زكريا في الفقه الشافعى. المحيى، خلاصة الأثر، ج 2، ص، ص: 210، 211.



أبو الحسن علي الشبراملي الشافعي⁽¹⁾ وغيرهم، فأجازوه بمروياتهم وأثنوا عليه⁽²⁾.

وأخذ الثعالبي عن الشيخ المسند البرهان الميموني الشافعي⁽³⁾، فأجازه وكتب في إجازته له بأنه "ما رأى منذ زمان من يماثله، بل من يقاربه"، وقد أبدع الشيخ عيسى الثعالبي في الاستدعاة الذي تقدم به لشيخ الشافعية بمصر محمد الشوبيري⁽⁴⁾، وأخيه أحمد⁽⁵⁾ شيخ الحنفية، فلما رأاه الكبير منها وهو الشمس محمد قال - معتذرا عن كتابة الإجازة -: "قد جاء في الحديث أن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء⁽⁶⁾، وإنني لا أحسن كتابة إجازة تناسب هذا الاستدعاة الحسن، ثم طلب من أخيه أحمد الكتابة عليه فقال:

^١ - علي بن علي أبو الضياء نور الدين الشافعي القاهري (7 أو 998 - شوال 1087هـ) : الشبراملي نسبة إلى شبراملس قرية بمصر. أخذ عن الشيخ علي الأجهوري، وأحمد بن خليل السبكي وغيرهما. من مؤلفاته: حاشية على المawahib اللدنية، وحاشية على شرح الشمائل لابن حجر. المحيى، المصدر نفسه، ج 3، ص 219-174؛ القادري، نشر الثاني، ج 2، ص 219.

^٢ - المحيى، المصدر السابق، ج 3، ص 241.

^٣ - إبراهيم بن محمد بن عيسى المصري الشافعي، الملقب ببرهان الدين الميموني (991-1079هـ) : اشتهر بالتبصر في عدة علوم، وله تصانيف كثيرة منها: حاشية على المختصر. المحيى، المصدر نفسه، ج 1، ص 45، 46.

^٤ - محمد بن أحمد الملقب بشمس الدين الخطيب الشوبيري الشافعي (977-1069هـ) : شيخ الشافعية في وقته، وكان يلقب بالشافعي الصغير. المحيى، المصدر نفسه، ج 3، ص 385، 386.

^٥ - أحد بن أحمد الشوبيري (ت 1066هـ) : كان يلقب في مصر بابي حنيفة الصغير، وكان جاماً بين الشريعة والحقيقة. المحيى، المصدر نفسه، ج 1، ص 174، 175.

^٦ - أخرجه مسلم، في باب «الأمر بإحسان الذبح...»، رقم الحديث: 1955.

أنا على مذهب الأئمّة، ثم رحل عيسى الشعالي إلى الصعيد فسمع الحديث على الشيخ علي المصري، وقرأ عليه مصنفاته في الطريقة، وفي سنة 1065هـ رجع إلى مكة⁽¹⁾.

وأخذ أيضاً على الشيخ خير الدين بن أحمد الرملي⁽²⁾، ثم استجازه فأجازه، وكان هذا الأخير "سمحًا بالإجازة، ما طلبها أحد منه ورده، بل كل من طلبها منه يجيزه إما بالكتابة، وإما باللسان حتى أنه أجاز أهل عصره"⁽³⁾. واستجاز للشعالي صاحبه الشيخ أبو سالم العياشي جملة من أكابر العلماء فأجازوه، ومن جملتهم مجيزه المذكور الشيخ الرملي، والشيخ عمر بن عبد القادر المشرفي، ويوسف بن حجازي القاسمي الجنيدى، وعبد القادر بن غصين، وعبد الله بن محمد الديري وغيرهم⁽⁴⁾، ولكنه حصل على جل إجازاته بعد كد وجد.

واجتهد الشيخ عيسى الشعالي هناك في دراسة الحديث النبوى، فأخذه روایة ودرایة، على كبار محدثي ومسندي المشرق، ولكنه لم يكتف بذلك بل "تبعد الخزائن الكبار بمصر والحجاز، فاستخرج منها غرائب المصنفات، وقيد الكثير منها، وانتقى

¹ - المحيى، المصدر السابق، ج 3، ص: 242.

² - خير بن أحمد الرملي (ت 1081هـ): شيخ الحنفية، ولد بالرملا، وقرأ بها ثم ارتحل إلى مصر. من مؤلفاته: حواش على منع الغفار، وحواش على شرح الكنز للعيبي.

المحيى، المصدر نفسه، ج 2، ص - ص: 134 - 139.

³ - المحيى، خلاصة الأنثر، ج 2، ص: 139.

⁴ - الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 502.

الثنائيات والثلاثيات، والرباعيات من الأحاديث، وما فوق ذلك من العشاريات من كثير من المصنفات والجواجم والمساند والأجزاء⁽¹⁾، وألف عدد من الفهارس⁽²⁾، أهمها "كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقت المسموع"⁽³⁾ الذي رتبه على أسماء شيوخه، يبدأ أولاً بالتعريف بالشيخ، وذكر مؤلفاته ومقرؤاته، وأسماء شيوخه حتى يستوفي جميع ذلك، ثم يذكر مقرؤاته هو عليه، وما قرأه عليه من المؤلفات، ثم يذكر سند شيخه إلى ذلك المؤلف...⁽⁴⁾.

ورغم اشتهره بالتأخر في الحديث الشريف، فقد كان ملماً بالعلوم الأخرى، وهذا ما ذكره العياشي قائلاً بأنه كان: كامل

¹ - الرحلة العياشية، ج 2، ص: 132. لم يكن العياشي من المواظبين على الحديث وهو في الجزائر، ولكنه اجتهد في أخذه بالشرق، ولهذا قال العياشي بأنه تجددت له رغبة في خدمته هناك بعد أن كان فيه قبل من الزاهدين.

² - له فهرسة مسمة "منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد، جمعها في أسانيد شيخه البابلي المصري، ولما وقف عليها قال: جزاء الله عنا خيراً، قد عرفنا بأسانيدنا التي كنا لا نعرفها". وalf له تلميذه العياشي في عمدة الآثار ثبتا سماه "مقاليد الأسانيد في أسانيد عيسى العالى". عبد الحفيظ الكتاني، المرجع السابق، ج 2، ص: 805، 605.

³ - استغرق الجزء الذي تملكه الكتاني من هذا الفهرس تراجم لسبعة من شيوخ العالى وهم: علي بن عبد الواحد الانصاري، وعبد الكريم الفكون، وسعيد قدورة، وعمد بن عبد الفتاح الطهطاني القاهري، وعلى الأجهوري والشيخ تاج الدين المالكي، وأبو القاسم بن جمال الدين المسراتي. عبد الحفيظ الكتاني، المرجع نفسه، ج 1، ص: 501.

⁴ - العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص: 133.



الأدوات من نحو وتصريف، ومنطق وكلام، وبيان وأصول⁽¹⁾ ولهذا شهدت حلقاته إقبالاً كبيراً من طرف أهل الحرم، وذلك ما شاهده العياشي⁽²⁾ عند حضوره لختم "الشفاء" للقاضي عياض وقال بائه كان: "يحضر مجلسه فيه غالب النجاء من متوفقي أهل مكة، وكان يوم ختمه يوماً مشهوداً حضره أكابر الفقهاء، وأدبرت فيه كؤوس الأشربة الحلوة...".⁽³⁾

وقد تخرج على الشيخ عيسى الثعالبي عدد كبير من العلماء وانتفع به جماعة من الأعلام منهم: الأستاذ إبراهيم بن حسن الكوراني، وأحمد بن محمد النخلي، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان، والشيخ عبد الله العباسi⁽⁴⁾، ولا تذكر المصادر إلا القليل من أجازهم كالشيخ محمد الشلي الحضرمي⁽⁵⁾ الذي لازمه بمكة، وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وسورة الصف، ومسند الصحابة، وألبسه الخرقة، ولقبه الذكر، كما أخذ عنه الحديث الشريف، والتفسير

¹ - العياشي، رحلة العياشي، ج 2، ص: 128.

² - نفس الشيء ذهب إليه المحي في قوله: وكان للناس فيه اعتقاد عظيم: خلاصة الأثر، ج 3، ص: 242.

³ - العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص: 176.

⁴ - المحي، المصدر السابق، ج 3، ص: 242.

⁵ - محمد بن أبي بكر بن أحمد الشلي الحضرمي نزيل مكة (1030-1093هـ): الملقب بجمال الدين، أخذ عن جماعة بيته والهند، ثم رحل إلى الحرمين، وأخذ = عن مشايخه مثل القشاشي، وعبد العزيز الززمي. من مؤلفاته كتاب تاريخ مسمى بنفائس الدرر. المحي، المصدر نفسه، ج 3، ص - ص: 336 - 338.

والمعاني، والبيان والبديع، والنحو والصرف، واللغة والمنطق، وأصول الدين، وروى عنه الفقه بالإجازة، وأجازه الشعالي جميع مروياته⁽¹⁾.

وقد لازمه الشيخ الحسن بن علي الغجيمي⁽²⁾، فسمع منه الكثير، وروى عنه غالب مروياته⁽³⁾ منها الأربعين الإدريسية⁽⁴⁾ التي أجازه بها عن الشيخ صفي الدين القشاشي⁽⁵⁾، وأجاز الشعالي أيضاً الشيخ محمد أمين المحي⁽⁶⁾ صاحب "خلاصة الأثر" والشيخ إبراهيم بن حامد القاكي بحديث الرحمة المسلسل بالأولية والضيافة، المصافحة والمشابكة وتلقين الذكر وغير ذلك⁽⁷⁾.

¹ - المحي، المصدر السابق، ج 3، ص: 337.

² - أبو علي حسن بن علي بن يحيى بن عمر الغجيمي المكي الحنفي (ت 1113هـ): لازم القشاشي وأخذ عنه، واعتنى بعلم رواية الحديث. القادری، نشر الثاني، ج 3، ص، ص: 136، 137.

³ - القادری، المصدر نفسه، ج 3، ص: 137.

⁴ - مطلع الإدريسية "سبحانك لا إله إلا أنت يا رب كل شيء" وسميت كذلك لما ورد أن إدريس عليه السلام دعا الله بها فرفعه مكاناً علينا. عبد القادر بن المختار الخطابي، «الكوكب الثاقب»، ورقة: 54 ظ.

⁵ - عبد القادر بن المختار الخطابي، المصدر نفسه، ورقة: 53 ظ، 54 و.

⁶ - محمد أمين بن فضل الله بن عحب الله الدمشقي الحنفي (1061-1111هـ / 1699م): من شيوخه إبراهيم الفتال، وعبد الغني النابلسي، ومحمد الروداني. برع في صناعة الإنشاء، ودرس بمدارس دمشق وتولى مصر نيابة القضاء. من مؤلفاته: خلاصة الأثر، ونفحة الريحانة. المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص، ص: 101، 102؛ صلاح الدين منجد، المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني وأثارهم المخطوط. بيروت: دار الكتاب الجديد، (ط1)، 1964. ص: 57.

⁷ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص، ص: 56، 57.



وقد لازمه الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري⁽¹⁾، وأخذ عنه كثيرا، فاستجاز له الشعالي كل من لقي من كبار العلماء الموجودين بالقاهرة، أثناء زيارته لها في سنة 1066هـ⁽²⁾، ويغلب على الظن أنه قد أجازه هو الآخر، لأنّه كان من الملزمين له، وطلب الإجازة له دليل على أنه كان يرى فيه كفاءة لذلك.

وهناك إجازة كتبها الشيخ عيسى الشعالي في سنة 1075هـ/1664م للشيخ محمد بن محمد العيثاوي الدمشقي⁽³⁾، نكتفي هنا بأهم ما ورد فيها وهو: "أجزت الأخ في الله سيدى الشيخ محمد المذكور جميع ما أرويه من الصحاح المست التي هي أصول الإسلام، ومناط غالب الأحكام، وساير الجواجم والمساند، والمعاجم والمشيخات، والأجزاء الأربعينيات، وجميع التصانيف فيسائر الفنون منقوتها ومعقوتها، وفروعها وأصولها، مما للعبد به اتصال، وله فيه تفصيل أو إجمال إجازة عامة مطلقة تامة، بشرطها المحرر، وضابطها المقرر، عند أئمة الأثر، وجهابذة النظر. وكذلك

¹ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن موسى الخياري المدني الشافعي (ت 1037هـ): خطب بالمسجد النبوى، ودرس بعدد من المدارس، وله تأليف عديدة. المحيى، خلاصة الأثر، ج 1، ص - 25 - 28.

² - المحيى، المصدر نفسه، ج 1، ص: 25؛ عبد الحمى الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 808.

³ - محمد بن محمد بن أحد العيثاوي الدمشقي الشافعي (ت 1080هـ / 1669م): كان علامة في جميع العلوم، أخذ عن شيوخ كثرين منهم: عبد الرحمن العمادى، ورمضان العكارى، درس في الجامع الأموي. المحيى، المصدر السابق، ج 4، ص، ص: 201، 202.

أجزت لأولاد سيدي محمد المذكور، وأهله وأقاربه، وأهل مجلسه
جميع من ذكر على الوصف الذي سُطر⁽¹⁾.

- الإجازات العلمية المتبادلة بين يحيى الشاوي وعلماء

المشرق:

رحل الشيخ يحيى الشاوي من الجزائر في سنة 1074هـ / 1663م، قاصداً بيت الله الحرام، فآدى الفريضة، ولكنه لم يعد إليها، بل استوطن القاهرة في نفس السنة، ومنذ ذلك التاريخ أخذ يكرر السفر منها إلى الحرمين الشريفين، وببلاد الروم، والشام، فيكون بذلك قد قضى اثنتين وعشرين سنة بالشرق، حتى وافته المنية هناك في سنة 1096هـ / 1684م⁽²⁾.

أما عن أسباب هجرته من الجزائر فيحيط بها غموض كبير، لعدم تطرق المصادر إليها بشكل واضح، حيث ذهب العياشي إلى أنه كان راجعاً إلى بلده رفقة ركب الحج الجزائري، ثم تختلف عنه في مصر، لأنَّه استهول المشي في البر، واختار ركوب البحر، ثم غير رأيه ومكث بالقاهرة، وعبر عن ذلك بعبارة غامضة: "وكان ذلك لأمر أراده الله به"⁽³⁾. أما خصمه الشيخ محمد بن رسول البرزخي نزيل المدينة، فقد اتهمه في كتابه "العقاب الهاوي" بأنه

¹ - الإجازة ضمن مجموع رقم: 335 - مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية.
الأوراق: 29 وجه- 31 ظهر؛ وينظر أيضاً الفصل الرابع.

² - المحيى، خلاصة الأثر، ج 4، ص - ص: 486 - 488.

³ - الرحلة العياشية، ج 2، ص: 368.



ارتكب في الجزائر ما أوجب إخراجه منها⁽¹⁾، فلعله يقصد بذلك تورطه في المشاكل السياسية كشيخه الشعالي⁽²⁾، ولكن لا يُستبعد أن يكون طموحه الكبير، ونهمه العلمي الدافع لهجرته، إذ لم ثرو ظماء منابع العلم في الجزائر⁽³⁾.

ومهما كانت أسباب هجرته فقد حاز الشاوي في المشرق على تقدير العلماء، وأصحاب السلطان في كل البلاد التي دخلها خصوصاً بلاد الروم - دار الخلافة⁽⁴⁾ ومصر التي تولى بها قضاء المالكية مرتين، وإمارة ركب الحج المغربي، حيث حج بالركب مرتين⁽⁵⁾. أمّا ما ذهب إليه مقديش من أنَّ السلطان العثماني ولاه بطلب منه "مشيخة الجامع الأزهر فكان كذلك إلى وفاته"⁽⁶⁾، فهو

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 135.

² - للغموض الذي يحيط بهجرته لم يستطع أبو القاسم سعد الله إيعاز سبب هجرته إلى عامل سياسي، مع أنه قال بأنه هاجر إليه بعدما جرب الحياة السياسية، فاتخذ الحج طريقاً للهجرة واستقر بمصر، هذا وكان الشاوي بالجزائر عندما قامت ثورة ابن صخري في شرقها، التي قاومها يوسف باشا، وقد جعلت هذه الثورة العلماء يقفون في أغلب الأحوال مع السلطة العثمانية.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص: 104 - 106.

⁴ - دخل الشاوي القسطنطينية مرتين على الأقل، فأكرمه في المرة الأولى شيخ الإسلام يحيى المنقاري، والصدر الأعظم "الوزير الأول" وحضر مجلس درس السلطان، وفي المرة الثانية أنزله مصطفى باشا صاحب السلطان في داره. المحبي، خلاصة الأثر، ج 4، ص:

487

⁵ - العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص: 368.

⁶ - نزهة الأنوار في عجائب التواریخ والأخبار، ج 2، ص: 383.

قول مردود من وجوه عدة⁽¹⁾ منها: اشتراط المذهب الشافعى فيمن يتولى مشيخته⁽²⁾، بالإضافة إلى انفراد مقديش بهذه الرواية⁽³⁾.

وليس مستغربا ما ناله الشاوي من الحظوة هناك، لما اتصف به من علم وذكاء، فقد وصف بأنه كان: بارعا في الأصول والفروع، وبأنه كان سريع الجواب، حاد الذهن والفطنة، يسلك من كل باب أراده⁽⁴⁾، وكان يحيى الشاوي مواظبا على التعلم والتعليم⁽⁵⁾ أينما حل⁽⁶⁾.

أما مشواره العلمي بالشرق فبدأ منذ عودته إلى القاهرة، بعد حججه سنة 1074هـ / 1663م، حيث روى عن علمائها كالشيخ سلطان المزاحي، والشمس البابلي، والشيخ النور الشبراملي وأجازوه بمرورياتهم⁽⁷⁾، وظل الشاوي حريصا على تلقي إجازات

¹ - ومنها اختيار شيخ الأزهر من بين مدرسي المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعى، والتي كان التدريس بها مشروطا لأعلم علماء الشافعية. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامى، ج 5، ص: 347.

² - المحيى، المصدر السابق، ج 4، ص: 40.

³ - اعتبر الكتานى هذه الرواية غريبة لأنفراد مقديش بها. فهرس الفهارس، ج 2 ص: 1134.

⁴ - محمود مقديش، المصدر السابق، ج 2، ص: 381.

⁵ - العياشى، الرحلة العياشية، ج 2، ص: 368.

⁶ - ذكر مقديش أنه أخذ معه تلامذته في إحدى رحلاته من مصر إلى القسطنطينية، ولم يفارق في طريقه الدروس إلى أن بلغها، فإن صحت هذه الرواية يكون الشاوي مواظبا على التعليم حتى في أسفاره. المصدر السابق، ج 2، ص: 381.

⁷ - المحيى، خلاصة الأنثر، ج 4، ص: 486.



كبار العلماء، ففي إحدى زيارته إلى بلاد الروم⁽¹⁾ اتصل بالشيخ خير الدين الرملي فأخذ عنه وأجازه، وقد ذكر صاحب "خلاصة الأثر" أنه "آخر من أجازه"⁽²⁾، ف تكون إجازته له حوالي سنة 1081هـ وهي سنة وفاة الشيخ الرملي.

وأول ما نزل بالقاهرة تصدر الشاوي للتدريس بالأزهر، واستمر على القراءة مدة قرأ فيها "ختصر خليل" في الفقه، وشرح الألفية للمرادي، وعقائد السنوسي وشرحها، وجمل الخونجي لابن عرفة في المنطق⁽³⁾، وبعد مدة ولّي بمصر التدريس في المدرسة الأشرفية والسلامية والصرغتمشية⁽⁴⁾.

ويظهر أنه قد فقد في السنوات الأخيرة من إقامته بالشرق الحظوة التي نالها به، حيث انقلب عليه أهل مصر فرفعت عنه وظائفه، ومن جملتها التدريس، وذلك حوالي سنة 1090هـ⁽⁵⁾، كما انقلب عليه رجال الدولة الذين قريبوه أوّل الأمر، وذلك

¹ - يغلب على الظن أنها زيارته الأولى إلى الروم التي زارها مرتين، ولكن لا أدري متى كانت بالضبط.

² - المحبي، ج 2، ص: 138.

³ - الخونجي محمد بن ناماورو، ويقال ما ماء ورد بن عبد الملك أفضل الدين أبو عبد الله الشافعي (ت 646هـ). البغدادي، هدية العارفين، ج 2، ص: 123.

⁴ - المحبي، المصدر السابق، ج 4، ص، ص: 486، 487.

⁵ - صلاح الدين المنجد، صفحات في تاريخ دمشق في القرن الحادى عشر - مستخرجة من كنائس اسماعيل المحسنى، ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ماي - نوفمبر 1960 مج: 6، ص: 91.

لأسباب غامضة⁽¹⁾ يمكن أن نجملها في اكتسابه عداء بعض علماء المشرق، لأخذه وظائف بعض علماء مصر أثناء إقامته بها⁽²⁾، بالإضافة إلى التدريس مكان بعضهم دون إذن منهم في البلاد التي كان يزورها⁽³⁾، ودخوله في مهارات مع بعض علماء الصوفية⁽⁴⁾. وقد أخذ عليه عدد كبير من علماء المشرق⁽⁵⁾، فانتشرت إجازاته بينهم، ومن تلامذته الذين أجازهم: إبراهيم بن محمد الدمشقي (ت 1120هـ)، وأبو المواهب ابن عبد الباقي الخنبلـي

¹ - منها أنه لم يصل أثناء رحلته إلى الروم سنة 1089هـ، إلى من تتلمذ عليه، ولا إلى من أكرمه، كاته لم يجتمع بأحد منهم من قبل. صلاح الدين المنجد، المرجع نفسه، ص: 91.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص، ص: 135، 136.

³ - ذكر المدرس بالجامع الأموي الشيخ إسماعيل المخاسني بأن الشاوي درس مكانه أثناء زيارته للشام، ولم يراع خاطره. صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص: 91.

⁴ - كان الشاوي يدافع عن أهل السنة، ويتفقى من شأن المتصوفة وعلماء الباطن، من ذلك أنه وضع رسالة سماها "النبل الرقيق في حلقوم الساب الزنديق"، رد بها على رسائل تضمنت آراء معاصره نور الدين الكوراني نزيل المدينة، متهمًا إياه باتباع آراء المعتزلة، والقول بالاتحاد واستئصال الرسل، ولذلك حكم بكافرته وأوجب قتلـه، فتصدى محمد بن رسول البرزخي نزيل المدينة للرد عليه بلسان الكوراني، وسمى رده "العقاب الهاوي على الثعلب العاوي والنثاب الكاوي للأعشى الغاوي والشهاب للأحول الشاوي"، اتهم فيه الشاوي بعدة اتهامات لا تليق بالعلماء = المجلين، منها أنه أغتر بعدهما لقمي إكراـم رجال الدولة أثناء زيارته لاستنبول، وأخذ في منازعة الأولياء وتکفیرهم، ونفى التصوف عن بعضهم، وبأن رجال الدولة الذين قربوه أول الأمر انقلبوا عليه، كما انقلب عليه أهل مصر، فرفعوا عنه وظائفـه. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص، ص: 135، 136.

⁵ - في ترجمـات الكتب المشرقة عدد كبير من العلماء الذين درسوا على الشاوي، وبالأخص كتاب سلك الدرر للمرادي.

الدمشقي (ت 1126هـ)، وإلياس بن إبراهيم الكردي نزيل دمشق (ت 1138هـ)⁽¹⁾، والشيخ محمد الكفيري بن زين الدين عمر (ت 1130هـ)⁽²⁾، والشيخ محمد العمادي بن إبراهيم بن عبد الرحمن الدمشقي (ت 1135هـ)⁽³⁾.

ولما مرَّ الشيخ يحيى الشاوي بالرملة في أثناء رحلته إلى الروم، اتصل بابن أخت شيخ الإسلام خير الدين الرملي السالف الذكر، متفق الحنفية بها الشيخ محمد بن تاج الدين الرملي⁽⁴⁾، فسمع منه هذا الأخير الحديث المسلسل بالأولية، وقرأ عليه طرفاً من "الكشاف" وغيره، فأجازه بمحروياته، ومن إجازة الشاوي له ولولده⁽⁵⁾:

أجزت أخانا الفاضل العلم الذي تسْمَى بهن في الناس في الخسر يُشفع
ونجلاً له والله يُنْجح قصده أبا للهـى والشخص بالاسم يرفع
وقال بما يحيى ونجلـ محمد ومن مـعـرب الأوطـان والله يـنـفع

¹ - محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ورد ذلك في تراجمهم.
مواضع متفرقة على التوالي: ج 1، ص، ص: 26، 70، 266.

² - إجازة الشاوي لمحمد زين الدين الكفيري بدار الكتب المصرية، مصطلح الحديث،
مجموع: رقم: 313، وهي بخط المـجيـز نفسه.

³ - المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص، ص، ص: 33، 57.

⁴ - محمد بن تاج الدين بن محمد الحنفي، المقدسي الأصل، الرملي المولد والنشأة (ت 1097هـ): قرأ على كبار مشايخ الإسلام، منهم الشيخ سلطان المازحي المصري، والنور الشبرامليسي. المـجيـز، خلاصة الأثر، ج 3، صـ 411 - 413.

⁵ - المـجيـز، المصدر نفسه، ج 3، ص: 412.

وأجاز الشاوي أيضاً لتقي الدين الحصيني⁽¹⁾ بالإجازة التي منحه إياها شيخه محمد السعدي البهلواني، في الموطأ وصحيحي البخاري ومسلم، والشفاء، بحيث وُجدَ أسفل إجازة شيخه المذكور له بخطه ما صورته، بعد الحمدلة والتصلية: أجزت الفقيه النبي السيد تقي الدين الحصيني في هذه الكتب الأربع وغيرها بهذه الأسانيد وبغيرها. قال ذلك كاتبه يحيى الشاوي المغربي - لطف الله به -⁽²⁾.

وأخذ عنه الشيخ أحمد بن محمد النخلاني النقشبendi⁽³⁾ وترجم له في فهرسه وعظم شأنه، وذكر أنه أجازه بجميع مروياته ومؤلفاته، قال منها: "الترجيع في بيان ما للبخاري من التصحح وحواشيه التسهيل، والألفية، وفيما له في علم الكلام، وفي إعراب الكلمة المشرفة"⁽⁴⁾.

¹ - تقي الدين بن محمد شمس الدين بن محمد بن عبد الدين الحصيني الحسيني الشافعي الدمشقي (1053-1129هـ): نشأ بدمشق وأخذ العلم عن جماعة منهم: عبد القادر الصفوري، وعبد الباقى الحنبلي، ومحمد بن علي بن سعد الدين المكتب. درس، وتولى مشيخة زاوية أسرته سنة 1098هـ. له مجامع في الأنساب والتاريخ. المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص: 7؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله، ج 3، ص: 1677.

² - ضمن مجموع رقم: 335 - مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية، ورقة: 17 وجه.

³ - أحمد بن محمد بن أحمد بن علي المكي، الشهير بالنخلاني (1044-1130هـ). المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص: 170.

⁴ - الكتани، فهرس الفهارس، ج 2، ص، ص: 1133، 1134.



وصادف دخول الشيخ يحيى الشاوي إلى بلاد الروم في المرة الثانية⁽¹⁾ وجود جماعة من علماء دمشق بها، فالتمسوا منه القراءة فاذن لهم في ذلك، وشرعوا في القراءة عليه وهم: محمد أمين المحيي صاحب "الخلاصة"، والشيخ أبو الإسعاد بن أيوب⁽²⁾، وزين العابدين البصري، وعبد الرحمن المجلد⁽³⁾، والسيد أبو الموهب سبط العربي الحلبي، فقرؤوا عليه: سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام، وختصر المعاني مع حاشية الحفيد والخطائي، وبعض شرح الدواني على العقائد العضدية، فأجاز الشاوي الجميع بإجازات نظمها لهم⁽⁴⁾.

وقد احتفظ المحيي بنص إجازة الشاوي له، وهي في خمسة عشر بيتاً، تتضمن إجازته بإقرائه متن صحيحي البخاري ومسلم، والموطأ، وأجازه جميع ما يصح له من أمور الشرع، وفي علم

¹ - يغلب على الظن أن تكون زيارته الثانية، لأنَّه أجاز عبد الرحمن الشامي سنة 1090هـ وقد سبق له دخولها سنة 1081هـ.

² - أبو الإسعاد بن أيوب الخلotti الدمشقي نزيل القسطنطينية، ولد بدمشق سنة 1053هـ وقرأ بها وارتحل إلى الروم، واستقر بها ودرس بعدة مدارس بها، ولاشتغاله بالطلب صار في مرستان أبي الفتح السلطان محمد خان في القسطنطينية رئيساً للأطباء. المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص، ص: 54، 55.

³ - عبد الرحمن بن حمي الدين السليمي الدمشقي الحنفي، المعروف بالمجلد (1030-1140هـ): العالم النحوي، اشتغل بطلب العلم في دمشق فقرأ على أعلام دمشق منهم: محمد الكردي وعبد الباقى الخنبلى وغيرهم، ودرس بالجامع الأموي. المرادي، المصدر نفسه، ج 2، ص، ص: 329، 330.

⁴ - محمد بن خليل المرادي، المصدر نفسه، ج 2، ص: 118.

الكلام، وختم الإجازة بانتقاده المتكلمين الذين ينفون صفات الله
ومطلعها⁽¹⁾:

أجذت الإمام اللوذعي المعبرا
سليل حب الدين بيت هداية
يأقرانه متن البخاري الذي به
موطأ شفاء والشفاء لمسلم
وبافي رجال النقل حقاً مبينا
أجذت المسمي في الشرع كله كما تصح لي فأترك مراه تكدرنا
وهناك إجازة نظمية في خمسة عشر بيتاً، نظمها الشيخ المحبي
الشاوي للشيخ عبد الرحمن الشامي في سنة 1090هـ / 1679م،
وهذه أبياتها الأولى⁽²⁾:

أجذت الذي اللوذعي المعظما
بخاري موطى مسلم وشفينا
وأصل لفقه والحديث وكل ما
لأن كان أهلاً للإجازة حيثما
فيما عابد الرحمن خذها مدنية
وحبلك مِنْا وصله واتصاله
أجزتك يا شامي الديار بغربة
وكل غريب من غريب تعظما

¹ - المحبي، خلاصة الأثر، ج 4، ص: 487، ونصها كاملاً في الفصل الرابع.

² - الإجازة ضمن مجموع رقم: 335- مصطلح الحديث، بدار الكتب المصرية، ورقة: 27 ظ.



تنطق بنحو جالسا ومحدثا وفسر بفقه الدين والدين عظما وتتجدر الإشارة إلى أنَّ الشيخ يحيى الشاوي لم يورد اسمه كاملاً في هذه الإجازة⁽¹⁾، واقتصر ذكره في صدر البيت الثالث عشر بقوله: "مجيزكم يحيى"، ولم يرد في المجموع الذي توجد الإجازة ضمنه ذكراً لاسم المجيز، وإنما هناك عدة أمور تقودنا لنسبتها إليه هي:

- أ- خط المجيز: حيث وُجد أسلف إجازة الشاوي لتقي الدين الحصيني المشار إليها سابقاً عبارة «هذا خط العلامة يحيى الشاوي»، وهو نفس الخط الذي كتبت به الإجازة التي نحن بصدده الحديث عنها.
- ب- التشابه الكبير بين هذه الإجازة وإجازته للمحيي المذكورة سابقاً: بحيث قدمهما بمحملة نثيرة في جملتين مسجوعتين، كما كانت الافتتاحية متقاربة وهي: "أجزت...اللوذعي" وكلاهما مقفاة، وتقعان في خمسة عشر بيتاً، كما تنتهيان إلى البحر الطويل بالإضافة إلى تكرار عبارة «وصل وسلم بكرة وعشية»، وهي صدر البيت الرابع عشر في هذه الإجازة، وصدر البيت الخامس عشر في إجازته للمحيي.

إنَّ هذا التشابه الكبير بين الإجازتين يدل على أنهما كتبتا في فترات متقاربة، ولعله يقودنا أيضاً للتعرف على المجاز له، فقد

¹ - لم يذكر الشاوي اسمه مطلقاً في إجازته للمحيي، ولكن لم يكن هناك إشكال لتقديم المحيي لها على أنها إجازته له.

أجاز الشاوي نظما للطلبة الشاميين الذين حضروا مجلسه رفقه المحيي في بلاد الروم، ويسمى أحدهم عبد الرحمن المجلد، ويغلب على الظن أنه المقصود بالإجازة لاعتبارين:

أ- قول الشاوي في البيت السابع بأنه أجازه بغرابة بالنسبة لهما (المجيز والمجاز له)، ومن المعلوم أنه قد أجاز لعبد الرحمن المجلد الدمشقي في الروم.

ب- هذه الإجازة مؤرخة في سنة 1090هـ وإن لم يذكر تاريخ إجازته للمحيي، فقد رحل الشاوي لإسطنبول سنة 1089هـ، ولعله لم يعد منها حتى السنة الموالية.

هذا، وقد زار الشيخ يحيى الشاوي الشام عدة مرات، من ذلك نزوله بها في غرة ربيع الآخر سنة 1089هـ أثناء توجهه إلى حضرة السلطان، ومجادرته لها في يوم 18 من نفس الشهر⁽¹⁾ واجتمع في هذه المرة "علماؤها وشهدوا له بالفضل التام، وتلقوه بما يحب، ومدحه شعراً عنها، واستجاز منه نيلؤها"⁽²⁾، فكان يعقد دروساً في "الألفية" بكرة النهار في منزله، وعقد دروساً أيضاً في الجامع الأموي، وألقى دروساً بعد الظهر في "الحكم"، ودروسًا بعد العصر في "التسهيل"، ودروسًا بعد المغرب في "عقيدة السنوسي"

¹ - صلاح الدين المنجد، صفحات في تاريخ دمشق، ص: 91.

² - المحيي، خلاصة الأثر، ج 4، ص: 487.



وكان من جملة الحاضرين لدروسه صالح وسليمان⁽¹⁾، ولدا الشيخ إسماعيل المحسني⁽²⁾، فقرءا عليه أوائل متن "التوضيح"، وأول الجامع الصحيح للبخاري، وأجازهما بمرورياته، وبالمصادفة المتصلة بالنبي - صلى الله عليه وسلم -⁽³⁾.

- إجازات بعض علماء المشرق للشيخ محمد بن عبد المؤمن

الجزائري:

من العلماء الجزائريين الذين تشع المصادر حولهم، الشيخ أبو عبد الله محمد ابن عبد المؤمن الحسني، فكان من ذلك أئم نتمكن من الوقوف على حقيقة رحلته إلى المشرق، إن كانت رحلة علمية أو رحلة حجازية، اغتنمتها للأخذ عن مشايخه، وفي كل الأحوال لم تكن هجرته إليه نهاية.

وقد تلقى به إجازتين من كبار علمائه، الأولى منحها له العالم المدرس بالحرم الشيخ أبو العباس أحمد بن تاج الدين⁽⁴⁾، عن جمال

¹ - سليمان بن إسماعيل المحسني الدمشقي (ت 1135هـ): تولى التدريس بالجامع الأموي سنة 1125هـ، وكان يدرس بالمدرسة السليمية، والصالحة. المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص، 246، 247.

² - إسماعيل بن تاج الدين بن أحمد المعروف بالمحاسني (1020-1102هـ): الدمشقي الحنفي خطيب الجامع الأموي والمدرس به، ودرس أيضاً بالمدرسة الجوهرية وبالسليمية. المرادي، المصدر نفسه، ج 1، ص، 246، 247.

³ - صلاح الدين المنجد، "صفحات في تاريخ دمشق"، ص: 91.

⁴ - أبو العباس أحمد بن تاج الدين المكي: أخذ العلم عن أبيه، وعمن أدركه من مشايخ الحرم كالشيخ خالد ابن أحمد المالكي، وكان ملازماً للشيخ عيسى الثعالبي، تهر في علم

الدين محمد بن علان الصديقي الشافعي، عن محمد بن أحمد الرملي، عن الشيخ زكريا، عن ابن حجر بسنده المتصل، وطرقه المعروفة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -⁽¹⁾.

والثانية منحها له بمصر أحد أبرز المدرسين بالجامع الأزهر الشيخ أبو الحسن علي الشبراملي الشافعي في سنة 1083هـ / 72-1673م، كان قد حضر مجلسه، وقرأ عليه جزءاً من صحيح البخاري، قراءة أجاد فيها، ثم التمس منه أن يحييه برواية ما رواه عنه، وبما قرأه عليه وسمعه منه، فأجابه إلى ذلك، وحرر له إجازة نثرية قدمها بالحديث عن فضل العلم، فمن جملة ما ورد فيها بأنَّ العلم: "أشرف شيء يتحلى به الإنسان، وأكمل وصف يتكمel به الأعيان"، ثم أتى ببعض الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية في فضله، لينتقل إلى الحديث عن أهمية علم الحديث الشريف، مبيناً فضائل الإسناد، مدعِّماً رأيه بأقوال بعض أعلام الأمة الإسلامية.

أما العبارة التي أجازه فيها فهي: "جزته برواية ذلك"⁽²⁾، وبرواية ما تخلل لي روایته من صحيح الإمام البخاري، ومن صحيح الإمام مسلم، ومن الشفا للقاضي عياض، ومن الجامع الصغير للجلال السيوطي، ومن غيرها من الكتب الحديثية

الحساب والتوقيت والتنجيم، وورث خطة والده في قضاء مكة، والتدريس والإمامية. القادری، نشر الثاني، ج 2، ص: 106؛ العیاشی، الرحلة العیاشیة، ج 2، ص: 230. مخلوف، شجرة النور، ص: 303.

¹ - محمد بن زاکور، نشر أزاهر البستان، ص: 24.

² - أي مما سمعه منه وقرأه عليه.



كالمواهب، ومن التفاسير والعلوم العقلية والاعتقادية، بشرطه المقيد عند أهل الأثر". ثم استعرض المُجيز بعض أسانيده في المصنفات والعلوم المذكورة، وأكَّد على إجازته بقوله: "وأجزته أيضاً أن يُفيد ذلك لمن شاء، في أي وقت شاء، إجازة عامة"⁽¹⁾.

- الإجازات المتبادلة بين علماء المشرق والشيخ قاسم البووني

وابنه أحمد:

تُعد أسرة ابن ساسي البونية إحدى الأسر العلمية الصوفية الشهيرة في الجزائر العثمانية، ومن أبرز أفرادها الشيخ قاسم بن محمد الساسي البوني المالكي وابنه أحمد⁽²⁾، وكانت لكتلتهما رحلة علمية إلى المشرق.

فأمّا الشيخ قاسم، استقر به مدة طويلة، وبالأخص في الجامع الأزهر، أين فرأى على أشهر علمائه، ودرس هناك، ثم عاد إلى الجزائر، فكان موجوداً بها في سنة 1045هـ / 1635م⁽³⁾، وقد وقف الشيخ عبد الحي الكتاني على ثبت صغير للعلامة على الأجهوري، عليه ختمه إجازة منه به للشيخ أبي عبد الله القاسم، وهي مؤرخة في سنة 1064هـ / 1653م؛ أي بعد عودة هذا الأخير إلى الجزائر، وهذا لا يُستبعد أن يكون قام برحلة ثانية إلى

¹ - محمد بن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص - ص 33-37.

² - سبق الحديث عن هذه الأسرة وترجمة الشيخ قاسم البوني، وابنه الشيخ أحمد في الفصل الأول.

³ - H'assan Dardour, Annaba, p: 92.

المشرق، ولعلها رحلة حج، لأن توليه الإفتاء المالكي في بونه يمنع هذه المرة من الإقامة الطويلة هناك.

وفي هذا الثبت أجاز الأجهوري لأهل عصره عامة، وذكر فيه شيوخه الذين أجازوه بالحديث، كما استعرض أسانيده في الفاتحة الشمهر وسية، وإسناد الفقه المالكي، وطريق القوم، ومن أعلى ما حصل له روايته عن النور علي القرافي عن المسند المعمر قريش العثماني عن الحافظ ابن الجوزي بأسانيده⁽¹⁾.

أما ابنه الشيخ أحمد البوني العالم الشهير، فكان موجودا بمصر في أواخر محرم من سنة 1092هـ / 1681م⁽²⁾، ولازم بالقاهرة أعلاما وأخذ عنهم، كالشيخ عبد الباقي الزرقاني، والشيخ الخرضي، والشيخ بحبي الشاوي وغيرهم، كما تصدر للإقراء بالأزهر أثناء عودته من الحج⁽³⁾.

وقد ذكر بعض شيوخه المشارقة ومنهم المصريين، في رحلته الحجازية التي سماها بالروضة الشهية في الرحلة الحجازية⁽⁴⁾، وفي إجازاته لابنه أحمد زروق⁽⁵⁾، لكن على الرغم من كثرة شيوخه بمصر وتدرسيه هناك، فلا نعرف من إجازاته هناك سوى إجازة

¹ - الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 784.

² - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 4، ص: 177.

³ - نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 33.

⁴ - هذه الرحلة مفقودة شأنها شأن الكثير من مؤلفاته، وهذا على الرغم من كثرة شيوخه، فمن الصعب رصد تنقلاته ودراساته وإجازاته هناك.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص، ص: 63، 64.

واحدة في الحديث، منحها للشيخ الفقيه حسن بن سلامة الطبي المالكي^(١) لما ورد ثغر رشيد^(٢). أما إجازات علماء مصر له فهو امر أميل إليه، لحرص علماء المغرب الإسلامي عموماً على إجازات كبار علماء المشرق، ولتفوق أحمد البوسي في علوم كثيرة سيئماً في الحديث الشريف.

- إجازات متفرقة خلال القرنين العاشر والحادي عشر

المجريين:

يبدو أنَّ الصلات الفكرية بين العلماء الجزائريين وأقرانهم المشارقة لم تكن وثيقة خلال القرن 10هـ (16م)، كما هي عليه خلال القرن الحادي عشر الهجري، لقلة العلماء المتواجددين بالشرق آنذاك، فلم تترجم المصادر المشرقة^(٣) لتلك الفترة إلا

^١ - حسن بن سلامة الطبي (ت 1176هـ / 1762م): تفقه على شيخه محمد بن عبد الله الزهيري وبه تخرج، وأجازه محمد بن عثمان الصافي البرلسي في طريقة البراهمة، ودرس بجامع زغلول. عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص: 229.

^٢ - عبد الرحمن الجبرتي، المصدر نفسه، ج ١، ص: 229.

^٣ - من المصادر التي ترجمت لأعيان القرن 10هـ: الجزء الثامن (من وقعت وفاته بين سنتي: 901 - 1000هـ) من "شدرات الذهب في أخبار من ذهب" لكنه لم يترجم إلا لعمر البجائي المغربي ولقاسم ابن عمر المغربي الزواوي نقلًا عن "الكتاب السائرة". عبد الحفيظ الحنبلي. بيروت: دار المسيرة، (ط2)، 1979. ج 8، ص، ص: 92، 93؛ ص: 154، 155. كما ترجم الحفيظ لأحد العلماء الذين كانوا هناك في مطلع القرن 11هـ وهو أحمد بن علي بن أحمد البسكري (ت 1009هـ)، الذي أخذ عن عبد القادر العيدروس، له جملة من المصنفات، رحل إلى الهند وتوفي بها. خلاصة الأثر، ج ١، ص:

.243

لعدد قليل جداً منهم، وفي مقدمتها "الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة⁽¹⁾"، الذي لم يترجم إلا لثلاثة من أهل العلم الذي يفهم من أسمائهم أنهم جزائريون⁽²⁾، ولم يكونوا من العلماء البارزين على ما يبدو.

أما كتب الترجم المغربية⁽³⁾ والجزائرية على حد سواء، فلم يتردد فيها سوى بعض الأسماء، وبالخصوص اسم نزيل المدينة المنورة العلامة طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني المتوفي بعد سنة 940هـ / 1533م⁽⁴⁾.

وترجم الشيخ عبد الكريم الفكون لعدد من علماء الشرق الجزائري خلال القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر الهجرين في الفصل الأول من "منشور الهدایة" والذي ورد تحت عنوان: "فيمن لقيته من العلماء والصلحاء"⁽⁵⁾، إلا أنه لم يذكر قراءتهم

¹ - للعلامة نجم الدين الغزي الدمشقي (ت 1061هـ): يقع في ثلاثة أجزاء، ترجم في كل واحد منها لطبقة، الأول خصص لمن وقعت وفاتهم من (901 إلى 933هـ)، ج 2: (934-966هـ)، ج 3: (967-1000هـ).

² - هم: عمر البجاني المغربي (ت 920هـ) كانت له مكانة عند حكام مصر، محمد بن يحيى بن عبد الله المغربي الطولقي المالكي (922هـ) تولى قضاء دمشق، قاسم بن عمر المغربي الزواوي نزيل مصر (ت 927هـ). الكواكب السائرة، ترجمتهم على التوالي ج 1 ص: 286؛ ج 2 ص: 72؛ ج 3 ص: 293.

³ - من كتب المغربية مثلا: دوحة الناشر لابن عسكر، الذي ترجم لبعض العلماء الجزائريين في القرن 10هـ وهم علماء تلمسان وبني راشد، ولم يشار إلى دراستهم على المشرق. ص: 106-122.

⁴ - أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 204؛ ابن مريم المديوني، البستان، ص: 116.

⁵ - منشور الهدایة، ص: 35-60.

بالمشرق، ما عدا شيخه سليمان بن أحمد القشي، الذي رحل حاجا قبل سنة 988هـ بقليل، واستقر مدة مصر، وأخذ على بعض علماء الأزهر، ثم عاد إلى قسطنطينة بعد بضعة أشهر⁽¹⁾.

ونفس الأمر نجده في المراجع الحديثة⁽²⁾ التي لم تذكر إلا بضعة علماء كانوا بالمشرق آنذاك، فلم يستطع عمار هلال إحصاء سوى سبعة علماء جزائريين⁽³⁾ خلال هذا القرن، منهم إحدى بنات حواء اللائي نبغن في علم الحديث، وهي أم الحياء البسكتيرية صفية بنت محمد، فقد رحل والدها إلى المدينة المنورة، واستقر هناك مع عائلته، وكانت هي لا تزال في سن الطلب، فاكملت تعليمها هناك على يد أكابر العلماء وأجازوها، ثم جلست للتدريس بالمدينة⁽⁴⁾.

أما العلماء الذين وُجدت حولهم تراجم مقتضبة في الكتب الشرقية، لم يكونوا من كبار العلماء، ولكن كان لبعضهم ذكر

¹- المصدر السابق، ص: 60.

²- من المراجع: تعريف الخلف ب الرجال السلف للحفناوي، وشجرة النور الزكية، ترجم واحد وهو طاهر ابن زيان، ص: 277؛ ومعجم أعلام الجزائر لنويهض نجد به خمسة من القرن 10هـ ومطلع القرن 11هـ، الصفحات: 80، 132، 177، 108، 148، واعتمدت هذه المراجع على الكواكب السائرة، وعلى شذرات الذهب للحنبي، والبسنان لابن مريم.

³- قسم عمار هلال كتابه على أساس مراحل، تضم كل مرحلة قرن، ختمها برسم منحني بين فيه ذلك، فكان القرن 10هـ أقل الفترات تواجههم به، وذلك واضح بشكل جيد في المنحني. العلماء الجزائريون في البلاد العربية، ص- ص: 294-297.

⁴- عمار هلال، المرجع نفسه، ص، ص: 295، 296.

هناك، والحقيقة أننا لم نتمكن من التوصل إلى الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين والمشارقة خلال القرن العاشر الهجري، وما تجدر الإشارة إليه أنَّ صاحب "الكوكب السائرة" المحدث الدمشقي الشهير الشيخ الغزى كان حريصاً جداً على ذكر إجازات المترجم لهم، إلا أنه لم يشر إلى إجازات العلماء الجزائريين الثلاث الذين كانوا من ضمن المترجم لهم.

ولا يمكن بطبيعة الحال رد سبب قلة تواجد العلماء الجزائريين بالشرق إلى عدم توجههم إليه، لأنَّ الرحلة إليه كانت ضرورية لأداء فريضة الحج، وعليه ولوُّقنا بقلة الرحلات العلمية إليه، لا يمكن بأي شكل من الأشكال إلغاء الرحلات الحجازية، التي كانت تستغل لطلب العلم، كما لا يمكن رده إلى قلة العلماء بالجزائر خلال هذا القرن، فقد كان بها العديد من أكابر العلماء، سيما في تلمسان وقسنطينة.

والاحتمال الأقرب إلى الصواب هو عدم استقرار كبار العلماء المدرسين هناك، الذين عادة ما يشتهر ذكرهم، فيأخذ عنهم المشارقة، ويتلقو إجازاتهم. وهنا لا بد أن تكون للاضطرابات السياسية التي شهدتها المشرق، والتي صاحبت وقوعه في قبضة الدولة العثمانية تأثير على ذلك، وعليه يمكن أن نميز بين نوعين من الرحلات: الرحلات النهائية والتي كانت قليلة، والرحلات المؤقتة المرتبطة عادة بالحج، والتي كانت موجودة.

وبخلاف القرن العاشر، كثُرت الإجازات العلمية أثناء القرن الحادي عشر، فقد قرأ الشيخ أبو الحسن علي بن داود الصنهاجي القسطنطيني على الشيخ سالم السنهوري^(١)، ومنح له إجازة، إلا أن الشيخ عبد الكريم الفكون أنكر عليه ذلك، مُبيِّناً نصيـب المـجاز له من العلم، والذي لا يؤهلـه لاستحقـاق الإجازـة بقولـه: "ومعـه طـرفـ من المـعرفـةـ في حـفـظـ بعضـ المسـائلـ المشـهـورـةـ منـ الطـهـارـةـ، وبـعـضـ العـبـادـاتـ، وبـعـضـ الـمـعـاـمـلـاتـ، الـتـيـ لاـ تـجـهـلـ فـيـ الـغـالـبـ، وـلـاـ بـحـثـ معـهـ، وـلـاـ تـدـقـيقـ وـلـاـ نـظـرـ، وـالـعـجـبـ إـجـازـةـ الشـيـخـ المـذـكـورـ لـهـ"^(٢).

إنَّ الشـيـخـ عـلـيـ بـنـ دـاـوـدـ مـنـ تـلـامـذـةـ الشـيـخـ فـكـونـ، فـهـوـ عـلـىـ دـرـائـةـ تـامـةـ بـمـسـتـوـاهـ الـعـلـمـيـ، كـمـاـ كـانـ اـبـنـ دـاـوـدـ مـحـبـاـ لـفـكـونـ شـغـوفـاـ بـهـ، وـهـذـاـ لـاـ يـدـعـ مـجـالـاـ لـلـقـولـ بـأـنـ اـنـقـادـهـ إـجـازـةـ السـنـهـورـيـ لـهـ لـعـداـوـةـ بـيـنـهـمـاـ، وـلـكـنـ المـشـهـورـ بـيـنـ الـمـحـدـثـيـنـ عـدـمـ اـشـتـراـطـ مـسـتـوـيـ عـلـمـيـ كـبـيرـ فـيـ مـتـلـقـيـ إـجـازـةـ بـالـرـوـاـيـةـ، لـأـنـ الـهـدـفـ مـنـهـاـ إـيـاجـةـ الرـوـاـيـةـ لـلـمـجـازـ لـهـ، وـلـيـسـ إـيـرـازـ مـسـتـوـاهـ الـعـلـمـيـ^(٣)، فـلـئـلـ الفـكـونـ مـنـ رـفـضـ التـسـاهـلـ فـيـهـاـ.

^١ - أبو النجا سالم بن محمد السنهوري (ت 1015هـ / 1606م): مفتى المالكية بمصر، ومن كبار المحدثين بها، أخذ عن نجم الدين الغيطي وغيره. وأخذ عن جملة من العلماء منهم: إبراهيم اللقاني والنور الأجهوري والرملي. له مؤلفات منها: شرح على مختصر الرسالة. أحد بابا، نيل الابتهاج، ص: 191. المحيى، خلاصة الأثر، ج 2، ص: 204؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 289.

^٢ - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص، ص: 92، 93.

^٣ - ينظر شروط الإجازة بالرواية في المدخل.

وكان الفكون من المترددين على المشرق، خاصة بعد توليه إمارة ركب الحج في سنة 1045هـ، وعليه فلا شك أنه ربط صلات قوية مع العلماء به، وكان قد تدبّح في سنة 1035هـ مع العلامة المصري الشيخ علي الأجهوري⁽¹⁾.

وأتصل بالأجهوري الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيطي، لما قصد المشرق حاجاً، فحضر مجالس دروسه، ونظرًا لما ظهر منه من سعة علمه، وخاصة إتقانه "لختصر خليل"، قربه منه ونبوه بجليل قدره، وكان التمنطيطي قد عدّ حوالي أربعين مسألة على الكتاب المذكور، فأمر بتقييد تلك المباحث عنه، وقال: "هنيئاً لقطر فيه أمثالك" ، ثم قال: "ما أبرعك يا عالم توات" ، وقرأ التمنطيطي عليه الحديث فأجازه فيه، وفي جميع تاليفه ومروياته الفقهية، وغيرها إجازة مطلقة⁽²⁾.

أما ابنه الشيخ البكري بن عبد الكريم مؤسس الطريقة البكرية، فقد أقام بالقاهرة بعد تأدیته فريضة الحج، فاستجاز وأجاز جملة من علماء العالم الإسلامي، كما تلقى إجازة منشيخ المشايخ بالديار المصرية الإمام الخرشي⁽³⁾، وقد تنقل بين أرجاء

¹ - الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 783.

² - بكري البكري، تنظيم رمز تاريخ، وعنوان حضارة، ص، ص: 67، 68.

³ - بكري البكري، المرجع نفسه، ص: 66.

المشرق الإسلامي، ودخل الشام، وأسس زاوية له هناك، ثم عاد إلى بلده⁽¹⁾.

وهناك إجازة عامة للجزائريين منحها لهم الشيخ إبراهيم اللقاني⁽²⁾، وقد كتبها لبعضهم مثل: علي بن مبارك القلعي وسيعيد قدوره، وسحنون⁽³⁾ رفيق الشيخ علي بهلول⁽⁴⁾ وغيرهم وقال في آخرها: أجزت لمن ذكر، ولأولادهم، ولأهل قطرهم... جميع ما مر التنبيه عليه، وجميع ما يجوز لي وعني روایته من مقوء وسموع، ومجاز ومحاجة، ووجادة وراسلة، وأصول وفروع ومعقول ومنقول⁽⁵⁾.

١ - فرج محمود، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ص: 112.

٢ - أبو الأمداد برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني المصري (ت 1041هـ): عرف بتجربته في علم الحديث الذي أخذه عن أعلام منهم: صدر الدين الميناوي وسامي السنوري، وعنده من لا يعد كثرة من أهل العلم. من مؤلفاته: نصيحة الإخوان في شرب الدخان، وحاشية على ختصر خليل. خلوف، شجرة النور، ص: 291؛ الحجي، خلاصة الأثر، ج ١، ص: ٦-٩؛ الزركلي، الأعلام، ج ١، ص: ٢٨.

٣ - الظاهر أنه هو: سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي الونشريسي: (كان حيا في حدود القرن 11هـ) تفقه بمليانة وبمدينة الجزائر، وقبره مشهور ببني وعزان بنواحي الونشريين. له شرح على السراج منظومة عبد الرحمن الأخضرى في الفلك. الحفناوى، تعريف الخلف، ج ٢، ص: ١٥٦؛ نويعض، معجم أعلام الجزائر، ص: 74.

٤ - أبو علي بن علي ابهلول المجاجي: توفي بعد 1019هـ بستين، له حاشية على ختصر خليل. الحفناوى، المرجع نفسه، ج ٢، ص: ٣٢؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافى، ج ١، ص: ٣٦١.

٥ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافى، ج ٢، ص: ٥٠، ٥١.

ويشترك الأشخاص المذكورين في الإجازة بانتسابهم إلى زاوية الشيخ محمد بن علي المجاجي⁽¹⁾ بـ”شقر تنس“⁽²⁾، فالسيد سعيد قدورة، والسيد علي بن مبارك القليعي من تلامذتها⁽³⁾، أما علي بهلول، فهو شقيق صاحب الزاوية. ويظهر أنَّ اللقاني كتب الإجازة على استدعاء جماعي لبعض طلبة الزاوية.

أما تاريخ الإجازة فهو غير معروف، وكل ما وصلنا أنَّ سعيد قدورة رحل حاجاً من مدينة الجزائر في سنة 993هـ وهو لا يزال مراهقاً، رُفقة الشيخ أبي علي ابن بهلول السابق الذكر، وكان ذلك قبل التحاقه بزاوية تنس، بين سنتي 1004 و1009هـ فهل لحجه سنة 993هـ علاقة بهذه الإجازة؟ والمعلوم أنَّ قدورة توجه إلى تلمسان سنة 1012هـ ثم إلى سجلماسة سنة 1019هـ⁽⁴⁾، وما يمكن أن نستخلصه من توارييخ تنقلاته: أنَّ

^١ - محمد بن علي أبهلول (945-1008هـ): كان هو وأخوه أبو علي السابق الذكر شديدي الاعتناء بالعلم وفتوته كالتفسير والحديث، والأصول والمنطق بعد الفقه والترحيد وغيرها. ومن أشهر تلامذته الشيخ سعيد قدورة الذي رثاه بقصيدة عند مقتله. الحفناوي، المرجع السابق، ج 2، ص: 440، 441 (ارخ لقتله بسنة 1002هـ); أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج 1، ص: 359.

^٢ - اشتهرت زاوية مجاجة بتنس ضواحي شلف بنشر العلم في حياة الشيخ محمد بن علي، فكانت تشد إليه الرحال، وبعد وفاته قام بأمر الزاوية إخوته، وأبناءه، وأحفاده، وكانت لهم حرمة عند الحكام الجزائريين العثمانيين. المشرفي، «ياقوتة النسب الوهاجة»، الأوراق: 15-18.

^٣ - الحاج علي بنعشيط المجاجي، الأحرف الوهاجة في ذكر شرفاء مجاجة. بومرداس (الجزائر): مطبعة ميهوبى، أولاد موسى، 2004. ص: 20.

^٤ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج 1، ص: 358-361.

الإجازة لم تكن بين سنتي 1012 و 1019هـ، كما لا يُستبعد أن تكون الإجازة في رحلة حجائية، لطلبة زاوية مجاجة قبل سنة 1009هـ وهو تاريخ رحيل قدورة منها.

إن علماء زاوية مجاجة كانوا حريصين على الاستفادة من علماء المشرق في أثناء رحلاتهم الحجائية، وذلك ما تجسده رحلة عبد الرحمن بن محمد المجاجي سنة 1063هـ / 1652م⁽¹⁾، حيث زار علماء الركب الجزائري أشهر مساجد مصر، والتقوا فيها "بكل من له في طريق العلم والخير شهرة"، وفي مقدمتها الجامع الأزهر ومن العلماء الذين اتصلوا بهم في القاهرة والاسكندرية، وأخذوا عنهم بعض المسائل: العلامة علي الأجهوري، وشيخ القراء بمصر أبي سلطان، والعلامة أبو العباس المرسي⁽²⁾.

ومن العلماء المرافقين للركب الشيخ أبو الحسن علي وشقيقه الشيخ الجيلالي عبد القادر⁽³⁾، وهما من أحفاد الولي الصالح محمد بن علي المجاجي صاحب الزاوية، فائتى عليهما صاحب الرحلة كثيرا، كما أشار في عدة مناسبات إلى أنهما ذو

¹ - رحلة حجائية، نظمية، مقيدة في اتجاه العودة، يدؤها المؤلف بوصف البقاع المقدسة، ويختتمها بوطنه الأصلي مجاجة الواقعة ضواحي شلف.

² - عبد الرحمن المجاجي، «رحلة المجاجي»، خطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 1564. الأوراق: 3 ظ، 4 و.

³ - هما: أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي احمد بن ابهلول، وكان يعرف باسم بو حسون، وشقيقه الجيلالي بن عبد القادر، وقد أشاد صاحب الرحلة بأخلاقهما العالية، وبكرمهما، ويتقديمهما العون المادي لكل من قصدتهم بيلدهم، أو أثناء رحلة الحج من الحجاج. ابن بنعشيط، الأحرف الوهاجة، ص: 23.

صبت في القبيلة، وحصل الشيخ الجيلالي عبد القادر على عدة إجازات علمية بمصر، وببيت الله الحرام، وبالمدينة المنورة، وأشار إلى ذلك صاحب الرحلة بقوله⁽¹⁾:

والجيلالي عبد القادر العالم التقى
وقد جمع الإله فيه خصال من
فمنْ عليه الله بالعلم والتقوى
أجازه كل عالم في طريقه
قد استخبروه في العلوم جميعها

أخوه شقيق⁽²⁾ حافظ للرواية
تقدّم من أبيه والعم جملة
وزاده مع دين جود ورفعة
بمصر وببيت الله ثم المدينة
فالفوّه فيها حافظاً ذا بصيرة

إنَّ هذه الإشارة إلى إجازته مقتضبة جداً، وهذا لا يمكّنا من
معرفة العلماء الذين أجازوا، ولكن لا يستبعد أن يكون منهم
بعض العلماء الأربعة المذكورين سابقاً، خصوصاً الشيخ علي
الأجهوري.

ومنْ حصل على إجازات متعددة من المشرق الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري، الذي تلقى إجازات من أجلة علمائه منهم: علي الأجهوري السالف الذكر، ومحمد البابلي، ومحمد الزرقاني، وعبد العزيز بن محمد الززمي، والشهاب القيليوني⁽³⁾

¹ - عبد الرحمن المجاجي، رحلة المجاجي، ورقة: 17 و.

² - لأنَّه ترجم لأخيه قبله وهو أبو الحسن علي.

³ - أحمد بن أحمد بن سلامة الشافعي (ت شوال 1069 أو 1070 هـ / 1658 م): القيليوني نسبة إلى بلدة صغيرة ضواحي القاهرة، الفقيه المحدث، لازم الشيخ الشمس الرملي، وكان متظلاً في العلوم العقلية. من مؤلفاته: حاشية على شرح = المنهاج للجلال المحتلي، وحاشية على شرح الأزهرية. المحيي، خلاصة الأثر، ج 1، ص: 175؛ البغدادي هدية العارفين، ج 1، ص: 162.

والثيرامليسي، والنجم الفزوي، والغنيمي، والشهاب الشلبي،
ومحمد الحجازي الواعظ⁽¹⁾.

أما الشيخ محمد بن علي المهدى⁽²⁾ المعروف بابن علي، والد الشاعر المشهور في القرن الثاني عشر الهجري، المعروف كأبيه بابن علي، فقد رحل إلى المشرق، درس هناك على كبار العلماء وأجازوه، ثم رجع إلى الجزائر⁽³⁾.

¹ - عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار، ج 1، ص: 85.

² - محمد بن علي بن محمد المهدى (ت 1028هـ): نشأ بمدينة الجزائر، وأخذ على مشايخها، كان أديباً فقيها، جمع بين العلم والصلاح. والف نوازل في الفقه الحنفي. من مؤلفاته: مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر في الفقه الحنفي. البغدادي، المرجع السابق، ج 2، ص: 313. يذكر نور الدين عبد القادر نacula عن الحفناوى أنه توفي سنة 1093هـ بينما يُنسب إليه شعر في الفتح الأول لوهان سنة 1119هـ، وعليه فالأشد هو ما ذهب إليه البغدادي. البوعدلي، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص: 219؛ صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 194.

³ - الحفناوى، تعريف الخلف، ج 2، ص: 478.

ثالثاً. إجازات القرنين الثاني والثالث عشر

الهجرين (18-19م):

- الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء المشرق والشيفيين محمد

بن أحمد الشريف و محمد المنور التلمساني:

استقر بعض العلماء الجزائريين بالشرق خلال القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجرين⁽¹⁾، ولكن لم يحظ أحد منهم بالشهرة التي اكتسبها به كل من أحمد المقربي، وعيسي الشعالي، ويحيى الشاوي في القرن الحادي عشر الهجري، ومن هؤلاء الشيخ محمد بن أحمد الشريف⁽²⁾، والشيخ محمد بن عبد الله المنور التلمساني. فرغم استقرارهما هناك، وتصديقهما للتدريس

¹ - العلماء الجزائريون المتواجدون بالشرق خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (19م)، أكثر من أية فترة خلال العهد العثماني، وذلك ما تؤكد المصادر المشرقية، بالإضافة إلى الإحصائيات التي قام بها عمار هلال في كتابه العلماء الجزائريون في البلاد العربية الإسلامية، ص، ص: 315-316.

² - محمد بن أحمد الشريف الجزائري: (ت 1159هـ / 1746م)، من شيوخه محمد بن عمر المانجلاطي، ومحمد زيتونة التونسي، ومصطفى بن إبراهيم الأزميري. ترك عدة تأليف في الفقه والحديث والتصوف، منها جامع الأصول المنيفة من مسند أحاديث أبي حنيفة، والقول المتواطي في شرح قصيدة الدمياطي، وأمن والسلوى في الحديث. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 431؛ المرجع نفسه، ج 2، ص: 47 البغدادي، هدية العارفين، ج 2، ص: 319؛ نويهض، أعلام الجزائر، ص: 145. وفي الكتابين الآخرين أنه توفي سنة 1139هـ. وهنا تبين لنا أهمية الإجازة التي بين أيدينا في تحديد تاريخ تقربي لوفاته.

إلى أن وافتهما المنية، فلم يحظيا بترجمة وافية في كتب الرجال لنلك الفترة^(١)، ولماذا لا تزال الأسباب التي دفعتهما للهجرة والاستقرار غامضة^(٢)، بل إننا لا نعرف تفاصيل نهمة من رحلتهما بتاريخ دخولهما إلى المشرق.

فاما الأول فهو من الجزائريين الذين يعودون إلى أصول عثمانية، ويعتنقون المذهب الحنفي، وكان يُوقع اسمه في تاليفه مكذا: خادم العلم والعلماء الشيخ محمد ابن أحمد الشريف الجزائري مولداً ومنشأ، الأزميري وطناً وملجاً، فقد استوطن أزمير موطن أجداده، ثم انتقل منها إلى الحجاز، وجاور به فترة من الزمن، تصدى خلالها للتدرис، ومن مجلة العلماء المترددين على حلقاته، الوزير العثماني أحد باشا نعمان، الذي أصبح شيخاً للحرم الشريف، واستجازه هذا الوزير، فأجازه تطييباً لخاطره، وتنشيطاً لفكرة ونظره، وهو ما جاء في إجازته المؤرخة في سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م.

بعد البسمة والحمدلة، افتح الشيخ محمد الشريف إجازته بقوله: "أما بعد: فقد طلب من هذا العبد الفقير، المعترف بالقصور

^١ - من أهمها سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي، وعجائب الآثار للجبرتي.

^٢ - رد القاسم سعد الله أسباب هجرة الشيخ محمد بن أحمد الشريف من الجزائر لأسباب مجهولة بقوله بأنها كانت: لأسباب لا نعلمها الآن، وبيت له في موضع آخر أن منها "النبي السياسية". تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١، ص: ٤٣١؛ المرجع نفسه، ج ٢، ص:

والقصص، أيام المجاورة بالحرم المكي، وذلك سنة أربع وخمسين
ومائة وألف، إنسان عين الفضائل والمفاحر، وسلامة فضلاء،
الوزراء كابر عن كابر، عمدة السلطنة العثمانية نجل الوزارة،
وقائم مقامها، وقطب رحاتها، وعليه مدارها... حضرة مولانا ولی
النعم أبو الخيرات أحمد باشا نعمان باشا زاده، دام عزه ورفعته،
وتحفظ بالحفظ والعناية حضرته، سمع بعض الأحاديث
والإجازة فيها، وغيرها كسند السبحة والضيافة ونحوها، وهو إذ
ذاك شيخ الحرم الشريف زاده الله شرفا، فاسعفته في ذلك، وانحفلته
بما هنالك، تطيبا لخاطره، وتنشيطا لفكره وناظره، والله تبارك
وتعالى المسؤول في التوفيق والقبول، وبه أستعين، فأقول: سمع منا
الوزير المشار إليه...⁽¹⁾.

وبعد استعراضه للأحاديث التي سمعها منه، ومؤلفاته التي بلغت إحدى عشر مؤلفاً، يضيف قانلا: وغير ذلك مما لنا من تقيد وتقرير، وبيان وتحrir، وبسط وتفسير⁽²⁾.

أما الشيخ محمد بن عبد الله أيوب، المعروف بالمنور التلمساني، فقد استوطن مصر، وجاور بالجامع الأزهر، وانتصب للتدريس برواق المغاربة، فاشتهر أمره هناك⁽³⁾، وأخذ عنه العلماء،

^١ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢، ص، ص: 46، 47.

² - ابو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج 2، ص: 47.

³ - الورتلاني، الرحلة الورتلانية، ص: 303.



ومن أشهرهم ذكرًا الشيخ محمد مرتضى الزبيدي⁽¹⁾، وترجم هذا الأخير لشيخه في كتابه "تاج العروس"⁽²⁾، وذكره في أرجوزته المسماة "الفية السنن ومناقب أصحاب الحديث"، التي ذكر فيها مشايخه وتلامذته، ووصفه "بالعالم الفاقد للأشباه" ومنها قوله⁽³⁾:

الجهيد البارع في الفنون	عالم قطر المغرب الميمون
لقيته بمصر لما وردا	أجازني ونزلت منه المددا

وأخذ الشيخ محمد المنور بدوره على أجيال علماء المشرق، كالعلامة الشيخ أحمد بن عبد الفتاح الشافعي الملوى⁽⁴⁾، واستجازه

¹ - أبو الفيض محمد بن محمد العلوى، الزبيدي النسب (1145-1205هـ / 1732-1791م): نشأ في بلاده الهند، ورحل في طلب العلم، وفي سنة 1167 هـ دخل مصر وقرأ على مشايخها، وعرف بحرصه الشديد على جمع الأسانيد، وتحاريج الأحاديث، وألف في ذلك كتاباً، ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة. من مؤلفاته: الفية السنن، وكتاب تاج العروس. الجبرتي، عجائب الآثار، ج 2، ص - 73-79؛ الكhani، فهرس الفهارس، ج 1، ص - 526-529؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 3، ص: 681.

² - مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج 3، ص: 590.

³ - العيد مسعود، العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق خلال العهد العثماني، ص: 51.

⁴ - أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجري الشافعي الأزهري، الشهير بالملوي (1088 - 1181هـ / 1677 - 1767م): قرأ على عدد كبير من مشايخ المالكية، والشافعية، والحنفية منهم الشيخ أحمد بن الفقيه، والشهاب الخليفي وغيرهم، ودرس بالأزهر، ثم رحل إلى الحرمين سنة 1122هـ وأخذ على عدة شيوخ وأجازوه، مؤلفاته كثيرة منها: شرحان على متن السلم الكبير وصغير، وشرحان على السمرقندية في البلاغة وشرح على الياسمينية. الجبرتي، = عجائب الآثار، ج 1، ص، ص: 234، 235؛ المرادي، سلك الدرر، ج 1، مج 1، ص: 116، 117؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج 1، ص، ص: 172، 173.

فأجازه، وكتب له بذلك نثرا في الخامس عشر جمادى الآخرة عام 1168هـ / 1754م، ومن إجازاته قوله: وبعد: فقد طلب مني العالم العلامة، والخبر البحر الفهامة، مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْمُعْقُولِ
وَالْمُنْقُولِ، وَالْفَرْوَعِ وَالْأَصْوَلِ، مَوْلَانَا سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْمُنْورِ أَنْ أَجِيزَهُ، وَلَسْتُ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَلَكِنْ أَجِبْتُهُ امْتِسَالًا لِأَمْرِهِ،
فَقَدْ أَجَزَتْهُ بِالْكِتَبِ السَّتَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَالْمُنْقُولَاتِ
وَالْمُعْقُولَاتِ، وَسَائِرِ التَّالِيفَاتِ، سَوَاءً كَانَتْ لِي أُمْ لِغَيْرِيٍّ، وَبَعْدِ
أَنْ ذُكِرَ شَيْخِنِيهِ الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمَا الْعِلُومُ، وَفِي مَقْدِمَتِهِ الْحَدِيثُ
الشَّرِيفُ: الْعَلَمَةُ أَحْمَدُ الْمَشْتُوكِيُّ، وَالشَّيْخُ الْإِمامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْمَغْرِبِيُّ الْقَصْرِيُّ قَالَ: "وَقَدْ أَسْمَعْنِي الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ بَعْضَ الْكِتَبِ
الْحَدِيثِيَّةِ مِنْ أَوَّلِهَا، وَهِيَ الْكِتَبُ السَّتَّةُ"⁽¹⁾، وَوُضِعَ خَتْمَهُ آخِرَ
الإجازة.

- إجازات بعض علماء المشرق محمد بن عبد الرحمن الزواوي

الأزهر:

ثُدُّ رحلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الزواوي - مؤسس
الطريقة الرحمانية بالجزائر - إلى المشرق رحلة علمية، فقد تعلم
بزاوية الصديق بن أعراب بآيت ايراثن بزواوة، ثم رحل صغيرا

¹ - الإجازة ضمن مجموع، رقم: 181، مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية، ورقة:
27، 28 ظ.

إلى القاهرة، وذلك في سنة 1152هـ / 1739م، وظل به أزيد من ربع قرن، ثم عاد إلى الجزائر حوالي سنة 1177هـ / 1763م^(١).

واستقر الشيخ محمد الزواوي بالقاهرة، وجاور بالجامع الأزهر، فاشتهر لذلك "بالأزهري"، ولازم الشيخ محمد بن سالم الخنفي^(٢) مؤسس الطريقة الخلوتية، فتلقي عليه تربية روحية، وتكونينا علمياً، حيث أخذ عليه طريقته الخلوتية، فأجازه بأورادها في سنة 1168هـ / 1754م، وبأن يجيزها لكل من طلب منه ذلك، وكتب له إجازة نثانية في ذلك^(٣)، كما كلفه ب مهمة إلى السودان لنشر الأوراد، وبعد عودته إلى مصر، ألبسه الخرقة، وأذن له في التربية والتعليم، ثم صرفه إلى وطنه لبث العلم وتربية الخلق^(٤).

وقد ذكر الشيخ محمد الأزهري بأنَّ شيخه المذكور أجازه بالإجازة العامة والخاصة، ولما سأله مُسْتَفِسراً عَمَّا تحوَّلَهُ هذه الإجازة بقوله: "هذه الإجازة التي أجزتني بها بلسانك المبارك

^١ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١، ص: 507.

^٢ - محمد بن سالم الشافعي الخلوتي (1100-1181هـ / 1767م)؛ المحفاوي نسبة إلى بلد حفنا، وهذا تعرف طريقة الصوفية بالخفنية في بعض الأحيان، = درس بالقاهرة على علماء عصره وأجازوه بالتدريس، فدرس سنة 1122هـ. من شيوخه: أحمد الخليفي ومحمد الديربي وعبد الرؤوف البشيشي وغيرهم. تخرج عليه الكثير من العلماء المعاصرين له. من تأليفه المشهورة: حاشية على شرح العضدية للسعد، وشرح الممزية لابن حجر الجرجاني، عجائب الآثار، ج ١، ص: 237-246.

^٣ - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص، ص: 180، 181، المحفاوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج ٢، ص، ص: 470، 471.

^٤ - محمد المحفاوي، المرجع نفسه، ج ٢، ص: 458.

وكتبها لي ببنانك المباركة، ما كفيتها يا أستاذِي، هل هي مُقيدة في بعض العلوم دون بعض، أو عامة فيسائر العلوم، والأوراد والحركات والسكنات، والأقوال والأفعال، وسائر الفوائد والدعوات، والرياضيات في الجلوسات، والعزلات والخلوات، لنفسي ولغيري من سائر تلاميذِي، وإخواني وغيرهم؟ فأجابه قائلاً: آذنتك إذنا عاما دائمًا لك، ولغيرك من انتمى إليك، لا ينفعك إلا الإطلاق طول عمرك، في كل زمان ومكان، والباب مفتوح لك، ولمن أصدقك⁽¹⁾، ثم سَلّمه كتاباً له في أسانيده، وطلب منه أن ينسخه لنفسه ففعل.

ثم كتب له إجازة بخط يده على ظهر نسخته هذه، وذلك في يوم 27 محرم، إلا أنه لم يذكر سنة كتابتها، وقال بأنه كتبها له بعد الإجازة الصوفية المؤرخة بسنة 1168هـ بعدة سنوات، وما ورد فيها بعد الحمدلة والتصلية: قد أجزت الحبيب النسيب، السالك الأريب، ولدنا الفهامة السيد محمد بن عبد الرحمن القبطولي الزواوي الباعليوي الحسني بما تضمنه هذا الثبت، وبما تجوز لي روايته من معقول - نفعه الله ونفع به - منظوماً في سلك أهل قربه أفضل صلاة وسلام على أكمل السلام⁽²⁾، وبهذا يكون الشيخ الحفناوي عمدة في علمي الظاهر والباطن.

¹ - محمد الحفناوي، المرجع نفسه، ج 2، ص: 469.

² - محمد الحفناوي، المرجع نفسه، ج 2، ص: 469.

كما أخذ الشيخ محمد الزواوي الأزهري على عدد آخر من أعلام مصر في عصره، فقد روى الفقه المالكي عن الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوبي المالكي⁽¹⁾ فأجازه فيه، وكتب له بذلك⁽²⁾، ومن كتب له بالإجازة أيضاً الشيخ علي بن خضر بن أحمد العمروسي⁽³⁾، والشيخ حسن بن غالب الجداوي المالكي⁽⁴⁾، والشيخ أحمد الدرديري المالكي⁽⁵⁾، وهي التي قال عنها المجاز: كتبها لي بيده المباركة، كتابة أستاذي وأستاذه الحفناوي⁽⁶⁾.

^١- أبو الحسن علي بن أحمد الصعيدي العدوبي (ت 1112-1189هـ / 1700-1775م) : قدم مصر وحضر دروس عبد الوهاب الملوى، والشلي وسام النفزاوى وغيرهم. من مؤلفاته: حاشية على ابن الترکي، وعلى الزرقاني على العزية، وعلى أبي الحسن على الرسالة، وعلى شرح الخرشى والزرقانى، وكلامها على المختصر. ودرس بالأزهر وغيره. مخلوف، شجرة النور، ص: 341.

^٢- محمد مخلوف، المرجع نفسه، ص: 372؛ الحفناوى، المرجع السابق، ج 2، ص: 471.

^٣- أبو الحسن علي بن خضر بن أحمد العمروسي (ت 1173هـ / 1759م) : من شيوخه السلمونى، ومحمد الزرقاوى، والشهاب النفزاوى، ودرس بالأزهر. من مؤلفاته: اختصار المختصر الخليلى وشرحه. مخلوف، المرجع السابق، ص: 339.

^٤- حسن بن غالب الجداوى الأزهري المالكي (ت 1128-1202هـ / 1715-1787م) : أخذ على الشيخ محمد السلمونى، وخضر العمروسى وغيرهم. له مؤلفات وحواشي. مخلوف، المرجع السابق، ص: 360.

^٥- أحمد بن محمد بن أحمد الصعيدي العدوبي الأزهري الخلوتى (ت 1127-1201هـ / 1714-1786م) : قرأ على شيخ كثيرون منهم الملوى والجوهري، عَيْن شيخاً على المالكية، وفتياً وناظراً على وقف الصعايدة، وشيخاً على طائفة الرواق. من مؤلفاته: أقرب المسالك لمذهب مالك، ورسالة في متشابهات القرآن. الجبرتى، عجائب الآثار، ج 2، ص: 22، 23؛ مخلوف، المرجع السابق، ص: 359.

^٦- الحفناوى، تعريف الخلف، ج 2، ص: 471.



- إجازات بعض علماء المشرق للشيخ حسين الورتلاني:

أحسن الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورتلاني استغلال رحلاته الحجازية، حيث حج ثلاث مرات على الأقل، الأولى في سنة 1153هـ/1740م، والثانية في سنة 1166هـ/1752م، والثالثة في سنة 1179هـ/1765م، واستغرقت الأخيرة ثلاثة سنوات، حيث امتدت إلى سنة 1181هـ/1767م⁽¹⁾، وهي لذلك رحلة علمية أكثر منها حجة عادية.

وعلى الرغم من غلبة الروح الصوفية عليه أكثر من الروح الفقهية، فقد كان يجمع بين علوم الظاهر والباطن⁽²⁾، ولهذا كان حريصاً على توسيع معارفه أثناء إقامته بالحجاج ومصر، فدرس بالحرمين الشريفين على الشيخ المدرس أحمد الإشبيلي بعض "ختصر السعد"، وقرأ بالأزهر على الشيخ عمر الطحاوي الرسالة الوضعية، وبعض تفسير ذي الجلالين، وسمع من الشيخ الزياتي الشافعي بعض المسائل في النحو، وحضر عليه دروساً في "المحلى"؛ كما حضر دروس الشيخ سالم النفزاوي، وقرأ عليه مدة ختصر السعد في حجته الأولى⁽³⁾.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص: 418.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 394.

³ - الورتلاني، "نرمة الأنوار" الرحلة الورتلانية، ص: 294 - 297.



حصل على إجازات علمية وأخرى صوفية، من ثمانية من علماء مصر، وبعضهم أجازه أكثر من مرة، وذلك ما نجده في رحلته المعروفة "بنزهة الأنظار في فضل علم التوارييخ والأخبار"، ولكن على الرغم من ضخامة حجم الرحلة إلا أن الحيز المخصص لشيوخه قليل جداً، والملاحظ أنه أهمل نصوص إجازاته، مخالفاً في ذلك ما جرى عليه أصحاب الرحلات، الذين كانوا يوردون نصوص إجازاتهم ولو كثرت⁽¹⁾.

تلقي الورتلاني جل إجازاته أثناء رحلته الأخيرة، والتي كان فيها قد بلغ مبلغ كبار العلماء، واشتهر بالتدرис بزاوية الأسرة بزواوة، ومع ذلك لا يذكر إن أجاز هو بدوره لعلماء المشرق، وكل ما ذكره أنه ناقش كثيراً من العلماء هناك، واستطاع الانتصار عليهم، كالشيخ علي الصعيدي - وهو من كبار علماء الأزهر المالكية آنذاك - فقد حضر مجلسه في الفقه في "مختصر خليل بشرح الخرشي"، وكان الشيخ بصدق كتابة حاشية عليه، فباحثه في بعض المسائل الفقهية، واستطاع إقناعه بوجهات نظره، وقال الورتلاني في ذلك: "وبعد ذلك لا يكتب قوله على الخرشي إلا أن يعلمني بالبحث فيها"⁽²⁾.

¹ - عادة ما نجد الرحالة يوردون نصوص إجازاتهم ولو كثر عددها، فحتى العياشي الذي لم يورد إجازاته ضمن الرحلة، ذيلها بثت صغير أوردها فيه، والواقع أنه = لولا كتب الرحلات لما وصلت إلينا أغلب الإجازات العلمية، ومنها الإجازات الواردة في بحثنا هذا.

² - الورتلاني، الرحلة، ص، ص: 286، 287.

هذا، وقد كتب له الشيخ علي الصعیدي إجازة في جميع العلوم، ولما أطلع على شرحه على الخطبة المسمى "بمقدمة شرح السنوسي على صغراء" أجازه في التأليف⁽¹⁾، وكان الشيخ المجيز من العارفين في علم الكلام - موضوع الكتاب المجاز فيه - ومن مدرسي كبرى السنوسي في الأزهر، كما كان الورتلاني هو الآخر مولعاً بعلم التوحيد⁽²⁾، وقد وضع فيه بالإضافة إلى شرحه السابق الذكر، حاشية على شرح السكتاني المراكشي على صغرى السنوسي، بالإضافة إلى أنه كان مدرساً بارعاً فيه، ولهذا أعجب به طلبة الأزهر، وطلبوه منه جميعهم أن يقرئهم كبرى السنوسي⁽³⁾ كما أنه حضر مجالس الشيخ المنور التلمذاني في كبرى السنوسي برواق المغاربة، وناقشه في جملة من المسائل في علم الكلام⁽⁴⁾ وبهذا فالمجاز والمجيز كلاهما من العارفين بعلم الكلام موضوع الكتاب، وهو ما يعطي إجازته له بالتأليف مصداقية كبيرة.

¹ - الورتلاني، المصدر نفسه، ص: 287.

² - لهذا ناقش علماء الخنقة الذين لا يدرسون علم التوحيد وانتصر له، وبين أنه ضروري لمعرفة الله سبحانه وتعالى. الورتلاني، المصدر نفسه، ص: 117.

³ - اجتمع بطلبة الأزهر، وطرحوا عليه سائل فيه، فلما أعجبوا بإجابته طلبوه منه جميعهم أن يقرئهم كبرى السنوسي، فوعدهم بذلك، إلا أن ظروفها استجدة فعجلت بسفره. الورتلاني، المصدر نفسه، ص: 285.

⁴ - الورتلاني، المصدر نفسه، ص: 303 - 311.

كان الورتلاني قد حضر بعض دروس الشيخ محمد البليدي⁽¹⁾ في الرسالق في حجته الأولى، وكثُرَّ الاتصال به في حجته الثانية، فأجازه في العلوم كلها، وكتب له بذلك بخط يده، وزار العلامة الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين، وقرأ عليه القطب على الشمسية (التصورات والعكس)، والتناقض بحاشية السيد عليه، فأجازه بخط يده في سائر العلوم، كما اتصل الورتلاني بالعلامة الشيخ أحمد بن عبد الفتاح الملوى، فأجازه هو الآخر في سائر العلوم، وأجازه أيضاً الشيخ الإمام العمروسي⁽²⁾.

وأخذ القراءات السبع إفراداً على الأستاذ أبي القاسم الربعي القسنطيني، بقراءته سورة الفاتحة، وسورة البقرة، فأجازه هو الآخر⁽³⁾، ويظهر أنها إجازة روایة القراءات القرآنية، لأن الإجازة التعليمية بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية تتطلب قراءة القرآن الكريم كله، ولا يتحصل عليها الطالب إلا بعد إجراء امتحان⁽⁴⁾.

¹ - أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي المالكي، الشهير بالبليدي (ت 29 رمضان 1176هـ / 1762م): أخذ العلم عن أعلام منهم: محمد الزرقاني، وأحمد النفرزاوي، وإبراهيم الفيومي وغيرهم. وأخذ عنه أعلام منهم: الصعیدی والدردیر، وعلی بن عبد الصادق. له تأليف منها حاشية على شرح عبد الباقی الزرقانی. الجبرتی، عجائب الآثار، ج 1، ص: 227؛ غلوف، شجرة النور، ص: 339.

² - الورتلاني، الرحلة، ص، ص: 285، 286.

³ - المصدر نفسه، ص: 299.

⁴ - حول كيفية تحصيلها ينظر المدخل.

كما تلقى إجازات علمية وصوفية من طرف علماء جعوا بين علم الظاهر والباطن، فقد زار الشيخ علي الفيومي^(١) وحصل منه على إجازة، ولا يستبعد أنها إجازة صوفية لأنّه من رجال التصوف، يُلقن أذكار الشيخ البدوي، ويُلبس الخرقة. ولما كان الشيخ الفيومي يكثر من عباراته في الغيب وغيره من أمور الكشف "أنكر عليه أهل زمانه ذلك... وكثير أعداؤه" غير أنَّ الورتلاني لم ينكِّره عليه، وقال بأنه حق منه الكشف^(٢).

ومن شيوخ مصر الذين اعتبرهم الورتلاني بأئمَّهم عمدته^(٣): الشيخ عبد الوهاب العفيفي^(٤) والشيخ محمد الحفناوي، وكان الأول متصرّد ل التربية المریدین، فأخذ عنه الطريق، ورسم الحقيقة، ولقنه الذَّكر، وجدد عليه العهد في الطريقة الشاذلية، وأجازه إجازة مطلقة في سائر العلوم العقلية والنقلية، وأجاز أيضًا ولده الصغير محمد، ولقنه الذكر على الطريقة الشاذلية^(٥)، وكذلك كان

^١ - أبو الحسن علي الفيومي المالكي (ت رمضان ١١٨٥هـ / ١٧٧١م) : شيخ رواق أهل بلاده، حضر دروس إبراهيم الفيومي، وعلي الصعيدي، وله في علم الكلام الباع الطويل. الجبرتي، المصدر السابق، ج ١، ص: ٢٨٨؛ مخلف، المرجع السابق، ص: ٣٤١.

^٢ - الورتلاني، المصدر السابق، ص، ص: ٢٨٧، ٢٨٨.

^٣ - قال متحدثاً عن الأول: "وعليه اعتمادنا" ، ووصف الحفناوي " بشيخنا وعمدتنا" ، وذلك لكونهما من أهل التصوف.

^٤ - عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي بن عبد القادر العفيفي المالكي البرهاني (ت ١١٧٢هـ) : ولد بمدينة عفيف إحدى قرى مصر ونشأ بها، ودرس على علماء مصر كالشيخ سالم النفزاوي، ومحمد البليدي. الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص، ص: ٢١٢، ٢١٣؛ المرادي، سلك الدرر، ج ٣، ص: ١٤١.

^٥ - الورتلاني، الرحلة، ص - ص: ٢٨٨ - ٢٩٢.

الشيخ محمد بن سالم الحفناوي، جامعاً بين الحقيقة والشريعة، فحضر الورتلاني مجلس إقراءه، وتلقن منه الذكر على طريق أشياخه، وأذن له في الإعطاء والإذن، وأجازه في المعمول والمنقول، وكتب له ذلك بخط يده⁽¹⁾.

وهكذا فإن جل الإجازات التي حصل عليها الورتلاني "عامة لجميع العلوم"، استحقها بعد حضوره وملازمة.

- الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء المشرق والشيفيين أحمد

بن عمار و محمد أبي راس:

من العلماء الجزائريين المترددين على المشرق الشيخ أحمد بن عمار وتلميذه محمد أبي راس الناصري، فأماماً الأول فقد رحل إليه⁽²⁾ مرتين على الأقل، حيث حج في سنة 1166هـ / 1752م⁽³⁾، وجاور بالحرم المكي حوالي اثني عشرة سنة⁽⁴⁾؛ وكان

¹ - الورتلاني، المصدر نفسه، ص، ص: 292، 293.

² - من غير الممكن الجزم بأنه كان من المهاجرين نهائياً، لأن حياته لا تزال غامضة في نهايتها على الأقل. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص، ص: 430، 431.

³ - أكد وجوده بالقاهرة في هذه السنة زميله الشيخ حسين الورتلاني؛ الذي قرأ معه على الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين. الورتلاني، المصدر السابق، ص: 286.

⁴ - لم تكشف المصادر المتوفرة عمّا إذا بقي من سنة 1166هـ إلى سنة 1172هـ مجاوراً بمكة، أو أنه ربع إلى الجزائر، ثم حج من جديد. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص: 226.

موجوداً هناك سنة 1172هـ / 1758م⁽¹⁾، وبعد سنة 1178هـ ورجمع ابن عمار إلى الجزائر، وتولى بها فتوى المذهب المالكي سنة 1180هـ⁽²⁾، ثم سافر إلى تونس للاستيطان سنة 1195هـ / 1780م، وكان في سنة 1205هـ / 1790م بالشرق⁽³⁾، والغالب أنه لم يعود إلى الجزائر، وظل مجاوراً إلى وفاته، حيث ذكر تلميذه محمد أبو راس أنه توفي بالحرمين⁽⁴⁾.

وكغيره من العلماء أفاد واستفاد ابن عمار بالشرق، وأخذ على علمائه، وأخذوا عنه، ومن تلامذته الذين أجازهم هناك: الشيخ عبد الوهاب المكي الهندي، وهي من بين إجازاته التي اصطبغت بالصبغة الأدبية⁽⁵⁾، والشيخ محمد خليل المرادي⁽⁶⁾ صاحب "سلك الدرر" الذي حرر له الإجازة في أواخر ذي الحجة من عام 1205هـ / 1790م، وأجازه فيها بهذه العبارة: "هذا، وقد

¹ - الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 122.

² - تولى الفتوى المالكية سنة 1180هـ / 1766م، وعزل منها في نفس السنة، ثم ولي بها من جديد في نفس السنة، وكتب بها إلى سنة 1184هـ / 1770م.

Devoulx ; "Les Edifices Religieux de l'ancien Alger", R-Af, N° : 10, Année : 1866, pp: 375-376 .

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 229.

⁴ - فتح الإله ومنتها، ص: 49.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 185.

⁶ - محمد خليل بن علي المرادي، البخاري الأصل، الدمشقي المولد والوفاة (ت 1206هـ / 1791م)؛ مفتى الحنفية بدمشق، ونقيب الأشراف بها. من مؤلفاته: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، وعرف البشام من ولي الفتوى بالشام، وتحفة الدهر نفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر. الجبرتي، عجائب الآثار، ج 2، ص، ص: 99، 100؛ صلاح الدين المنجد، المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني، ص: 73.



أجزت السيد المستجيز المجاز، رجل الحقيقة لا المجاز، مفتي الشام، والغيث الذي تستمطر بروقه وتشام، السيد محمد خليل المذكور أعلاه، دام فضله وعلاه⁽¹⁾، وذلك بعد أن ذكر ثلاثة من شيوخه المشارقة، واللماحظ أنه لم يبين ما أخذ عليه المرادي، ولا بما أجازه، فهي إجازة روایة.

أما تلميذه الشيخ محمد أبو راس الناصري فقد حج مرتين: الأولى عام 1204هـ / 1790م، والثانية عام 1226هـ / 1812م وزار الشام، ومصر، وفلسطين⁽²⁾، واتصل هناك بالعديد من العلماء ذكرهم في كتابه "فتح الإله ومنتها، في التحدث بفضل ربى ونعمته"⁽³⁾، ويظهر أنه لم يكن يرجع إلى الجزائر فور أداءه الفريضة بل يستقر هناك مدة، ثمكنته من الاتصال بالعلماء والأخذ عنهم حيث دامت رحلته الأولى ما يقرب من سنة⁽⁴⁾، اتصل خلالها بأكابر العلماء وحصل على إجازاتهم.

ومن العلماء الذين أخذ عنهم وأجازوه شيخ المالكية محمد الأمير⁽⁵⁾؛ الذي وصفه في إجازته له "بالحافظ"، وقرأ على العلامة

¹ - أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983. ص، ص: 67، 68؛ ينظر نصها كاملاً في الفصل الرابع.

² - سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص: 461.

³ - مواضع متعددة من فتح الإله مثلاً: 58 - 65.

⁴ - كان في شهر شعبان من سنة 1205هـ في طريق العودة إلى الجزائر، بعد أخذه مصر على علماءها. أبو راس الناصري، فتح الإله، ص: 59.

⁵ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد القادر الأزهري، الشهير بالأمير (1154-1741هـ / 1816م)؛ أصله من مازونة بالجزائر، وكان أهله قد



عبد الله الشرقاوي الشافعى⁽¹⁾ شيخ الأزهر، فأجازه ولقبه في إجازته له " بشيخ الإسلام "، كما رحل إلى ينبع البحر وروى عن الشيخ عمارة العلاف الينبوي بعض صحيح البخاري وأجازه بالباقي، ثم رحل إلى أم القرى، والتقي هفتى الحنفية بها الشيخ عبد الملك الشامي القلعي⁽²⁾، فقرأ عليه نبذة من الكنز، ومشينا من التفسير في سورة النور، وأجازه بالباقي⁽³⁾.

وأنباء عودته إلى الجزائر من رحلته الأولى اتصل في مصر بالشيخ مرتضى الزبيدي، وقرأ عليه أوائل الصحيحين، ورسالة

رحلوا إلى مصر، وهو من أبرز فقهاء المالكية في عصره، درس عن الصعیدی، والبلیدی وغيرهما، أخذ عنه الكثير من العلماء كالدسوقي وأحمد الصاوي. له ثبت أتى فيه بتفصيل روایاته عن مشايخه، من مؤلفاته أيضاً المجموع وشرحه، وحاشية عليه وحاشية على شرح الزرقاني على المختصر. مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 362، 363. الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص، ص: 133، 134.

¹ - عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعى الأزهري الشهير بالشراوى (1150-1227هـ): قرأ على علماء الأزهر، وتولى مشيخته. من مؤلفاته: شرح العقائد المشرقة وشرح رسالة عبد الفتاح العادلى في العقائد، وختصر الشمائى وشرحه. الجبرتى، عجائب الأنوار، ج 3، ص - ص: 264-268.

² - عبد الملك بن عبد النعم بن تاج الدين القلعي الحنفي (ت 1229هـ / 1814م): أقام بمكة وأفتى بها. من مؤلفاته: الكواكب الدرية من فتاوى القلعة، بلوغ القصد في تحقيق مباحث أحمد. البغدادي، هدية العارفين، ج 1، ص: 628؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 2، ص: 319.

³ - محمد أبو راس، فتح الإله ومنتها، ص - ص: 116-118.

القشيري^(١)، و"ختصر العين"، و"ختصر الكنز الراقي"، وأجازه بالباقي، ثم كتب له الإجازة وبعضها: "إني أجزت الفقيه العالم المتنفن الحافظ فلان" إلى أن قال: "ذاكرني في فوائد جمة، وذكرني بطالب مهمة"، وقد أعجب أبو راس بإنصاف شيخه قائلاً: انظر إلى هذا الإنصاف الجميل الأوصاف، الذي اتصف به... من أن مثلي يذكره بالمسائل^(٢).

- إجازات بعض علماء الأزهر للشيخ حمودة بن محمد

المقايسي:

كان للشيخ حمودة بن محمد بن حمودة المقايسي الجزائري رحلة علمية إلى المشرق^(٣)، ولكن لا نعرف تاريخها ولا مدتها؛ إلا ما وُجد بخط يده في أواخر بعض الكتب، يثبت قراءتها بالقاهرة على بعض مشايخ الأزهر، منها ما وُجد على آخر نسخة بخط يده

^١ - الرسالة القشيرية في التصوف للمحدث الصوفي عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة القشيري، (425-376). البغدادي، المرجع السابق، ج ١، ص، 607، 608.

^٢ - محمد أبو راس، فتح الإله ومتنه، ص، ص: 59، 116.

^٣ - لم يستقر المقايسي هناك، مفضلاً العودة إلى مدينة الجزائر، وأصرّ على ذلك حتى عندما عرض عليه أهل تونس الإقامة بينهم، لبادرة التدريس هناك ويقومون بكل ما يحتاجه، ولكنه لم يتول أية وظيفة بها، ووجد بخطه متحدثاً عن عودته قائلاً: فوجدت فيها علماء أصحاب جاه، وكان في ذلك الوقت لا يسود إلا من يتردد على أصحاب الملكة، فكنت أتعيش بالصنعة، وأكلت كتني، أي باعها. الحفناوي، تعريف الخلف، ج ٢، ص: 150.

من "الحكم لابن عطاء الله الإسكندرى"⁽¹⁾، يؤكد فيها أنه ابتدأ قراءته بالجامع الأزهر على الشيخ الأمير في الفاتح من شهر رمضان، وختمه عليه في اليوم الثاني والعشرين منه، وذلك سنة 1203هـ، ومنها أنهقرأ "شرح القطب الرازي على الشمسية" في شهر شعبان من سنة 1204هـ / 1789م⁽²⁾.

كما أثبت في آخر ورقة من "تقرير القوانين" الكتاب المعروف في آداب البحث والمناقشة، بأنه طالعه مع الشيخ حسن بن محمد العطار الشافعي الأزهري⁽³⁾ بمنزل هذا الأخير، الكائن بالمشهد الحسني تجاه مسجد الحسين، وكان الفراغ منه في أواخر ربيع الثاني من سنة 1212هـ⁽⁴⁾.

من خلال هذه النصوص يتتأكد لنا أنه كان بالقاهرة في السنوات الثلاث المذكورة، ولكن لا نعلم إن مكث بها كل هذه المدة، أي بين التاريخ الأول والثاني (1203هـ و1212هـ) وهي مدة حوالي تسعة سنوات، أو أنه عاد إلى الجزائر ليرحل إليها من

¹ - الحكم العطائية لأحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندرى (ت 709هـ / 1309م). كحالة، معجم المؤلفين، ج 1، ص: 274.

² - الحفناوى، المرجع السابق، ج 2، ص: 149، 150.

³ - حسن بن محمد المصري المكنى بأبي السادات المشهور بالعطار (1180-1250هـ):قرأ بالأزهر على شيوخ كثريين منهم: محمد عرفة الدسوقي الكبير، والشيخ الأمير الكبير، وعلي بن محمد قبان وغيرهم، وأجازه مشايخه. من تأليفه: حاشية على الأزهرية، وحاشية على شرح قواعد الإعراب. عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص: 87، 88.

⁴ - الحفناوى، المرجع نفسه، ج 2، ص: 150.

جديد، وتأكد هذه النصوص أيضاً أن دراسته بالآزهر كانت دراسة فعلية هدفها تلقي العلم، وليس تحصيل الرواية فقط.

وأثناء المدة التي مكث فيها هناك قرأ على مشايخه جملة من الكتب في فنون متعددة كالموطأ، والشفاعة للقاضي عياض، وسنن ابن ماجة، وسنن أبي داود، وجامع الترمذى، وسنن النسائي⁽¹⁾، والقطب بحاشية عبد الحكيم⁽²⁾، والمطول والعقائد النسفية⁽³⁾، مع مراجعة حواشى عبد الحكيم⁽⁴⁾.

وقد أجازه الشيخ حجازي بن عبد المطلب العدوى المالكي⁽⁵⁾، والعلامة الشيخ محمد الأمير بنته وبغيره سنة 1205هـ/1790م، كما أجازه عامة الشيخ مرتضى الزبيدي وكتب إجازة بخطه وحلاه فيها "بالشيخ الصالح، الوجيه الورع، الفاضل المفید، السيد الجليل، والماجد النبیل"، وذكر أنه أسمعه حديث الأولية بشرطه، حيث لم يسمعه أحد، ثم عمّ له الإجازة، وبخصوص مؤلفاته قال بأنها نافت عن مئتين إلى وقت تسطيره⁽⁶⁾.

¹ - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 209.

² - الملا عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السلكوتى (ت 1067هـ). المحيى، خلاصة الأثر، ج 2، ص: 318.

³ - المطول وهو شرح لختصر القزويني في البلاغة، والعقائد النسفية في توحيد الماتوردية وهما للفائزاني.

⁴ - الحفناوى، تعريف الخلف، ج 2، ص: 150.

⁵ - اخذ عن الشيخ أمير وغيره. له عدة مؤلفات منها: حاشية على مجموع الشيخ أمير مخلوف، شجرة النور، ص: 364.

⁶ - الكتانى، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 345.



ونظراً لتفوق المقاييسى أذن له شيوخه في الأزهر بالإقراء، كالشيخ حسن العطار والشيخ محمد الدسوقي المالكى⁽¹⁾، والشيخ محمد بن علي المعروف بالصبان⁽²⁾، والشيخ محمد الأمير⁽³⁾، ولكن لا نعرف طبيعة هذا الإذن، فهل هي تزكية منهم له في مباشرة التدريس، أم كتبوا له بذلك إجازات تدريس، كما هو متعارف في هذا النوع من الإجازات.

وهناك إجازة تعليمية كتبها له الشيخ محمد الدسوقي المالكى، بعد قراءاته عليه "شرح القطب الرازي على الشمسية"؛ فقد وجد في آخر الكتاب المذكور نصين، الأول بخط المقاييسى ورد فيه بعد الحمدلة والتصلية: "ختم هذا الشرح النفيس... تدريساً وتحقيقاً، وتدقيقاً وتنميقاً، على حضرة أستاذنا خاتمة المحققين، صدر الأعلام المدرسين... مولانا الشيخ محمد المعروف بالدسوقي... في يوم

¹ - محمد بن أحمد بن عرفة (ت 1230هـ / 1814م)؛ الدسوقي نسبة إلى بلده دسوق من قرى مصر، حضر مصر، وقرأ على شيوخها كالشيخ علي الصعیدي، والدردیر، وحسن الجبرتي. من مؤلفاته: حاشية على مختصر السعد، حاشية على كبرى السنوسى. الجبرتي، عجائب الآثار، ج 3، ص: 349؛ مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 361 .362

² - محمد بن علي الصبان الشافعى المصرى (ت 1206هـ)؛ حضر على مشايخ مصر كأحمد الجوهري والبليدى. من تأليفه: حاشية على الأشمونى، وحاشية على شرح العصام على السمرقندية. الجبرتي، المصدر السابق، ج 2، ص - ص: 96 - 98.

³ - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 209.

الاثنين المبارك، السادس والعشرين من شهر شعبان سنة
1204هـ⁽¹⁾.

والثاني إجازة بخط شيخه محمد الدسوقي المذكور، ورد فيه
بعد الحمدلة والتصلية: "فقد لازمني في حال قراءتي لهذا الشرح،
السيد الفاضل اللوذعي الكامل" إلى أن قال: "وبحث وأجاد ولازم
واستفاد، وطلب مني إجازة بذلك، ظناً منه أنّي أهلاً لها، فأجبته
راجياً من الله تعالى أن يُحقق ذلك، قائلاً: قد أجزته به، وبغيره مما
تلقيته عن أشياخي من منقول ومعقول، وفقه وأصول⁽²⁾، وذيلها
بختمه.

- الإجازات المتبادلة بين الشيخ مرتضى الزبيدي والعلماء

الجزائريين:

يُعدُّ الشيخ مرتضى الزبيدي الحنفي أشهر المسندين
المتأخرین، لتميزه عن غيره من العلماء بطريقته في تدريس الحديث
الشريف، فقد شرع إملائه على طريق السلف في ذكر الأسانيد،
والرواة المخرجين على طرق مختلفة، فكان كل من قدم له يُ ملي
عليه الحديث المسلسل بالأولية، وهو حديث الرحمة برواية
خريجه، ويكتب له سندًا وإجازة وسماع للحاضرین، ولذلك
اشهر أمره عند الخاصة وال العامة.

¹ - الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 149.

² - الحفناوي، المرجع نفسه، ج 2، ص: 148.

وقد دعاه كثيرون من الأعيان إلى بيوتهم، وعملوا من أجله ولائم فاخرة، فكان يذهب إليهم مع خواص الطلبة، والمقرئ، والمستمبلي، وكاتب الأسماء، فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية كثلاثيات البخاري، والدرامي، أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة، وصاحب المنزل، وأصحابه، وأحبابه، وأولاده، وبناته ونسائه من وراء ستائر، وبين أيديهم مجامر البخور مدة القراءة ثم يختتمون ذلك بالصلوة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين والتاريخ، ويكتب الشيخ تحت ذلك « صحيح ذلك »⁽¹⁾، وكانت هذه طريقة المحدثين في القرون الإسلامية الأولى، هذا ولم يقتصر تدريسه للحديث على الرواية بل انتقل إلى الدراسة أيضاً⁽²⁾.

كما ارتفع شأنه عند أرباب الدولة في مصر، وطار ذكره في الآفاق، وكتبه الملوك من الترك والهزار، والهند والشام، وملوك المغرب والجزائر⁽³⁾ وغيرها، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية، وترادفت عليه الهدايا والصلات⁽⁴⁾، وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة، ف كانوا في أيام طلوع الحج ونزوله

1 - ينظر إجازات السمع في المدخل.

2 - الجبرتي، عجائب الآثار، ج 2، ص: 75، 76.

3 - في "الثغر الجماني" لابن سحنون جواباً من الشيخ مرتضى لباعي وهران محمد الكبير بتاريخ جادى الأولى 1201هـ / 1786م، كرد على رسالة بعث بها له هذا الأخير. ص: 149، 150.

4 - الجبرتي، المصدر السابق، ج 2، ص: 76.

يتزاحمون على بابه من الصبح إلى الغروب، وكان لهم فيه اعتقاد زائد، ولذلك قال الجبرتي: "ربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى، حتى أن أحدهم إذا ورد مصر حاجا ولم يزره، ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملا"⁽¹⁾.

وكان الجزائريين من جملة أهل المغرب الإسلامي الذين اتصلوا به، حكامًا ورعيه، فتبادلوا الإجازات مع العلماء منهم وأخذ الشيخ مرتضى الزبيدي عن الشيخ محمد المنور التلمساني نزيل مصر وحصل على إجازة منه⁽²⁾.

ومن الشيوخ الذين أجازوا الزبيدي مكتبة من الجزائري: مفتى عناية الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الحسني الشهير بزروق، وذلك سنة 1179هـ / 1765م⁽³⁾، وأجازه مكتبة أيضًا الشيخ أحمد البوني⁽⁴⁾ وهو غير الشيخ أحمد التميمي البوني المشهور، كما أجازه من قسنطينة الشيخ عبد القادر الراشدي، وقد ترجم له الزبيدي في معجمه وحلاه "شيخنا الإمام المحدث الصوفي النظار"⁽⁵⁾.

¹ - الجبرتي، المصدر نفسه، ج 2، ص: 77.

² - العيد مسعود، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والشرق خلال العهد العثماني" ص: 51.

³ - الكتани، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 238.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 47.

⁵ - الكتاني، المرجع السابق، ج 1، ص: 239.



ونشر الشيخ مرتضى الإجازة بين المعاصرين له ومنهم الجزائريين، وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله: "كان محمد مرتضى الزبيدي تأثيراً على علماء الجزائر بطريق الإجازة"⁽¹⁾، فقد أجازهم فرادى وجماعات، وله إجازة عامة لأهل الرشاد، وأخرى لأهل قسنطينة تقع في مجلد صغير⁽²⁾.

أما طريقة في الإجازة فاشترط أن يقرأ عليه المجاز أوائل الكتب التي يحيزها بها، من ذلك ما قاله البعض علماء الأزهر لما طلبوا منه الإجازة: "لا بد من قراءة أوائل الكتب"⁽³⁾، وهي نفس الطريقة التي أجاز بها العلماء الجزائريين، فقد روى عنه الشيخ حمودة المقايسي وهو من مسندي الجزائر، وأجازه عامة، وكتب له ذلك بخط يده⁽⁴⁾، كما اتصل به الشيخ محمد أبي راس، وحصل على إجازة منه⁽⁵⁾، وجمع هذا الأخير فهرسة في أسانيد شيخه سماها "السيف المنتضى في أسانيد الشيخ مرتضى"⁽⁶⁾.

وكان الشيخ أحمد بن عمّار ممن ترددوا على مصر في أيام شهرة الشيخ مرتضى، وهذا لا يستبعد أن يكون قد أجاز له أيضاً،

¹ - تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص: 51.

² - الكتاني، المرجع السابق، ج 1، ص: 538، وذكر أنه يملك نص إجازته لأهل قسنطينة.

³ - الجبرتي، عجائب الآثار، ج 2، ص: 75.

⁴ - الكتاني، المرجع السابق، ج 1، ص: 345.

⁵ - محمد أبو راس، فتح الإله ومتنه، ص: 115، 116.

⁶ - بشير ضيف بن أبي بكر، معلمة التراث الجزائري، ج 2، ص: 115.

ولغيره من علماء الجزائر الذين ترددوا على مصر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر^(١).

ومن العلماء الذين أجازهم الشيخ مرتضى أيضاً: شيخ الجماعة يستغامم محمد بن الجنديوز، والسيد مصطفى بن عبد القادر الرشدي، والسيد عبد القادر بن دح الرشدي، ومحمد السنوسي وابن سعد التلمساني^(٢)، هذا ولا تزال بعض الأسر العلمية ببني يعلى العجيسى تحفظ بإجازاته لبعض تلامذته منهم^(٣).

ولم تقتصر علاقاته بعلماء شمال الجزائر، وإنما تعدت ذلك إلى علماء الجنوب، منهم علماء بلدة آقبلي (من عمالة توات)؛ التي ذكرها الزبيدي في مصنفه "معجم المشايخ"، وترجم لبعض أعيانها كرئيس ركب الحج التواتي الشيخ أبي نعامة الكتني شيخ الزاوية القادرية الكتبية الملقب بالبكاي، وحلأه بالولي الصالح وأثنى عليه وأجازه عندما قدم القاهرة في سنة ١١٩٧ هـ^(٤).

^١- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢، ص: ٥١.

^٢- الكتاني، فهرس الفهارس، ج ١، ص: ٥٤٠.

^٣- المهدى البواعبدي، الثغر الجماني، (من مقدمة التحقيق)، هامش: ٢، ص: ٦٩.

^٤- حماد الله ولد سالم، "دور ركاب الحاج والأوقاف في التواصل بين المجال الشنقطي - السوداني مع المشرق العربي"، ص: ٤١.



- إجازات الشيخ ابن العنابي لبعض علماء المشرق:

كان الشيخ محمد بن محمود العنابي الحنفي من المترددين على المشرق، فقصد بيت الله الحرام في سنة 1236هـ / 1820م، وأدى الفريضة، وأقام يُدرّس ويُفْقِد بالأزهر لمدة تسع سنوات، وأثناء إقامته هناك حج ثلث مرات⁽¹⁾، ثم رجع إلى الجزائر، وحل بها سنة 1245هـ⁽²⁾.

وأثر وقوع الجزائر في قبضة المحتل الفرنسي سنة 1246هـ / 1830م، كان الشيخ ابن العنابي من المُحَمَّسين على الجهاد مما أدى إلى نفيه⁽³⁾ إلى الإسكندرية سنة 1831هـ، وفي السنة نفسها وُلي بها إفتاء الحنفية، فظل على ذلك إلى سنة 1266هـ / 1849م⁽⁴⁾.

¹ - عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص، ص: 187، 188.

² - يذهب عبد الحميد بيك (ص 188) إلى أنَّ والي الجزائر حسن باشا بعث في طلبه سنة 1245هـ، وأرسل له بسفينة مخصوصة، فتوجه بها إلى الجزائر في التاريخ المذكور، ولكن الأصح هو ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله (المفتى الجزائري ابن العنابي، ص 29) انطلاقاً من بعض الوثائق بالمكتبة الوطنية بتونس: من أنَّ ابن العنابي حل بهذه الأخيرة في أواخر سنة 1244هـ، وظل بها فترة من الزمن، وكان بالجزائر في بداية سنة 1245هـ. فلو عاد في سفينة مخصوصة لما نزل بتونس ومكث بها مدة من الزمن.

³ - تذهب أغلب الروايات إلى أنه سُجن من طرف كلوزيل، ثم نفي إلى مصر بين سنتي 1830 و1831م، بينما يذهب عبد الحميد بيك إلى أنه أصبح معرضاً للخطر، بعد الوشاية به إلى السلطات الفرنسية، ولذلك خاف على نفسه وتوجه إلى الإسكندرية. أعيان من المشارقة والمغاربة، ص، ص: 188-189. أبو القاسم سعد الله، المفتى الجزائري، ص: 33-35.

⁴ - عبد الحميد بيك، المصدر السابق، ص - ص: 188-190.



وخلال تواجده بالقاهرة تصدر الشيخ ابن العنابي لتدريس الحديث الشريف والفقه بالجامع الأزهر، حيث التف حوله تلاميذ علماء فأجازهم، وكان من تلامذته الذين أجازهم في رحلته الأولى الشيخ إبراهيم بن علي الشهير بالسقا⁽¹⁾، في الخامس من شهر شعبان سنة 1242هـ / 1826م، وعما ورد في إجازته له: وقد فرأ عليًّا الشيخ الإمام الفاضل ابن الحسن إبراهيم بن علي بن حسن المعروف بالسقا... جُل صحيح البخاري إلى باب الإحتباء من كتاب اللباس، وسمع ذلك الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن يوسف القتبي إمام الجامع الأزهر، والشيخ الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن عثمان الدمياطي الغمراوي الشافعي... والشيخ أبو الحسن إبراهيم بن حسن الكردي الشافعي...، كما ختمها بقوله: قال هذا وكتبه: الفقير إليه سبحانه محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري الحنفي الشهير ببلده بابن العنابي... بتاريخ خامس شعبان سنة 1242هـ⁽²⁾، فهي إجازة قراءة لإبراهيم السقا وسماع للحاضرين حين قراءته عليه.

¹ - أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن حسن السقا الشافعي (1212-1298هـ / 1797-1880م): من أعلام مصر ومسندتها يروي عن الأمير الصغير، وتعليب الضرير وهو أعلى شيوخه إسناداً، ومحمد صالح الرضوي البخاري، وإبراهيم الرياحي. له عدة مؤلفات منها: حاشية على فضائل رمضان للأجهوري، ورسالة في الطب النبوي، وأشهر مؤلفاته حاشية على تفسير أبي السعود. الكتاني، فهرس الفهارس، ج¹، ص: 131، ج²، ص: 132؛ المرجع نفسه، ج²، ص: 1006؛ عبد الحفيظ الفاسي،

معجم الشيوخ، ج¹، ص: 121.

² - أبو القاسم سعد الله، المفتى الجزائري ابن العنابي، ص: 36.



كما كتب في شهر رمضان من نفس السنة إجازة عامة للشيخ عبد القادر الرافعي، بعد أن قرأ عليه أوائل كتب الحديث وغيرها، وهي كالسابقة إلاً في بعض التفاصيل⁽¹⁾، وقد ذيل الإجازة بختمه⁽²⁾.

- إجازات علمية متفرقة خلال القرنين الثاني والثالث عشر

المجريين:

يعتبر القرنان الثاني والثالث عشر المجريين من أكثر فترات تواجد العلماء الجزائريين بالشرق سيما مصر، فكان من اشتهر بها الشيخ أبو العباس الجزائري⁽³⁾، المعروف بأبي العباس المغربي، دخل مصر صغيراً، ولازم الشيخ علي الصعيدي، وتفقه عليه، فأذن له في التدريس، وصار يقرئ الطلبة في الأزهر، وراج أمره لفصاحته، وجودة حفظه⁽⁴⁾.

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 37.

² - يحمل الختم عبارة: متضرر لطف الودود عبده محمد بن محمود 1232هـ، ولكن التاريخ الذي يحمله الختم، ليس تاريخ الإجازة، لأن ابن العنابي كان في هذا التاريخ قاضياً للحنفية بالجزائر، ولتأكد أبو القاسم سعد الله بأنها كانت سنة 1242هـ.

³ - أبو العباس المغربي (ت 1202هـ / 1788م): أصله من صحراء عمالة الجزائر، نزل مصر، وأخذ على علمائها، وحج سنة 1182هـ، وجاور بالحرمين لمدة سنة، = فلازم بها دروس الشيخ أحمد السندي، ثم عاد إلى مصر، وتولى نظر المدرسة الجوهريه. الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص، ص: 30، 31.

⁴ - الجبرتي، عجائب الآثار، ج 2، ص: 44.



إن ملazمته للشيخ علي الصعيدي لا بد أن تُشَوَّج بإجازات علمية تعليمية، كما جرت العادة بذلك، سيما وأنه كان يرى فيه كفاءة تؤهله للتدرис، ولذلك أذن له فيه، فهل هذا الإذن هو إذاعة في التدرис، كتب له بها، أم هو مجرد تزكية وإذن شفهي؟
هذا ما لم يَبِينه الجبرتي.

ودامت إقامة الشيخ علي بن عبد القادر المشتهر بالابن الأمين المالكي حوالي ثمانية عشر سنة بمصر، أخذ فيها المعقول والمقول على أجلة العلماء هناك، ومن جملتهم: عبد الله المكلكسي الراوي، والشهاب الملوى، والشيخ أحمد الجوهري، والشمس محمد بن سالم الحنفي، والأستاذ علي الصعيدي العدوي، وأحمد بن محمد الدردير، والشيخ حسن الجبرتي، والشيخ محمد بن أحمد الجوهري الصغير⁽¹⁾، والشيخ محمد الأمير الكبير⁽²⁾.

كما وُجد في "عمدة الأثبات" أن مَنْ أجاز له: الشمس محمد بن سالم الحنفي، والشيخ أحمد الملوى، والشيخ عبد الله الشبراوى الشافعى⁽³⁾، وأحمد الجوهري⁽¹⁾، المعروف بالجوهري الكبير، فقد

¹ - محمد بن أحمد بن حسن، الشهير بابن الجوهري (1151-1215هـ): هو أحد أبناء الجوهري الثلاثة، وهو أصغرهم، درس على والده وعلى الملوى، ودرس بالمدرسة الأشرفية، وحج سنة 1187هـ وجاور سنة، وعقد دروساً بالحرم. الجبرتي، المصدر السابق، ج 2، ص - ص: 307-309.

² - عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص: 150.

³ - أبو محمد عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهري الشافعى الشهير بالشبراوى (1072-1091هـ): من شيوخه: محمد الخرشبي، وخليل بن إبراهيم

اشتهرت روايته عن هذا الأخير، والذي صرَّح به هو أَنَّه قرأ عليه واستجازه فوعده بالكتابة، واحترمه المنية فأجازه ولده⁽²⁾، وكان ابن الأمين قد درس على ابنه محمد المعروف بالمعروف بالجوهري الصغير، فهو الذي أجازه إذن.

وقد أخذ الشيخ محمد بن عبد الله الجلالي الراشدي هو الآخر على علماء المشرق، وذكر في إجازاته لعبد القادر الراشدي ممن أجازوه من أهل مصر: الشيخ الدمنهوري، والشيخ محمود الكردي، وبالمدينة المنورة الشيخ السُّمَان⁽³⁾ وغيرهم⁽⁴⁾.

حجَّ الشيخ العلامة زين العابدين بن عبد القادر المشرفي المعروف بابن عبد الله سقط، ولقي شيوخاً أخذ عنهم وأخذوا عنه، وله فهرسة تشهد بذلك⁽⁵⁾، وحصل هناك على إجازات كثيرة أغلبها عامة، منها إجازة الشيخ محمد الأمير التي قال فيها:

اللقاني. تولى مشيخة الجامع الأزهر. من مؤلفاته: ديوان شعر مسمى "بنانع الألطاف".
المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص: 106.

¹ - أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن يوسف الكريمي الشافعي الأزهري (1096- 81 أو 1182هـ / 1768م): المعروف بالجوهري الكبير، لإنجاحه لأبناء علماء = تصدر بعضهم للتدريس في حياته. درس بمصر والحرمين، وله ثبت تضمن خصوص إجازاته الكتани، فهرس الفهارس، ج 1، ص: 303.

² - عبد الحي الكتاني، المصدر نفسه، ج 2، ص: 785.

³ - شمس الدين محمد بن سعيد بن محمد الحنفي الدمشقي الشهير بالسمان (ت 1173هـ): زار مصر مرتين الأولى سنة 1144هـ، والثانية سنة 1172هـ وزاحم علمائها وأدبائها. الجبرتي، عجائب الآثار، ج 1، ص: 215.

⁴ - المهدى البواعظى، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص: 151.

⁵ - المشرفي، «ياقوتة النسب الوهاجة»، ورقة: 12 و.

اجزته وجميع من ذكر، بما ذكر وما طلب، وإجازة الشيخ محمد بن محمد الأنصاري المدنبي، الذي أجاز له وأولاده وتلامذته عموماً، وإجازة الشيخ عمر بن عبد الرسول العطار المكي⁽¹⁾، وهو الآخر أجاز له، وأولاده من وجد ومن سيوجد، وأجاز له حسن بن علي القويسي⁽²⁾ وأولاده الموجودين، ومن سوف يوجد وتلامذته، ومن يطلب الإجازة منه⁽³⁾. والهادي بن محمد الحسيني، ومحمد بن حسن الميقاتي الإسكندراني المالكي، ومحمد سعيد الملقب بدروش القادري، الشيخ الشهاب أحمد الصاوي⁽⁴⁾، والشمس محمد بن علي الشنوازي، ومحمد صالح الرئيس الزمزمي المكي، ومفتاح الدين بن حسام الدين البخاري، والشهاب أحمد الدواعلي الشافعي المصري، له وأولاده وكل من استجازه⁽⁵⁾. كما دخل الشيخ محمد بن علي السنوسى - هو الآخر - مصر والجazz فروى فيما عامة عن المحدث الشيخ أبي العباس أحمد بن

¹ - عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي الشافعى (ت 1249هـ): مسند مكة عمدته النور أبو الحسن علي الونانى المصرى. الكتานى، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 769.

² - حسين القرىسى المالكى (ت 1250هـ) نسبة إلى قويستة بلدة مصر،جاور بالأزهر ودرس بالإسكندرية، وتولى قضاء بها. عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة ص: 115.

³ - عبد الحى الكتانى، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 578.

⁴ - أبو العباس أحمد الصاوي (ت 1241هـ): أخذ على آئمته منهم: أحمد الدردير والدسوقي. له حاشية على تفسير الجلالين وغيرها. البغدادى، هدية العارفین، ج 1

ص: 364، ص: 184، 185؛ خلوف، شجرة النور، ص: 364.

⁵ - عبد الحى الكتانى، المرجع السابق، ج 2، ص: 578.



إدريس، وهو عمده في طريق القوم، وقاضي مكة عبد الحفيظ العجمي، وعمر بن عبد الرسول العطار المكي، وأجازه بمصر الأمير الصغير، والنور القويسي، والشمس الفضالي، وحسن العطار، والبدر الميلي، والمعمر ثعيلب الضرير، والنور علي النجاري، والشهاب الصاوي وفتح الله السمنديسي وغيرهم⁽¹⁾.

وقد تصدى الشيخ السنوسي للتدرس بالشرق، ومن تلامذته هناك⁽²⁾ مفتى الخانابة بمكة العلامة محمد بن عبد الله بن حميد الشركي، فقد روى عنه الحديث المسلسل في أثناء لقاءه به، ثم لازمه عدة سنوات، وأجازه جميع ما تضمنه ثبته "البدور الشارقة" فيما لنا من أسانيد المغاربة والشارقة، وقال محمد الحنبلـي بأنـ شيخـهـ السنـوـسـيـ كانـ يـقـرـأـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ فـيـ شـهـرـ،ـ وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ فـيـ خـمـسـةـ وـعـشـرـينـ يـوـمـ،ـ وـالـسـنـنـ فـيـ عـشـرـينـ يـوـمـ⁽³⁾.

كما لازمه الشيخ فالح الظاهري⁽⁴⁾ سبع سنين حضرا وسفرا، وأخذ عنه علمي الظاهر والباطن، والحديث الشريف روایة ودراسة وغيرها، وقال في آخر أمره معه⁽¹⁾:

¹ - عبد الحفيظ الكتاني، المرجع نفسه، ج 2، ص، ص: 1040، 1041.

² - اشتهر ابن السنوسي كعالم خارج الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي وهذا لم أتوسع في إجازاته لتلامذته.

³ - عبد الحفيظ الكتاني، المرجع السابق، ج 2، ص: 1043.

⁴ - محمد فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح الظاهري المهنوي الحسني (1258-1328هـ): من أهل المدينة المنورة، كان متبحراً في علم الحديث. دخل الأستانة أيام السلطان عبد الحميد فعينه لقراءة الحديث بالقصر السلطاني. من مؤلفاته: منظومة في



أجزتكم مروينا كله وما
سيؤثر عناً راجياً لدعائي
من خلال ما تقدم نخلص إلى أنَّ الرحلات الحجازية لعبت
الدور الأعظم في التواصل الفكري الثقافي بين الجزائريين وغيرهم
من العلماء، بما كانت تفضي إليه من اتصال مباشر بين حجاج
الأقطار، وبما كانت تجلبه من مؤلفات وتصانيف ومراسلات
إخوانية، وإجازات واستجازات في مختلف الاتجاهات.

ويمكن التمييز بين نوعين من العلماء الجزائريين بالشرق،
المستقررين نهائياً منحوا الإجازات أكثر مما تلقوا، وكثُر تلامذتهم،
وانشرت إجازاتهم، أمّا المهاجرين مؤقتاً طلباً للعلم أو للحج،
فقد تلقوا الإجازات أكثر مما منحوا، وعلى العموم فقد تلقى
الجزائريون إجازات المشارقة أكثر مما منحوه.

اصطلاح الحديث وشرحها. عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، ج 2، ص، ص:
233، 234.¹

¹ - عبد الحفيظ الفاسي، المصدر نفسه، ج 2، ص: 234.





الفصل الرابع

نماذج من إجازات العلماء الجزائريين
خلال العهد العثماني



تشترك الإجازة العلمية في خصائصها العامة مع غيرها من العقود والوثائق والرسائل، وتنفرد عنها ببعض الخصوصيات الناتجة عن موضوعاتها؛ ولذلك فلا تكتمل الصورة حولها بدون عرض لنماذج منها.

أولاً. خصائص الإجازة العلمية وقيمتها التاريخية:

- خصائص الإجازة العلمية:

من خلال الإجازات العلمية التي وقعت بين يدي - ومنها النماذج الواردة في هذا الفصل - توصلت إلى بعض خصائص الإجازة شكلاً ومضموناً، أو من ناحية البناء والصياغة الأدبية.

أ- خصائصها من ناحية البناء:

يُقصد بالبنية أو «البنية النموذجية» تلك الوحدات والفقرات التي تشكل منها الإجازة العلمية بنوعيها التشرية والنظمية، والبنية التي سوف نوردها تختص الإجازة بالرواية وإجازة القراءة بالدرجة الأولى - الأكثر تداولاً في العهد العثماني - وهما تختلفان في بعض التفاصيل عن بقية الإجازات العلمية، حيث تُدَلِّل الإجازة بالقرآن الكريم بشهادات العدول والقاضي، كما تُدَلِّل الإجازة بالفتوى والتدريس في بعض الأحيان بشهادات العدول، واقتصرت على النوعين المذكورين، لأنني لم أتمكن من إدراج نماذج من بقية أنواع الإجازات، والعناصر الأساسية للإجازة هي:

- 1 - مطلع الإجازة: ويشمل البسمة والحمدلة، والتصلية على النبي - عليه الصلاة والسلام -.
- 2 - الإشادة بفضل العلم، وبالأخص العلم الذي ثمنع فيه الإجازة.
- 3 - ذكر طبيعة العلاقة بالمجاز له، ومكانته العلمية.
- 4 - تواضع الشيخ المجيز قائلاً بأنه ليس أهلاً لمنح الإجازة.
- 5 - الإقرار بالإجازة: وتتضمن التصريح بها، وقد يسبق أو يتبع بسند مرويات المجيز وشيوخه أو مؤلفاته.
- 6 - ختم الإجازة: يُفتح عادة بعبارة «قاله وكتبه فلان»، «هذا خط فلان» أو ما شابهه، ليكتب المجيز غالباً اسمه وتاريخ الإجازة، ويعقب ذلك بالصلاحة على النبي المصطفى - عليه الصلاة والسلام -.

هذا هو الهيكل الذي كان سائداً خلال العهد المدرس⁽¹⁾، ولكن بعض تلك العناصر لم تتسم بالثبات والاستقرار، وإنما كانت تتغير، إما عن طريق التعديل أو الحذف أو التقديم والتأخير؛ وقد تداخل هذه العناصر مع بعضها البعض.

وهناك بعض الاختلاف بين الإجازات النثرية والنظمية من حيث البنية، فقد كان الشيوخ يحتفظون بجمل العناصر في إجازاتهم النثرية، مع خضوعها للترتيب، بينما لم يتقيدوا بها بشكل كبير في

¹ - هذه البنية ليست وليدة العهد العثماني، ففي «صبح الأعشى» إجازات تعود إلى القرن 8هـ تضم جل العناصر المشار إليها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص - 325 - 330.

إجازاتهم النظمية، لأن ذلك يتم على حساب الوزن والأسلوب في بعض الأحيان.

فاما من حيث «المطلع»، فإننا نكاد نجد كل الإجازات الترثية تحتوي على البسمة والحمدلة والتصلية، في حين خلی منها عدد غير قليل من الإجازات النظمية، وقد أورد المقری الحمدلة والتصلية في عدد كبير من إجازاته، وافتتح أخرى بالتصريح بالإجازة مباشرة على هذا الشكل «أجزت فلان» أو ما شابهه وافتتح إحداها بمطلع طللي، وهو ما نجده في إجازته للشيخ تاج العارفين التونسي، أما الشيخ يحيى الشاوي فكان يقدم لإجازاته النظمية بمطلع ثري لا يتجاوز سطرين.

وقد أشاد بعض المجازين بفضل العلم، واستعرضوا فهارسهم وأسانيدهم وشيوخهم ومؤلفاتهم في إجازتهم الترثية في حين أهمل ذلك في جل الإجازات النظمية، وأكثر من حرص على ذكر أسانيده في إجازاته النظمية الشيخ أحمد المقری.

أما فيما يتعلق «بالإقرار بالإجازة» الذي هو محور الموضوع، فلا يمكن لأي مجاز الاستغناء عنه وإلا لما سُمِّي النص إجازة، وقد خُتمت جُل الإجازات بعنابة تامة لاحتواها ولو بإيجاز على تاريخ الإجازة واسم الشيخ المجاز، وما انفردت به بعض الإجازات، تقديم وصية للمجاز له بتقوى الله وبالأمانة العلمية، كما هو الحال في إجازت الشیخ محمد الجلالي لبعض تلامذته.



بـ- خصائصها من ناحية الصياغة الأدبية:

يُقصد بالصياغة الأدبية تلك الأساليب المستخدمة في الإجازات العلمية، بحيث كان جل شيوخ الإجازة يلمون إماماً كبيراً بأنواع من المعارف، أهمها العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى براعة بعضهم البلاغية، ولهذا اكتسبت بعض الإجازات قيمة أدبية، والمتمثلة في تلك الصياغة البلغة التي صيغت بها، على الرغم من موضوعاتها العلمية المنسنة بالطابع الديني.

وتتأثرت الإجازة من هذه الناحية بالعصر، وطبعت بطبعه واكتسبت خصائصه الأدبية، فسلك المجizzون في إجازاتهم - في العصر الذي ندرسه - مسلك السهولة في اللفظ والوضوح في العبارات، وتجنبوا استعمال الكلمات الغريبة والمهجورة، كما امتازت معانيها وأفكارها بالسهولة والوضوح، وهي لذلك تبدو سطحية، ورغم بعدها عن التكلف والتعقيد، فإنَّ حرص بعض الشيوخ على تحقيق الوزن والقافية في إجازاتهم النظمية، جعلهم يلجؤون إلى التركيب، فجاءت لذلك بعض عباراتها معقدة.

ونظراً لطبيعة الموضوع طغى على الإجازة الأسلوب الخبري الملائم للإقرار بالحقيقة دون الإنساني، ويلاحظ في أساليب النماذج الواردة اعتراف بعض الجمل الدعائية التي يقتضيها المقام، خاصة الدعاء للمجاز له بالتوفيق والسداد في أعماله.

وقد أكثر المجizzون من الوصف المتمثل في تحليمة المجاز له والثناء عليه، إذ يسترسل بعض الشيوخ في وصف المجاز بكثير من

الصفات، وهذا عند ذكره لأول مرة، ناهيك عن الصفات التي يذكرها كلما ذكر اسمه، ومهما يكن من أمر فإن تلك الصفات الكثيرة قد تدخل في باب المبالغة في المدح، حيث أكثر بعض المجيدين من استعمال صيغ المبالغة والتفضيل.

أما على مستوى الجمل والألفاظ فإنه من الطبيعي أن تؤدي المعاني الجزئية التي يتبينى عليها الموضوع غرضاً يخدمه، فالالفاظ الواردة في الإجازات تحمل معانٍ علمية ودينية، ومن أكثرها وروداً الاصطلاحات التالية: الرواية، الدرائية، الإسناد، الفهرس الاستدعاة وغيرها.

وإذا انتقلنا إلى مستوى الجمل في بناء وحدة الموضوع، نجد أنها جملًا متشبعة بالمعانٍ الدينية، وهذا استعان بعض الشيوخ في صياغة إجازاتهم بالقرآن الكريم والحاديـث الشريف إقامة للحجـة وإيضاحـاً للبرهـان، وهذا الاقتـباس إما أن يكون للاستـشهاد أو يكون اقتـباسـاً معنـوـياً أو لفـظـياً، حيث يقتـبسـ الكـاتـبـ التـعبـيرـ والـجـملـ منـ صـيـغـةـ الآـيـاتـ وـالأـحـادـيـثـ وـمـنـ معـانـيـهـماـ، وـكـانـ الشـيـوخـ يـحـافـظـونـ دـوـمـاـ عـلـىـ سـجـعـاتـهـمـ وـهـمـ يـقـتـبسـونـ، وـهـذـاـ لـإـبـراـزـ مـقـدـرـتـهـمـ وـمـهـارـاتـهـمـ الـفـنـيـةـ، وـبـعـارـةـ أـخـرـىـ كـانـواـ يـقـتـبسـونـ مـنـ الأـسـلـوبـ الـقـرـآنـيـ وـالـأـسـلـوبـ النـبـويـ ماـ يـغـدوـنـ بـهـ أـسـلـوبـهـمـ مـبـنىـ وـمـعـنـىـ.

وأـمـاـ حـينـ كـانـ الشـيـوخـ يـتـجاـوزـ أـسـلـوبـ الـحـقـيقـةـ فـيـ التـعبـيرـ عـنـ أـفـكـارـهـ وـمـعـانـيـهـ إـلـىـ أـسـلـوبـ الـمـجـازـ، نـرـاهـ يـعـتمـدـ فـيـ تـلـكـ الـأـفـكـارـ



والمعاني على طائفة من الاستعارات والكتنائيات والتشبيهات، وقد تم توظيفها بشكل ملفت للانتباه في بعض الإجازات النظمية، كما هو الحال في مطلع إجازة الشيخ سعيد المقرى لأحمد بن القاضي وفي مطلع إجازة الشيخ أحمد المقرى لناظ العارفين، بينما جأ إليه البعض الآخر في مواضع محددة وهي المدح والثناء على المجاز له بالخصوص، أما في الإجازات التثرية فلم يُوظف البيان بشكل كبير، عدا الشيخ عيسى الشعالي الذي أسرف فيه في إجازته لمحمد العيثاوي الدمشقي.

والملاحظ أنَّ عدداً قليلاً فقط من الشيوخ هم الذين كتبوا إجازاتهم بكلام مرسل⁽¹⁾، ومن الإجازات القليلة التي وردت بكلام مرسل: إجازة الشيخ محمد السعدي آبهلول للشيخ يحيى الشاوي، بينما جأ شيوخ آخرون إلى فنون اللغة والأدب، فخرجت إجازاتهم من الكتابة العادية إلى الكتابة الفنية، ولذلك لاقت بعض الإجازات إعجاباً من طرف العلماء، وربما كتبوا عليها تقاريرظ كما فعل الشيخ أحمد المقرى حين قرَّرَ إجازة الشيخ العلمي لبعض أهل مصر⁽²⁾.

وقد استُغْلِّ علم البلاغة بشكل ملفت للانتباه، سيما الفنون البدوية، وأئَّبَ المُجِيزُون الأسجاع الكثيرة، وكانت الغاية منه إلى

¹ - الإجازة ضمن مجموع رقم: 335، مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية ص، ص: 33، 34.

² - أحمد المقرى، الرحلة، ص: 84.

جانب الجناس تحقيق غاية صوتية، وهي إرضاء الحاسة الذوقية السمعية.

ونجدر الإشارة إلى أنَّ الإسراف في استخدام المحسنات البدعية بدأ خلال العصر العباسي الثاني؛ أي منذ القرن 4هـ، وظل الكتاب مفتونين باستعماله خلال العهد العثماني، حتى كانت عنوانين مؤلفاتهم لا تخلو من السجع.

وأول ما يسترعي النظر في أسلوب الإجازات التثيرة - ومنها النماذج التي سوف نوردها - أنَّ جل عباراتها مسجوعة، فقد اهتم الكتاب في العهد المدروس بالألفاظ والأساليب، فأكثروا من الزينة اللفظية، والمحسنات البدعية من سجع وجناس وطبق، وبيدو في الإجازات التصنيع والتتكلف لإظهار المقدرة اللغوية فجاءت عباراتها مرسلة سمححة حيناً، ومصنوعة متكلفة حيناً آخر بحيث فتنَ الكتاب بالسجع الذي يُلزِم الإجازة من أولها إلى آخرها، عدا الفقرة المخصصة لذكر المشايغ وسرد المرويات، فترد في أغلب الأحيان بأسلوب مرسل؛ حال تقريرياً من الأسباع.

أما الإجازات النظمية فقد قلَّ فيها البديع، وبجا الشيوخ إلى اختيار الأوزان الطويلة غالباً، بالإضافة إلى التزام جلهم بالقافية، ففي النماذج التي سوف نوردها نجد ثلاث إجازات مقفاة، إلا إجازة المقربي لحنيف الدين المكي، حيث تخلَّى هذا الأخير عن القافية، ولكنه جعل صدر كل بيت وعجزه يتتهيَّان بنفس الحرف وهذا ما يعرف بالتصريح.

والحاصل أنَّ القيمة الأدبية للإجازة تكمن في استخدام بعض المجيزين - على الأقل - الأساليب الراقية في إجازاتهم وانتقاء فصيح الألفاظ، وصوغها في عبارات بلغة، علمًا أنَّ الإجازة ابنة بيتها، فهي بالتالي مرآة للعصر الذي كُتبت فيه ولملكة صاحبها في الشعر والأدب، فعادة ما تبرز إجازات الأدباء المهرة قطعًا نثرية فريدة، وكذلك ترد إجازات فطاحل الشعراء النظمية، أما بالنسبة للعهد العثماني، فالإجازة مرآة جلية له حيث فتن الكتاب والمصنفوں آنذاك بالمحسنات البدعية، والتزام السجع، ونفس الشيء يُقال عن الإجازات النظمية، والتي لا يمكن تصنيفها ضمن الشعر القوي الذي حفلت به القرون الإسلامية الأولى.

- القيمة التاريخية للإجازة العلمية:

تجلى أهمية الإجازة العلمية كوثيقة تاريخية في جوانب عده، فمن خلال خصائصها لمسنا تأثيرها من ناحية الصياغة الأدبية بعصرها الذي فتنَ فيه الكتاب بالصناعة اللفظية، فقد فقدت اللغة في العهد العثماني عاملًا كبيراً من عوامل نهضتها، ومصدراً مهماً من مصادر قوتها، فدَبَّ في النثر دبيب الضعف، وقد نضارته وظل يزحف تحت وطأة التصنع والتتكلف، والأمر لا يختلف عن النظم، الذي لجأ فيه الشعراء إلى التركيب في العبارات تحقيقًا للوزن والقافية، فطبعت بطبع التعقيد، فالإجازة من هذه الناحية مرآة صادقة لعصرها الذي يعتبره المؤرخون والأدباء أضعف

عصور الأدب العربي، وحسبنا أن نعلم أنَّ أسماء هذا العصر ظلت خاملة مغمورة، فالإجازة تعرّفنا ب مدى قدرة علماء الجزائر الأدبية في تحرير إجازاتهم.

اما قيمتها التاريخية من ناحية البناء: فهي شاهدة على تمسك علماء العهد العثماني بترااث العصور السالفة والمحافظة عليها، فقد كان الإنتاج الفكري فيه يسير على أنماطها، ورضي أصحاب الفكر باحتضان الموجود^(١)، وهي شاهدة أيضاً على مدى ارتباط العلماء الجزائريين بأقرانهم في المشرق والمغرب لعدم اختلاف إجازاتهم عنهم شكلاً ومضموناً.

ويكفي أن نستدل على تشابه إجازات العلماء الجزائريين بإجازات أقرانهم المشارقة والمغاربة بالإجازات التي تلقوها من مؤلء مثلاً: إجازة أحمد الصديقي المصري للمقربي^(٢)، وإجازة الشبرامليسي المصري لعبد المؤمن^(٣)، وإجازات بعض علماء المغرب لابن حمادوش^(٤).

ولعل الجديد في العهد المدروس تذيل بعض العلماء الجزائريين إجازاتهم بالأختام، سيما تلك التي تعود إلى القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجريين، وهو ما وُجد في إجازة الفتى المالكي أحمد بن عمار للمرادي، وإجازات القاضي

^١- شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله، ج ٣، ص: ١٦٥١.

^٢- المقربي، رحلة المقربي، ص - ص: ١١١- ١١٦.

^٣- ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص - ص: ٣٣- ٣٧، ٤٠، ٤١.

^٤- ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش، ص - ص: ٣٧، ٣٨؛ ٩١- ٨٩، ٢٥٨، ٢٥٩.

الحنفي محمد بن محمود المعروف بابن العنابي لبعض تلامذته
والجديري بالذكر أئمها من متولبي الوظائف الدينية الرفيعة في
الدولة⁽¹⁾.

والإجازة في حد ذاتها شاهدة على بروز أنواع جديدة منها
كالإجازة بالتأليف؛ التي يغلب على الظن أنها وليدة العهد
المدروس، وقد كثر في هذا العهد تداول الإجازة العامة، وذلك ما
تبينه الإجازات، كما أكد أحد مستندي العهد العثماني وهو
الشيخ محمد بن سليمان الروداني المغربي بقوله: "عموم الإجازة
وإن كان دون خصوصها، فلا ينبغي طرحه في هذا الزمان، لما يلزم
من انقطاع أسانيد غالب الكتب، إذ السماع اليوم والإجازة
الخاصة لا يتداولان إلا في القليل منها جداً"⁽²⁾.

والإجازة أنموذج من أنموذجات التثبت العلمي الذي كان
يتبّعه العلماء⁽³⁾ لتحرّيهم الأمانة العلمية في منحها، خاصة تلك
التي تبيّن كفاءة المجاز له في علم من العلوم، حيث يحرص المجاز
على تبيين طبيعة العلاقة التي جمعته بالمجاز، فإن كانت عن حضورٍ
وتلقٍ، فإنه يستعرض العلوم والكتب التي قرأها عليه، وإن لم يقرأ
عليه شيءٌ بين ذلك وغيره، وهذا اختلفت شروط تحصيل الإجازة

¹ - لعل تملك هؤلاء العلماء للأختام التي كانوا يذيلون بها إجازاتهم يرجع لتوليهم
وظائف رسمية في الدولة.

² - صلة الخلف بموصول السلف، ص: 30.

³ - صلاح الدين المنجد، إجازات السماع في المخطوطات القديمة، ص: 240.

من نوع إلى آخر، وعليه فهي وثيقة صحيحة يمكن أن تُشَدَّد دليلاً على ثقافة العالم، وما قرأه أو سمعه من كتب.

والإجازات التحريرية المفصلة على غرار إجازة الشيخ عمر بن محمد المانجلاطي للأديب الفاسي محمد بن زاكور^(١)، تصلح لأن تلقي أضواء عامة على التاريخ الفكري للعصر الذي منحت فيه فنون خلال مقارنة عدة إجازات في المنطقة الواحدة، يمكن استنباط البرامج والمقررات الدراسية فيها - إن صاحب التعبير - ومن خلالها نستخلص العلوم التي برع فيها العلماء الجزائريون، ومنحوا فيها الإجازات.

والإجازة مصدر للترجم؛ فهي تتضمن أسماء أعلام كثيرين قد لا نجد لهم ترجمة أو ذكر في كتب الترجم المعروفة^(٢)، وتتضمن بالخصوص ترجم للشيخ المجيز وشيوخه، فلا نجد مثلاً آية ترجمة في مصادر القرن الحادي عشر الهجري (١٧م) للشيفيين الجزائريين محمد بن عبد المؤمن وعمر المانجلاطي، إلا ما ورد في إجازتيهما لابن زاكور الفاسي^(٣).

كما تُسْلِط الضوء على جوانب مهمة من حياة المجيز والمجاز له، فمثلاً لا يُعرف تاريخ محدث لوفاة الشيخ أحمد بن عمّار إلا

^١ - بِيْن المانجلاطي في إجازته هذه الكتب والعلوم التي قرأها عليه ابن زاكور، والتي قرأها هو على شيخيه سعيد قدورة وعلى الأنصاري في مدينة الجزائر. ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص - ص: 9 - 13.

^٢ - صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص: 241.

^٣ - ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص - ص: 9 - 13؛ وص - ص: 22 - 31.

إجازته للمرادي المؤرخة بسنة 1205هـ، وهي آخر وثيقة موجودة يذكر فيها اسمه، فاتخذت السنة المذكورة تاريخاً تقريبياً لوفاته.

وتعُد الإجازة وسيلة لمعرفة مراكز العلم في البلاد الإسلامية وحركة تنقل الأفراد من بلدان مختلفة نحوها⁽¹⁾، فمثلاً يمكننا تحديد أهم المراكز الفكرية في الجزائر وفي العالم الإسلامي في العهد العثماني من خلال تحليل عدة إجازات، فقد كثرت الرحلات الداخلية إلى مدينة الجزائر، وشدّت الرحال خارجياً إلى فاس والقاهرة، وذلك ليس اعتباطاً، بل لكون المدينة الأولى أكبر الحواضر الثقافية في الجزائر آنذاك، أمّا فاس فكانت أهم المراكز الفكرية بالغرب الإسلامي، وكذلك كانت القاهرة بالنسبة للعالم الإسلامي، ولذلك كله كثرت الرحلات العلمية إلى هذه المدن فكثرت الإجازات المحررة فيها.

ويمكن أن تعُد الإجازة من الوسائل التي تزودنا بمعلومات جغرافية وتاريخية عن مراكز العلم في العالم الإسلامي⁽²⁾، فكثيراً ما يركِّز المُجيز في إجازته على المستوى الثقافي الذي بلغه المجاز وي تعرض للمعاهد والبلدان التي تلقى فيها معارفه، وهذا ما يكشف عن جوانب مهمة في التاريخ الفكري للمناطق التي درس فيها المجاز له، ومن الأمور التاريخية التي تشير إليها الإجازات تدهور الحياة العلمية بتونس، وذلك ما يُلمح إليه المقرئ في

¹ - صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص: 241.

² - عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، ص: 45.

إجازته لناظ العارفين التونسي - الواردة من بين النماذج في هذا الفصل -، وكان الشيخ يحيى الشاوي قد دخل في مهارات مع الفلاسفة المتكلمين، ولهذا تناول في إجازته للمحبي إحدى القضايا الفلسفية الكبرى وهي تتعلق بقضية الوجود والصفات؛ والتي كانت تطفو من حين لآخر على سطح الأحداث، وهي الأخرى إحدى النماذج الواردة في هذا الفصل.

وللقيام بدراسة للإجازة العلمية في هيكلها أو في بنيتها النموذجية انتقيت ثمانية نماذج، وراعيت في ذلك اعتبارات عدّة أهمها: أن يكون كاتبها عالما جزائريا، وأن تعود إلى فترات زمنية مختلفة خلال العهد العثماني، وأن تكتب لعلماء من مستويات مختلفة، فالإجازة التي يكتبها العالم لند له تختلف بطبيعة الحال عن تلك التي يكتبها لغيره من العلماء وطلبة العلم، وأن تكتب لشخصيات من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي - وإن كان هذا لا يؤثر على الإجازة - كما حرصت على التنوع أيضا من ناحية الحجم، والصياغة الأدبية؛ أي أن تكون بعض النماذج من ذات مستوى أدبي رفيع، وأخرى أقل منها.

و قبل أن نشرع في عرض النماذج المختارة، لابد من الإشارة إلى أننا ستتطرق إلى بعض مميزات الأسلوب الأدبي للإجازات الواردة، وبأننا لا أسعى من خلال ذلك إلى إصدار الحكم عليها من هذا الجانب، وإنما المقصود إعطاء صورة متکاملة عن إجازات العهد المدروس، ومحاولة حصر السمات والخصائص المشتركة



بينها، والوقوف على ما فيها من إبداع من الناحية الأدبية، هذا ويتم التعامل مع كتابها على أنهم علماء في الشريعة الإسلامية وليسوا أدباء، سيما وقد اتسم العصر بالضعف أدبيا.

ثانياً. نماذج من الإجازات النثرية:

الإجازات النثرية هي الأكثر تداولاً خالل العهد العثماني بين العلماء المسلمين عامه، وما كتبه بعض أبرز العلماء الجزايريين:

- إجازة الشيخ محمد شقرون بن هبة الله للشيخ محمد بن

عسكر⁽¹⁾:

"الحمد لله، أجزتُ الفقيه، الوجيه المترم النزيه، الحبيب الأصيل ذا الأصل الصميم، والنَّسب الفاضل العميم، العَلَمُ الحُجَّةُ القاضي الأعدل: أبو عبد الله محمد بن سيدِي علي عسكر جميع مروياتي، وكل مسموعاتي عن أشياخِي - تغمدهم الله برحمته، وأسكنهم فسيح جنته - فليزرو عنِّي ما رويت، ولنُحَدِّث بما سمعت على شرط الإجازة ووصفها؛ إجازة صحيحة ثابتة كما يجب، والله المؤْفَق."

قال ذلك: وكتبه أصغر عبيد الله محمد شقرون بن هبة الله ابن إبراهيم - لطفَ الله به - ."

¹ - محمد بن عسكر، دوحة الناشر، ص: 106.

- سلك الشيخ محمد شقرن في إجازته مسلكاً مختصراً فاقتصرها بالحمدلة بعبارة «الحمد لله» فقط، فلم يطُل فيها، ولم يُبْنِيَها بالبسملة، كما لم يعقبها بالتصصليّة على المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وعهدنا بهؤلاء الشيوخ إفراد جزء كبير بعد البسملة للتتصصليّة والحمدلة، فقد دخل مباشرة في الإقرار بالإجازة والثناء على ابن عسكر، ثم يَبْيَن الأمور التي يشملها الإذن، وهي رواية جميع مروياته وكل مسموعاته عن شيوخه، وأكدها من جديد قائلاً: «فليرو عنِّي ما رویت، ولیحُدُثْ عَنِّي بما سمعتْ مُجْمِلاً شروطها بقوله: «على شرط الإجازة ووصفها إجازة صحيحة ثابتة كما يجب...» وشروط الإجازة كما نعلم هي: الأمانة والضبط والتحري، ليختتم إجازته بذكر اسمه مستعملاً عباره الختم المتداولة «قال ذلك وكتبه...».

ويجدر التنبيه إلى أنَّ الشيخ شقرن بن هبة الله خرج في إجازته عن المأثور في عصره، وسار على طريقة العلماء المسلمين في العهود المتقدمة^(١)؛ حيث كانوا يكتبون الإجازة ذات الغرض المحدد معبرين عن ذلك بأسلوب موجز، وبمعانٍ واضحة وجليّة،

^(١) - هناك تشابه كبير بين هذه الإجازة وبين إجازتي الشيخ محمد بن عبد الحق التلمساني لكل من الشيفيين: محمد بن محمد الحسين الخشني سنة ٦٠٣هـ ويعي بن علي بن حسين بن جبوس الهمذاني سنة ٦١٥هـ؛ فالإجازتان في نفس حجمها، وهما لا تبدأ بالحمدلة والتصصليّة؛ حيث استهل إحداهما بقوله: «أجزتكم أكرمكم الله...» والأخرى بقوله: «أجبتك بأحسن تحيّة...» وانتهياً بعبارة: «قاله وكتبه...» ثم كتب تاريخ تحريرهما: الفربني، عنوان الدرية، ص - ص: ٢٥٣ - ٢٥٥.



وقد وردت هذه الإجازة مختصرة لاقتصرار الشيخ المجيز على الحمدلة، والإقرار بالإجازة، بالإضافة إلى الختم، ولكن لا يكمن الجزم بآئتها طريقة الخاصة في كتابة إجازاته لعدم التوصل إلى نصوص أخرى له⁽¹⁾، ويمكن القول أنَّ هذه الإجازة علمية أكثر منها أدبية في أسلوبها.

- إجازة الشيخ عيسى الشعالي للشيخ محمد العيشاوي

الدمشقى⁽²⁾:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

الحمد لله الذي جعل خصائص المواهب في الاهتداء بعالم السُّنَّة، وأباح للمُقتفي منهاج الهدایة مِنْ الْلَّطَائِفِ ولطائف المِنْ، وأبانَ بِعِلْمٍ⁽³⁾ الرواية لُرْتَقِي مَعْرَاج⁽⁴⁾ الدِّرَايَة معاني الآثار، وبذل للمُسْتَضِيءِ بِمشكاةِ مصابيحها أسرار البديع

¹ - الإجازة التي بين أيدينا هي أول إجازة كتبها الشيخ شقرون لابن عسكر، وذلك سنة 969هـ. ويغلب على الظن أن إجازته الثانية له سنة 972هـ مختصرة هي الأخرى؛ لأنها لا تحتوي على شيوخه، فقد سأله في سنة 983هـ عن شيوخه، فقيد له أسمائهم وعلومهم، فلو سبق له أن كتبهم لما سأله ذلك. ابن عسكر، دوحة الناشر، ص، ص: 106، 107.

² - الإجازة ضمن مجموع رقم: 335، مصطلح الحديث - دار الكتب المصرية. الأوراق: 30 و- 31 ظ.

³ - في الأصل مشكلة هكذا: (علم) ولكن المعنى يستقيم بعلم.

⁴ - عَرَجَ، عَرْوَجاً: ارتقى. والمرج: السلم والمصد.

وبدائع^(١) الأسرار، أَحْمَدَهُ عَلَى مِتْوَاتِرِ جُودِهِ الَّذِي عَمَّ الجَمْعَ وَالْأَهَادِ، وَأشَكَرَهُ مُسْتَدِرًا بِشَكْرِهِ مَوَاطِرِ إِحْسَانِهِ وَبِرِّهِ، فِيهِ تَسْوَالٌ مَوَانِدُ الْأَمْدَادِ.

وأشهد أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةُ يُوجَبُ إِخْلَاصُ عَقْدِهَا الصَّحِيفُ الْإِجَازَةُ بِالْحَسَنِيِّ، وَيُنْتَجُ قِيَاسُهَا الْوَاضِعُ قِيَاسَ جَوَازِ الْمُثْعَمِ عَلَيْهِمْ فِي الْمَقْرِرِ الْأَسْنَى، وَأشهدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمُخْصُوصُ بِالْخَصَائِصِ الْكَبِيرِيِّ، وَالْمُخْتَارِ مِنْ بَيْنِ الْمُصْطَفَينَ بِأَخْبَارِ الْإِمَامَةِ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَى - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، صَلَاةُ وَسَلَامًا يَتَعَاقِبُانْ بِتَعَاقِبِ الْمَلَوِينِ^(٢)، وَيُثْمِرُانْ لِلْمُتَعَبِّدِ بِهِمَا سَعَادَةَ الدَّارِينَ، وَعَلَى اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ أَئْمَةَ الْهُدَىِ، وَنُجُومَ مَنَاهِجِ الْإِقْتِداءِ، وَعَلَى تَابِعِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ بِإِحْسَانِهِ، مَا تَأَيَّدَتْ دِعَائِمُ الْإِيمَانِ بِحَقَائِقِ الْإِيقَانِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ كَمَالَ السُّعَادَةِ الْعَاجِلَةِ وَالْأَجْلَةِ، وَامْتِنَاطَ غَارِبٍ^(٣) السُّيَادَةِ الْكَاملَةِ فِي إِتَّابِعِ السُّنَّةِ، وَالْاسْتِضَاءَ بِأَنوارِهَا، وَالْمُلْمَلِيِّ^(٤) بِحَقَائِقِهَا^(٥) وَأَسْرَارِهَا، وَالتُّورُدُ مِنْ مَناهِلِهَا الْعَذْبَةِ،

^١ - يستعمل الكاتب في بعض الموضع من الإجازة الياء بدل ألف على النبرة (ئ)، مثل: بدايع، حقائق، مواید، الفراید... وقد استبدلتها كلها بالألف.

^٢ - الملوان: الليل والنهار.

^٣ - الغارب: أعلى مقدم سنم البعير، وقيل غارب كل شيء أعلاه.

^٤ - الثملة والثمالة والثميلاة والثماللة: الماء القليل الذي يبقى في أسفل السقاء أو الإناء. والثمل: السكر، ثمل بالكسر، يثمل ثملا فهو ثمل، إذا سكر وأخذ فيه الشراب.

^٥ - في الأصل (بحقايها)، ولكن يبدو أن حرف القاف سقط من النص.



والاجتناء من ثمارها الرطبة، وأعمار القلب والقلب في نظم الفرائد من مسانيدها، وسبز الصحاح والحسان⁽¹⁾ من أزمة أسانيدها، ولا شك أن المؤفق لذلك حائز بلوغ المرام ومتنهى السؤول، وضارب بأوفر سهم في تراث الرسول، لنيابته عنه في أداء الأمانة، والإعراب عن حقائق الشريعة والإبانة.

ولما كان الإسناد للشريعة هو المراجج المؤصل لأصولها، والمعيار المعرف عن صحيحها ومعلوها، «إذ لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء»⁽²⁾، ولخارى كل مشعّب بآباضيله وماشى. سألي ذلك من له في هذا المعنى من الله تأييد، وله منه توفيق وتسديد وعنابة بمعونة الله صادقة، وهمة إلى خلال الكمال سابقة، وهو الشيخ الأخ في الله، والولي من أبله⁽³⁾ الشيخ العارف الكامل العالم العامل، ثيبة أولي التحصل، وخلاصة المجد الأصيل المُتَفَنِّنُ المشارك، المؤيد الأنظار والمدارك، الرامي في أغراض المعارف بسهم الإصابة، المُتَحَلِّي من خلال الكمال بحلبة الأخبات⁽⁴⁾ والإنبابة، سيدى الشيخ محمد بن محمد العيناوي الدمشقى الشافعى - أحمد الله عقباه، وأعلى بين أهل حضرة الله رباه - أن

¹ - أي الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة.

² - الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب «بيان أن الإسناد من الدين».

³ - أبله: من بلة. يقال عيشَ أبلة، وشباب أبله: ناعم، كان صاحبه غافل عن الطوارق.

⁴ - الخبر: ما اتسع من بطون الأرض، وجمعه: خبرات وخبوات، وقيل أن الخبر ما اطمأن من الأرض واتسع، وقيل الخبر ما اطمأن من الأرض وغمض، فإذا خرجت منه افضلت إلى سعة.

أجزٍ له ما ثبتت لي روايته، وتأيدت بسنده المتن درايته، من سمعٍ ومفروءٍ ومُجازٍ، وما بالمناولة والوجادة^(١) بين أهل الصناعة له مساعٍ وجوازٍ، وذلك بعد أن رأيت منه غوصاً على دقائق المعاني، وإدراكاً تاماً لحقائق المبني، وسماعاً من لفظه للحديث الأول من صحيح البخاري، بالفاظ مغربة فصيحة نبيحة، يحاري بكتاب منه أنَّ العبد مِمْنَ له في هذا المعنى إسناد مقيد، وعنده من ذخائره طرف وتليد^(٢)، فامتثلت أمره على عرج في الخطأ، وعُرِفَ منْ مَنْ خَطَا، حِرصاً على بقاء سلسلة الإسناد، وترغيباً في الاتصال بخير من نطق بالضَّادِ.

فأقول - وعلى الله الاعتماد، ومن فيض معونته الاستمداد - أجزٌ للأخ في الله سيدِي الشيخ محمد المذكور جميع ما أرويه من الصُّحاح الست التي هي أصول الإسلام، ومناط غالب الأحكام، وسائل الجواجم والمساند والمعاجم والمشيخات، والأجزاء الأربعينيات، وجميع التصانيف في سائر الفنون منقولها ومعقوتها وفروعها وأصولها، مِمَّا للعبد به اتصال، وله فيه تفصيل أو إجمال إجازة عامة مطلقة تامة بشرطها المحرر، وضابطها المقرر عند آئمة الأثر، وجهابذة^(٣) النظر، وكذلك أجزٌ لأولاد سيدِي محمد المذكور، وأهله وأقاربه وأهل مجلسه جميع من ذُكرَ، على الوصف الذي سُطِّرَ.

١

ـ حول تعريف مصطلحي المناولة والوجادة ينظر المدخل.

٢

ـ التليد: كل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء.

٣

ـ جهابذة جمع جهَبَذَ وهو النقاد الخير.



وقد أخبرني بفهرسة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني بما اشتملت عليه شيخنا أبو الإرشاد علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري، قراءة عليه لطرف من أوئلها، وإجازة لسائرها عن الشمس محمد بن أحمد الرملي، عن القاضي زين الدين زكريا بن محمد الأنصاري، عن مؤلفها أبي الفضل بن حجر الحافظ - رحمه الله - بأسانيد فيها، وهي في مجلدين اشتملت على غالب كتب الإسلام.

وأخبرني بفهرسة الحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي شيخنا أبو الإرشاد أيضاً، وقاضي القضاة شهاب العصر أحد بن محمد الخفاجي، قالاً أخبرنا المعمّر بدر الدين حسن الكرخي، قال أخبرنا الحافظ الجلال السيوطي - رحمه الله - .

وأخبرني بفهرسة شيخ الإسلام زكريا شيخنا شهاب الدين القليوبى، عن الشمس الرملي، عن مؤلفها شيخ الإسلام زكريا - رحمه الله - فيها وفي سائر تصانيفه .

وأنا أسأل من سيدى الشيخ محمد المذكور أن لا ينساني من صالح دعواته، وصادق تضرعاته، بصلاح الحال، ومرافقة التوفيق في الأقوال والأفعال، والفوز بحسن الختام، ومضاعفة الإكرام في دار السلام .

قاله وكتبه: العبد الفقير، الدليل الحقير، عيسى بن محمد ابن محمد بن أحمد بن عامر الجعفري المغربي ثم المكي المالكي -

سُنَّةَ اللَّهِ عَيْوَبَ، وَغَفَرَ ذُنُوبَهُ - فَاتَّحَ سَنَةُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ (1075هـ) أَحْسَنَ اللَّهُ فَاتَّحْتَهَا وَخَاتَمَهَا⁽¹⁾

- تحتوي الإجازة التي بين أيدينا على جمل عناصر البنية النموذجية؛ حيث افتتحها الشعالي بالبسملة والتصلية على النبي - عليه الصلاة والسلام - لتبعتها بالحمدلة، وقد كيّفها مع الموضوع المراد التطرق إليه وهو الإجازة بالرواية؛ ذات الصلة الوثيقة بالحديث الشريف، باقتباسه الفاظا دالة عليه نحو: الرواية، الدراءة وغيرها، ثم أعقبها بالتشهد والتصلية وكل ذلك بشكل موسع ليتقل إلى المضمون مستعملاً أداة الانتقال «أما بعد»؛ وهي كلمة الفصل التي تفصل بين ما سبق، وما سيأتي من المضمون، فتحدث عن فضل علم الحديث الشريف، وعن ضرورة التعمق في دراسته ثم استرسل في الحديث عن الإسناد وأهميته.

وبعد تعرضه إلى علاقته بالشيخ محمد العثماوي، يفيض في مدحه، وإيراد الصفات التي تجعل منه جديراً باستحقاق الإجازة منها تفوقه في علم الحديث، ولما ساد العرف أن يتواضع الشيخ في منح الإجازة تعظيمًا لشأنها، فقد قال الشعالي بأنه امثل للاستدعاء: "على عرج في الخطأ"؛ أي أنه أقبل على كتابة الإجازة بعد التردد في ذلك، ولم يجزه إلا لإبقاء سلسلة الإسناد، وترغيباً في الاتصال بالرسول - صلى الله عليه وسلم -.

¹ - وُجِدَّ في أسفلها إجازة في بضعة أسطر كتبها الشيخ عبد الله بن سعيد الشافعي للشيخ العثماوي المجاز له.

ثم يتخلص الشيخ عيسى الثعالبي من هذه المقدمات مفتوحا تصريحه بعبارة: « فأقول » ليجيزه عامة بكل مروياته في كل الفنون، ولأولاده وأقاربه وأهل مجلسه، فهذه إجازة عامة للعموم ثم استعرض أسانيده في بعض الفهارس، وختم الإجازة بتوثيق تام لها مستعملاً عبارة « قاله وكتبه... ». .

- تعتبر إجازة الشيخ الثعالبي للعيثاوي من نماذج الإجازات الطويلة، وهي حافلة بالصور البينية، التي كان لها أثر قوي في تجسيد المعاني الذهنية المجردة، وإظهارها في قالب محسوس، وهي واردة من الحمدلة إلى فضل الإسناد، ثم تخلى عنها نهائياً مستعملاً أسلوب الحقيقة، وأكثر الصور البينية وروداً في هذا النص الكنائي والاستعارة.

ويلاحظ أنَّ الثعالبي يُكثر من استعمال الصفات التي جاءت لغرض المدح، وفيها بعض المبالغة، شأن العلماء عند إشادتهم بمن يرونهم أهلاً لإجازتهم، ولو كُنوا في مقام آخر في فنٍ من فنون الأدب لقلنا أنَّ النص مثقل البناء لكثره الصفات وتكراراته اللفظية، ولكن مadam هذا شأن العلماء والمشايخ في أساليبهم فإن النص مناسب لمقامه وغرضه.

أما الألفاظ فهي سهلة واضحة، قلماً نقع فيها على ألفاظ غير متداولة نحو: أزمة، غارب، الإخبارات، وهي دقيقة ذات صلة شديدة بموضوع الإجازة وأفكارها مثل: الدرائية، الرواية، المسانيد، الفهرسة.

وقد اقتبس المُحِيز بعض الألفاظ من القرآن الكريم؛ كاقتباسه صورة بيانية وهي: «المستضيء بمشكاة مصابيحها»، من قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُّ نُورٍ كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ)^(١)، كما اقتبس عبارتي « أصحابه آئمَةُ الْمَهْدِيِّ، ونُجُومٌ مِنْ هَاجِ الْاقْتِداءِ» من القول المنسوب إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-: «أصحابي كالنجوم بِأَيْمَمٍ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ»^(٢)، ومن علم الحديث الشريف المصطلحات الوارد ذكرها في سياق الحديث عن الألفاظ، كما استدل عن أهمية الإسناد بقول مأثور عن المحدثين الأوائل وهو: «لولا الإسناد لقالَ مَنْ شاءَ مَا شاءَ».

هذا، وقد أسرف الكاتب في استعمال المحسنات البدعية، وفي مقدمتها السجع الذي لازم النص من أوله إلى آخره، باستثناء الفقرة المخصصة للفهارس، حيث وردت بأسلوب مباشر، ومن أكثر المحسنات المعنية وروداً في النص الطباق: وهو الجمع بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر^(٣) نحو: «الجمع، الأحاد»، «الأولى، الأخرى»، «فروعها، أصولها»، «تفصيل، إجمال».

^١ - سورة النور، الآية (٣٥).

^٢ - قال ابن حجر رحمه الله: رواه عبد الحميد في مسنده من طريق حمزة النصبي عن نافع عن ابن عمر، وحمزة ضعيف جداً. أحمد بن حجر، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تعلق: عبد الله هاشم اليماني. المدينة المنورة، 1964.

أدب القاضي، رقم الحديث: 2098، ج 4، ص: 190.

^٣ - عبد العزيز عتيق، علم البيان. بيروت: دار النهضة العربية، 1985. ص: 77.

والحاصل أن تأثير العصر الذي عاش فيه الكاتب واضح في النص؛ لشيوع ظاهرة الصنعة في إجازاته من كثرة البديع، والاهتمام باللغة في هيئتها وأثرها الموسيقي، ونزعه إلى المحسنات البدعية والتفنن فيها.

- إجازة الشيخ أحمد بن عمار محمد خليل المرادي⁽¹⁾ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَى اللَّهُ وَسَلَمَ عَلَى سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ.
أَمَّا بَعْدُ: حَمْدُ اللَّهِ، هَادِي مَنْ اسْتَهْدَاهُ، وَكَافِي مَنْ اسْتَكْفَاهُ
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ سَرِّ الْوُجُودِ وَمَعْنَاهُ
وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ مُشَيدِي الدِّينِ وَالْحَامِينَ لِحَمَاهُ.

فَقَدْ رَوَيْنَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَبِمَنْهُ، وَأَعْانَيهِ وَعَوْنَهُ، عَدَةً وَافْرَةً،
مُحَذِّرَاتِهَا سَافِرَةً، مِنْ كُتُبِ الْعِلُومِ الشَّرِعِيَّةِ، وَالْفَنُونِ الْمَرْعِيَّةِ، مِنْ
مَنْقُولٍ وَمَعْقُولٍ، وَفَرْوَعٍ وَأَصْوَلٍ، وَرِقَائِقٍ وَآدَابٍ، وَسَائِرِ مَا يَجْذِبُ
بِتَلْكَ الْأَهْدَابِ، عَنْ مَشَايِخِ جَلَةِ يَرْوَقُ بِهِمُ الْدَّهْرِ، وَتَزَدَّهِي بِهِمُ
الْمَلَةُ، مِنْ أَهْلِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ، وَجَهَابِذَةِ الْجَمْعِ وَالْفَرْقِ.

فَمِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ الْمَكِيِّ مِنْ سَطْعِ عَبِيرِ ذَكْرِهِ سَطْوَعِ الْأَرجَ⁽²⁾
الْمَسْكِيِّ، خَاتَمَ الْمَسْنَدِيْنِ، وَأَوَّلَ الْقَدَّاةِ الْمُرْشِدِيْنِ، السَّيِّدُ عُمَرُ بْنُ

¹ - أبو القاسم سعد الله، تجرب في الأدب والرحلة، ص، ص: 67، 68؛ ونشرها المؤلف أيضا تحت عنوان: «إجازة ابن عمار محمد خليل المرادي»، في مجلة الثقافة، السنة الثامنة، العدد 45، يونيو-يوليو 1978. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ص- ص: 51-53.

² - أرجأ أرجأ الطيب: فاح، فهو أرج، والأرج هو الراحة الطيبة.

أحد عن جده، لأنَّه الشَّيْخ عبد الله بن سالم البصري ثُمَّ المكي. ومن أهل الْحَرَم المدْنِي الْهَمَام الأَجْل، العارف بِالله عز وجل، الشَّيْخ أبو الفضل حسن بن الشَّيْخ محمد سعيد عن عمِّه الشَّيْخ طاهر، ومن أهل الديار المصرية الشَّيْخ العَالَم العامل، المربِّي الْكَامِل، أبو عبد الله محمد الحنفي عن الشَّيْخ أحمد النَّحْلِي - رَحْمَهُم اللهُ جَمِيعَهُم، وأَخْصَبَ في رِيَاضِ الْفَرْدَوْسِ رَبِيعَهُم -.

فَاما اوْلُهُم، وهو المكي، فعن الشَّيْخ الإِمام أبي عبد الله محمد ابن سليمان السعدي بأسانيد المذكورة في ثبته المسمى "صلة الخلف بموصول السلف".

واما ثالثهم، وهو المدْنِي، فعن أبيه العلامة منقطع القرین وليث ذلك العرين^(١)، محمد بن إبراهيم الكوراني المدْنِي بأسانيد المذكورة في ثبته المسمى "بِالْأَمْ".

اما ثالثهم، وهو المصري، فعن الشَّيْخ عيسى الثَّعالِي بأسانيد المذكورة في ثبته المسمى "بِمَقَالِيدِ الْأَسَانِيدِ".

هذا، وقد أجزت السيد المستجيز المجاز، رجل الحقيقة لا المجاز، مفتی الشام، والغیث الذي تُستَمطر بروقه وئشام، السيد محمد خليل المذکور أعلاه^(٢)، دام فضله وعلاه، راجيا منه ان لا ينساني من دعواته، خصوصا في أوقات توجهاته وصلواته، والله جل جلاله المسؤول، وكرمه المأمول، أن يُحييني وإياه حياة طيبة

^١ - العرين: مأوى الأسد.

^٢ - إشارة إلى أعلى الرفاع حيث الإجازة الأولى، وهي لغيره.



وأن يغدق علينا أجمعين من سحائب رحمته الغيوب الصبية، وأن يختم لي وله بالحسنى، ويرقني وإياه المقام الأسى، ويحشرني في حلبة الرعيل الأول من خاصته عليه الصلاة والسلام، وأن يقر أعيننا بالنظر إلى وجهه الكريم مع المقربين في دار السلام.

قال ذلك وكتبه: غبار النعال، الراجي فتح المتعال، غريق الأوزار، أقل الخلائق أحمد بن عمار - لطف الله به - بتاريخ أواخر ذي الحجة الحرام، متم شهور سنة خمس ومائتين وألف (1205هـ)، والسلام.

- الختم: ويحمل عبارة: «الواثق بالله الجبار، عبده أحمد بن عمار».

- استهل الشيخ أحمد بن عمار الإجازة بالبسملة والحمدلة والتصلية، وأعقبها بالإشارة إلى مروياته بعد أداة الانتقال «أما بعد» جملة دون تفصيل، مكتفياً بذكر ثلاثة من مشايخه المشارقة، وهم: عمر بن أحمد المكي، حسن بن محمد سعيد المدنى، ومحمد الحنفى المصرى.

وبعد ذلك صرّح بإجازته خليل المرادي بقوله: «أجزت السيد... محمد خليل»، دون أن يذكر أية تفاصيل أخرى، وفي الأخير ختم إجازته بذكر اسمه وتاريخها، ودليلاً بوضع ختمه.

- الشيخ أحمد بن عمّار من الأدباء المشار إليهم برفعة الذوق الأدبي، وذلك ما نلمسه في إجازته هذه؛ والتي تُعد نموذجاً من القطع التثريّة الجيدة في العهد العثماني^(١).

والنص ثري بالصور البينية، كما أسرف ابن عمّار في استعمال المحسنات البديعية سائماً السجع، ويكثر الجناس هو الآخر في الإجازة.

من خلال دراسة الإجازة نجدها حافلة بالمحسنات البديعية كغيرها من تراث العهد العثماني، ولكن لا يبدو فيها أي تكلف أو تصنع، إذ جاء أكثرها عفويًا. والنص ككل ينم عن بлагة الكاتب، وقدرته على السرد، والتصريف في فنون القول، فأسلوب النص يدل على محصول لغوي وفير.

^١ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص، ص: 186، 187، 187.

- إجازة الشيخ محمد موفق الجلالي لعبد القادر الراشدي⁽¹⁾:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـهـ وصحبه وسلم.

الحمد لله وحده، حمدًا لا ينبغي لأحد سواه، تتجلى عاجزة عن القيام به الأذهان والأفواه، والصلوة والسلام على أفضل من آتاه الله هديه وتقواه، وعلى آلـهـ الكرام الأطهار، وصحابته الأعلام الأخيار، وأتباعه أفضل الأنماط الأخيار، صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما بقي العلم دليلا لأهل الإسلام والأنوار.

أما بعد: لما كان العلم أشرف المكاسب، وأفضل المناصب وأرفع المطالب، والغاية القصوى لكل طالب، وصاحبـهـ دائمـاـ إما راغب أو راهب، متعرض أبدا للخيرات والموهـبـ، ولا يعطـىـ إلا للسعادة، ولا يُخرـمـ منه إلا البـعـداءـ، لا يرـغـبـ فيه إلا سعيد، و⁽²⁾ لا يـعـرضـ عنه إلا شـقـيـ عنـيدـ، فهو المـفـيدـ لكلـ مـسـتـفـيدـ فيـ الـقـدـيمـ والـجـدـيدـ، وهو الرـافـعـ لكلـ خـاـمـلـ، الرـادـ لـكـلـ هـاـمـلـ، المـشـرفـ للأـسـافـلـ، الـخـافـضـ لـلـخـلـوـ مـنـهـ قـدـرـ أـبـنـاءـ الـأـفـاضـلـ، الـجـاعـلـ لـلـمـوـاـلـيـ

¹ - الإجازة مصورة على القرص المضغوط ضمن مجموعة إجازات بمخبر المخطوطات بشمال إفريقيا بكلية الحضارة الإسلامية، وقد نشرها الشيخ المهدى البواعظى فى كتابه "الجزائر في التاريخ" (ج 4، ص 150، 151)، ولكنه حذف منها بعض الألفاظ والعبارات كالبسملة والتصلية في مطلعها، مما جعلها تختلف بعض الشيء عن النسخة المخطوطة، ولمقارنتها مع النسخة المخطوطة التي اعتمدت عليها رمزت لإجازتها بحرف (م).

² - في (م) (فهو) بدل الواو.

موالي، في هذه العصور والعصور الخوالي، وأصحابه هم أهل^(١) الدرجات العوالي^(٢)، والنفوس ذات^(٣) القيم الغوالي، لا يعرض عنه إلا الجهال، ولا يرحب عنه إلا الضلال، ولا يرحب فيه إلا أهل الله الأبدال^(٤)، ولم يقل الله تعالى لنبيه - عليه الصلاة والسلام - ربِّي زدني في شيء، أما فيه قال: (قل ربُّ زدني علماً)^(٥)، (فَهَمَنَاهَا سُلَيْمَانُ، وَكُلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)^(٦).

والعلماء عبيد من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أهل التقوى والخشية (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)^(٧)، وهم أهل الشهادة والتوحيد مع الله تعالى والملائكة ولم يشهد غيرهم معهم قط (شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ)^(٨)، وهم الرافلون^(٩) في ثياب الولاية عند الناس وذوي الولاية، كما أخبر بذلك من له وصف الولاية وهم أفضل المجاهدين، وأفضل المرابطين والمهتدين، وأفضل العابدين والذاكرين، وأشرف القانتين الشاكرين، فكل من زهد في

^١ - في (م) (أعلى) بدل أهل التي يستقيم بها المعنى.

^٢ - في (م) (الغوالي) بدل العوالي التي يستقيم بها المعنى.

^٣ - في (م) (ذات).

^٤ - أبدال، ومفرده البذل: الكريم، الشريف.

^٥ - سورة طه، الآية (١١٤).

^٦ - سورة الأنبياء، الآية (٧٩).

^٧ - سورة فاطر، الآية (٢٨).

^٨ - سورة آل عمران، الآية (١٨).

^٩ - رَفَلْ يَرْفَلْ رَفْلَهُ وَرَفْلُوهُ: جَرْ ذِيله وَتَبْخَرْ، أَوْ أَرْسَلْ ذِيله. الزاوي.

العلم واشتغل بغيره فهو مفضول، بل هالك وعمله ليس بسالم،
بل فعلوا...⁽¹⁾ لـ الإفهام غالبة فهمهم والسلام⁽²⁾.
أما بعد: فإن العالم النجيب، الحاذق (الأديب)⁽³⁾، الذي
اللبيب، الآخذ من كل علم نصيب، السيد عبد القادر بن عبد الله
الراشدي المعسكري أحد أولاد الشيخ البركة المزارة أبي زيد
السيد عبد الرحمن المشهور بـ دحو، القاطن بـ جبل ابن راشد المشهور
فيما مضى بـ جبل الذهب، وأما الآن فيقال له رأس الماء، ويقال له
جبل معسکر، ثم الوهراني الدار والاستقرار، لما اقتدى بالسلف،
و عمل بما عمل به الخلف، فأصاب وما تلف، سألني الإجازة كما
أجازني شيوخنا الفاسيون كالسيد محمد جسوس، والسيد التاودي
بن سودة، والسيد محمد بناني، والسيد عبد الله السوسي، والسيد
عمر الفاسي، والسيد إدريس العراقي الحسني، ومولاي عبد
الرحمن بن إدريس وغيرهم.

ومن أهل تلمسان: السيد محمد بن عبد الرحمن اليبدري،
والسيد محمد بن للو، والسيد الداودي القرولي، والسيد الطالب.
ومن أهل تونس: الشيخ الغزلاني، ومن أهل مصر: الشيخ
الدمنهوري، والشيخ محمود الكردي، وبالمدينة الشيخ السمان مـن

¹ - بياض في الأصل.

² - لا توجد عبارة (غالبة فهمهم والسلام) التي اختصرها قائلاً: إلى أن قال، فلعله
تماوز موضع البياض بالاختصار.

³ - لم ترد في (م).



لقيناهم بالشيخ الأمير وغيرهم، بعد أن جالسنا (في)⁽¹⁾ الفية ابن مالك مجالس عديدة، وسلك معنا في المسالك الكثيرة أحسن المسالك، وظهرت نجابتة فيما هنالك، فأجزته في الفقه والنحو والكلام موصيًا له بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، وأن يقول فيما يدرى ورعاً لا أدرى، ورفع الهمة وحفظ الحُرمة، وأن يدعو لنا بعد دعائه لنفسه كما أوصانا أشياخنا بذلك، والأعمال بالنيات، والله تعالى يصلح السرائر والنيات، ويصلح للجميع الحال (في الحال)⁽²⁾ والمآل، ويرزقنا التوفيق إلى سواء الطريق بهنه آمين والسلام.

قاله وكتبه سواه في جمادى الأخيرة من السنة الخامسة عشر من الثالث عشر ومائتين وألف (1215هـ)، محمد بن عبد الله ابن محمد الموفق بن محمد المشهور ببغداد، بن عبد الرحمن ابن محمد الموفق الملقب بالحفا، ابن محمد بن محمد أبي جلال، كان الله له وللمؤمنين في سائر الأحوال، وعافانا من الأحوال، في الحال والمآل، آمين يا ذا الإكرام والجلال، والفضل والجمال، فالاعتماد عليك والاتكال سبحانه الله ومحمدك، سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، محمد بن عبد الله الجلالبي.

¹ - لم ترد (م).

² - لم ترد (م).

- سار الشيخ محمد الموفق الجلالي على خطوات الإجازة المتعارف عليها، فاستهل الإجازة بالبسملة والحمدلة والتصلية على النبي - عليه الصلاة والسلام -، ليتوسع بشكل كبير في الحديث عن فضل العلم، ومكانة العلماء، وذلك بعد استعماله أداة الانتقال « أما بعد » للمرة الأولى، وله طول هذه الفقرة أورد عبارة الانتقال « أما بعد » مرة ثانية، رغم شيوخ استعمالها مرة واحدة في الرسائل والإجازات، ومنها تطرق إلى علاقته بالمجاز له، ووصفه بأوصاف متعددة منها: « العالم النجيب، الحاذق اللبيب »، مُشيراً إلى انتسابه إلى أحد مشايخ الصوفية المزارة الشيخ عبد الرحمن المشهور بـ دحو الراشدي، لما في ذلك من مفخرة للعلماء، ثم أشار إلى استدعاء عبد القادر الراشدي له، قائلاً بأنه اقتدى في ذلك بالسلف، ليُعَدِّ بعدها بعض شيوخه الذين أجازوه.

وكان المجاز قد حضر مجالس الجلالي العلمية، وبالأخص في الفية ابن مالك، وفيها ظهرت نجابتة فأجازه في: الفقه والنحو والكلام، فهي إذن إجازة تعليمية خاصة بالعلوم المذكورة.

و قبل ختمه للإجازة أوصاه بتقوى الله، وبالتحري عن الحقيقة العلمية فيما يلقى من علوم، وختم الإجازة بكتابه اسمه بعد هذه العبارة « قاله وكتبه سواه... »؛ أي أنه أملى الإجازة على غيره ليكتبها، وختمتها بالدعاء والتصلية، وذيلها بإمضائه.

ومن خلال إجراء مقارنة بين إجازتي الشيخ محمد الموفق الجلالي لكل من عبد القادر الراشدي و محمد بن سحنون⁽¹⁾، يظهر وكأنه اتخذ قالب خاص يكتب به في كتابة إجازاته، ومن الأمور التي تتشابه فيها إجازة الجلالي لابن سحنون مع الإجازة التي بين أيدينا: تكرار بعض العبارات، وعدم التطرق لفضل الإسناد وعلم الرواية، بالإضافة إلى تضمينها وصية بالصدق والأمانة والتحري.

- أما من حيث الأسلوب فقد صاغ الكاتب الإجازة في قالب أدبي سهل المعاني، فألفاظ النص وعباراته سهلة، مألفة ومتدولة، فلا توجد أية لفظة غريبة، وقد اقتبس أربع آيات من القرآن الكريم للتأكيد على فضل العلم ومكانة العلماء والنص ككل واضح لا يحتاج إلى وسائل لتشخيص معانيه ولهذا لم يحفل إلا ببعض الصور البينية التي كان غرضها تقوية المعنى وتوكيده، وطغى على النص المحسنات البدعية، وفي مقدمتها السجع؛ الذي لازم النص من الحمدلة إلى الختم؛ سيما السجع المتوازي الذي تتفق فيه اللفظتين في الوزن والفاصلة. والملاحظ أن المجيز حافظ على سجعاته حتى وهو يقتبس الآيات القرآن الكريم؛ فالآية الأولى والثانية كلامها انتهت بـ «علماء، علماء»، وفي فضل العلماء «السماء»، وفي الآية العلماء»، «قط، وفي الآية القسط».

¹ - إجازة الجلالي لابن سحنون في التغر الجماني، ص- ص: 229- 231.

ويقاد الجناس يكون موازيا للسجع في النص، ذلك أن بعض الألفاظ المشكّلة للسجع كانت تشكّل الجناس أيضا. ومن خلال دراسة الإجازة نتوصل إلى أن المجيز أجهد نفسه في الزخرفة اللفظية؛ التي أثقلت النص بقيود الصنعة والتتكلف، والتي أعجزت القارئ عن تحديد المراد في بعض الأحيان، وإن كان قد أحسن كثيرا في اختيار الألفاظ، وانتقاء الكلمات السهلة المعبرة.

ثالثاً- نماذج من الإجازات النظمية:

انصرف بعض الشيوخ إلى نظم إجازاتهم استجابة لذوق العصر⁽¹⁾، وكان العالم مُجبراً في بعض الأحيان على نظم الإجازة ردًا على الاستدعاء النظمي، حتى لا يظهر أقل من المستدعي في الخطاب، وهذا نظم بعض العلماء إجازاتهم رغم عدم تمكنهم من النظم، سيما وأنَّ بعض المستدعين كانوا يُلمحون للمشايخ برغبتهم في الإجازات المنظومة.

- إجازة الشيخ سعيد المقرى لأحمد بن القاضي المغربي⁽²⁾:

أَلَا مَرْحِبًا مِثْلَمَا الْمِسْكُ ؟ْ وَأَفْلَأْ وَسَهْلًا كَقَطْرِ الدِّيمِ⁽³⁾

وَيَشْرَا⁽⁴⁾ كَنْيِلِ الْغِنَى لِلْعَدِيمِ وَكَالْبُرْءِ⁽⁵⁾ بَعْدَ الضَّنَا⁽⁶⁾ وَالسَّقَمِ

¹ - تشابه الإجازات النظمية مع المنظومات التعليمية التي ازدهرت في هذا العهد، والشعر التعليمي: هو منظومات تتضمن علوماً وفنوناً تسهيلاً للمتعلمين على حفظها ووعيها، ومن أشهر المنظومات الجزائرية خلال العهد المدرسي: السلم المرونق في النطق لعبد الرحمن الأخضرى، وإضاءة الدجنة في التوحيد لأحمد المقرى.

² - أحمد المقرى، روضة الأس، ص، ص: 268، 269.

³ - الديمة: بالكسر مطر ي-dom اي يطول زمانه في سكون، او هو المطر بلا رعد ولا برق،

وجمعه ديم.

⁴ - وردت في القصيدة عدد من الكلمات بالألف المدودة مع أنها تكتب في الأصل بالألف المقصورة مثل: بشرى، أقوى، أزكي، أغنى.

⁵ - البرء: الشفاء.

⁶ - ضنو، ضنى: مرض مرضًا مخامرًا كلما ظنَ أنه برأه نكس.

وَكَالْوَصْلِ مِنْ بَعْدِ طُولِ الصُّدُودِ وَكَالْنَوْمِ فِي عَيْنِ مَنْ لَمْ يَئِمْ
بِمَنْ قَدْ أَتَانَا بِرِجْلٍ⁽¹⁾ الرَّسُولُ وَخَاطَبَنَا بِلِسَانِ الْقَلْمَ

سَلِيلُ ابْنِ عَافِيَةَ⁽²⁾ أَخْمَدُ رَئِيسُ الْعُلُومِ وَمُبْدِي الْحِكْمَ

وَقُطْبُ النَّنَاءِ وَشَمْسُ السَّمَاحِ وَغَيْثُ النَّوَالِ وَبَخْرُ الْكَرَمِ
سَلامُ كَاسَاسِ⁽³⁾ عَلَيْكُمْ كَرِيمُ مَدِيدُ نَمِيمٍ يَعْمَ

يَرَوْقُكُمْ حِبْرَةً مُفْلَةً وَقِرْطَاسُهُ⁽⁴⁾ مُبِسِّماً يَتَسِيرُ
يَخْصُكُمْ ءَمْ أَخْبَابُكُمْ وَكُلُّ الدُّنْيَا حَازَ فَضْلَ الْقَلْمَ
وَمِنْ بَعْدِ ذَذِي إِنْبَارِ مُقْرَرٍ بِجَهْلِي بَيْنَ الْأَمَمِ
وَمَا قَدْ ظَنَّتُمْ بِنَا مِنْ هِمَمِ
أَدَلُّ دَلِيلٍ وَأَفْوَاعَلَمِ
وَلَمْ يَنْقَمِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَرْضِ فَمِنْ
وَلَا بَطَلُّ بَلْ لِأَمْرِ مُهْمَمِ
رِوَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ طَمِيمٍ
بِمَا صَحَّ عَنَّا وَجَازَ لَنَا

¹ - الرجل: القرطاس الأبيض الحالي.

² - نسب ابن القاضي نفسه في كتابه "جدة الاقتباس" إلى جده الأعلى موسى بن أبي العافية المشهور؛ الذي كان له دور بارز في الأحداث السياسية في المغرب الإسلامي في مستهل القرن 4 هـ. عبد الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 1، ص: 326.

³ - جمع مفرده أنس، وهو أصل البناء وأساسه، وأصل كل شيء.

⁴ - القرطاس: الكاغذ يتخذ من بردي مصر، وقيل هو الصحيفة من أي شيء كانت يكتب فيها، والجمع قراتيس.

فَسَوْفَ يَجِئُكَ رَمْنَمْ يَذَاكَ
إِلَى أَرْضِ فَاسِ وَقَيَّتِ الْأَلْمَ
وَعَيْشَتْ سَعِيدًا وَمِتْ شَهِيدًا
وَسَاعَدَكَ السَّعْدُ يَنْسَ الْأَمَمَ
وَيَطْلُبُ مِثْكُمْ سَعِيدُ دُعَاءَ
يَحْسَنُ خَوَاتِمَنَا يُخْتَمَ
كَتَبَتْ بِتَارِيخَ تِسْعَ وَالْفَ
مَضَتْ بَعْدَ هِجْرَةِ مُجْلِيِ الظُّلْمِ
عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَغْلَاصَلَةَ وَأَنْكَاسَلَامَ وَأَنَّمَا كَرَمَ

- نظم الشيخ سعيد المقرى هذه الإجازة إستجابة لاستدعاء
نظمي ورد عليه من فاس من طرف العلامة أحمد بن القاضي
سليل موسى بن أبي العافية، وقد استهلها بالترحيب باستدعاء
المستجيز المجاز، مظهرا ابتهاجه به، حتى جعله كنيل المرء لأمانيه
بعد طول حرمان، ليبين أنه استجازه مراسلة باستدعاء كتابي
بقوله: "خاطبنا بلسان القلم" ، ثم انتقل إلى مدحه بعبارات « رئيس
العلوم، قطب الثناء .. »، ثم حيّاه بالسلام وأحبابه، وكل أهل
العلوم، وهنا ينتهي الشطر الأول من الإجازة، والذي مختلف عن
مطلع الإجازة المتعارف عليها وهي الحمدلة والتصلية.

وابتداءً من البيت العاشر يباشر سعيد المقرى الغرض من
ميّمته مُستعملاً عبارة الانتقال « ومن بعد ذا »، ومنها إلى الختام
ظل متمسّكاً بأغلب أجزاء بنية الإجازة، حيث أبدى تواضعه
مستصغراً من علمه أمام منح الإجازة التي استعظمها العلماء،
سيما وأنّ المستجيز أحد أعلام المغرب، ثم صرّح بإجازته له وأذن
له في روایة ما صرّح له وجاز عنه، وما إجازته له إلا لأمر مهم لم
يصرّح عنه لتعارفه بين العلماء، وهو المحافظة على الإسناد، وختّم



الإجازة بالدعاء لأحمد بن القاضي وطلب الدعاء منه، مع إثبات تاريخ تحريرها، والتصلية على خير المرسلين.

- هذه الإجازة هي الوحيدة التي حفلت بها المصادر المطبوعة للشيخ سعيد المقرى على الرغم من كثرة تلامذته والمتخرجين عليه، وقد اتسم أسلوب الناظم في هذه الإجازة بالوضوح، عدا في البعض من أفكاره؛ التي نجد فيها غموضاً بسبب نزوعه إلى التركيب المُعَقَّد لبعض أفكاره.

كما نشير إلى ترابط أفكاره، فهي متألفة ومتابعة، وألفاظه واضحة ملائمة لغرض المدح، بالإضافة إلى أنها دقيقة تؤدي معانيها الخاصة، وهي تدل على مقدرة صاحبها اللغوية في انتقاء الألفاظ ذات المعاني اللطيفة المعبرة بعنایة.

أما عن ألوان البيان، فقد وفق الناظم كثيراً في تجسيد المعاني وإبرازها في صور محسوسة، فأدت دوراً مهماً في توضيح الأفكار، وتنوعت بين تشبيه واستعارة، وورد في النص بعض فنون البديع كالجناس والطبق.

ومن المحسنات المعنوية الواردة في النص المبالغة: وهي "الإفراط في الصفة"⁽¹⁾، حيث بالغ سعيد المقرى في البيت الثالث عشر؛ فادعى انقضاء أهل العلوم في عصره، حتى لم يبق منهم على الأرض فم، فالوصف المدعى ممكناً عقلاً؛ حيث يمكن انقضاؤهم، لا عادة لوجود أهل العلم في كل زمان، غير أنهم

¹ - عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص: 91.



ليسوا كسابقيهم، ويسمى هذا النوع من المبالغة "إغراق"، وقد لجأ إليه الناظم تعظيمًا لشأن الإجازة من جهة، وتواضعًا من جهة أخرى.

ويدرج وزن هذه الإجازة ضمن البحر المتقارب⁽¹⁾، غير أننا نلاحظ أن الناظم لم يكن دقيقاً في الوزن في عدة أبيات، كما في البيت الرابع (سليل ابن عافية أحمد).

وهكذا فميمية سعيد المقربي ابنة بيتها الثقافية والعلمية التي قيلت فيها، وهي لا ترقى إلى مصاف النظم القوي الذي عهدهناه عند الشعراء في عصر الازدهار، وما يشفع لصاحبتها أنه عالم وليس شاعرًا؛ فمقدراته على انتقاء الألفاظ المعبرة بادية واضحة، كما أن الصنعة في شعر العلماء بادية أيضًا على القصيدة.

- إجازة الشيخ أحمد المقربي لtag العارفين التونسي⁽²⁾:

أرقت⁽³⁾ لبرق شمت⁽⁴⁾ من جانب الخضراء أضاءَ فأذكى⁽⁵⁾ الشوق في كبدِي جمرا

وادْكُرْنِي العَهْدُ الْقَدِيرُ وَطَالَمَا ظَيْرُ جَوِي⁽⁶⁾ المُشَاقِّ لِلْمَعْهَدِ⁽⁷⁾ الْذِكْرِي

¹ - البحر المتقارب: (فعلن) أربع مرات في الصدر ومثلها في العجز.

² - المقربي، الرحلة، ص، ص: 153، 154.

³ - أرق يأرق: ذهب عنه النوم.

⁴ - شام البرق: نظر إليه.

⁵ - ذكا يذكو ذكاءً اشتد وسطع، أذكي: أشعّل، الذكا الجمرة المشتعلة.

⁶ - جوي يجوي جوى، الجوى: حرقة الحب وشدة آلامه.

⁷ - المعهد الذكرى: أي المكان الذي له به ذكريات.

ولم أنسَ عهْدَ الظاعِينَ⁽¹⁾ وغَادُوا مُتَّمِّمَهُمْ هَيْمَانٌ لَمْ يَمْلِكُ الصَّبْرَا
فيَّا زَاجِرَ⁽²⁾ الأَضْعَانِ⁽³⁾ وهي ضَوَامِرُ⁽⁴⁾ تَرْفَقُ بِهَا بِاللهِ لَا تَكْثُرُ الزَّجْرَا

وَحْيٌ غَرِيبٌ الْحَيِّ خَيْرٌ نَحْيٌ وَبَلْغَ سَلَامَ الْمَاهِمِ الْمَغْرِي
وَلَا تَنْسِ سَكَانَ الْعَقِيقِ⁽⁵⁾ فَلَئِمَنْ منَ الْعَيْنِ أَجْرُوهُ دَمْوعًا غَدْتَ حَرَّا
فَهَا بَاطِنِي حَلَّ الْغَضَّانِ⁽⁶⁾ مِنْهُ جَبَرَةٌ وَفِي الْمُتَخَنِّي مِنْ أَضْلَعِي جَرَّةٌ⁽⁷⁾ أُخْرَى
لَكَ اللَّهُ مِنْ صَبَّ تَعْبُدُهُ الْهَوَى وَبَانَ مِنَ الْأَحْبَابِ قَدْ أَلْفَ الْقَفْرَا
رَعَى اللَّهُ خَلَانَ الْوِدَادِ وَجِنْرَةً تَنَادِيَا فَأَبْدَى الْوَفَمُ شَخْصَهُمْ فَكَرَّا
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي⁽⁸⁾ وَالْأَمَانِي كَثِيرَةٌ وَلِلْدَهْرِ أَشْجَانِ⁽⁹⁾ تَعَاقِبُهَا سَرَا
هَلْ الزَّمْنُ الْمَاضِي بِتُونِسِ رَاجِعٌ؟ فَاقْضِي مِنْ حَقِّ الْخَلِيلِ بِهَا نَذْرَا
وَلَمْ أَنْسِ تَاجَ الْعَارِفِينَ وَلِيَلَةَ بِعْنَاهُ⁽¹⁰⁾ رَاقَتْ مَنْظَرَا وَذَكَرَتْ نَشْرَا
عَمِيدُ ذَوِي الْعَلَيَاءِ مُحَمَّدُ الرِّضَى وَحِيدُ أُولَى التَّقْوَى بِتُونِسِ الْخَضْرَا
وَمَمَا شَاجِنِي وَالْبَلَابِلِ⁽¹⁾ جَمَةُ خَطَابٍ أَتَى مِنْ عَنْدِهِ قَدْ حَوَى شَعْرَا

¹ - ظعن: رحل، سار.

² - زَجَرٌ: منع ونهى، الزاجر هو الضمير.

³ - ضَغْنَ الضَّيْعَنْ، جمع أضغان: الشوق والميل.

⁴ - أَضْنَمَ: أخفى.

⁵ - العَقِيق: إحدى مدن الحجاز، قرب المدينة المنورة. الزياني، الترجمانة الكبرى. ص: 492.

⁶ - غَضَّانِيَّ غَضَّوْا غَضَّوْا ظَلَامَ اللَّيْلِ: الْبَسْ كُلَّ شَيْءٍ، أو أَظْلَمْ.

⁷ - الْجَرَّة: المَرَّةُ مِنَ الْجَرَّ.

⁸ - لَيْتَ شِعْرِي: تعبير للتعجب يقصد به لَيْتَ إِحْسَاسِي يَدْلُنِي عَلَى جَوابِ لَمَّا يَلِي أَوْ لَيْتَنِي أَشَعَرَ.

⁹ - شَجَنَ شَجَنَا وَشَجَنَوْنَا: وَشَجَنَهُ أَحْزَنَهُ، أَشْجَانُ أَحْزَانَ.

¹⁰ - جَمَعْ مَعْنَى وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي أَقَامَ فِيهِ أَوْ الْمَنْزِلُ الَّذِي كَانَ بِهَا أَهْلُوهَا.



فجدد أشواقاً وادَّعَ مَعهُداً وأهدي من السحر الحلال بها ذِرَا⁽²⁾
 بِرُومٍ عن العبد الجھولِ روايَةً ويطلبُ أمراً من إجازته أمراً
 ولستُ باهلي أن أجاز فكيف أن أجيز؟ فكان العجز عن ذاك بي أجري
 ولِكِنْ رأيتُ الأمراً يَتَبَعَّدُ رَدَّةً فَلَمْ يَكُنْ بُدًّا مِنْ إِجَابَتِهِ قِسْرَاً
 ولو لا رجالِي منه نفع دعائِه لما كتبَ يمناي في طُرسِي⁽³⁾ سَطْرَاً
 فِيَا واحد حاز المفاخر جلة حنانيك سامح هفوتي وأقبل العذرا
 وما أنا ذا قد قلت قول مقصري عن أميرِ جليل ما احطتُ به خبراً
 اجزتك تاج العارفين جميع ما رویت عن اعلام المدى قلأً أو كثراً
 مُجازاً ومقرراً وإذا بشرطه وكل الذي لفته نظماً أو نثراً
 وفهرسةُ الشیخ ابن غازی كفيلةً بأشیاء من مطلوبکم تَلْیِعُ الصَّدْرَا
 وللعبد فيها دُمتَ غير روايَةً إجازك إیاها واتبعها شکراً
 واقتَرَ بها عن عَمَّا العالم الرضى سعيد جزاه الله عن نفعنا أجرًا
 عن أشیاخه من أهل فاس جاعَةً كمثل ابن هارون إمامُهم الأذرى
 وقد لازمَ المذكورُ في الدهرِ حقبة در ومن ابن غازِي العالم الآية الكبُرى
 وأضحى إماماً مُقْرَداً في علومه ونال بفاسِ رُبْتَةً عَظِيمَةً قَدْرَاً
 وللعبد من أهل الفهارسِ مُسْنَدَ كثیرٌ وفي ذَا الوقت لم يُطِقَ الحَصْرَا
 وفي البعضِ ما يغنى وادَّعُوها هنا خصوصاً لمتورهم⁽⁴⁾ سندًا يجري
 فقد طبقَ الأفاقَ إسنادَ عِلْمِه بفهرسةٍ بينَ الورَى لم تَرَأَنْ تُقْرَأَ
 عنه رَوَى المواقِ وَاحِدَ عَصْرِه وعِدَّةُ أشیاخٍ صَدُورٍ زَكُوا بَحْرَا

¹ - البلايل: شدةُ ألمِ والوسواس والجمع بلايل.

² - الدُّر: الالائل العظام.

³ - الطُّرس: الصحيفة.

⁴ - أبو عبد الله محمد عبد الملك المتوري (ت 834هـ): له فهرسة كبيرة مهمة جداً.

الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 564.

حياناً بها القصار عن غير واحد كمثل ابن إبراهيم قاسم الأفرى وهذا عن الدقون أستاذ عصره عن العالم المواقعة كما مراً ومروي زروق أخذت جماعة عن الثادلي ابن أبي القاسم الأسرى عن الشيخ خروفهم عن إمامه وحيد الورى زروق من ريح التجزاً وكانت هذه المقري مؤمل من الله جل العون والفوز واليسراً وفي صفر من عام عشرين بعدها ثمان وألف من سني هجرة ئثراً وفي سوسة قد كان رقم برودها وقد وقع التصميم أن أركب البخراً فلا تغلوتا من دعائكم عسى نرى عن قريب روضة المصطفى العر علىه صلاة الله ثم سلامه وآل وصحب قد غدوا النجما زهرنا مدي الدهر ما سار الحبيب لمكنته وما شئتم برق الأنس من جانب الخضراء

- الإجازة التي بين أيدينا مطولة، افتحها المقربي بمطلع غزلي تضمن وصف ما حلّ به من جراء استدعاء تلقاء من تونس الخضراء، فأثار فيه من جديد حرقة الحب وألامه، مسترسلًا في وصف عذابه، حتى يخيل للقارئ بأنه قد ترك بتونس محبوبة له.

ويجدر بنا أن نقف هنا وقفه نؤكّد فيها بأنّ المقرّي لم يكن يصف مرحلة عايشها، حيث وطّنت أقدامه تونس لأول مرة، بل كان يصف وصفاً حياً، ما وعنه ذاكرته، ويتحسّر على ما آلت إليه الحياة الفكرية بتونس الخضراء، ويبدو فيه هذا التجاوب بينه وبين ما يصفه ويتحسّر عليه، وتلك مزية لا يوفق إليها إلاّ عارف مطلع بما زخرت به تونس من ازدهار، وبهذا فإنّ مُعذّبي الناظم الرّاحلين عنه هم علماء تونس الأوائل، ومراكزها العلمية



المندثرة⁽¹⁾، وهذا أنهى هذا المطلع بتنبيه رجوع تلك الأيام
الخواли، وبهذا خالف المقرى عادته ومؤلف المحيزين من قبله
حيث كانوا يفتحون إجازاتهم بالحمدلة والتصلية.

وانتهى الشيخ أحمد المقرى إلى الحديث عن استدعاء العلامة
تاج العارفين التونسي، الذي أحزنه لذكره إياه بمناسبة تونس
على الرغم من إعجابه ببلاغته، ثم توافر كعادته قائلاً بأنه ليس
أهلاً أن يُجاز فكيف أن يُعجيز؟

وقد أخذ الإقرار بالإجازة حيزاً مهماً من المنظومة، لاستيفائه
في سبعة عشر بيتاً، افتتحها بقوله: «وَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَلْتُ»، ثم أذن له
برواية جميع مروياته ومؤلفاته، ثم استعرض عدداً من الفهارس
التي تضم بعض أسانيده، ثم ختم الإجازة بذكر اسمه، وتاريخ
ومكان تحريرها، ويكاد المقرى ينفرد بذكر مكان تحريرها، بل بين
حتى سبب دخوله إلى تونس، حيث كان عازماً على ركوب
البحر، قاصداً بيت الله الحرام لأداء الفريضة، وأنهى الإجازة
بتطلب الدعاء وبالصلوة على النبي -عليه الصلاة والسلام-.

وهكذا تميّز في المنظومة شطرين تكاد تكون أغراضها
منفصلة، الأول غزلي صيرفي، وهو لا يمتُّ بصلة إلى بنية الإجازة
ظاهراً، أمّا الثاني فقد التزم فيه المقرى بعناصر الإجازة.

١ - يحدّثنا التاريخ أن الحياة الفكرية بتونس كانت جد مزدهرة خلال العهود السابقة
أما خلال القرن 10هـ ومطلع القرن 11هـ فقد أصابها ركود كبير، وظلت كذلك إلى
الفترة التي زارها فيها المقرى.

- تعد الإجازة التي بين أيدينا من أطول إجازات المقربي في المغرب الإسلامي، وإن تبدو معانيها سهلة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، إلا أنها تحتاج إلى وقفة مطولة وتركيز في معانيها رغم خلوها من كل مستحدث وجديد، وهي كلها مألوفة، وهذا النمط من الغزل الموجود في مطلع الإجازة المعروف بـ«المقدمة الطللية» قديم طالما تناوله ورددته من قبل الشعراء في قصائدهم غير أن المقصود منها بيان شوق المقربي لعلماء تونس الأوائل وتحسره على زوال مراكزها العلمية.

أما أفكاره فقد جاءت سهلة واضحة، لغتها راقية عذبة، لا تبدو مبتذلة ولا تثير الملل، بل تستكين لها النفس وتطمئن بها لصدق الشاعر في مشاعره الناجمة عن عميق تأثره بما أصاب معاهد العلم بتونس.

كما أخذت الأساليب الإنسانية حظها في المنظومة، حتى أنه أورد في البيت العشرين عدة أساليب منها «فيما واحدا... حنانيك سامح هفوتي، وأقبل العذرا»؛ فهذا البيت به أربعة أساليب إنسانية: نداء فامر ثم أمر وأمر، وكلها جاءت بغرض الاستعطاف والترجي، بالإضافة إلى المدح.

اما الخيال فقد أدى دوره كاملا في إبراز المعنى وإيضاشه كما هو الحال غالبا في الشعر، فالإجازة مليئة بالصور البينية البلاغية سيما الكنائية، غير أنها لم تحفل بتشبيهات كثيرة، كما تقل في

المنظومة المحسنات البديعية التي تطغى على نسبة كبيرة من الإجازات التثريّة.

وقد لجأ المقرئ على الاقتباس كما في وصفه الإمام زرُوقَ
بأنه «مَنْ رَيَحَ التَّجْرِي»، فهي مقتبسة من قوله تعالى: (أُولَئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَيَحْتَ تَجَارِثُهُمْ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ)⁽¹⁾، وضمن البيت الحادي عشر قول الشاعر:

أَيَا مَنْزِلِي سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلْ الأَزْمَنُ الْلَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعٍ؟
وأوحتُ الْفَاظُ النَّصِّ بِمَا شَاعَرَ الْأَسَى وَالتَّحْسُرَ عَلَى فَقْدَانِ
النَّاظِمِ لِخَلِيلِهِ؛ وَهِيَ الْحَيَاةُ الْعُلُومِيَّةُ بِتُونِسِ مُسْتَعْمِلاً الْفَاظَ دَالَّةً
عَلَى ذَلِكَ مُثْلًا: الْمُشْتَاقُ، مُتَيمُ، هِيمَانُ، الْهَائِمُ، الْمُغْرَمُ، صَبُّ، جَوَى
وَغَيْرُهَا، فَهَذِهِ كُلُّهَا درَجَاتٌ مِّنْ درَجَاتِ الْحُبِّ، وَانْتَقَى الْفَاظُ
دَالَّةً عَلَى الْأَسَى وَالْحُزْنِ مُثْلًا: الْبَلَابِلُ، الْأَشْجَانُ، الْغَضَا وَغَيْرُهَا.
وَتَتَمَّيِّزُ الْقُصْيَدَةُ إِلَى الْبَحْرِ الطَّوِيلِ⁽²⁾؛ الَّذِي تَسْعَ تَفْعِيلَاتُهُ
لِلْمَعْانِي الْغَزِيرَةِ.

وَمِنْ خَلَالِ الدِّرَاسَةِ السَّابِقَةِ نَتَوَصَّلُ إِلَى أَنَّ الْبَيَانَ غَلَبَ عَلَى
الْبَدِيعِ، وَعَهْدَنَا فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ غَلْبَةُ الْبَدِيعِ، وَأَوَّلُ مَا يَسْتَرْعِي
النَّظرُ فِي أَسْلُوبِهَا أَنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْفَاظُهَا وَعَبَارَاتُهَا مُسْتَوْحِيَّةٌ مِّنْ
كَلَامِ الشَّعْرَاءِ، قَدْ بَدَا فِيهَا تَأْثِيرُ الْشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ، سِيَّمَا
الْشِّعْرُ الْأَنْدَلُسِيُّ مِنْ خَلَالِ نَزُوعِهِ إِلَى استِعْمَالِ كَلِمَاتٍ، بَلْ

¹ - سورة البقرة، الآية (16).

² - تَفْعِيلَاتُ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ:

فَعَوْلَنْ مَفَاعِيلُنْ فَعَوْلَنْ مَفَاعِيلُنْ ◆ فَعَوْلَنْ مَفَاعِيلُنْ فَعَوْلَنْ مَفَاعِيلُنْ.



عبارات تداوّلها هؤلاء الشعراء مثل: «حنانيك...»، «ليت شعري...»⁽¹⁾، «لك الله...»، هذا وإن لم يُشهد للمقربي بقوّة الابتكار فإنه دليل على قدرته في تأليف الكلام، والتنسيق بين أساليبه، كما يدل على براعته في صناعة الكلام وإطلاعه الواسع.

- إجازة الشيخ أحمد المقربي لخنيف الدين المكي⁽²⁾:

أَحْمَدُ مَنْ أَوْلَى الْمُهَدِّي حَنِيفًا وَاسْنَدَ الْعِلْمَ لَهُ مُنِيفًا
وَمَنَحَ الْأَخْذَ بِالرِّوَايَةِ ثُورًا أَزَاحَ غَيْهَبَ⁽³⁾ الْغَوَايَةَ⁽⁴⁾

وصَلَواتٍ زَاكِيَّاتٍ زَاهِرَةٍ عَلَى الَّذِي حَازَ السُّجَابَيَا⁽⁵⁾ الطَّاهِرَةَ

وأَمَرَ النَّاسَ بِنَشْرِ السُّنْنِ
وَأَرْشَدَ الْخَلْقَ إِلَى أَهْدَى السُّنْنِ
وَبَعْدُ، فَالْعِلْمُ كَمَا لَا يُجْهَلُ
أَشْرَفَ مَا يُزَيِّنُ مِنْ تَأْهِلٍ
لَا سِيمَا عِلْمُ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ
إِذ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى خَيْرِ الْبَشَرِ
وَشَرَفُ الْمَعْلُومِ لِلْمَعْلِمِ سَرَى
كَمَا حَكَى مَعْنَاهُ مَنْ قَدْ فَسَرَّا
لَوْلَا لَمْ يُرْجَ لَهُ دَوَامٌ⁽¹⁾
وَإِنَّ الإِسْنَادَ لَهُ قَوَامٌ⁽¹⁾

١ - مثلاً قول ابن هانئ الأندلسى:

يا ليت شعري ! عن مقاولهم، إذ ◆ سمعت بذلك عنك، كيف تقول؟ :

² - أحمد المقرى، رحلة المقرى إلى المغرب والشرق، ص، ص: 81، 82.

³ - غَبَّ، الغَيْبُ الظُّلْمَةُ، اغْتَهَبَ الرَّجُلُ سَارَ فِي الغَيْبِ، وَالْغَيْبُ شَدِيدُ السُّوَادِ مِنَ الْخَيْلِ وَاللَّيلِ.

⁴ - غوى، غيا، (غواية)، أمعن في الضلال.

⁵ - السجية: الطبيعة والخلق، جمعها سجايا.



وَخَصَّصَ اللَّهُ يَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ لِمَا لَهَا مِنَ الْمَزَائِيَّا الْجَمِيَّةِ
وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ النُّهَى⁽²⁾ كُلُّ زَمَنٍ يَسْعَونَ فِي تَحْصِيلِهِ عَنْ مُؤْتَمِنٍ

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أَرَادَ أَنْ
الْكَوْكَبُ الطَّالِعُ فِي أَفْقِ الْعُلَى
الْأَوْحَدُ الْفَرَزُدُ حَنِيفُ الدِّينِ
نَجْلُ الْإِمَامِ عَابِدِ الرَّحْمَنِ
مِنْ عِلْمِهِ أَمْطَى الرُّوَاةِ الْعَيْسَى⁽³⁾
خَطِيبُ سَرَحِ الْبَلْدِ الْحَرَامِ
وَعِنْدَمَا عَدْتُ إِلَى أُمِّ الْقُرَى
شَمَّمْتُ عَرْفَ⁽⁶⁾ الْوَدِ مِنْ تِلْقَائِهِ
فَكَلَّفَ النَّجْلُ بِالْأَخْذِ عَنِي
أَمَا دَرِي دَامَ بَاتِي دُو خَطَلِ⁽⁷⁾
وَقَدْ رَوَى عَنِي مُوَطَّأُ مَالِكٍ
مَعَ الصَّحِيحِيْنِ اللَّذَيْنِ حَازَا وَفَازَا

يَنْظَمُ فِي أَسْلَاكِهِ ذَاتُ الثَّمَنِ
الْوَارِثُ الْعِلْمَ عَنِ الْقَوْمِ الْأَلَيِّ
دَامَ مُعَزَّزاً بِكُلِّ حِينٍ
مُفْتَى الْوَرَى فِي مَذَهِبِ النَّعْمَانِ
الْعَالَمُ الْعَلَامُ ابْنُ عَيْسَى
لَا زَالَ بِالْعَالَمِ قَصَى الْمَرَامِ
مُؤْمِلاً مِنْ خَالِقِي حُسْنَ الْقِرَى⁽⁴⁾
وَشِيمَتْ بَرْقَ الْمَجْدِ⁽⁵⁾ فِي لِقَائِهِ
لِمَا افْتَضَاهُ حُسْنُ الْظَّنِّ
وَإِنْ أَجْبَثَهُ فَلَسْتُ بِالْبَطَلِ
إِمَامُنَا مُنِيرُ كُلِّ حَالِكٍ

^١ - الْقِيَوَامُ: قَوَامُ كُلِّ شَيْءٍ عَمَادُهُ وَنَظَامُهُ، وَقَوَامُ الرَّجُلِ قَامَتْهُ وَحْسَنَ طَولُهُ.

^٢ - النُّهَى: الْعُقُولُ، جَمِيعُ الْعِلْمِ.

^٣ - الْعَيْسَى: مَؤْنَثُ الْأَعْيُسِ جَمِيعُ عَيْسِ: كَرَامُ الْإِبْلِ.

^٤ - قَرَى الْضَّيْفِ: قَرَى الْضَّيْفِ وَقَرَاءَ: أَضَافَهُ، فَهُوَ مِقْرَى الْضَّيْفِ وَمِقْرَاءُ، وَقِرَىُّ أَوْ هُوَ مَا يَقْدِمُ إِلَى الضَّيْفِ.

^٥ - الْمَجْدُ: جَمِيعُ الْأَمْجَادِ، الْعَزُّ وَالرَّفْعَةُ.

^٦ - الْعَرْفُ: الرَّائِحَةُ مَطْلَقاً.

^٧ - الْخَطَلُ: الْحُمْقُ، الْمَنْطَقُ الْمَضْطَرُوبُ.



عليٌّ بعضاها يوفقٌ ما رأى
وسائرُ السَّنَةِ لِمَا قَرَأَ
جماعَةٌ مَنْ يَسْتَعِنُ بِهِمْ يُعَنِّ
وَقَدْ أَخَذَتُ الْجَامِعَ الصَّحِيحَ عَنْ
كُعْمَيِ الْإِمامِ وَالْقَصَارِ
كُلُّ عن الرَّضَى أخِي الْأَنْصَارِ
مُحَمَّدٌ ذِي الرِّخْلَةِ الْمَعْرُوفُ
كَعْمَيِ الْإِمامِ وَالْقَصَارِ
مُحَمَّدٌ ذِي الرِّخْلَةِ الْمَعْرُوفُ
عَنِ الطَّوَيلِ الْقَادِرِيِّ الْأَوَّلِ
عَنِ الرَّضَى أَبِي الْمَجْدِ الَّذِي
عَنِ الزَّبِينِيِّ عَنِ الْمَعْوَلِ
وَهُوَ أَبُو الْوَقْتِ عَنِ الْجَمَالِ
عَنِ السَّرَّاخِسِيِّ عَنِ الْفَرَبِيِّ
وَقَدْ أَجَزَّهُ بِهِ مَعَ كُلِّ مَا
كَمِيلٌ مَا رَوَيْتُ عَنِ شِيُوخٍ
وَمَا جَمَعْتُ فِي الْفُنُونِ جُملَةً
وَإِنْ أَكُنْ فِي كُلِّ مَا صَنَفْتُ
فَالْمَرْءُ يُتَقْرَبُ بِقَدْرِ الْوَجْدِ⁽¹⁾
وَأَحْمَدُ الْمَقْرِيُّ قَالَ عَنِ عَجَلٍ
قَدْ خَطَّهُ أَزَاحَ رَبِّي وَسَنَةٌ⁽²⁾
عَامَ ثَلَاثَيْنَ وَالْفِي وَسَنَةٌ
بِجَاهِ خَيْرِ الْعَالَمَيْنِ الْمُصْنَفُ
صَلَى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا بَذَرْ سَمَا

¹ - الْوَجْدُ: الْيَسَارُ وَالسَّعَةُ.

² - وَسَنَنَ يُوسَنْ وَسَنَةَ فَهُوَ وَسَنَنَ، وَهِيَ وَسَنَةٌ أَخَذَهُ شَبَهُ نَعَاسٍ: نَامْ نُومَةٍ ضَعِيفَةٍ. الْوَسَنُ وَالْوَسَنَةُ وَالسَّنَةُ: شَدَّةُ النَّعَاسِ.

وأله وصخيه الأبرار ومن ئلامهم من ذوي الأسرار

- تضم هذه المنظومة كل عناصر البنية النموذجية للإجازة بالرواية، حيث افتتحها بالحمدلة التي كيفها حسب اسم المجاز له، بل كيفها لتناسب غرض الإجازة ككل، وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - ليتقل إلى الحديث عن فضل العلم وعلم الحديث والإسناد، وذلك بعد أداة الانتقال « أما بعد » ومنه تطرق إلى المجاز له وأثنى عليه، ووصف أسرته بالعراقة في العلم.

وكان الشيخ حنيف الدين قد حضر دروس المقربي بأم القرى، وروى عنه بعض كتب الحديث، وقرأ عليه بعضها، فأجازه به، وبكل مروياته ومؤلفاته، ليتطرق إلى سنته في الجامع الصحيح للبخاري، وملمحا إلى تواضعه، وختم الإجازة بكتابه اسمه وتاريخها، وبالصلة على النبي - صلى الله عليه وسلم -.

- تعد هذه الإجازة إحدى إجازات المقربي بالشرق، التي مزج فيها افتخاره بالعلم والأئمة ب مدحه لحنيف الدين المكي، وتبدو أفكارها واضحة، ففهمها لا يحتاج إلى طول عنا؛ فهي متألفة، متتابعة ومتراقبة، وأسلوبها واضح والفاظها ملائمة لغرض المدح والافتخار وسرد الواقع، وهي متداولة في جملها ما عدا بعض المفردات نحو: غيسب، العيسا، خطل، إذ نجد لها مستعملة في الشعر الجاهلي.

والنص حافل بالصور البينية منها أنه بـأ في البيت الثامن عشر إلى المجاز لتجسيد حفاوة اللقاء الذي تلقاه به حنيف الدين



أثناء دخوله مكة باستعارة مكنيتين، وفي قوله: «جرّر أذيال
الخجل» استعارة مكنية؛ حيث شبه الخجل بالحيوان، فحذف
المشبه به، وأتى بأحد لوازمه وهو الذيل، والفائدة منه التواضع.
وهي شبيهة بما قاله أبو العتاهية يهْنئ المهدى بالخلافة:

أَنَّهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادٌ إِلَيْهِ تَجْرِيْ أَذِيَالُهَا

وتكثر في القصيدة المحسنات البديعية اللّفظية؛ حيث نجد
التصريح في البيت الأول، وذلك بتوافق المصراعين؛ أي شطري
البيت في الروي وهي «حنيفا، منيفا»، وهذه المنظومة غير مقفاة،
ولكن عَوْض المكري ذلك بأن جعل اللّفظة الأخيرة من الصدر
توافق مع اللّفظة الأخيرة من العجز في الوزن والروي، من أول
الإجازة إلى آخرها.

وقد طغى الجناس على الإجازة، وأبدع الناظم في السجع
كما في البيت التاسع عشر، الذي يضم سجعاً مُرْصعاً، وهو عبارة
عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت بلفظة في عجزه على وزنها
ورويها⁽¹⁾.

وفي ختام الحديث عن إجازات الشيخ أحمد المكري نجري
مقارنة بين إجازاته التي نظمها في المغرب الإسلامي، وتلك التي
نظمها في المشرق من خلال إجازتيه الواردتين؛ فنلاحظ أنَّ هناك
اختلافاً بينهما رغم تساويهما في الحجم، إذ لا تبرز البنية

¹ - كل الألفاظ تقابلها أخرى على وزنها ورويها إلا الفاء (عرف) في الصدر تقابلها
قاف (برق)، ولكنها تقرب منها و(من) في الصدر تقابلها (في) في العجز فكلامها
حرف جر يتكون من حرفين.

النموذجية بشكل واضح في النموذج المغربي؛ خلوه من مطالع البنية؛ وهي البسمة والحمدلة والتصلية، كما لم يتطرق فيها إلى فضل العلم و الرواية، في حين تظهر بشكل واضح في النموذج المشرقي، حتى أصبحت بعض إجازاته المشرقة على درجة كبيرة من التشابه فيما بينها، بحيث حلت إجازاته النظمية لعلماء دمشق في سنة 1037 هـ، سمات مشتركة لنظمها لها في نفس الفترة⁽¹⁾؛ حيث افتتحها كلها بالحمدلة بلفظة «أحمد»، وتطرق فيها لفضل العلم والإسناد والرواية وعلم الحديث ويتميز أحمد المقرى باعتنائه بختم الإجازة، حيث يذكر اسمه وتاريخ الإجازة، وربما ذكر مكان تحريرها، وهذا ما يعطي لإجازاته قيمة تاريخية كبيرة.

كما نلاحظ أنَّ جل إجازات المقرى في المغرب مقفاة، أما إجازاته المتأخرة وهي التي نظمها في المشرق جُلها غير مقفاة، وعوض المقرى عن ذلك بإنتهاء صدر كل بيت وعجزه بنفس الحرف.

ومن الأمور التي تشد الانتباه هو أنَّ إجازاته لكتاب العلماء ومشاهيرهم، وأولئك الذين جمعته بهم علاقة وثيقة كانت مطولة، أما إجازاته لآخرين كانت بين المختصرة والمتوسطة الحجم، فأجازة المقرى لزاهرد اسمه عبد المنعم في سبعة أبيات، ولآخر لم يذكر اسمه في أربعة أبيات، في حين بلغت إجازاته لتاج العارفين

¹ - المقرى، نفح الطيب، ج 2، ص - 424 - 441.



التونسي، وهو آنذاك من كبار علماء القطر التونسي 43 بيتا، وتتراوح إجازاته الستة لعلماء دمشق سنة 1037هـ بين 26 بيت و79 بيت. والإجازة الواقعة في 79 بيت هي أطول الإجازات الست، وقد نظمها لأبناء الأديب مفتى الخنفية عبد الرحمن العمادي المشهور بدمشق، والذي جمعته به علاقة حميمية، كما جمعته بالأديب الدمشقي أحمد ابن شاهين صدقة متينة، وتقع إجازاته له في 56 بيت، وهناك إجازات نظمها لأكابر العلماء تقع في حوالي 40 بيت.

ويظهر أنَّ المقربي أوجَد لنفسه قالبا خاصاً ينظم به إجازاته، وهكذا فإننا لا نبالغ إذا قلنا بأنَّ المقربي رائد الإجازة النظمية الجزائرية خلال العهد العثماني.

- إجازة الشيخ يحيى الشاوي محمد المحبي الدمشقي⁽¹⁾:

"الحمد لله الحميد، والصلوة والسلام على الطاهر المجيد،

وعلى آلِهِ أهل التمجيد:

أجزَتُ الإمامَ اللَّوْذَعِيَّ⁽²⁾ المُعَبَّرَا⁽³⁾ أمِيناً أمِيناً الدِّينِ رُوحًا مُصَوِّرًا

سَلِيلُ مُحَبِّ الدِّينِ بَيْتٌ هِدَايَةٌ وَبَيْتٌ مَنَارٌ عِلْمٌ قَدْ مَا تَقَرَّرَا

¹ - المحبي، خلاصة الأنوار، ج 4، ص 487، 488.

² - اللَّوْذَعِيُّ: المتوفى الذهن.

³ - العَبَرَ: القوي، الشديد، الكثير من كل شيء.



بأقرائه مثنى البخاري الذي به تناقض عنة من عداؤه وقصراً
 مؤطأ شفاء والشفاء لمسلم
 إذ مسلماً ثقريه حقاً تصدى
 وبباقي رجال النقل حقاً مبيناً
 وتفسيراً قول الله في الكل فرداً
 أجزت المسئى البدر في الشرع كله
 كما تصح لي فائزك مرأة تكدرها⁽¹⁾
 وعلم كلام خالي عن أكاذب الفلا
 أقول لكل فلسفي يديشه
 أحيزيل فلك عاشر يا عذاتنا
 إلا لعنة الرحمن ئغلوا مزورا
 أعادني شرع الله بلىشم تخيرا
 بأي طريق قلشم عشر عشرة
 حكمتم على الرحمن حجراً محجاً
 مجازاً يدين الشرع كلاً محرراً
 أبرى الحبيب اللوذعي عن الرد⁽²⁾
 وإن ناله أمر القضاء تصبراً
 ولكن عليه التصح والجد والتقوى
 ونجاه من أسوء سوءٍ ئسترا
 حماماً إلة العرش من كل فشنة
 وصل وسلم بكرةً وعشبةً تخيراً

- استهل الشيخ يحيى الشاوي إجازته النظمية بحمدلة وتصليمة
 نثيرية⁽³⁾، ونفس الشيء قام به في إجازته النظمية لعبد الرحمن
 الشامي، حيث قدم لها - هي الأخرى - نثراً في سطرين ودخل
 مباشرةً في الغرض، فافتتحها بـ: «أجزت الإمام..».

¹ - كدر يكدر كدراً الماء: صار غير صاف فهو كدر.

² - الرديء: الفاسد.

³ - الإجازة ضمن جموع رقم: 335، مصطلح الحديث - دار الكتب المصرية، ورقة:



وقد خصص البيتين الأولين من هذه الإجازة لمدح المجاز له ولأسرته العريقة في العلم⁽¹⁾، ثم فصل فيما تشمله إجازته وهو: الإذن له فيما قرأه عليه، وهو "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" و"الموطأ" وفي كتب التفسير وغيره، ليجيزه بعدها في الشرع كله، ويعلم الكلام الحال من أكاذيب الفلاسفة، والذي لا يتنافي مع عقيدة المسلم الصحيحة، ثم انتقد الفلاسفة المتكلمين الضلال على أكاذيبهم وتزويراتهم في تجسيم الخالق عز وجل، ونفيهم صفات الله عز وجل، ومبرئاً المجاز له مما عُرف به هؤلاء الفلاسفة، ومؤكداً على إجازته له عامة بقوله: "مجازاً بدين الشرع كُلَّاً مُحرراً"، وبعد ذلك أوصاه بالجد والتقوى، والصبر في الملمات، هكذا إلى أن يصل إلى الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - سيد الخلق الذي أحيا القلوب بهدی الله وفك عنها حيرتها.

وهكذا تكاد تختفي معالم بنية الإجازة فيها، فقد أهمل يحيى الشاوي الكثير من العناصر منها فضل العلم والإسناد ومشايخه ومورياته، بل أهمل حتى ذكر اسمه وتاريخ الإجازة.

¹ - أسرة المحيي من الأسر العلمية الشهيرة في الشام. وقد ترجم المحيي في لعدد من علمائها كوالده فضل الله بن حب الله (ت 1082هـ)، وجده حب الله بن محمد (ت 1047هـ)، وجد والده محمد بن أبي بكر (ت 1016هـ). ترجمتهم على التوالي في خلاصة الأثر، ج 3: ص 277-286؛ وص، ص 308، 309؛ وص - ص 322-331.

- لأن تحرر المحي من البنية النموذجية جعله أكثر حرية في نظم إجازاته، وهذا تبدو عباراتها قوية، متينة السبك، شديدة الأسر، على الرغم من أنّ ضعفا يشوبها، بسبب ما تكلف صاحبها.

والسمة البارزة في الإجازة التكرار للمعاني؛ ففي عجز البيت الثالث « تقاصر عنه، وقصرا » هو تكرار من باب الاستفاق للتأكيد، فال الأول على وزن المضارع، والثاني على وزن الماضي، دليل على أنه حفظ المتن وفهمه دون تقصير، وهو ما لم يصل إليه قبله أحده ولا حينه، وهو مبالغة. وفي البيت الأول تكرار معنوي « أميناً أمين الدين »، وبهذا فقد بلأ إلى التكرار في كل الأحوال للتأكيد على صحة فقه الرجل، وقوة عقيدته مما تصح له الإجازة.

وجاءت المحسنات البديعية قليلة في هذه الإجازة؛ والصور البينية قليلة هي الأخرى-، ومع ذلك نجد الناظم يكثر من البيان في مجال المدح؛ ويقلل منه في مجال ذم الفلسفة الكاذبة، لأنّ ما كان بهم المجيز هو المجاز له لا هؤلاء الفلاسفة.

أما الألفاظ فقد جاءت خادمة للنص؛ فالنحوت الموجودة في البيت الأول كلها من باب المدح في مثل: « الإمام، اللوذعي المعبرا، أميناً، أمين، مصوراً »، وهي أسماء تدل على لصوق الصفات به على وجه المبالغة.

ونلاحظ أنه عاد ثانية إلى الإشادة بفضل المجاز له مكررا تصريحه بإجازته فقبلًا قال: « أجزت »، أعطاه الفعل والحركة، ثم تمكّن

فيه العلم الصحيح ليصير « مُجَازاً » وهو اسم فاعل يدل على الاستمرار والثبات.

وهكذا فالسُّمة البارزة في الإجازة هي التكرار للمعنى، واستعمال أسماء الأفعال؛ للدلالة على ثبات الصفة واستمرارها، كما لها فيه إلى البحر الطويل وهو أطول بحور العروض نفسها، أما القافية فاختار لها حرف الراء فهو صوت ذلقي مجهور ومن صفاته التكرار، وأنهاء بحرف هواني.

كحوصلة لهذه الدراسة فإنه رغم إحساس القارئ بالتكلف الشديد الصادر من صاحب المنشورة، إلا أنها لم تفقد جمالها وعذوبتها.

- من خلال النماذج المختارة نستتتج أن الإجازات النظمية لم تكن شائعة ومتدولة كثيراً خلال العهد العثماني، كما هو الحال بالنسبة للإجازات التترية لتقييدها بعناصر معينة، ولهذا نجد الشيوخ يتمسكون بالبنية النموذجية في الإجازات التترية، ويخلون عن بعض عناصرها في الإجازات النظمية؛ لأن ذلك يتم على حساب الأسلوب، أمّا من حيث الصياغة فقد عمل الشيوخ على إظهار مقدرتهم البلاغية والأدبية، ولهذا تم توظيف البديع بقوة، على أن أول ما يشد الانتباه في النماذج الواردة غناها بالألفاظ الدينية، ومصطلحات الحديث الشريف؛ فكانت الإجازة مرآة صادقة عن الحياة الأدبية والعلمية في عصرها.

الخاتمة



يتضح مما سبق أن الإجازة العلمية تقليد تعليمي إسلامي، عرفها المسلمون منذ القرون الإسلامية الأولى، وكان المقصود بها عند ظهورها، إذنُ الشِّيخ للطالب ليؤدي عنه مروياته في الحديث الشريف من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه؛ فيؤدي عنه بموجب ذلك الإذن، ثم توسيع فيها العلماء فمتَحَوْهَا لكل طالب الرواية في الفقه والتاريخ وال نحو وغيرها من العلوم، وهي بهذا المعنى ليست شهادة تعليمية يُستدلُّ بها على درجة تحصيل حاملها، وهذا اقتصرت شروطها على الأمانة والتحرٰي في نقل ما أبىح روایته؛ حرصاً على نشر سند الحديث الشريف وغيره من العلوم على أوسع نطاق.

ومنذ القرن الرابع للهجرة أصبحت الإجازة العلمية جزءاً من المنظومة التعليمية، وذلك عندما صار الأستاذ يكتب للطالب ما يُفِيدُ قراءته عليه الكتاب المعيَّن أو الكتب المعيَّنة، ثم برزت إجازات علمية أخرى في صور وأشكال مختلفة، إلا أنها لم تخرج عن إطار العلم والتعليم.

إن هذا التطور الذي عرفته الإجازة شمل الشكل والمضمون، وأفرز أنواعاً عديدة، لكل منها شروطاً خاصة لتحقيلها، وهي تراوح بين الليونة والعسر، علماً أن الشِّيخ لم يكونوا مُلزمين بتقديمها لكل من أتم القراءة عليهم من تلامذتهم، كما أنها لم تكن ضرورية لتولي أي منصب ديني أو علمي، ومع

ذلك فقد حرص المسلمون على تحصيلها لمحكمتها العظيمة، ولرفعها شأن حاملها بين أقرانه من العلماء، سيما إذا كان مانحها عالماً ذائع الصيت بعلمه وفضله، مشهوراً بعلو إسناده.

وقد اكتمل تطور الإجازة العلمية خلال العهد العثماني، فظهرت جميع أنواعها، وازداد الشغف بها، فتبادلها العلماء الجزائريون فيما بينهم، ورحلوا إلى الشرق والمغرب رغبة في تحصيلها بعد طلب العلم، ومنحوها بدورهم لغيرهم من العلماء المسلمين.

وكان التعليم الأولى واسع الانتشار في الجزائر العثمانية، أما التعليم الذي ينبع بالثانوي - بمفهوم العصر - فقد كان متوفراً في الحواضر العلمية وفي بعض زوايا الريف؛ التي حملت على عاتقها مهمة التعليم، وبما أنَّ الجزائر لم تحفل بجامعة إسلامية كالآزهر أو القرويين وغيرها، كان على الطالب الطموح الراغب في الاستزادة من العلم أن يتوجه إلى الأساتذة المشهورين، المشهود لهم بالفضل والعلم، رغبة فيأخذ العلم عنهم، والظفر بإجازاتهم، وعليه فقد ارتبط التعليم من المستوى العالي بالأشخاص لا بالمؤسسات.

ولما كانت المدن الكبرى أكثر ملاءمة للعلماء؛ لوجود فرص عمل أكبر في المناصب الدينية العليا كالفتيا والقضاء والخطابة، فقد استقر بها عدد كبير من العلماء، وتصدروا للتدرис، فراجعت بها بضاعة العلم، وبهذا تكونت حواضر علمية في الجزائر العثمانية،

وكانت مدينة الجزائر عاصمة الإيالة تمثل المركزية العلمية في تلك الفترة، لوجود عدد كبير من المؤسسات التعليمية بها، وعلى رأسها جامعها الأعظم، إلا أنَّ المدد الحقيقي كان يأتيها من داخل البلاد، فيهاجر إليها الطلبة لاستكمال معارفهم والتلتمذ على كبار الأساتذة، ومنهم من يرجع إلى بلده و منهم من يستقر بها، ومن أهم المدن التي امتازت بهذا المدد قسنطينة؛ التي كانت بها حركة علمية نشطة، كما كانت كل من مازونة ومعسکر من الحواضر العلمية الصغرى في غرب الجزائر.

ونظراً لازدهار حلقات الدراسات العليا بالحواضر المذكورة، بالإضافة إلى بعض الزوايا التعليمية، قصدها العلماء والطلبة من مختلف ربوع القطر، فدرسوا على أساتذتها وحصلوا على إجازاتهم، وهنا لا بد من الوقوف على أمرين لم تتمكن من إعطاء إجابة نهاية حولهما:

١- قلة الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين: المعلومات أنَّ التعليم من المستوى العالي لم يبلغ المستوى المطلوب في الجزائر؛ لإهمال العثمانيين للتعليم من جهة، ولقلة المناصب الدينية والعلمية من جهة أخرى، وهذا كان الطالب يشغل بطلب الرزق عن طلب العلم.

فهل كانت هذه الإجازات قليلة فعلاً للسبب المذكور، أم أنَّ قلة المادة العلمية التي تغطي الحياة الثقافية في الجزائر، وتبعثر الإجازات أدى إلى ضياعها، فجعلها تبدو كذلك ؟



2- انحصار إجازات العلماء الجزائريين في نوعين من الإجازات: الإجازة بالرواية بجميع أنواعها، والإجازة بالقراءة لعلوم وكتب معينة، فهل انحصرت فعلاً في النوعين المذكورين؟ وما يلفت الانتباه هو عدم التوصل إلى آية إشارة للإجازة بالقراءات القرآنية مع اشتهرار منطقة زواوة بهذا العلم، حتى قصدها بعض العلماء من المغرب الأقصى وتونس، فهل يعقل أن لا يحرر أساتذة القراءات بها إجازة بذلك لمن تلمنذ عليهم بعد تمكنهم في هذا العلم؟

وينتهي بنا القول إلى أن الإجازات المتبادلة بين العلماء الجزائريين على قلتها - حسب ما يبدو - فهي تعبّر عن مستواهم، ذلك أن الإجازة العلمية لا تمنح إلا من طرف كبار العلماء.

ويختلف حكام الجزائر العثمانيين اعنى حكام جاريها المغرب الأقصى وتونس بالحركة الفكرية، فتعددت بهما المراكز العلمية، وفي مقدمتها جامع القرويين، وجامع الزيتونة، ولذلك شد العلماء الجزائريين الرحال إليهما، إلا أنهم كانوا يفضلون المغرب على تونس؛ للعناية الخاصة التي كانوا يجدونها من طرف سلطنه الذين أكرموهم، وحابوهم بال المناصب العلمية والدينية، وأغدقوا عليهم العطايا، مما شجع عدداً منهم على الاستقرار هناك، فساهموا في الحركة الفكرية به وتمكنوا من الصمود أمام المنافسة التي تلقوها من طرف علمائه، وما عزز التواصل الثقافي بين علماء البلدين هو مرور المغاربة بالجزائر أثناء ترددتهم على



المشرق، كما كانت الجزائر وجهة لبعض علماء المغرب الناشدين الأخذ على علمائها.

وأما حكام تونس العثمانيين فقد تربوا من العلماء الأحناف، فلم يحظ لديهم علماء الجزائر المالكين بالاهتمام، ولهذا لم يستقروا هناك كثيراً، وكان ترددتهم إلى المشرق، فرصة مواتية للالتقاء بعلماء تونس، وكما هو الحال بالنسبة للمغاربة لم تشهد الجزائر إلا دخول القليل من علماء تونس؛ لأنها لم تكن تقدم لهم أكثر مما في بلدهم؛ الذي ازدهرت به حلقات الدروس العليا، كما كان علماء تونس يتوجهون إلى الجامع الأزهر للاستزادة من العلم، وهذا فإن الإجازات التي تبادلها علماء الجزائر مع أقرانهم بتونس أقل من الإجازات التي تبادلوها مع علماء المغرب الأقصى.

وكانت فريضة الحج الدافع الرئيسي للجزائريين للرحلة إلى المشرق، فلم يفوت العلماء على أنفسهم خلاها فرصة الأخذ عن علمائه سيما وأن المغاربة عموماً كانوا ينظرون بعين الإكبار لكل من درس على علماء المشرق، وحصل على إجازاتهم، وهناك من كان يجاور عدة سنوات بالحرم، أو بالجامع الأزهر؛ الذي يوفر رواق المغاربة به الجو الملائم للطالب والعالم للتفرغ لطلب العلم، وقد كان يعج بالعلماء الأفداد من مختلف المذاهب الفقهية. والعلماء الجزائريون بالشرق نوعان:

1- المستقرین به نهائیا: منح هؤلاء الإجازات للمشارقة أكثر مما تلقوا منهم.

2- والعلماء المهاجرون هجرة مؤقتة من حجاج ومجاورين أجززوا أكثر مما أجازوا علماء المشرق.

كان هذا الإطار العام الذي وجدت فيه الإجازة العلمية وهي ذات ارتباط وثيق بالرحلة والتعليم والمراکز الثقافية، وحتى بالظروف السياسية.

وتتجلى أهميتها كوثيقة تاريخية فيما تحمله من إشارات حول الحياة الثقافية للعصر الذي كتبت فيه، فهي تعد أحد مصادر الترجم، فقد تتضمن أسماء أعلام، قد لا نجد لهم ترجمة أو ذكر في كتب الترجم المعروفة، وهم بالخصوص أساتذة الشيخ المجيز ومن خلال مقارنة عدة إجازات في المنطقة الواحدة يمكن استنباط البرامج والمقررات الدراسية، حيث سيطرت خلال العهد العثماني العلوم النقلية على مجالس التدريس في الجزائر كما في بقية أنحاء العالم الإسلامي. أما العلوم العقلية كالطب والكيمياء والهندسة وغيرها فلم يكن نصيب لها في هذه الحلقات إلا في أحيان نادرة، ولذلك نجد إجازات العهد المدروس تصب في العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها، ويأتي في مقدمتها الإجازات في الحديث الشريف.

وعليه فالإجازة مرآة صادقة عن الحياة العلمية في عصرها وحتى الأدبية بحيث عمل الشيوخ فيها على إظهار مقدرتهم



البلاغية والأدبية، وهذا تم توظيف البديع بقوة، سيما السجع وهي السمة التي تميزت بها جميع فنون الأدب في العهد العثماني من رسائل وتقارير وغیرها.



الملاحق



الملحق رقم 1

إجازة الخطاط إسماعيل بخفاف زاده حسين وفاني بالخط





الملحق رقم 2

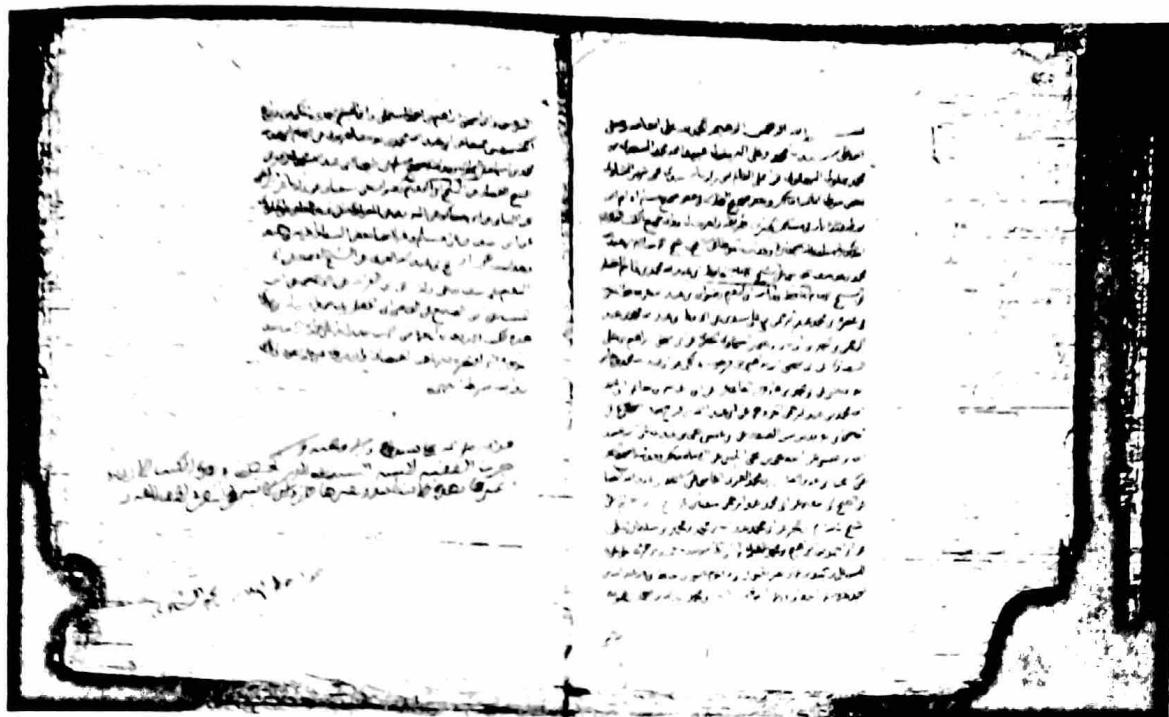
إجازة الشيخ محمد السعدي البهولي ليعي الشاوي





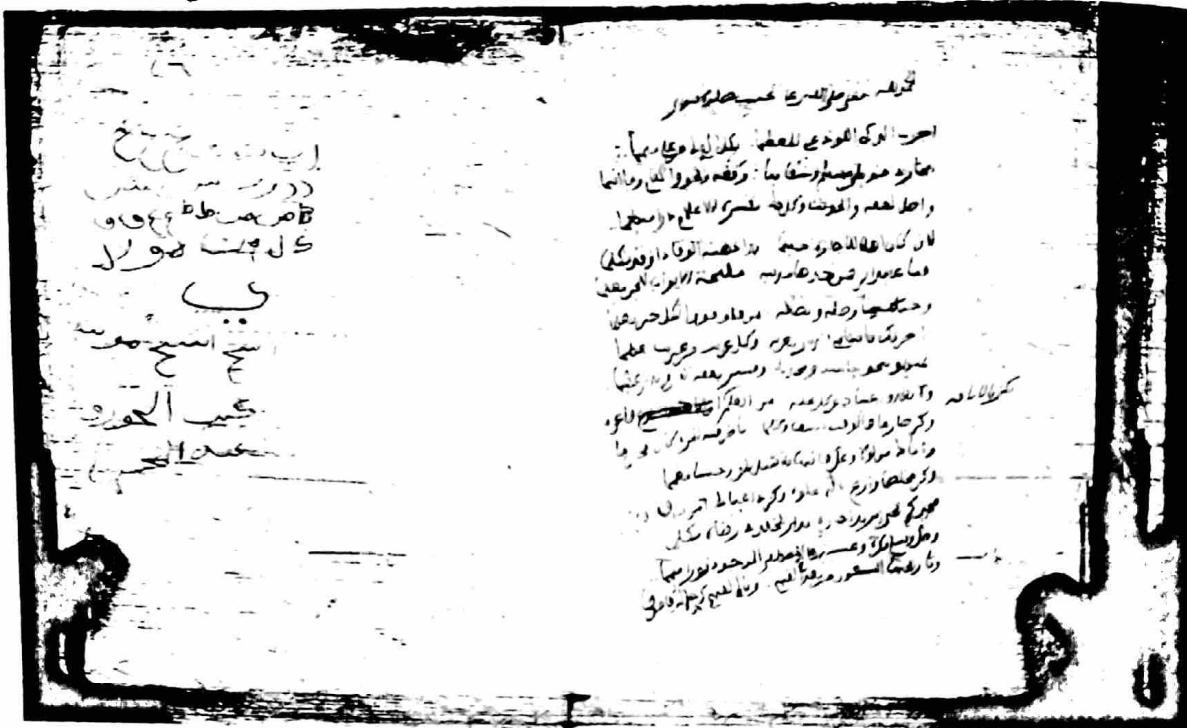
ملحق رقم 3

إجازة الشيخ محمد السعدي البهولي ليعي الشاوي



المحلق 4

إجازة الشيخ يحيى الشاوي للشيخ عبد الرحمن الشامي



ملحق رقم 5

جازة الشيخ محمد موفق الجلالي عبد القادر الراشدي



الببليوغرافيا

- القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع

١- المصادر والمراجع باللغة العربية:

- المصادر المخطوطة:

التليلي محمد الطاهري بن بلقاسم، «إتحاف القاري، بحياة خليفة بن حبيب»، خطوط سلدية غمار - وادي سوف.

- الخطابي عبد القادر بن مختار الجزائري، «الكوك الثاقب في أسانيد أبي طالب» مخطوط بموزة الشيخ أبو عبد الله شرك إمام مسجد الشرايفية بالمدينة الجديدة، وهران.

- الصباغ محمد القلعي (القرن 10هـ)، «الدرة الصباغية في شرح
الكتاب»، بخط طرابلسية، تحت رقم: 2325.

- قدورة محمد بن سعيد (ت 1007هـ / 1695م)، «جليس الزائر»، المطبعة الماكية الوطنية الخزائية تحت رقم: 2600.

- المجاجي عبد الرحمن بن محمد (القرن 11هـ)، «رحلة المجاجي».

- مجموع رقم: 181 - مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية(39 ق)

- مجموع رقم: 335 - مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية(98 ق)

- المشرفي أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر (ت 1313هـ / 1895م) «ياقوتا النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 3326.

- المقري شهاب الدين احمد (ت 1041هـ / 1631م)، «فتح المتعال في مدح النعال». خطوط منه نسختين بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقمي: 2202، 2203.

- «إجازة الشيخ محمد الوفق الجلالى العسكري لعبد القادر الراشدي»، وثيقة مصورة على القرص المضغوط بمخبر مخطوطات شمال إفريقيا بجامعة وهران.
- استجازة الشيخ محمد التوهامي بن رحمن الفاسي للشيخ محمد المهدى الكتروسي المازوني، وثيقة ملك لعائلة الكتروسي بمدينة مازونة.
- اليفرني أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت 1150)، «صفوة من انتشار من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 1741.
- المصادر المطبوعة:
 - البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، صحيح البخاري، ضبطه وخرج أحاديثه: مصطفى ديب البوغا. الجزائر: موفم للنشر - دار الهدى، 1992.
 - البدري عبد الله (القرن 9هـ)، نزهة الأنام في محاسن الشام، بيروت: دار الرائد العربي، (ط1)، 1980.
 - التبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ / 1626م)، نيل الابتهاج بتطریز الديباچ. طرابلس (ليبيا): منشورات كلية الدعوة الإسلامية، (ط1)، 1989.
 - التبكتي أحمد، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباچ، تحر: علي عمر. المغرب: مكتبة الثقافة الدينية، (ط 1)، 2004.
 - الجبرتي عبد الرحمن بن حسن (ت 1237هـ / 1821م)، تاريخ عجائب الآثار في التراث والأخبار أو «تاريخ الجبرتي»، تحر: إبراهيم

شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية- منشورات محمد علي بيضون، (ط1)، 1997.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسنطيني (ت 1067هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

- ابن حجر شهاب الدين أحمد العسقلاني (ت 852هـ / 1448م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تتح: محمد سيد جاد الحق. القاهرة: مطبعة محمد علي صبح المدنى، (ط2)، 1966.

- ابن حجر، تلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعى الكبير، تتح: عبد الله هاشم اليماني المدنى. المدينة المنورة، 1964

- الخبلي عبد الحي (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت: دار المسيرة، (ط2)، 1979

- ابن حمادوش عبد الرزاق (ت 1197هـ / 1782م)، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال أو « رحلة ابن حمادوش »، تتح: أبو القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للفنون المطبعية، 1983.

- الحموي ياقوت بن عبد الله شهاب الدين الرومي (ت 627هـ / 1229م)، معجم الأدباء « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب »، تتح: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1993.

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1406م)، مقدمة ابن خلدون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2003



- ابن خلكان أبو العباس أحمد (ت 681هـ / 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تتح: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1977.
- خوجة حسين (ت 1145هـ / 1732م)، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتحات آل عثمان، تتح: الطاهر المعموري ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب، 1975.
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ / 888م) سنن أبي داود، تتح: صدقى محمد جليل. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط3)، 1999.
- ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرععاني القررواني، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تتح: محمد شمام. تونس: المكتبة العتيقة، (ط3)، 1967.
- أبو راس محمد الناصري (ت 1238هـ / 1823م)، فتح الإله ومته في التحدث بفضل ربى ونعمته أو «حياة أبي راس الذاتية»، تتح: محمد بن عبد الكريم. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990.
- الرُّصاع محمد الأنصاري (ت 894هـ / 1488م)، فهرست الرصاع، تتح: محمد العنابي. تونس: المكتبة العتيقة، (ط1)، 1967.
- الروداني محمد بن سليمان (ت 1094هـ / 1682م)، صلة الخلف بموصول السلف، تتح: محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1988.
- ابن زاكور محمد (ت 1120هـ / 1708م)، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان. الرباط: المطبعة الملكية، 1967.



- زروق أحمد بن أحمد بن محمد (ت 899هـ / 1494هـ)، قواعد التصوف. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، (ط3)، 1989.
- الزهار أحمد (ت 1289هـ / 1872م)، مذكريات الحاج أحمد الشريف الزهار (1754 - 1830م)، تحرير: أحمد توفيق المدنى. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط2)، 1980.
- الزياني أبو القاسم (ت 1249هـ / 1833م)، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحرير: عبد الله الفيلالي. الرباط: دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، 1991.
- الزياني محمد بن يوسف (كان حبا سنة 1320هـ / 1903م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978.
- ابن سحنون أحمد بن محمد الراشدي (ت بعد 1211هـ / 1796م)، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهرانى، تحرير: المهدى البوعبدلى. قسنطينة: مطبعة البعث، 1973.
- السخاوى شمس الدين محمد بن عبد الرحيم (ت 902هـ / 1496م)، فتح المغيث - شرح ألفية الحديث، تحرير: صلاح محمد عريضة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996.
- السراج الوزير محمد بن محمد الأندلسى (ت 1149هـ / 1736م)، الحال السندينة في الأخبار التونسية، تحرير: محمد الحبيب الهيلة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1985.
- السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن (ت 911هـ / 1505م)، ألفية السيوطي في علم الحديث. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر. بدون سنة الطبع



- السيوطي جلال الدين، *بُعْدية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*،
تح: أبو الفضل محمد إبراهيم. طبع بمطبعة عيسى البابلي الحلبي
وشركاه. (ط1)، 1964.
- السيوطي جلال الدين، *حسن المخاضرة في أخبار مصر والقاهرة*.
بيروت: دار الكتب العلمية- منشورات علي بيضون، (ط1)،
1997.
- الشيرازي أبو إسحاق (ت 476هـ / 1083م)، *طبقات الفقهاء*،
تح: إحسان عباس. بيروت: دار الراند العربي، (ط2)، 1981.
- ابن الصلاح أبو عمرو عثمان الشهري (ت 643هـ / 1245م)،
مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تح: عبد الحميد هنداوي.
بيروت (صيدا): المكتبة العصرية، (ط1)، 2001.
- ابن طولون محمد بن علي وغيره، *نوادر الإجازات والسماعات
لابن طولون وغيره*، تح: مطبع الحافظ. بيروت: دار الفكر المعاصر-
دمشق: دار الفكر، (ط1)، 1998.
- عبد الحميد بيك (ت 1280هـ / 1863م)، *أعيان من المشارقة
والغاربة، تقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله*. بيروت: دار الغرب
الإسلامي، (ط1)، 2000.
- ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوني (ت 986هـ / 1578م)،
دورة الناشر لمحاسن من كان من بالغرب من مشايخ القرن العاشر،
تح: محمد حجي. الدار البيضاء (المغرب): منشورات مركز التراث
المغربي، (ط 3). 2003.
- ابن عمار احمد (ت بعد 1205هـ / 1790م)، *أشعار جزائرية*، تح:
أبو القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.



- العنترى محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسطنطينة واستيلاءهم على أوطانها، أو « تاريخ قسطنطينة »، تقديم وتعليق: يحيى بوعزيز. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.
- العياشى أبو سالم عبد الله (ت 1090هـ / 1679م)، ماء الموائد أو « الرحلة العياشية ». الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. 1977.
- عياض القاضي ابن موسى البصي (ت 544هـ / 1149هـ)، الإمام إلى معرفة أصول الرواية وتقيد السمع، تحرير: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار التراث - تونس: المكتبة العتيقة، (ط2)، 1987.
- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحد (ت 714هـ / 1314هـ)، عنوان الدرایة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية، تحرير: عادل نويهض. بيروت: منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1969.
- الغزى نجم الدين (ت 1061هـ / 1650م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحرير: جبرائيل سليمان جبور. بيروت: المطبعة الأمريكية - الناشر: محمد أمين دمج وشركاه، (ط1)، 1945.
- ابن فرحون إبراهيم بن علي (ت 799هـ / 1396هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحرير: علي عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (ط1)، 2003.
- الفكون عبد الكريم بن محمد (ت 1073هـ / 1662م)، منشور المداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحرير: أبو القاسم سعد الله. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1987.



- القادری محمد بن محمد الطیب (ت 1187ھ / 1773م)، نشر المثانی لأهل القرن الحادی عشر والثانی، تحقیق: محمد حجی - احمد توفیق، الرباط.
- ج 1: دار المغرب للتألیف والترجمة والنشر، 1977،
- ج 2: منشورات الجمعیة المغربية للتألیف والترجمة والنشر، (ط1)، 1982
- ج 3: منشورات الجمعیة المغربية للتألیف والترجمة والنشر، (ط1)، 1986
- ابن القاضی احمد المکناسی (ت 1025ھ / 1616م)، جدودة الاقتباس في ذکر من حل من الأعلام مدينة فاس. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1974.
- ابن القاضی احمد، المتنقی المقصور علی مآثر الخليفة المنصور، تح: محمد زروق. الرباط: مکتبة المعارف للنشر والتوزیع، 1986.
- ابن القاضی احمد، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدی أبو النور. القاهرة: دار التراث - تونس: المکتبة العتیقة. (ط1)، 1971.
- القلقشندي شهاب الدین بن علی (ت 821ھ / 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنسا. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتألیف والترجمة والطباعة والنشر - مطبع كوستاتسوماس وشركاه.
- المحيي محمد أمین (ت 1111ھ / 1699م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادی عشر. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.



- المرادي محمد خليل (ت 1206هـ / 1791م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. بروت: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، (ط1)، 1997.
- المراكشي محمد بن محمد بن عبد الملك، كتاب الذيل والتكميلة لكتابي الموصل والصلة، تحرير: إحسان عباس. بروت: دار الثقافة، 1965.
- ابن مريم محمد بن محمد المديوني (ت حوالي 1020هـ / 1611م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.
- المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعواد في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن التاسع عشر، تحرير: يحيى بوعزيز. بروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ / 874م)، صحيح مسلم. بروت: دار ابن حزم للنشر والتوزيع - الرياض: دار المغنى للنشر والتوزيع، (ط1)، 1998.
- مقديش محمود (ت 1228هـ / 1813م)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحرير: علي الزواوي - محمد محفوظ. بروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1988.
- المقربي أحمد، روضة الأُس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس. الرباط: المطبعة الملكية، (ط2)، 1983.
- المقربي أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحرير: إحسان عباس. بروت: دار صادر، 1988.

- المقرى أَحْمَد، رِحْلَةُ الْمَقْرِيِّ إِلَى الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ، تَحْ: مُحَمَّدُ بْنُ مُعْمَرْ.
سِيدِي بْلَعْبَاسْ (الْجَزَائِرُ): مَكْتَبَةُ الرِّشَادِ لِلطبَاعَةِ وَالنُّشُرِ وَالتَّوزِيعِ،
(ط١)، ٢٠٠٤.
- المقرى أَحْمَد، أَزْهَارُ الرِّيَاضِ فِي أَخْبَارِ عِيَاضِ. الْمَغْرِبُ الْأَقْصِي
وَالْإِمَارَاتُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُتَّحِدةُ: أُعِيدَ طَبْعَهُ تَحْتَ إِشْرَافِ الْلَّجْنَةِ الْمُشَرَّكَةِ
لِإِحْيَا التِّرَاثِ، ١٩٧٨.
- المنجور أَحْمَد (ت ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م)، فَهْرَسْتُ أَحْمَدَ الْمَنْجُورِ، تَحْ:
مُحَمَّدُ حَجَّيْ. الْرِبَاطُ: دَارُ الْمَغْرِبِ لِلتَّالِيفِ وَالْتَّرْجِمَةِ وَالنُّشُرِ، ١٩٧٦.
- الناصري أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)، كِتَابُ
الْإِسْقَصَا لِأَخْبَارِ دُولِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصِيِّ. الدَّارُ الْبَيْضَاءُ (الْمَغْرِبُ): دَارُ
الْكِتَابِ، ١٩٥٥.
- ج٥، تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ وَمُحَمَّدُ النَّاصِرِيُّ
- ج٦، تَحْقِيقُ: جَعْفَرُ النَّاصِرِيُّ وَمُحَمَّدُ النَّاصِرِيُّ.
- الْوَرْتَلَانِيُّ الْحَسِينُ بْنُ مُحَمَّدٍ (ت ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م)، نِزَهَةُ الْأَنْظَارِ
فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ وَالْأَخْبَارِ أَوْ «الرِّحْلَةُ الْوَرْتَلَانِيَّةُ». الْجَزَائِرُ:
مَطْبَعَةُ بَيْرُ فُونْتَانَا الشَّرْقِيَّةِ، ١٩٠٨.
- الْوَزَانُ الْحَسِينُ "لِيُونُ الْإِفْرِيقِيُّ" (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م)، وَصْفُ
إِفْرِيقِيَا، تَحْ: مُحَمَّدُ حَجَّيْ - مُحَمَّدُ لَخْضُورٍ. بَيْرُوتُ: دَارُ الْغَرْبِ
الْإِسْلَامِيِّ - مَنْشُورَاتُ الْجَمْعِيَّةِ الْمَغْرِبِيَّةِ لِلتَّالِيفِ وَالْتَّرْجِمَةِ وَالنُّشُرِ،
(ط١)، ١٩٨٣.
- الْوَلَاتِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّالِبُ مُحَمَّدُ (ت ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م)، فَتْحُ
الشَّكُورِ فِي مَعْرِفَةِ أَعْيَانِ عُلَمَاءِ تَكْرُورٍ، تَحْ: مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَتَانِيِّ -



محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي - منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1981.

- الونشريسي أحمد بن يحيى (ت 914هـ / 1508م)، المعيار المغربي والجامع المغربي عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- المراجع:

- إبراهيم بك حلّيم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، المسمى التحفة الحلّيمية في تاريخ الدولة العلية. بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2002.
- إبراهيم عناني، رشيد في التاريخ. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعية، 1987.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1998.
- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990.
- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام: عبد الكريم الفكون - داعية السلفية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1986.
- أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حادوش حياته وأثاره. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

- أبو القاسم سعد الله، المفتى الجزائري ابن العنابي: رائد التجديد الإسلام (1775 - 1850). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977.
- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعریف الخلف برجال السلف. بيروت: مؤسسة الرسالة - تونس: المكتبة العتيقة، (ط2)، 1985.
- أحمد توفيق المدنی، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م - 1792م). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (ط2)، 1976.
- أحمد توفيق المدنی، كتاب الجزائر. القاهرة: طبع دار المعارف - البليدة: نشر دار الكتاب، (ط2)، 1963.
- أحمد توفيق المدنی، محمد عثمان باشا داي الجزائر: 1766 - 1791م. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية. مصر: مكتبة النهضة المصرية، (ط1)، 1966.
- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (ط7)، 1986.
- أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون، في القرون 17 و 18 و 19، ترجمة: أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي. تونس: بيت الحكم، (ط1)، 1993.
- أحمد عبد القادر عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابليسي. بيروت: دار الجيل، (ط1)، 1987.
- أحمد عمر هاشم، قواعد أصول الحديث. بيروت: دار الكتاب العربي، 1984.

- 96- أسامة ناصر النقشبندي، إجازات الخطاطين. بيروت: الدار العربية للعلوم، (ط1)، 2001.
- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. طهران (خیابان بوذر جمهوری): مكتبة الإسلامية والجعفرية تبريزی. 1947.
- بشير ضيف بن أبي بكر، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، تقديم: عثمان بدري. مدينة الجزائر: منشورات ثالثة، (ط1)، 2002.
- ابن بكار بلهاشمي، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب. تلمسان: مطبعة ابن خلدون، 1961.
- حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين. تونس: بيت الحكمة- بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990.
- حسن الصادقي، مخطوطات أحد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية. الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، (ط1)، 1996.
- حسن محمد عبد الغني، المقرى صاحب نفح الطيب. القاهرة: مطبعة الدار القومية للطباعة والنشر، 1966
- خير الدين الزركلي، الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت: دار العلم للملائين، (ط5)، 1980
- صالح خري، شعر المقاومة الجزائرية. الجزائر: الشركة الوطنية للكتاب.



- صلاح الدين المنجد، المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني وأثارهم المخطوطية. بيروت: دار الكتاب الجديد، (ط 1)، 1964.
- صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات. بيروت: دار الكتاب الجديد، (ط 5)، 1976.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر. بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (ط 1)، 1971.
- عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر. تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية، 1980.
- عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي (ت 1383)، معجم الشيوخ، المعنى "رياض الجنة أو المدهش المطرب". بيروت: دار الكتب العلمية - منشورات محمد علي بيضون، (ط 1)، 2003.
- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت 1382هـ / 1962م)، فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيخات والمسلسلات، بنشر باعتماء: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط 2)، 1982.
- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994.
- عبد الرحمن بن زيدان، إنتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس. الدار البيضاء: مطبع إديال، (ط 2)، 1990.
- عبد الرحمن بن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة. بيروت: مؤسسة الرسالة، (ط 3)، 2001.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517-1798). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية - تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية. 1982.



- عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى. الدار البيضاء: طبع ونشر وتوزيع دار الكتاب، (ط2)، 1960.
- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها. القاهرة: مطبعة المدنى، 1965.
- عبد العزيز عتيق، علم البديع. بيروت: دار النهضة العربية، 1985.
- عبد العزيز عتيق، علم البيان. بيروت: دار النهضة العربية، 1985.
- عبد القادر بن عيسى المستغани، مستغانم وأحوازها عبر العصور. مستغانم: المطبعة العلاوية، (ط1)، 1996.
- عبد الكبير بن هاشم الكتاني (ت 1350هـ)، زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ويليه تحفة الأكياس ومحاكمة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت 1362هـ)، تعلق: علي بن المتصر الكتاني. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، (ط1)، 2002.
- عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، (ط1). بغداد: مطبعة الإرشاد، 1967.
- عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب (عدد 13: ابن زاكور). تطوان: مطبعة كريياديس
- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي. بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، (ط3)، 1975.
- عبد المنعم الحفني، معجم المصطلحات الصوفية. بيروت: دار المسيرة، (ط2)، 1987.
- عبد الهادي التازى، جامع القرويين "المسجد والجامعة بمدينة فاس": بيروت: دار الكتاب اللبناني، (ط1)، 1972.

- عبد الوهاب بن منصور، *أعلام المغرب العربي*. الرباط: المطبعة الملكية، 1978.
- علي بن أحمد المجاجي بنعشيط، *الأحرف الوهاجة في ذكر شرفاء مجاجة*. بومرداس (الجزائر): مطبعة ميهوبي - أولاد موسى، 2004.
- علي زوين، *معجم مصطلحات توثيق الحديث*. بيروت: مكتبة النهضة العربية، (ط١)، 1986.
- علي عبد الله شعبان، *اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث*. القاهرة: دار الحديث، 1997.
- علي محمد صلابي، *الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط)*. القاهرة (بور سعيد): دار النشر والتوزيع الإسلامي، (ط١)، 2001.
- عمّار هلال، *العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (٣-١٤هـ)*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
- عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (ط١)، 1993.
- فاروق حمادة، *المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل*. الرباط: دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، (٢)، 1989.
- فرج محمود فرج، *إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين*. الجزائر: 1977.
- الفقيه المنوني، *أبحاث ختارة*. المغرب: مطبعة دار المناهل، 2000.
- كارل بروكلمان، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبي. بيروت: دار العلم للملائين، (ط٩)، 1981.



- محمد بن عثمان الحشائحي، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وببلاد التوارق، ترجمة وتعليق: محمد المرزوقي، تونس: الدار التونسية للنشر - المطبعة العربية، 1988
- محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، (ط2)، 1988
- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1996.
- محمد حجي، الحركة الفكرية بالغرب في عهد السعديين. المغرب: مطبعة فضالة - منشورات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر 1979.
- محمد سالم محسن، الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طرف الشاطبية، الأزهر (القاهرة): مكتبة الكليات الأزهرية.
- محمد عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب. بيروت - باريس: منشورات عويدات. (ط2)، 1988.
- محمد بن عزوز، كرسى الحديث بظهر حصة العين بجامع القرويين بمدينة فاس. الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي - بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2003
- محمد الصادق قمحاوي، الكوكب الدرى في شرح ابن الجزرى القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (ط1)، بدون سنة الطبع.
- ختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة. باتنة (الجزائر): دار الشهاب للطباعة والنشر، 1978.
- محمد عبد الكريم، المقرى وكتابه نفح الطيب. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

- محمد محفوظ، ترجم المؤلفين التونسيين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1994.
- محمد خلوف (ت 1360هـ / 1941م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. دار الطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين. الرباط: جامعة محمد الخامس - كلية الأداب والعلوم الإنسانية، 1996.
- مصطفى شاكر، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله، بيروت: دار العلم للملائين، (ط 1)، 1993.
- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن. القاهرة: مكتبة وهة، (ط7)، 1990.
- مولاي بلحملسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.
- ناصر الدين سعیدونی والمهدی البوعبدلي، الجزائر في التاريخ. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- ناصر الدين سعیدونی، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (ط2)، 1984.
- ناصر الدين سعیدونی، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1999.
- ناصر الدين سعیدونی، ورقات جزائرية. (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني). بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2000.

- نذير حادو، تيسير مصطلح الحديث مع شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث. (سلسلة تيسير العلوم الشرعية ١).
 - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي. قسنطينة: مطبعة البعث، 1965.
 - يحيى بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المغروسة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط١)، 1995.
- الدراسات والمجلات
 - أبو القاسم سعد الله، "زيارة لخنقة سيدي ناجي"، ضمن مجلة سيرتا، الصادرة عن معهد العلوم الاجتماعية - قسنطينة، مطبعة البعث. السنة الثانية، العدد: 03، ماي - 1980..
 - أبو القاسم سعد الله، "إجازة ابن عمار محمد خليل المرادي"، ضمن مجلة الثقافة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. السنة الثامنة، العدد: 45، يونيو - يوليو 1978.
 - بكري البكري، "تنظيم رمز تاريخ وعنوان حضارة"، ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، الصادرة عن معهد الحضارة الإسلامية - جامعة وهران. السنة الأولى، العدد: 1، سنة: 1993.
 - جوميه (Jomier J)، "الجامع الأزهر: مسجد وجامعة" ضمن دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣)، يصدرها باللغة العربية: أحمد الشناوي وإبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، راجعها: محمد مهدي علام. بيروت: دار المعرفة - القاهرة: دار الشعب
 - حماده الله ولد سالم، "دور ركاب الحاج والأوقاف في التواصل بين المجال الشنقيطي - السوداني مع المشرق العربي"، ضمن مجلة الجسرة الثقافية. قطر: نادي الجسرة الثقافي. العدد: 14، خريف 2002.



- صلاح الدين المنجد، "إجازات السماع في المخطوطات القدمة"، ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية الصادرة عن جامعة الدول العربية. مصر: مطبعة شركة مساهمة مصرية. المجلد 1، ج 2، ماي: 1955.
- صلاح الدين المنجد، "صفحات في تاريخ دمشق في القرن الحادى عشر مستخرجة من كناش إسماعيل المحاسنى"، ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. مجلد 6، ماي - نوفمبر: 1960.
- العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، ضمن مجلة سيرتا، السنة الثانية، العدد: 03 - ماي: 1980.
- العيد مسعود، العلاقات الثقافية بين الجزائر والشرق في العهد العثماني، ضمن مجلة سيرتا، السنة الأولى، العدد: 01 - ماي 1979.
- العيد مسعود، "المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني"، ضمن مجلة سيرتا، السنة السادسة، العدد: 10، رمضان 1408هـ / أفريل 1988.
- محمد سي يوسف، "نظام التعليم ببلاد زواوة بأيالة الجزائر خلال العهد العثماني". أعمال مؤتمر الدراسات العثمانية: "الحياة الفكرية في الولايات العربية"، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي. زغوان (تونس): منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكسية والتوثيق والمعلومات، (ط 1)، 1990.
- محمد بن المحبوب، "الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط"، ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: 5، سنة: 1998.

- المعاجم والقواميس:

- أحمد رضا، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة). بيروت: دار مكتبة الحياة. 1958.
- أحمد الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأسس البلاغة. الدار العربية للكتاب، (ط3)، 1980.
- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تع: عبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل، (ط1)، 1991.
- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله الفيلالي - تركيب: يوسف الخطاط. بيروت: دار الجيل - دار لسان العرب، 1988.
- مرتضى الزيدي (ت 1205هـ)، شرح القاموس "تاج العروس من جوهر القاموس". مصر: المطبعة الخيرية بحملية مصر، (ط1)، 1306هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، راجع التجارب المراقبان العامان بالجمع: عبد الوهاب السيد عرض الله، ومحمد عبد العزيز القلماوي. (ط3)، 1985. مطابع الأوقست - شركة الإعلانات الشرقية.



2 - المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

-المصادر والمراجع:

- Albert Devoulx, Notices sur les corporations religieuses d'Alger. Alger : typographie Adolphe Jourdan ,1912.
- Emerit Marcel, L Algérie à l époque d abd – El-Kader. Paris : Editions la rouse, 1951.
- Ernest mercier, Histoire de Constantine. Constantine : J. Marle et F. Biron, Imprimeurs – Editeurs, 1903.
- H' sen Derdour, Annaba 25 siècles de la vie quotidienne et de la lutte. Alger : Imprime sur les presses du Complexe Graphique de Reghaia, 1983.
- Lucien Raynaud, Hygiène et Pathologie Nord Africaines. Paris: Masson et Cce éditeurs Libraires de L'Académie de médicale, 1932 .
- Shaw, L 'Algérie un siècle avant l'occupation française (Au 18^e siècle), témoignage de Shaw. Traduit de l'Anglais par : J. Mac. Carthy .Paris: Editions Imprimerie de Carthage. 2^eédition, 1968. - Venture de paradis, Alger au 18 eme siècle. Alger : Imprimeur- libraire, 1898.

:المجلات -

- Albert Devoulx , " Les Edifices Religieux de l'ancien Alger ", Revue Africaine. Alger : O-p-U. N°: 10, Année : 1866, N° : 12, Année : 1868, N° : 14, Année : 1970.
- Ernest mercier, " Constantine au 17 eme siècle, élévation de la famille el fagoun ";recueil de Constantine. Constantine : Imprimerie I.Arnolet Braham. Alger: Jordan libraire éditeur. Paris :

Challamel Aine éditeur.1879. 9 volume, série 2 ;
1878 .

- G.Faure- biguet," Notice sur le Cheikh Mohammed
Abou Ras". Journal Asiatique, (Septembre- Octobre),
1899, Journal Asiatique, Série 9, Tome14. Paris :
Imprimerie national.

فهرس الموضوعات



فهرس

3	شكر وامتنان
5	مقدمة
13	المدخل
مفهوم الإجازة العلمية وأنواعها	
15	أولاً - مفهوم الإجازة
19	ثانياً - الإجازة العلمية وأنواعها
20	1- الإجازة بالرواية
34	2- الإجازات التعليمية
34	- إجازة القراءة
38	- إجازات السَّمَاع
40	- الإجازة بالقرآن الكريم
45	3- إجازة التصدير
45	- الإجازة بالفتيا والتدريس
50	- الإجازة بالخط
53	4- الإجازة بالتأليف
59	الفصل الأول
الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين	
62	أولاً - التعليم من المستوى العالي في الجزائر العثمانية
78	ثانياً - إجازات علماء مدينة الجزائر وضواحيها
98	ثالثاً - إجازات علماء منطقة الشرق الجزائري
130	رابعاً - إجازات علماء منطقة الغرب الجزائري



161	الفصل الثاني
الإجازات العلمية بين العلماء الجزائريين وعلماء المغرب الأقصى وتونس	
164	أولا- التعليم من المستوى العالي بالغرب الأقصى وتونس
176	ثانيا- إجازات القرنين العاشر والحادي عشر المجريين
228	ثالثا- إجازات القرنين الثاني والثالث عشر المجريين
261	الفصل الثالث
الإجازات العلمية المتبدلة بين العلماء الجزائريين	
263	وعلماء المشرق خلال العهد العثماني
275	أولا- التعليم من المستوى العالي بالشرق خلال العهد العثماني
328	ثانيا- إجازات القرنين العاشر والحادي عشر المجريين
363	الفصل الرابع
نماذج من إجازات العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني	
365	أولا- خصائص الإجازة العلمية وقيمتها التاريخية
378	ثانيا- نماذج من الإجازات التشرية
399	ثالثا- نماذج من الإجازات النظمية
421	خاتمة
431	الملاحق
437	البليوغرافيا
461	فهرس الموضوعات

